
فهرس
الفتاة والشيوخ
الجزء الأول
الباب الأول
عرض حال
او
حقائق في خيال

صفحة



المؤلفة

إهداء الكتاب إلى المرأة

أيتها الملاك

لقد أهديت كتابي الأول (السفور والحجاب) إلى أبي .

أما كتابي الثاني هذا فإني لأهديه إليك . ذلك لأن

فيك روح الأم ، ولأني معتقدة أن الصلاح في الشرق

إنما يبنى ثابتاً على أساس حريتك وجهادك في

سبيل الحق .

أفاض الله النور عليك وعليه

نظيرة زين الدين

6
'A

صفحة

صفحة

صفحة

* * * * *

الباب الثاني

رسالتان واربع محادثات ادخلها المعارضون في المعارضات

صفحة

* * * * *



او

بعض اقوال الاعلام من شيوخ المسلمين وعلمائهم وادبائهم ، وعلماء العالم وادبائه في قدر « السفور والحجاب » ومبادئه

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

* *

ملاحظة

يتبع هذا الكتاب الذهبي، ما لم يدخل في هذا الباب، وقد اثبتّه حيث احتجت اليهِ في غيره من الابواب، الكلمات والابيات الآتي بيانها

جزء (١)

الجزء الثالث

الباب الرابع

ما بيني وبين المعارضين في ميدان الحق المبين

تمهيد

الفصل الاول

الفصل الثاني

(٣)

الفصل الثالث

اشواك الشيخ بين وروده ، يعرضها حجاباً لدى اتباع الحجاب .

وفيه ثمانية عشر بحثاً

البحث الاول

صفحة

البحث الثاني

صفحة

البحث الثالث

في عظمة ائمة الاسلام وشرف المسلمين ، وإيهام الشيخ الفتاة ، سامحة الله ، بطعنٍ عليهم

(١)

(٢)

البحث الرابع

(١)

*

امور الدين ، وانتقام المسلمات من المسلمين ، وتعرُّضِ لحرية ، وتمزيقٍ لنقب بالقوة ، ودحض الفتاة ما اسند الشيخ

٦٥ — وفيه : لا يؤْمَّنُ على الجليل، من لم يكن امينًا في القليل

(٣)

٦٦ في انكار الشيخ ضغط السلطة الحلية ، بناء على طلب الحجابيين ، حريةَ السفور بين ، واثبات الفتاة ما انكر الشيخ

البحث الخامس

(١)

٧٠ في كون الانسان حرًا ان يستمتع بالسفور او يتّبع الحجاب ، وإبهام الشيخ الفتاة ، سامحه الله ، بمحاولة هتك النقاب بقوة السيف والمدفع

(٣)

٧٤ في اسناد الشيخ الى المرأة المسلمة انها تنفر من هتك الحجاب نفرة الصحيح من الاجرب .
— وفيه : ان الله احب المرأةَ المسلمةَ فجعلها صبوراً، ليت الرجل يدرك ما تبدي وما تخفي فيحرّرها تحريرا

٧٥ . — وفيه : حكايةٌ للشيخ جاءت عائثةً عليه

البحث السادس

٧٦ في الطفرة والترجل المستنكرين ، وإبهام الشيخ الفتاة بدعوةٍ اليها . انه لبهتان عظيم استغفر الله له

٧٩ — وفيه : ان مغالطة الشيخ هذه لا تغيظ بل تُسرّ، لما اودعها الشيخ من سرّ

البحث السابع

(١)

٨٠ في بهاء الحرية الصحيحة وعلائها ، وايهام الشيخ الفتاة بتوسُّع في معناها يجعلها فوضى . — الشيخ يتاجر بمالي ، ولكن لا يحسن التجارة

(٢)

٨٣ في بهاء الحرية الصحيحة وعلائها ، وايهام الشيخ الفتاة بانها ترمي في كتابها الى ان تكون المرأة المسلمة كاسرةً كل قيد، راكبةً رأسها، غير ملتفتةٍ الى ابٍ او زوج . — الشيخ يتاجر بمالي ولكن لا يحسن التجارة

البحث الثامن

(١)

٨٦ في القيام على المرأة ، واسناد الشيخ الى الفتاة خطأً في فهم معناه وظنها انه سيطرة . الشيخ يحاول ان يبيعني ما اخذه مما لي

(٢)

٨٧ في اسناد الشيخ الى الفتاة انها لم تعرف ان للمرأة شرعًا ، ولايةً على الرجل ، وان بين الرجل والمرأة بمقتضى قواعد الاسلام حقوقًا متبادلة . الشيخ يحاول ان يبيعني ما اخذه مما لي

(٣)

٨٨ الشيخ يخلط معنى القيام بمعنى الولاية الشرعية، و بمعنى الولاية على نكاح القاصر ، و يعدُّ الولدَ قوامًا على امهِ واختهِ، وعلى مثل خالتهِ وعمّتهِ

صفحة

البحث التاسع

البحث العاشر

البحث الحادي عشر

البحث الثاني عشر

صفحة

البحث الثالث عشر

في مزاعم الشيخ في الامر (قرن) ، وفي الكف والكوع ، وفي الجيب . وفيها مشهد عجب ، من دروس الشيخ في اصول المناظرة وفي التفسير وعلم الادب

(١)

في الامر قرن

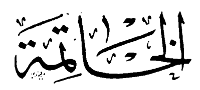
تمهيد

صفحة

البحث السادس عشر

البحث السابع عشر

البحث الثامن عشر



صفحة




الجزء الأول

الباب الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فقد حملتُ في شهر نيسان من السنة ١٩٢٨ كتابي «السفور والحجاب» وسرتُ به الى امتي والعالم ، وانا قريرة العين بنور الله ، مسرورة الروح بنعمة الاسلام ، مجاهدة متفانية بين المجاهدين والمجاهدات ، في سبيل امتي الاسلامية عامة ، وقومي العربي خاصة ، رفعًا لشأنهما ومستواهما ، وتوحيدًا لكلمتهما وصفوفهما ، او قصدًا لاعادتهما الى ما كانا عليه من السؤدد والمجد

حملت كتابي وسرت وانا مفاخرة بما التقطت في تلاوة كتاب الله واحاديث رسوله من اللآلي ، والدرر الغوالي ، فصغت منهُ درعاً يردُّ عن الاسلام سهام الناقدين ، ولو صاغ منهُ علماء الاجتماع زينةً للمدنية الحديثة ، لأيقن الناس ان الكنوز الثمينة في الدين

سرت وانا محاولة ومؤمّلة ، مع من حاولوا وأمّلوا ، نزع الافراط والتفريط الاجتماعيين ، من المدنيتين الشرقية والغربية ، وتأليف مدنيةٍ في الشرق حديثة تباري مدنية الغرب رقيًا في كل ما يكفل للناس رغد العيش ونعيم الحياة ، ويقرّب الاداب والنفوس الى المثل الاعلى . مدنيةٍ لا تشوبها بواعث الفتن ، ودواعي المفاسد ، من مثل الخلاعة والتبرج بانواعه ، وتقصير الثياب ، الى حدٍّ يعاب ، وتعرية مثل الصدور والظهور والاعضاد ، ومن مثل الرقص المفسد ، وارتياد محالّ الفساد ، مستندةً في ذلك الى الروح الطاهرة في كتابنا ، والكتب المنزلة ، المتفقة جوهرًا اتمّ اتفاق ، وليس فيها الا ما يؤول الى الطهر ومكارم الاخلاق ، وتعميم الخير ، والنور ، والحق ، للرجال والنساء ، على السواء ، وتوثيق عرى الاخوة باحترام متبادل بين الناس ، خاليةً من شوائب التعصب ، والتحاسد ، والتدابر ، والتباغض ، وليس فيها الا ما يؤول الى اطلاق العقل ، في امور الدنيا ، من الاغلال والقيود ، وتخليصه من ربقة العادات والجمود ، والا ما يؤول الى درء المفاسد والفتن ، وكل ما يجعل العدل ، والمساواة ، والحرية ، في حصنٍ محصن

ذلك هو المثل الاعلى الذي ينشده الهداة من قادة الفكر حتى تتم وحدة العالم في ثقافةٍ واحدة ، وحضارةٍ واحدة

اجل، حملتُ كتابي وسرتُ، وانا معتصمةٌ بكتاب الله متكلةٌ عليهِ، مهتديةٌ بسنة رسولهِ متبعة اياها مطمئنةَ القلب من نيلي رضى امتي جمعاء، بلا استثناء. وأنّي لا ترضى امتي عن فتاتها وقد اتخذت الكتاب والسنة دليلاً، لا ترضى عما فيها من المبادىء السامية بديلا

ان كتابي ذاك قد ابتدأتُ بتأليفهِ في شهر حزيران سنة ١٩٢٧ كما ذكرت في فاتحتهِ، يوم اتصل بي ضغط السلطة الدمشقية، الحرية الشخصية، بناء على رجاء بعض المحجبين، واكراهها المسلمات على حجاب يراه بعضهم من الدين، والحقيقة انهُ، كما يراه السواد الاعظم من الامة، ليس الا عادةً تتغير مع الزمان في كل حين

على ان كتابي لم يتمَّ تأليفهُ، وطبعهُ وتغليفهُ، الاَّ في اوائل نيسان سنة ١٩٢٨ . ذلك هو الزمن الذي حملتهُ فيه، وسرت الى امتي، مباهيةً مفتخرةً باخلاصي في خدمتي اياها، ودفاعي عن بنات جنسي اعلاء لشأنهنَّ وشأنها

وكنت اراني حينئذ محوطةً بكواكب، كالكواكب، من علماء اعلام وشيوخ ثقات، ومستنيرين ومستنيرات، هم السواد الاعظم من الامة، ترفرف ارواحهم حولي سروراً وبشرى، وكلنا آمل فتحاً قريباً لكل خيرٍ منشودٍ لها ونصراً

⟶⟶ ⟵⟵

ولكن يا لنكدَ الطالع الذي تختلف في هذه الدنيا احوالها!

انهُ اتفق أنهُ قبيلَ ذلك الزمن بينا بعض الحذاق من الامة هاجعةٌ، او مستنيمةٌ في حدائق ماضيها، في الحالة التي هي فيها، وقع أنَّ المبشرين من جميع الامم الذين يعقدون كل عام في احدى مدن الشرق او الغرب، مؤتمراً عامّاً، عقدوا ذلك المؤتمر في القدس الشريف، واتفق أن رجلاً اسمهُ زويمر ورفيقين لهُ قيل انهم من المبشرين، دخلوا الازهر في مصر اثناء انعقاد المؤتمر في القدس وفاه زويمر بكلمات تجرح عواطف المسلمين، ولم يلبث هو ورفيقاه أنْ نكصوا على اعقابهم مدبرين

اجل حملت كتابي سافرةً في النور سائرةً في طريقي الى الامة، واذا اشواك مكدّسة في طريقي، وصوت الشيخ مصطفى الغلاييني، وقد عارضتهُ في كتابي لتنبيهِ النساء، يصرخ انتقاماً بشيء

من الدهاء: «المبشرون يهاجموننا في عقر دارنا بالسنتهم واقلامهم وهذا كتاب السفور والحجاب كتابهم» فتبعتهُ اصوات من اعوان له صارخة معهُ في واد يا له من واد: «المبشرون يهاجموننا بالسنتهم واقلامهم، وهذا كتاب السفور والحجاب كتابهم» ذلك دون ان يعرف الصارخون مع الشيخ ما في الكتاب، ودون ان يعرفوا السبب الحقيقيَّ لصرخة الشيخ المضطرب الداعية الى الاضطراب

فيا له من هلعٍ قد استولى حينئذٍ على قلوب الماجنين، والقى غشاوة على عيونهم! ويا لها من ضجةٍ قامت بين اولئك الذين لم يقرأُوا من كتابي ولم يسمعوا الا عنوانهُ، والا ما قال الشيخ فيهِ. يا لها من ضجَّةٍ قامت: «المبشرون المبشرون»!

فاختلط الحابل بالنابل، واخذت سهام السباب والباطل، ترمى، من بعض صفوفهم تترى، بالالسنة والاقلام، الى اليمين، الى الشمال، والى الامام، الى الارض، والى الهواء، والى السماء. ورأيت ان كل متجددٍ ومتجددةٍ في الاسلام مبدأُها مبدإِي، بقيا في جانبي، او هرعا نحوي، قد امسى كلٌّ منهما في ذلك الهلع يتراءى لرماة السهام شبحًا من المبشرين والمبشرات مهاجمًا. فيرشقونهُ بالسهام الحداد، من كفرٍ ومروقٍ وخيانةٍ والحاد. حتى رأيت كثيرًا من اولئك العلماء الاعلام والشيوخ الثقات، والمستنيرين والمستنيرات، قد آثروا التكتُّم والاحجام، على الصراحة والاقدام، قائلين لي الى الملتقى، يوم يتيسَّر لنا حفظ كرامتنا، في استعمال حريتنا، كنا نعتقد ان البرهان يقابل في هذا الزمان بالبرهان. فاذا هو يقابل ببذاءة اللسان. وكنا نعتقد انهُ من الهيّن ان تنشر فيه المبادىء الحرة، فاذا رهطٌ يشوقون الى الثورة، وقد رأيناهم يهزأُون لنا الرمح ويشحذون السنان وكأن نداءَك في كتابك الى السلطات لم تسمعهُ آذان. فلنترك عاجلَ الخير الى ان يأتينا بآجلهِ الزمان

ذلك ما اقتضى ان يتألف من اولئك المستنيرين المتكتمين والمستنيرات المتكتمات، فرقة باطنية تُظهر بالقلم واللسان، غير ما تضمر في القلب والجنان، على ان تنضوي منضمَّة الى الصفوف تحت لواء الحرية يوم ينتشر ذلك اللواء حرًّا عزيزًا لا يطولهُ من الاذى يدٌ، او من البهتان لسان

قلت لهم قفوا يا سادة ويا سيدات. قفوا ساعدوني على اقناع اخواننا ليعتقدوا اننا اخوانهم واخواتهم، واننا وان اختلفنا مذهبًا ومسيرا، فما اختلفنا مقصدًا ومصيرا، واننا نغار على ديننا وكرامتنا وامتنا وقوميتنا كما هم يغارون، واننا من احرار الامة وحرائرها ليس بيننا مبشرات ومبشرون

واسنادهم ذلك الى المبشرين واشباههم . ونظرات لهم في كتابها وفي المبشرين ،
لا تتفق مع العقل السليم ، والخلق الكريم ، والنهج القويم

والحرُ من خرق العادات منتهجًا　نهج الصواب ولو ضدّ الجماعاتِ
ومن اذا خذل الناس الحقيقة عن　جهل اقام لها في الناس رايات
ولم يخف في اتباع الحق لائمـةً　ولو اتته بحد المشرفيـــات *

قالوا : إن لنا اسوةً بابي طالب انه استنار بنور الاسلام ، مثلما استنار الصحابة الكرام ، ولكنه احجم عن اعلان اسلامه صونًا لكرامته بين المعارضين في آل قريش من ان تهان ، وانصرفوا ولم يبق منهم بجانبي الا اهل العزائم ، ممن لا تأخذهم في الحق لومة لائم

يا لنكد الطالع ! ان هذه الفتاة التي ما خلقت للمعامع ، ولا سيما لمثل هذه ، قد حضرت المعمعة بمفاجأةٍ غريبةٍ صدمت جبهتها ، اذ سافتها خطواتها الاولى ، خطوات حميتها ، الى ايقاظ الهاجعين من امتها ، تحمل اليهم في كتابها عدّةً جديدةً من سلاح الحق ، اشتراكًا في الدفاع عن حوزتها !

رفعت الفتاة في يدها اليمنى كتاب الله وفي اليسرى كتابها وصرخت في القوم قائلةً : يا اعمامي ويا اخواني ، انا ابنتكم واختكم ، ولست احمل اليكم الا ما استطعت ان اعدّه من عدّة استخصلتها من كتاب الله وسنة رسولهِ ، فأصغوا الى كلامي ، غير متأثرين من قولٍ قبل ان تسمعوه ، وغير حاكمين بامرٍ قبل ان تفهموه وتعوه

هذا كتاب الله ، هذه سنن الرسول ، هذا اجماع الفقهاء والمجتهدين من الامة والامام الاعظم ، وهذا العقل بيني وبينكم

وقالت لمن كانوا هناك قادةً من الشيوخ : يا سادتي الشيوخ اني اجلّ صنفكم واحترمها احترامًا عظيمًا ، وارجو ان يكون كل شيخ بدرًا في الاسلام ، يرسل من العلم والحلم ومكارم الاخلاق ، انوارًا يرسل البدر مثلها في الظلام . ذلك شأن فقهائنا وعلمائنا وشيوخنا الاعلام . فلنقتدِ بهم ، ولنتعقل شرع الله وحكمته تعالى في آياته ، ولننظر الى حال الزمان ومقتضياته ، ولنبدّل الحكمة والسداد ، من الرمي بسهام الطعن والالحاد ، فكفوا بربكم السهام

فعلا الضجيج «خلتك المبشرون ، خلقك المبشرون ، ومن اشتراهم المبشرون . ووقف الشيخ الغلاييني على منبر جامع المجيدية في القوم خطيبًا ينعر في الفتنة نعرات ، ارسلها في كتابه «نظرات» قال :

(*) للرصافي

انكار المعارضين الرماة . تأليف «السفور والحجاب» على الفتاة .
واسنادهم ذلك الى المبشرين واشباههم . ونظرات لهم في كتابها وفي المبشرين ،
لا تتفق مع العقل السليم ، والخلق الكريم ، والنهج القويم

« هؤلاء هم المبشرون الذين يعلمون بغير ما يظهرون . هؤلاء ليست غايتهم نصرة الفضيلة ، وبث روح الدين في النفوس ، وانما الدين آلة يخربون بها بيوت الشرقيين ، واداة يهدمون بها كيانهم وقوميتهم

ان الفتاة تعجز عن تأليف مثل هذا الكتاب . فقد ألفه المبشرون واذناب المبشرين من معممين وغير معممين ، من المشايخ والادباء المسلمين السنيين ، والمشايخ والادباء المسلمين الشيعيين ، ومن النصارى واللادينيين ، من المسلمين والمسيحيين ، والمعلمين ، والمحامين . انهم دساسون ، جاهلون ، لا يفهمون ، طغام ، لئام ، مخادعون ، خراصون ، مخزيون ، ذئاب تتودد الى الوديع من الحملان . وقد الفوه متفقين على الضلال رغبة في دريهمات اكلوها حراماً وسحتاً . فكان منشأ الكتاب الجهل والخبث ، وكان الكتاب مملوءاً سماً ، ونفاقاً ، وتزلفاً ، وكان ما فيه شنشنة بذيئة صدرت من مؤلفيه بكلام وقح ، بلا حياء ولا خجل

ان كتاب السفور والحجاب يرمي ، بما حشر فيه من آيات الكتاب ، الى اثبات ان الرجل لا عقل له ، وان الآنسة نظيره زين الدين اعلم المتقدمين والمتأخرين من علماء المسلمين ، وانها وحدها استطاعت ان تقف على عرش العلم والفهم ، وتمكنت ان تفهم آيات الله ، وخصوصاً ما يتعلق بتفسير الايات التي تتعلق بحجاب المرأة ، فكيف تسلمون يا قوم بذلك ؟ »

ثم همس في اذن رفيق له محترم ، نظر من قبل الى كتابي نظرة لطف وكرم ، فصرخ ذلك الرفيق السيد عمر نجا في العهد الجديد عدد ٤٦٦ و٤٧٥ : « اني قلت في مقال آخر لي عدد ٩٤٨ ، لا ضير على النجمة اللامعة اذا استمدت الانوار ، من ذلك الكوكب المنير الذي احتجب عن الانظار ، (يعني ابي) واراني اخطأت المرمى . ان كتاب السفور والحجاب الفه تسعة رهط من المدينة وغيرها يفسدون في الارض ولا يصلحون ، فيهم المسلم الجغرافي ، والملحد ، والمعمم ، والمطربش ، والمبرنط ، ومسمار التبشير ، فالفتاة خريجة العلمانيين والراهبات ، تعجز عن مثل هذا التأليف وادراك السنة وتعقل الآيات . وانتفت نحوي وقال : يا نظيره زين الدين ان هؤلاء هم الذين الفوا كتابك وزخرفوه . وقد انخدعت اذ اظهرت به قبولا ، وكنت حاملة له ورسولا

ودامت السهام تترى

فقلت في نفسي : واحسرتاه ! ما كان بحسباني ان يرمي المعارضون بمثل هذه السهام . وقد كنت وكانوا في غنًى عن الاخذ والرد والكلام ، في مثل هذه الاقاويل والاباطيل والاوهام . امّا وقد اقتضت الحالُ الجواب ، بمقتضى الخطاب ، فليعلُ الحقُّ وليظهر الصواب

وقلت لهم عاليًا : ناشدتكم الله يا سادتي المعارضين ، لا تغمطوا الخلق ، ولا تبطروا الحق ، وقد نهى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذا ماركوني يا سادتي ، وهؤلاء اهلة اهل الغرب يعترفون مفتخرين باختراعه التلغراف اللاسلكي ، وهو ابن الثامنة عشرة من سنيه ، فلِمَ تنكرون ، يا من ينكرون من المسلمين ، على ابنتكم الفتاة المسلمة في الشرق ان تؤلف كتابًا في فضائل الدين المبين ، وقد جاوزت العشرين ؟

انكم تنكرون عليَّ ذلك ، ولكنكم ستشهدون أن الاعلام من شيوخ المسلمين وعلمائهم وادبائهم ، وعلماء العالم وادبائه ، يعرفون حقي وبالحق يعترفون

انتم تنكرون ذلك اما رئيسة تحرير السياسة لجريدة «الفيغارو» ، تلك الفتاة الفرنسية النبيلة النبيهة مادموزال كاندباني ، التي عرفها في زيارتها الاخيرة رجال السياسة والصحافة والادب ، اما تلك الاديبة الاريبة ، فقد قالت لي في مجلس حافل : «انكروا عليكِ تأليف الكتاب لانكِ فتاةٌ في ربيع الحياة ، فقلت لهم : انها لمؤلفة الكتاب ، لانها فتاة في ربيع الحياة»

وقالت لي حينئذٍ احدى النبيلات البيروتيات : ان معارضيك بل معارضي نهضة المرأة يحاولون ان يجعلوا منا حاسدات كي ننكر عليك ما هم ينكرون ، اما النساء العاقلات الفاضلات ، فيجُلِلن عن الحسد ، وعن غمط جهادك في سبيل الحق والخير لهن ، ولا يجهلن ما يرمون اليه او ما يضمرون

فقلت لها : مَن مِن اخواتي تحسدني في تعرضي لتلك السهام والنبال ؟ اني لا ارى فيهنَّ ، وان احتجبن ، الا مهتمّة لامري او شادّة ازري في هذا النضال

يا سادتي الشيوخ المعارضين

انكم انكرتم على المرأة من مثات الدين العقل والدين . ولا غروَ أن يأتي ذلك منكم . فالعقل والدين من الامور المعنوية ينكرها من يريد الانكار ، ويُقرُّ بها من يريد الاقرار ، ولكن

ليس لكم ان تنكروا ثمرات من عقلها ودينها محسوسة ، مرئية ملموسة ، خالدة بين الآثار

ليس في كتابي ادّعاء مني كما تزعمون أني اعلم المتقدمين والمتأخرين ، من علماء المسلمين . فاني لست مفتخرة بنفسي ، ولست الاّ خادمة لديني ووطني وقومي ، ومدافعة عن حقي وحق بنات جنسي . اذ أن ما اتاني الله من عقل ونور وهدى ، لا اريد ، كما تريدون ، ان اهمله ، كأنّ حياتي لم تكن الاّ لتذهب سدى

اذن ليس قولكم او زعمكم ، يا سادتي ، الاّ دليلاً لأُولي الالباب ، على ان كتاب السفور والحجاب ، جليل الشأن مستطاب ، فيه للعلم فوائد ، ومن الخير المنشود للامة مشاهد ، يؤيّد استحقاق المرأة ان تستمتع بحقوقها ، ويستوجب ان يرفع الشوك من طريقها

اجل ان اسنادكم ، يا سادتي المعارضين ، تأليف كتابي الى تسعة رهط ، لمّا يوجب ان تعطى المرأةُ حريتها وحقها ، وترفعَ الى المنزلة الجديرة بها ، اذ أنّ ما انتجه دماغ فتاة تحررت ، قد تصورتم او اعتقدتم انه لا ينتجه الاّ مجموع ادمغة من علماء الرجال بين سبعة وعشرين وتسعين دماغاً ، ذلك لان الرهط في اللغة وفي التفسير جمعٌ لا واحد له ، وهو عددٌ يجمع من ثلاثة الى عشرة وليس فيهم امرأة . وإنْ قلتم ان السيد صاحب المقال يعني بالرهط الرجلَ الواحد ، فكفى المرأةَ قدراً تصوركم او اعتقادكم أنّ ما انتجه دماغ فتاة ، لا تنتجه ادمغةٌ من الرجال دون التسعة عدداً . ولكن شتانَ ، ايها السادة ، بين فتاةٍ كتاب الله في اصغريها ويديها وامام عينيها نهضت مُصلحةً ، شتانٍ بينها وبين تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يُصلحون

يا سادتي المعارضين

ان صح قولكم انه اتفق على مبادىء كتابي المستقاة من كتاب الله وسنة رسوله مشايخ وعلماء سنيون ، ومشايخ وعلماء شيعيون ، ومسيحيون ، ولادينيون من المسلمين والمسيحيين ، ومعلمون ، ومحامون ، ومبشرون بدين المسيح ، مشتركين معي في تأليفه ، نشراً لتلك المبادىء ، فيا لعلاء الاسلام ، ويا لسعدَ الانسانية ، بالاتفاق على تلك المبادىء الصحيحة الاسلامية ، وعلى نشرها في العالم ؛ ويا لفخرَ ابنة زين الدين وقد ألّفت القلوب على ما في القرآن والسنّة من الهدى وصحة المبادىء التي هي الاساس ، لكل ما ينفع الناس

وان كان ، ايها السادة ، أنّ المبشرين يستفتحون كتاباً بقولهم : كما جاء في فاتحة كتابي ، « واني

اشهد ان لا اله الاّ الله ، وبكتابه اعتصم ، وعليه اتكل ، وهو حسبي ونعم الوكيل ؛ واشهد ان محمدًا عبدُه ورسوله ، ولسنّتِه السنيّة اتّبع انها دليلي الى الحقّ والهدى ونعم الدليل » ؛ ان كان ذلك فقد اسلموا وصاروا منا ، وحقّ للفتاة ان تفتخر بعلها الجليل

وإن كان أنّ المبشرين يستندون في نشر المبادىء الحرة النقيّة الصحيحة الى كتاب الله وسنّة رسوله ، كاهو شأني في كتابي السفور والحجاب ، ودأبي في كل كتابٍ وخطاب ، فليس اولئك الاّ مبشري العالم ، مع الفتاة المبشرة ، بالسنّة والكتاب

يا سادتي المعارضين

لا اكتمكم انهُ يحزنني ان تتركوا امام العالم الراقي المحدّق الينا ، البحث فيما هو على بساط البحث من كتابي ، يدعمهُ الدليل ويؤيّده البرهان ، مشتغلين في ما هو خارج عن دائرته ، تبحثون عن عرَضٍ غير مهتمّين للجوهر

ايُّ نفع للامة او ايُّ ضررٍ من ان يكون مؤلف الكتاب هذه الفتاة او غيرها ؟

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « خُذِ الحكمَةَ ولا يَضُرُّكَ من أيِّ وعاءٍ خرَجت »

وقال صلّى الله عليه وسلم : « الحكمَةُ ضالَّةُ المؤمنِ أينَ وَجَدَها أخَذَها »

ومن ابلغ الاقوال : « انظر الى ما قيل لا الى من قال »

فاحرِ بكم ايها السادة ، ان تتركوا هذه المزاعم ، وتفحصوا اقوالي فحصًا . فاذا كانت نافعةً للامة لا تحرموها هداها ، وان كانت ضارّةً هاتوا الدليل والبرهان وقولوا لها اياكِ واياها

واذا اكتفيتم بالاصرار على انكار حقي ، ثمرات عقلي ودبني وجهدي ، باسنادكم كتابي ذاك او كتابي هذا الى غيري أيًّا كان ، فلا غروَ أنْ أعدّ ذلك ، فيما اعدُّ ، عجزًا منكم عن المجادلة بالتي هي احسن لدى حقائقَ في كتابيَّ بينات ، او استكبارًا منكم عن مجادلة فتاة . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكبر وارتدائه وقال : « أعظَمُ التكبُّرِ غمطُ الخَلقِ ، وبطر الحقِ »

قلت ذلك للسادة المعارضين ثم وجهت خطابي الى الشيخ مصطفى الغلاييني زعيمهم وقلت :

مَنْ أوحى لك يا حضرة الشيخ غير المعمم ، ان معممين من السنيين والشيعيين اتفقوا ، كما زعمتَ في كتابك ، على الضلال ، فجمعوا لي الآيات مستأجَرين مشترين بها ثمنًا قليلاً ، وجمعوا الاحاديث

رغبة في دريهمات اكلوها حرامًا وسحتًا ؟

لِمَ هذا الاختلاق وهذا الافتراء على ذوي العمائم من الاسلام ؟ ألآنَ الشيخ نبذ العمامة، وقد زينت من قبلُ منهُ الهامة ؟

اوَ لا تعرف الفتاة القراءة والكتابة لتجمعَ هي نفسها من كتاب الله وكتب الاحاديث ما لزم دفاعها ؟

أنّى حللت لنفسك ان تختلق ما لم اقله في كتابي، كما اختلقتَ اشباحاً باطلةً حواليّ، زعمتَ انها المولّفة ؟

انك لم تجد، يا سيدي، سببًا قويًّا او ضعيفًا للنيل من قدر « السفور والحجاب »، فخلقت لشنّ غارة شننتها ظلمًا وعدوانًا ما خلقتَ من الاشباح والاسباب، فكان ذلك فيما كان، دليلاً على قوّة الروح الناطقة في ذلك الكتاب

اني كما يعلم كل قاصٍ ودانٍ، فتاة مسلمة انارها الايمان، وقد نشأت في محيط عليّ جليل الشأنِ عالي المكان، متدرجةً في المدارس المتنوعة، ومعاهد العلم الكبرى، فكانت الفتاة الاولى في العرب او الاسلام، او من الاوليات، بنيل شهادة « البكالوريا » الفرنسية، في العلوم العالية والآداب اللغوية. فلا تنكر عليّ العلم ولا تستكبر التأليف، ولا تنكر على الله انهُ يهدي من يشاء، فانهُ جلّ وعلا، لم يجعل تعلّمي وتأدّبي في تلك المدارس الاّ باعثًا على الهدى ومثبّتاً في دين الاسلام الوضّاء

* * * * *

اوَ تنكر يا شيخ ؟ لا تنكر أن المسلمين قد أُمروا باخذ شطر دينهم عن امرأة، رضي الله عنها ومَن من المسلمين ينكر الحديث في كتاب حسن الاسوه، تأليف ملك بهوبال صفحة ١٧٨ تحت عنوان (باب ما ورد في نسخ القرآن عن مصحف المرأة) ؟ عن أنس انهُ قال : إن حذيفةَ قدم على عثمان فقال : يا امير المؤمنين، أدرك هذهِ الامة قبلَ أن يختلفوا في الكتابِ اختلاف اليهودِ والنصارى . فأرسلَ الى حَفصَة أن ارسلي الينا بالصُحُف ننسخها ونردّها اليكِ . فأرسلَت بها . فأمر زيدٌ بن ثابت، وعبدُ الله بنُ الزُبير، وسعيدُ بن الابرص، وعبدُ الله بن الحارث بن هِشام، فنسخوها حتى اذا نسخوا الصُحفَ في المَصاحِفِ، أرسلَ الى كلِّ أُفقٍ بمصحف. وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفةٍ او مصحفٍ أن يحرَق »

متابعة الفتاة نظراتها في انكار المعارضين تأليفها عليها بخطاب منها الى زعيمهم الشيخ مصطفى الغلاييني . وفيه عجز المعارضين ، عن المجادلة في الحق المبين ، واثارتهم البلابل ، على « السفور والحجاب » بالباطل .

انك ترى ، يا سيدي الشيخ ، أنهُ وُثِقَ في صدر الاسلام بما جمعت المرأة وحفظت من الصحف ، فكان من مجموعها مصحف القرآن ، وأنَّ الصحف التي كانت محفوظةً عند بعض الرجال لم يوثق بها ، فالتهمتها النيران

ان في ذلك عبرةً لمن يعتبر ، تثبت فضل النساء وامانتهنَّ ، ولزوم الثقة بهنَّ ، والاعتماد عليهنَّ ، وأن اكثر الخير ، كما قال صلى الله عليه وسلَّم ، فيهنَّ

واذا كان ، يا حضرة الشيخ ، أنَّ المرأةَ قد جمعت لنا وحفظت كل ما انزل الله من آيات ، فهل يُستكثر على الفتاة ان تجمع من بين دفتي المصحف ما جمعت منها اعلانًا لحقائق الدين المبين ، واعلاء لشأن المسلمات شقائق المسلمين ؟

* * * * *

يا سيدي الشيخ

ان كتابك « الاسلام روح المدنية » وكتابك « نظرات » ، امام العيون . وقد قلت فيهما ، كما قال رفاقك ، ما عدا القليل منهم : إن الحجاب ليس من الشرع والدين ، بل هو عادة ظن العوام انها من الدين . وقد قال ذلك ، فيمن قالوا ، الاستاذان مخزومي باشا والسيد يموت في نقديهما كتابي . وهذا الشيخ عارف الزين صاحب مجلة العرفان قال ايضًا في نقدِ اياه : « لا لبس البرنيطة ، ولا الحجاب ، ولا السفور ، ما يُبحث عنهُ دينيًا . لانهُ لاصراحة في الدين تؤيِّد الحلَّ والحرمه . بل ذلك من العادات القومية . وقال ايضًا : هذه قضية من القضايا العامة التي لادخل للدين بها . ونقِم على من يُدخلون الدين في مثل هذه الامور

اذن فما شأن الجوامع في ذلك ، وليس ذلك من الدين ، حتى كررت على منابرها الخطب تستثير البلابل ، بالباطل

اصحيح انك اكثرت من المحاضرات في جامع المجيدية ضد كتابي قُبَيل ان يقرأهُ الناس ، كشفًا للنقاب عن غاياتهِ ، ومنعًا لما اوشك ان يكون من التفرقة والفتن بين المسلمين ، كما قلتَ وكما ذكرتَ في نظراتك ، ام أنك كشفت النقاب عن غاياتك ، فعزوتَ الى كتابي ما ليس فيه ، وصرختَ في الناس ان المبشرين ومن اشتروهم الَّفوه وزخرفوه ، اثارةً للخواطر والفتن ، ومنعًا للافكار من ان تقرأه بسكونٍ وتروٍّ ، ومن ان يروا بهدوءٍ بصبرٍ ما ذكرَتْ هذه الفتاة من الحقائق في ردِّها عليك ؟

زعيمهم الشيخ مصطفى الغلاييني . وفيه عجز المعارضين ، عن المجادلة في الحق المبين ، واثارتهم البلابل ، على «السفور والحجاب» بالباطل

يا سيدي الشيخ ، اني حملت كتابي الى امتي من غرفتي ، فلِمَ لم يكتف الشيخ بحمل كتابه الى الامة من غرفته ، ولقضاة الاجتماع الجديرين بالقضاء في اموره ان يحكموا في الكتابين ؟ !

اني اعلم ، يا سيدي الشيخ الغلاييني ، أن اثارة الخواطر على كتاب فتاة مثلي امرٌ هيّن على مثلك ، لانه لا يتسنّى لي ان اقف حينئذٍ على المنبر الذي وقفت عليه ، او أن اتكلّم في المجتمعات التي تكلمت فيها ، لأُظهر الحق المنشود ، وأُزهق الباطل المردود . غير ان الرجل النبيل من لا يستعمل سلاحاً ليس بيد غيره مثله ، إما لانه لا يملكه ، او لانه يترفع عن استعماله . إن المجال هنا متسع امام النساء والرجال لاظهار الحقائق لدى كبراء الامة وكبيراتها بالاقلام ، لا لاثارة العامة بباطل الكلام

يا سيدي الشيخ ، ان الله منّ عليك بموهبة الخطابة بصوت جهور ، ولسان زلق . فاتق الله واحسن استعمالها في نفع الاسلام ، ولا تجعلها مطيةً للهوى ، او سلاحاً للاذى والانتقام

أتق الله وانت عالم انهُ لا شيء أضرّ بالمسلمين او أخّرهم عن السير في طليعة العالمين ، مثلما اضرّ بهم ، او مثلما اخّرهم ، الرياء في الدين ، واثارة افكار الساذجين ، على أتباع الهدى الصادعين بالحق من المصلحات والمصلحين

كن مخلصاً في اقوالك واعمالك ، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم «النّاسُ هَلكى الا العالِمون ، والعالِمونَ هَلكى الا العامِلون ، والعامِلونَ هلكى الا المُخلِصون»

يا سيدي الشيخ

اني أُعلن على رؤوس الاشهاد ، وعلى مسمع من سادة وسيدات ، مسلمين ومسلمات ، أنّي سهرت اناء الليل ، واطراف النهار ، وكتبت كتابي في غرفة منفردة ، لم يكن لي فيها سمير ولا معين ، الا الاقلام والمحابر ، والكتب والدفاتر . ولم يكن فيها من النور ، عدا نور الكهرباء ، الاّ الكتاب والسنّة ، واقوال الائمة . ولم ارَ فيها مبشراً ولا غير مبشر ، ولم ترني فيها عين ناظر الاّ عين معلمي الشرع ابي ، واحياناً عين معلمي العربي ، بنقح نحواً انحوه ، او بياناً اجلوه ، دون ان يشتركا في التأليف . كما انهُ لم يشترك في ذلك معمّ ، ولا مبرنط ، ولا مطربش ، ولا مبشر ، ولا ملحد ، ولا علماني ، ولا معلم ولا محام ، ولا مسلم جغرافي ، ولا سمسار تبشير ؛ وانهُ لم يساعدني في تأليف كتابي وطبعه احدٌ بغرش ، ولم اعط معمّاً ، او مبرنطاً ، او مطربشاً ، او مبشراً ، او علمانياً او

او مسلمًا سنيًا ، او مسلمًا شيعيًا ، او مسلمًا درزيًا ، ، او يهوديًا او مسيحيًا غرشًا

ايها الشيخ . ان زعمك لباطل وقد قال الله تعالى (قُل هَاتُوا بُرهانَكُم إن كنتم صادِقين) فهل للشيخ ان يأتي بالبرهان على ما زعم و يعلن على رؤوس الاشهاد ، أنهُ لم ينل مساعدة من الناس مالية ، في تأليف كتابه وطبعهِ ؟

اما تناولتَ يا حضرة الشيخ ، من الناس مساعدةً مالية قائلاً لهم انك ستنفقها في الدفاع عن الدين ، فانفقتها في سبيل الانتقام من فتاةٍ مسلمة ، وفي تضليل المسلمين ؟

قلتُ ما قلتُ للشيخ وغيره من المعارضين ، وما زالت اصواتهم صارخة « خلفك المبشرون ، خلفك المبشرون ، ومن اشتراكهم المبشرون » . وما زالوا يقولون ما قال الشيخ ، وما زال الشيخ يقول ما يقولون

فقلت لهم :

ايها السادة

ان المبشرين واشباهَ المبشرين ، اولئك الذين قيل انهم متهجمون علينا ما جاؤوا الى بيروت ، انما من مصر والقدس عادوا الى حيث اتوا . ولتسعة شهورٍ من مجيئهم الى ذينك البلدين ، ألفتُ كتابي وباشرتُ طبعهُ . اما المبشرون الذين بين ظهرانينا ، سواءٌ أ كانوا اميركيين او انكليزيين ، ام رهبانًا او راهباتٍ من الفرنسيين وغير الفرنسيين ، فلم نرَ منهم الاَّ خيرًا في تثقيف الناشئة العربية من بناتٍ و بنين . اجل هم الذين انشأوا في بلادنا المدارس ومعاهد العلم الكبرى ، وعلمونا وهذبونا ، وان الاخلاق العربية الشمّاء ، ولاسيما الوفاء ، مما يقتضي ان نكون لهم من الشاكرين

قال سماحة العلاَّمة الورع مفتي بيروت الجليل في ارجوزته :

وكلُّ من علّمنا حرفًا وجبْ   لهُ علينا الشكر حفظًا للادبْ

فيا كرام ، يا رماة السهام ، ليس بجانبي في الميدان غير ابناء غُيُرٍ من قومنا اعزاء ، ادباء ، مثقفين ، متجددين ، ناهضين . فكفوا بربكم السهام ، ولا ترشقوا بها اخوانكم في الوطنية ، واخوتكم في الاسلام

قلتُ هذا ، ولكنهُ لم ينفع شيئًا . ودامت السهام كالوابل ، والشيخ يناضل بالباطل

*****

وقد كان بجانبي حينئذٍ سيدةٌ تركية، تتكلم العربية فوقفت حائرةً وقالت «أنلايانه سيوري سنك ساز، أنلامیانه داؤول زورنا آز». قلت لها ما تقولين هانم؟ قالت بعربيتها «لمن يفهم صوت البرغش زمورٌ وطبول، ولمن لا يفهم الزمور والطبول شيءٌ قليل». فقلت عفواً سيدتي، ليس الذنب الا على تأصُّل العادة فينا، انها في التي تُربينا ما تربينا. وسترين أنَّ هؤلاء السادة، يوم تخلّص من أسر العادة، في إنهاض الامة سباقون. انهم مثلنا من روح الله، ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون.»

ثم وجهت خطابي الى الشيخ وقلت

كيف حللت لنفسك يا سيدي الشيخ، يا استاذ التفسير والآداب العربية، في الكلية الاسلامية، ان تختلق ما تقول اختلاقًا، وان تستعملَ في وصف المبشرين وغير المبشرين، الفاظًا لا يستعملها من سمى آدابًا وكرم اخلاقًا؟

أنسيتَ انك عضوٌ في رابطة الادب العربي، وان من اتصل برابطة الادب، عليه ان ينزِّه قلمهُ، ليستحق الاتصال بها استحقاقا؟

ان ذلك ليس من الشيخ بامرٍ جديد . فقد رأيناه في كتابه «الدين الاسلامي واللورد كرومر»، منذ عشرين سنة، جاعلاً الحَملَ على المبشرين بمثل هذا اللفظ الفظّ، ديدنهُ

كيف رميتَ يا سيدي الشيخ كتابي بما رميتَ من العيوب؟ اذكر لي كلمةً غير صحيحة فيه، جاءت كما قلت عنهُ؟

وأنّى قلتَ عنهُ ما قلت مما ليس فيه، والكتاب لدى الامـــة والعالم سراجٌ وهّاجٌ حُجُبُكَ الباطلةُ لا تخفيه

كيف فادى الشيخ بشرف لقبه، علاوةً على شرف ادبه، فخطبَ ما خطب، وكتب ما كتب، ونسب باطلاً الى كتابي والى من نسب ما نسب؟

ان ما كان من الشيخ لجرحٌ في شرف المشيخة، احدثهُ الشيخ ليُحدث خمشًا في فتاة . ولم يبالِ ما للامّة او بما لها، من مصلحةٍ ونفع وعزةٍ وحياة

يا سيدي الشيخ

ان وصمَكَ المبشرين بما وصمتَ من العيوب، وما علقتَ عليهم من الالقاب، لا ينفثُ في

ساعد التبشير بل يقويه . انما يفتّ في ساعد التبشير ويُضعفهُ ، أن يفوقَ الشيوخُ الرهبانَ والقسوسَ في العلم ونشره، وحب الخير والسعي في إثره، وفي ما لا يخفى من مكارم الاخلاق، ومحاسن الآداب . انهُ بمثل ذلك عرف الاسلام في صدره ، فجرى في حلبة المجد وانتشر ، ولما نسي بعض شيوخه ذلك، وقف وكاد بتأخُّرِهم يتأخّر

يا سيدي الشيخ

ينبغي لنا ان نحترمَ الناس ليحترمونا . وان لا ننكر ما لهم من فضائل لئلا ينكروا ما لنا من فضائل . تأمل مجرَّدًا عن الهوى وارني فضيلة لا تتفق والاسلام، موافقة لروح الكتب المنزلة، لم يتخذ افاضلهم اليها ، كما يتخذ افاضل الاسلام سبيلاً . أرني بيتًا خرَّبوه ، او كيانًا هدموه . ارني من علَّموه من المسلمين فنصَّروه . ارني على دعواك دليلاً

ليس الدين ، كما تقول ، آلةً لخراب البيوت، واداةً ، استغفر الله ، لهدم الكيان ، انما الدين ركنٌ للعمران ، وسبب لسعادة الانسان . وأُوثر لك ان يكون ما قلتَهُ عن خللٍ في البيان ، على ان يكون ذلك منك عن دَخَلٍ في الايمان

يا سيدي الشيخ

ان المبشرين، في بلادنا منذ عشراتٍ من الاعوام ، اما التأخُّر فهو ، على ما كتبتَ في كتابك «الاسلام روح المدنية» منذ مئاتٍ من الاعوام، في الاسلام

اذن علينا ان نحقق ما في بعضنا من الدا ، لينجع الدواء

لا تقل، يا شيخ ، ما تقول ، لئلا تبعدَ بعض الناس عن طريق المحبة والفضيلة المؤدي الى ما ينشد قادة الانسانية من الغاية المثلى . بل قل معي ، يا شيخ ، قل : ينبغي لنا ان لا نستكبر على ان نقتدي بمثل كثيرٍ منهم في كثيرٍ من الاحوال . ان فضلاءهم وفضلاءنا وفضلاء كل قوم في الصدق والاستقامة والامانة، والادب والنزاهة والرصانة ، وفي حب الخير العام ، وبثِّ روح الاخوَّة والمحبة والسلام ، لخير مثال . وقل ايضًا معي ينبغي لكل مسلم ان يسابق فضلاءهم ويسبقهم في مثل تلك الخصال ، لان الاسلام نبعٌ للخير، ومصدرٌ للكمال

يا سيدي الشيخ

اذا قرأْت البلاغ الذي نشره ممثلو المبشرين من خمسين امة، على اثر انعقاد مؤتمرهم في القدس، بين ٢٤ اذار و ٨ نيسان سنة ٩٢٨ ، لا ترى فيه قولاً يمسُّ دين الاسلام او المسلمين

بسوء . بل نرى في الصفحة ٣٠ منه قولهم : «اننا نعترف بان من مظاهر ذلك الحق الواحد ما هو واضح في دين الاسلام من الشعور بجلال الله، وما يترتب على هذا الشعور من الوقار والاحترام في العبادة .» أفمن قالوا هذا القول في الاسلام يستحقون ان نقابلهم بمثل قولك عنهم ؟

يا سيدي الشيخ

اني قرأت بلاغ المبشرين ذاك، فما جاء فيه من قول حكيم، ومبدإٍ قويم :

«ان ارتقاء العلم قد غيَّر مجاري افكار الناس تغييراً اثَّر في المعتقدات القديمة، حتى انها اخذت تجتاز طوراً من التغيير والتعديل يكاد يكون انحلالاً . وقد نُبِذَت بعض الانظمة التي كان لها المقام السامي في اعتبار الناس، واصبح بعض ما يُنبذ منها موضعاً للريَب والشكوك . ولم تنجُ المبادىء الادبية، وقواعد السلوك التي جرى عليها الناس كقوانين ثابتة القرار، من ان تصبح عرضةً للانتقاد والتمحيص . ولا ينحصر تأثير هذه الحالة في شعب من الشعوب، بل يتناول الامم جمعاء . وكأنما قد نشأت فلسفة جديدة، تنازع غيرها من المبادىء الفلسفية، السلطةَ العليا على افكار البشر

«ففي هذا العالم المتلمس طريقاً الى الهدى، يبدو الدين مجتذباً اليه انتباه الجنس البشري . وهو بحقيقته يتمثل امام الناس اعظم من المدنية الحديثة، واعظم منه نفسه في الحالة التي عرفها فيها الما حتى الآن

«فالدين يطلب من ابناء البشر جميعاً في كل الاحوال والاوقات والعلاقات، ان يعيشوا بالمحبة والبر، ويحضهم على الايمان بالله، وعلى التضحية، ووقف النفس على خدمته تعالى، وخدمة بني الانسان

«فما الدين الّا دعوةٌ الهية الى الانسان ليرجع الى الله . وهو تعزيةٌ للمتألمين، وتأكيدٌ للمقيدين انهم سينالون حريتهم المنشودة . وهو يمنح القلب سلاماً وفرحاً . ويولّد في الناس انكار الذات، والمبادرة الى الخدمة الاخويّة، والمحبة المقترنة بالرأفة . وهو الواهب للشبيبة اسمى غايات الطموح، وللعامل الكادّ قوةً، وللمتعب راحة

«ان الدين هو مصدر القوّة الاكيد للتجدد الاجتماعي، وهو يظهر الطريق الذي تستطيع البشر فيه، بالسلوك عليه، ان تتخلّص من الاحقاد المتأصلة بين مختلف الطبقات الاجتماعية، ومختلف الجنسيات . تلك الاحقاد العاملة على تقويض اركان المجتمع، فتستطيع كلُّ امة ان تتمتع

بقسطها من اليسر، وتسود المودّة والسلام بين الامم. فمن يتّبعُ الدين لا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة »

« الدين يحرّر المرأة ويمنح الحياة للناس، والمجتمعات، والامم، وبه تحطّم قيود الشرّ التي تُقيّد بها الشخصية البشرية، فيصبح الناس كلهم احرارًا. وان الحريّة الشخصيّة هي أساس تحرير المجتمع الانساني من العادات المفيدة، ومن الازياء الاجتماعية المؤذية، ومن الرق السياسي. ففي الدين يجد الافراد والمجتمعات ما يمكّنهم من ادراك الحرية والكمال؛ وان فيه مصدرًا لا ينضب للقوة التي تجعلنا نرجو حيث لا باب للرجاء. وان به تعود الحياة، ويعود النشاط، الى الافراد، والجماعات والامم الذين اضاعوا ما كان لهم من قوة ادبية دافعة الى الحياة »

« الدين يقبّح التباغض والتحاسد بين اجناس البشر، واحتقار بعض الجنسيّات للبعض الآخر، ويُقبّح السعي لاستغلال المسكين والضعيف. فما جميع الامم، بموجب الحق، سوى ولايات في مملكة الله الكونية، مملكة المحبة »

« الدين يهيب بالناس داعيًا الى العمل يدًا واحدة كأخوان، ليهيئوا للعيلة البشرية اساس الحياة الصالحة، وهو يُثبتُ أننا جميعًا اعضاء عيلةٍ واحدة، ويرغّب في أن يكون لكل منا فرصةٌ تامةٌ، مساويةٌ لفرصة الآخر، حتى لا يُحرَمَ احدٌ بلوغَ المستوى الذي ينشده تامًا، وحتى يكون لكل منا قسطه الخاص يؤدّيه الى ما يزيد هناءه في الحياة العيلية »

« واذا تصدّت العلاقات الدولية التي تزدري ناموس المحبة، اي ناموس الدين، فعلى كل من ينتمي للدين واجب خطير يدعوه الى العمل بلا انقطاع للوصول الى نظامٍ عالمي جديد، فيه العدل مضمون لجميع الافراد والشعوب، ولازالة كل باعث الى شبوب الحروب. وعليه ان يعرض الدين على قلوب الناس واذهانهم، ليس بالكلام فحسب، بل بالعمل الطيّب، والحياة القويمة، والمثل الصالح في البرّ والمحبة والرأفة، والعدل والعطف والشفقة، وخدمة حاجات البشر وسدّ عوز العالم »

*****

فيا سيدي الشيخ هذا ما جاء في بلاغ المؤتمر التبشيري ملخصًا. وهو كلام طيّب، لا نختلف وإياهم فيه. لانه روح الدين. انما الفرق بيننا وبينهم انهم يعنُون بالدين الدين المسيحي، اما نحن فنعني بالدين الدينَ الاسلامي

بيد ان الدين المسيحي والدين الاسلامي ، في نظر كل من ابتعد عن الهوى ، متفقان، روحًا وجوهرًا ، اتفاقًا لا تضعف قوتهُ اعراضٌ نشأت. وكيف لا يتفقان روحًا وجوهرًا ، والكتابان منزلان، وعند الله امّ الكتاب ؟ او ليس سيدنا عيسى ، صلى الله عليهِ وسلم ، روحَ الله، وسيدنا محمدٌ ، صلى الله عليهِ وسلم ، حبيبَ الله ؟

هذي المذاهب كلُّها نور الهدى كأشعّة الشمس افترقنَ الى مدى
والملتقى في مصدر الانوار (*)

فيا سيدي الشيخ بالحقّ أجبْ. أفمن قالوا مثل هذه الاقوال الطيِّبة ، الموافقة قول نبينا صلى عليهِ وسلم : « ولا تَبَاغَضُوا ولا تدَابَرُوا ، ولا تحاسَدُوا ، وكُونوا عبادَ الله إخوانًا »، افمن قالوا مثل هذه الاقوال الطيبة ، يستحقون ان يُجزَوا بما جزيتهم من قولٍ غيرِ طيِّبٍ ؟

يا سيدي الشيخ

اذا كذرتك مباحث كتابي في المساواة والحرية والاخاء بين ابناء البشر جميعًا ، عاذًا سبيلي في ذلك سبيلَ المبشرين ، فدعِ الظنّ واعلم علمَ اليقين، أنّي لم استقِ ما استقيت ، حتى ارتويت، الا من نبعَيِ الخير الخالص ، والحقيقة الصرفة كتاب الله العظيم ، وسنةِ رسولهِ الكريم

قال الشاعر الاميركي : « لم يقبلني المتكبِّر المتعصِّب في دائرة الاخوة ، اذ بنى حولهُ دائرةً جعلني خارجًا عنها ، فبنيتُ حولها دائرةً من الاخوة أُخرَى اوسعَ منها ، فبقيتُ واياه في دائرةٍ واحدة . »

اما انا فقد اظهرتُ حقًّا في ما كتبت ، ان دائرة الاخاء العظمى ، التي تجمع العالم ، قد أسَّسها المسيح عيسى، وشيَّدها محمد عليهما الصلاة والسلام ، وأنهُ ليس أحرى بالمحافظةِ على الاخاء الانساني والمحبّة والسلام ، من الاسلام

يا سيدي الشيخ

قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم « الانسانُ أخُو الانسانِ أحبَّ ام كرِه » فلا تحسبنّ اخاك الانسانَ شبحًا اسود ، فترميهُ بمثل ما ترمي . ان بعض الحكماء مثَّل هــذه الحالة بقولهِ : غشيني المساء ، وانا في الصحراء ، فلاح لي من بعد شبحٌ اسود ، فذعرت منهُ، ولكن لما اقبلتُ

(*) لشاعر القطرين

نحوه وجدتهُ انسانًا ، ولما صرتُ بجانبه ، وجدتهُ اخي

كيف لا يكون الانسان اخا الانسان، وقد خلق الله بني الانسان كلهم ، كما قال في كتابه العزيز، من نفسٍ واحدة ، هي نفخةٌ من روحه ؟

فالمبشرون، يا سيدي الشيخ ، وغيرهم من عباد الله ، ليسوا الاَّ اخوانًا لنا ، ولهم ان يبشّروا من التنزيل بالتوراةِ او الانجيل ، كما أن للمسلمين ان يبشروا بالقرآن من التنزيل

اعني أن لاهل الدين ، من المسلمين وغير المسلمين ، ان يرفعوا الحجاب عن وجوه حقائق دينيةٍ محجوبة ، ويبشروا بها ، مثبتين أنها على اتفاقٍ تام مع الحقائق العلمية الظاهرة ، لئلا يعدَّ الدين ، بما غطى بعض لبابهُ من غطى من قشور ، منافيًا للعلم الصحيح ، والعقل السليم ، وقواعد الحياة الصالحة ، واسباب الرقي ، فتتزعزع اركان الايمان في قلوب بعض المتعلمين . ان ذلك التبشير حق لا يُنكر ، لان السنة الناس واقلامهم ، في مطالب الخير ومقاصده حرَّة ، لا قيدَ لها الا الحُسنى . انهُ مبدأٌ علمنا الله تعالى اياه . فهو اذا عملنا بمقتضاه ، كفيل بادراك المقصد الأسنى

اجل ذلك حق لا يُنكر . فالسيد المسيح عليه الصلاة والسلام ، أتى مبشرًا فبشر ، وبالتبشير أمر ، اذ قال : «احملوا بشارتي الى العالم كله» . ونبيُّنا محمدٌ ، صلى الله عليه وسلم ، المخاطب بقوله تعالى « إِنَّا أَرسلنَاكَ شَاهدًا ومُبَشِّرًا ونذيرا وداعيًا الى اللهِ باذنهِ وسرَاجًا منيرًا » ارسلهُ الله مبشرًا فبشَّر ، وبالتبشير أمر ، اذ قال : « علّموا ويسّروا ، ولا تعسّروا ، وبشِّروا ولا تنفّروا »

اذن لنبشر بالاسلام ، وما فيهِ من يُسر وخير ، ومحبّةٍ وسلام ، ولكن بالحسنى كما يبشّرون ، يظهر الحقّ والصواب ، في السنّة والكتاب ، فيتبعهُ اولو الالباب

يا سيدي الشيخ

قال الله تعالى «وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ الا بالَّتِي هِيَ أَحسن » . وقال تعالى « لَو كُنت فظًّا غَليظَ القَلبِ لانفَضُّوا من حَولك» . فانتبه الى الامر الجليل في جدلك وقولك . وانتبه الى الآية (قل إِنَّا أَو إِيَّاكُم لَعَلَى هدًى ، او في ضلالٍ مبين . قُل لاَ تُسأَلون عمَّا أَجرمنَا ولا نُسأَل عما تعمَلُون . قل يَجمَعُ بينَنَا ربُّنا ثم يَفتَحُ بيننا بالحقِّ ، وهو الفَتَّاحُ العَلِيم » تر كيف يكون الانصاف في الحِجاج ، واللطف الولاّج ، في القلوب والنفوس ، الجذّاب الى الحق والدين القويم

يا سادتي المعارضين

وصمتم كتاب الفتاة المسلمة بما وصمتم، واسندتم اليها انها نقّصت في كتابها الدين ، وانها بما عرضت لدى العالم من جواهره ، قد خدمت المبشرين

فانقل لكم كلمة ما قال اولو الالباب ، في كتاب السفور والحجاب ، لتحكموا ان كنتم منصفين : هل خدمتُ في ما كتبتُ المبشرين ، ام خدمت الدين المبين

اني لأتحرباني ، وفاقاً لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد يسَّرتُ في ما كتبت وما عسَّرت ، وبشَّرتُ وما نفَّرت. فلا تفتخروا بانكم ، خلافاً لذلكم الامر، قد عسَّرتم في ما كتبتم وما يسَّرتم ، ونفَّرتم وما بشَّرتم

وهاكم تلك الكلمة من عشرات الكلمات

قال السيد رشيد الخوري المعروف بالشاعر القروي ذلك الاديب الناضل ، والوطني الطائر الصيت، في مقال صدَّر به العدد الـ ٤١٩٧ من جريدة « فتى لبنان » الصادرة في سان باولو (البرازيل) . قال تحت عنوان كتاب «السفور والحجاب»:

«هذا كتاب الجيل، ولو لم تخطّ يد الآنسة نظيره زين الدين سواه، لكفاها به اثراً ايمانياً خالداً ترجع صداه الاجيال . وانهُ لخليق باكثر ما عُني به الناقدون . فغاية ما قالوا فيه لا يعدو مألوف صحفيينا في تقريظ كل كتاب تلفظهُ المطابع الى شواطئ الافهام . مع ان لمثله خافت اقلام امثال الدكتور طه حسين تشرّح فصولهُ تشريحاً ، وتمحّص شذوره وسبائكهُ تمحيصاً . فهو كتاب في السفور والحجاب ، لكن نفعهُ لا ينحصر في المسلمات ، بل يتناول المسلمين جميعاً، ويجوز الى سواهم من كل ناطق بالضاد»

« اني مسيحي التربية ، ولكني انسانيّ المذهب ، فليس لدين على دين عندي مزيّة من حيث ان جميع الاديان تلتقي عند غاية واحدة من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. بيد اني بعد مطالعة هذا الكتاب ، وتجرّدي من كل ميل ديني مكتسب وموروث ، اكاد اجدني في معرض التفضيل أميل الى الاسلام مني الى اي دين آخر ، واكاد اوقن انهُ لو عرف المسلمون كيف يبشرون بدينهم كما فعلت الآنسة نظيره زين الدين بدون قصد ، لاكتسح محمد العالم بالبلاغة ، كما اكتسحهُ من أُقبل بالسيف ، ولدخل رجال الفكر من الغربيين في الاسلام افواجاً . ولست اعني هنا بالبلاغة

براعة اللفظ، وجمال السبك، وسحر البيان فحسب، بل سموّ الفكر، ونبالة القصد، ومضاء العقل، وشرف التعليم »

« ليتهمني معشر المحافظين بالتطرف ما شاؤوا. فاني امرؤ اجهر بالحق حيث اراه. ولقد كنت قبل ان يتفق لي الوقوف على الآيات البيّنات التي اختارتها الكاتبة من القرآن، وعلى الاحاديث الشريفة التي اختارتها من مجامعها الواسعة لتعزيز رأيها في السفور، اجهل جلال الحديث النبوي، واحسب اكثر الآيات مجموعة جمل عربية انيقة، غاية ما تمتاز به رنّة موسيقية، ونبرات وانسجامات لفظية، لا يومض في طياتها فكر جميل، ولا يأخذ العقل من معانيها بنصيب. فاذا بي لدى قراءتها في كتاب « السفور والحجاب » امام افقٍ من الجمال لا يُحسب امامهُ الشفق القطبي شيئاً. افقٍ من جلال الفن، وجلال الروح، وعظمة الخلق، وكمال العقل، كأن السماء بمحاسنها جميعاً صورت فيه، حتى تعطلت دونهُ الآفاق من كل نجمٍ زاهر، ونورٍ باهر. انها عشرات من مئات بل الوف غيرها من الاحاديث والآيات الساحرة التي شرّف بها رسول الاسلام، العقل العربي البديع، واحلّه بدون شك أعلى المراتب. فلا شكسبير، ولا هوغو، ولا تولستوي، ولا غيرهم من امثالهم يطولون، مهما اشرأبت اعناقهم، الى الدرجة السفلى من تلك المنصة العالية، التي يقف عليها محمد بن عبد الله « صلعم » وقفة سيد الدنيا وواحدها »

« واليك يا أخيذ الادب الاوربي بعض آياتٍ واحاديثٍ ان هي الا قطرة من غيث ودفعة من سيل »

« طالعها دارساً متأملاً وانظر كيف تلتقي في شخص واحد اكمل صفات القلب الكبير، والعقل الفريد، والرقّة المتناهية، والروح المتدفقة بشرف الاحساس، ونبل العاطفة. فمن آياتهِ في التساهل الديني قوله — وليفهم المتعصبون — : « أُدعُ الى سبيل ربِّكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة وجادلهم بالّتي هيَ أحسن. انّ ربّك هو أعلمُ بمَنْ ضلّ عن سبيلهِ وهو أعلمُ بالمهتدين »

« وقال ايضاً : — وقابل بين قولهِ واعمال ديوان التفتيش في اسبانيا —

(لا إكراهَ في الدين. إنك لا تهدي مَن احببتَ. ولكن الله يَهدي من يشاء، أفأنت تكرهُ الناسَ حتى يكونوا مؤمنين ؟)

« وانظر الى البلاغة التي لا تدانيها بلاغة في قولهِ، وقد رجع من بعض غزواتهِ، وفي القول حض على اصلاح النفس ومجاهدتها : (رجعنا من الجهاد الاصغر، الى الجهاد الاكبر)

« ومن كلامهِ الساحر في الرجوع الى العقل اذا غمض الشرع ؛ — وفي هذا الكلام الجليل ما فيهِ من تشريف الفكر واستقلالهِ — (العقلُ شرعٌ من داخل ، والشرعُ عقلٌ من خارج)

« ومثلهُ قوله : (حجةُ الله على العباد النبيّ ، والحجةُ فيما بين العباد وبين الله العقل)

« اما اوامره في الرفق بالمرأة والاحسان اليها واحترامها فما يحيّر اللب ، ويقضي بالعجب . أحقًّا انهُ كان لابن الصحراء مثل هذا القلب الكبير ، ايام كان العرب يَئِدون بناتهم ، وغير العرب يتساءلون ، وهم من فلاسفة النصرانية ، عما اذا كان للمرأة نفس ، وهل هي احقر من البهيمة ، او تساويها قيمة ؟

اسمع ما يقول سيد القائلين : (مَن كانَ لهُ ابنةٌ فادّبها فأحسنَ تأديبَها وغذّاها فأحسنَ غِذاءَها وأسبغَ عليها من النعمةِ التي أسبغَ الله عليهِ ، كانت لهُ ميمنةٌ وميسرةٌ من النار الى الجنة) و (من حمَلَ طرْفةً من السوقِ الى عياله ، فكأنما حملَ اليهم صدَقةً حتى يضعَها فيهم . وليبدأْ بالاناثِ قبلَ الذكورِ . فانّ من فرّح انثى فكأنما بكى من خشية الله ... الخ) وقوله (اتقوا اللهَ في الضعيفَين . المرأة والرقيق) . ثم لقد جرت عادة كثيرين من الكتاب أن يدوّنوا اقوال العظماء وهم يحتضرون . فهل طالعت ايها القارئ من هذه الاقوال أبلغ ، أو أسمى ، او انبل من قول النبي العربي المحبوب ، والحشرجة في صدره تكاد تذوب حياء امام تيار الحنان المتدفق من قلبهِ الشريف الكبير اشفاقًا على المرأة والرقيق ان يظلاّ راسفين في قيود الذل والهوان ، وأن يموت بموتهِ املها الوحيد في الحرية والمساواة ؟ فهاك ما قالهُ وخيال المرأة والرقيق آخر ما تراه عيناه ، وذكرها آخر ما تجلجل بهِ لسانهُ : (. . . لاتكلّفوهم ما لا يطيقون . . . . الله الله في النساء . . . انهنّ عوانٍ بين ايديكم . . . اخذتموهنّ بأمانة الله . . .) قال هذا وفاضت روحه الطاهرة

ومن آياتهِ في العقل ، والعلم (. . . وعزّتي وجلالي . ما خلقتُ خلقًا هو احبُّ الي منك . ولا اكملتك الاّ فيمن أُحبّ . اما اني اياك آمر ، واياك اعاقب ، واياك أُثيب ،) وقال (شهِدَ الله انهُ لا الهَ الا هو ، والملائكةُ واولُو العلم) وقال (العلم فرضٌ على كلّ مسلمٍ ومسلِمَة) وقال (ربِّ زدني علمًا) وقال (يَرفعُ الله الذين آمنوا منكمُ والذين اوتوا العلم درجات)

. «ان التمدن الغربي قائم على اساس العلم وبه فخره وفوزه على الشرق المتهم في دينه بالجمود، وغلّ الفكر، وتجنب البحث العقلي المفيد . فهل تصح هذه التهمة عندك بعد ان رأيت ما قال محمد في العلم، وانجلى لك تقديسه للعلماء قبل الاولياء ؟ وهل تظن ان دين الاسلام بعدما اخترقت قشوره وتغلغلت في لبابه ، يناقض هذا التمدن وهذه الحضارة ؟ أرأيت كيف ان محمداً جعله سبباً آخر لنشوء الانسان ، يساعد نشوءه الفطري ، ومعراجاً لارتقائه الى عليين ، لا على اجنحة من فوضى الوهم والخيال ، بل على درجات من الدرس والبحث والنمو الطبيعي المحسوس »

« فهذا البطل الذي قلت انه رجل الدنيا ، هو رجل الآخرة ايضاً . فقد اوجد للعرب شرعاً وأوجد لهم ديناً وهو رمز الاعتدال في الدارين. انه لا يلهيك بالدنيا عن الآخرة ولا يشغلك بالآخرة عن الدنيا . انه رجل الروح ورجل الجسد (١) »

« أما والله لو كان المسلمون قد اخذوا باصول هذا الدين ، وعرفوا كيف يستفيدون من هذه التعاليم ، التي لا تحتاج الى اجتهاد في التفسير، لانها انزلت ناصعة ساطعة كشعاع الشمس ، اذاً لكانوا هم الشعب المختار لقيادة الشعوب في العلم والعمل . ولكنهم رغبوا عن الجوهر الماثل ، الى العرض الزائل ، وراغوا امام الحق الواضح لانه يكلفهم عملاً . ثم لكي لا يرموا بالانصراف عن الدين التزموا منه جانب الغموض يتلهون بتأويله حسب اهوائهم . وهكذا انقضت هذه السنون بل القرون وعلماء الاسلام علماء كلام ، وجدال وخصام ، والشعب يتخبط على آثارهم متلمساً طريقة في وضح الصبح ورائعة النهار ، يجوّد من كتابه ما لا يفهم ، ويفهم من سفسطات العلماء غير ما يجوّد ، ناكباً عن مهايع الآيات البينات ، وجادات الحديث المعلم ، التي لو سار فيها لامتلك كنوز الارض ، وكنوز السماء ، على السواء »

« هذا من حيث التمدن العلمي (ومحمد ليس غريباً) فما بالك بالتمدن الحقيقي المؤسس على صخرة الخلق العظيم ؟ تلك النبالة المعنوية التي احتكرها الشرق منذ وجد الانسان، والتي اذا علم بها الغربيون اليوم فانما يعلمون بعضهم بعضاً كالتلاميذ الذين غاب استاذهم . فلقد قالوا بتحرير الرق ، وتحرير المرأة ، والرفق بالحيوان . فحسبناها ، لجهلنا كنوزنا المخبوءة ، من مبتكرات مآثرهم.

---

(١) اجل قال نبينا صلى الله عليه وسلم (اعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) وقال صلى الله عليه وسلم (ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا من ترك آخرته لدنياه . بل خيركم من أخذ من هذه وهذه)

حتى عرضت لنا نظيره زين الدين ، في واجهات متحفها الادبي المدهش ، طرفًا من الآيات الساحرات التي اوحيت في هذه المواضيع ، الى النبي العربي الكريم ، ما لم يسمُ الى ذيول جمالهِ وبلاغتهِ فكر غربيٌ على الاطلاق . انها آيات في الرفق والتودّة والاحسان ، لا تنزل الاّ على كل من تختلج في صدره اشرف عواطف الرفق ، والتودّة ، والاحسان . ترافقها آيات في طلب العلم وتكريم العلماء وعبادة ابطال الفكر لا يُلهمها الا اعظم بطل من ابطال الفكر ، وأقوى جبار من جبابرة العقل »

« غاية الادبية نظيره زين الدين من هذا السفر النفيس هي اخراج الملايين من النساء المسلمات من ظلمة الحجاب الى نور السفور . فهي من حيث الفكرة الاصلاحية تندمج في سلك واحد مع الذين سبقوها في التأليف لهذا الغرض الكبير . بل ربما فاقها قاسم امين مرتبةً في الحماسة والادلة الاجتماعية غير ان المزية البديعة التي لنظيره زين الدين على سائر الكتّاب هي محاولتها وافلاحها في انزال الرجعيين من العالم الاسلامي على رأيها في السفور ، لا بالسفسطة والجدل العقيم ، بل بانصع الادلة ، واقطعها حجةً ، واسطعها برهانًا . بالقرآن والحديث المرجعين اللذين يدعي الرجعيون انهم اليهما يرجعون ، واللذين منهما اختارت الآنسة آيات جاءت في قوتها كحلق الحديد ، حاصرةً معارضيها في نطاق ضيّق من المكابرة ، لا يملكون معهُ فرارًا ولا قرارًا . وكيف يفرّون وهم من معجز الافحام على جمر من العذاب ؟ وأنّى يفرّون وقد ملكت عليهم الآيات المنزلات فسيح الرحاب ؟ »

« اما الوصول الى المحجة التي ترمي اليها الكاتبة فمكفول ليس فقط بهداية اقوال الكاتبين والكاتبات في السفور ، بل بالتطور الفكري العام والسير الطبيعي الى الحرية . هذا السير الوئيد الذي يتحرك بهِ الشرق اليوم والذي سينتهي بهِ في القريب ان شاء الله الى فراديس السعادة والحياة

وما كتاب الآنسة الاعمود جديد من عمد النور على جانبي الطريق . فلا شأن له من هذا القبيل تستحق من اجلهِ الادبية وسام الامتياز . ولكن الصفة الفريدة التي تقدمهُ على سائر الكتب ، وبها تستحق الادبية ذلك الوسام ، هي كما قدمتُ محاربة الرجعيين ، بامضى سلاح يفري حذلقتهم فريًا ، ويخزيهم خزيًا . فانهم يدّعون ان الحجاب من اوامر الكتاب ، والسفور من نواهيهِ . ونظيره زين الدين تفتح هذا الكتاب للجاهلين ، فتخطف بنور سُوَره وآياته ابصارهم ، وتبديهم امام اولئك المأخوذين الآخذين بترّهاتهم ، عميانًا ضالين مضلّين ، لا تنفعهم بعد في اقناع الناس عمائمهم المكوّرة ، واقوالهم المزورة . تلك هي النتيجة المباشرة لهذه الصفة الفريدة التي يمتاز بها كتاب «السفور والحجاب» . اما النتائج

المتسلسلة منها وهي عندي المحور الذي تدور عليه اهمية هذا السفر الجليل، فهي التي تصل الى ابعد من السفور، واشرف من الاقناع ; هي تمزيق العصابة عن عيون المسلمين لكي يروا محاسن دينهم المخبوءة، كوجوه نسائهم، وراء برقعٍ صفيقٍ من الجهل، وبرقعٍ آخر من تضليل ذوي العمائم، يعكس لهم بدائع مصحفهم الشريف، فيرونها مقلوبةً ويفتتنون بصور مشوّهة تفسد اذواقهم في الجمال »

« واني مشبّهٌ كتاب «السفور والحجاب» بصندوق يحتوي زجاجات مياه معدنية، جيء بها من اعذب المناهل، واطيب الينابيع، وعلى كل منها ختم يشير الى مصدرها . اما الزجاجات فتباع وتشرى، واما المورد الذي صدرت عنهُ فمشرع لكل ظامىء . فعلى كل نزيه باحث عن الحقيقة ناشدٍ الخيرَ والجمال، ان يطالع بنفسه كتاب «السفور والحجاب» . ان فيه مختارات عقد فريد، هي اصابع من بلور البيان، تسطع بكهرباء الذكاء، مشيرة الى مصدر من اغنى مصادر الحق، والخير، والجمال . ذلك خير من ان اورد له منهُ شواهد قليلة لا يتسع لي المقام لأكثر منها، فلا تشفي له غليلاً، بل تزيده الى الكوثر حرقةً واوامًا، وترميني بالشح والتقصير. فحبذا لو سهل الكتبيُّون بيننا لجمهور المطالعين، الحصول على هذا المجلد الانيق ظاهرًا، العميق باطنًا، بالطلب منهُ والاذاعة عنهُ . بل حبذا لو اهدت منهُ الآنسة الى المكاتب كما اهدت الى الادباء ليهتدي اليه معشر المطالعين فانهُ جديرٌ بألاّ تخلو منهُ مكتبة، وألاّ يحرم قنيته كاتب واديب »

* * * * *

يا سادتي المعارضين

هذا ما قاله الشاعر المسيحي . أسمعتم ما قاله ذلك الاديب الفاضل ؟ اني أُعيدُ من ذلك على مسامعكم الفقرات الآتية عسى في الاعادة افادة، قال :

« اني مسيحيُّ التربية، بيد اني بعد مطالعة كتاب «السفور والحجاب» اكادُ اجدني، في معرض التفضيل، أميلَ الى الاسلام مني الى ايّ دين آخر . وأكاد أُوقن أنهُ لو عرف المسلمون كيف يبشرون بدينهم ويأخذون باصوله، كما عرفت الآنسة نظيره زين الدين واخذت، لاكتسح محمد العالم بالبلاغة كما اكتسحهُ من قبل بالسيف، ولدخل رجال الفكر من الغربيين في الاسلام افواجًا، ولامتلك المسلمون كنوز الارض وكنوز السماء على السواء . لقد كنت قبل ان يتفق لي الوقوف على الآيات البينات التي اختارتها الكاتبة من القرآن، وعلى الاحاديث الشريفة التي اختارتها من مجامعها الواسعة لتعزيز رأيها في السفور، اجهل جلال الحديث النبوي، واحسب اكثر

الآيات مجموعةَ جملٍ عربيةٍ أنيقةٍ غايةُ ما تمتاز به رنةٌ موسيقيةٌ، ونبراتٌ وانسجاماتٌ لفظيةٌ، لا يومضُ في طياتها فكرٌ جميل، ولا يأخذُ العقل من معانيها بنصيب. فاذا بي لدى قراءتها في «السفور والحجاب» امام افقٍ من الجمال لا يحْسب امامهُ الشفق القطبيُّ شيئًا، افقٍ من جمالِ الفنِ وجلال الروح، وعظمة الخلق، وكمال العقل، كأنّ السماء بمحاسنها جميعًا صوّرت فيه، حتى تعطَّلت دونهُ الآفاقُ من كل نجمٍ زاهر، ونور باهر. وما كتابُ الآنسة زين الدين الاّ عمود جديد من عمد النور تخطفُ بما فيه من نورِ الاحاديث والآيات، ابصار الرجعيين، وتمزّقُ العصابة عن عيون الجاهلين، كي يروا محاسنَ دينهم المخبوءة، كوجوه نسائهم، وراء برقع صفيق من الجهل، وبرقعٍ آخر من التضليل، يعكسان بدائع مصحفهم الشريف فيرونها مقلوبة، ويفتنون بصور مشوّهةٍ، تُفسد اذواقهم في الجمال. لقد قال الغربيون بتحرير الرّقِ وتحرير المرأة، فحسبناها، لجهلنا كنوزنا المخبوءة، من مبتكرات مآثرهم، حتى عرَضتْ لنا نظيره زين الدين في واجهات متحفها الادبيّ المدهش، طرفًا من الآيات الساحرات أُوحِيت في هذه المواضيع الى النبيّ العربي الكريم ما لم يسمُ الى ذيول جماله وبلاغتهِ فكر غربيّ »

هذا ما قالهُ، ايها السادة، الشاعر القرويّ، المسيحيُّ تربيةً، الانسانيُّ مذهبًا. اني اعدته على مسامعكم عسى ان تعودوا عن غمط الخلق وبَطَر الحق

قلت هذا، وما زال المعارضون في ضجيج وعجيج، وكان على الهضاب وفي البطاح، اقوام ينظرون الى الضوضاء والصياح. فالقى الشيخ نظرات، واذ رأى من المبشرين والمبشرات، رهبانًا وراهبات، اراد ان يخفي عليهم ما رماهم به من السهام، فتراءى مجاريًا او مباريًا اباي في مجال الشكر لهم والاحترام، فصرخ في نظراتهِ قائلاً:

ان الرهبان مطهَّرون، والراهبات برّات، صالحات، فاضلات، عفّات، مقدّسات. وان كلا الفريقين متشبهٌ اخلاقًا وشمائل بالانبياء والملائكة الابرار، بل ان الراهبات ملائكةٌ اطهار. وانهُ متى بلغ امثال هؤلاء الرهبان والراهبات من مجتمعنا خمسين بالمائة، بل متى بلغ عددهم نصف هذا العدد، قلنا للناس انضووا تحت هذا العَلَم وامشوا هاتفين: «عاشت نظيره زين الدين»

فقلت حينئذٍ في نفسي ان الشيخ دائمًا في ما يخطب او يكتب متلاعب، كاسرٌ جابر ، خاسرٌ كاسب ، بنَّاءٌ هادم ، شاكرٌ شاجب ، يتمسك بالنقيضين ، او بالحبل من طرفين ، و يسلك طريقين ، ليرضي فريقين . وسأنقل من اقوالهِ المتناقضةِ غرائب :

فما طعنهُ بالمبشرين طعنًا مؤلمًا تارةً ، وتشبيههُ اياهم بالانبياء والملائكة تارة اخرى ، الاَّ من هذا القبيل

وما ايثاره الحجاب تارةً ، والسفور تارةً اخرى ، الاَّ من هذا القبيل

وما تظاهرُه بحمايةِ المرأةِ تارةً ، و بمناهضتها تارةً اخرى ، الا من هذا القبيل

وما تظاهره بمظاهرة العلماء مرةً ، وطعنهُ فيهم طعنًا شديدًا ومرًّا ، مرةً اخرى الاَّ من هذا القبيل

وما رشقهُ اياي بسهامهِ السامَّة تارةً ، وقولهُ انهُ لا يقصدني بها ، تارةً اخرى ، الا من هذا القبيل

وما خطابهُ بين القديم والحديث، ساكتًا فيهِ عن واجب التصريح بما يجب فيهِ التجدد كذوي الحياة ، او التجمُّد كالاموات ، الا من هذا القبيل

وما لبسهُ زيَّ المشايخ مرةً ، ونبذه اياه مرةً اخرى ، الا من هذا القبيل

وما وروده واشواكهُ التي سأعرضها لدى الناس ، الا من هذا القبيل

وما سلوكه طريق الدين حينًا ، وطريق الطبيعيين حينًا آخر، كما سأُبين ذلك ، الا من هذا القبيل

وكم للشيخ من متناقضَاتٍ لا تخفى على الشيوخ واهل العلم الثقات ، كلها من هذا القبيل

وقلتُ في نفسي ايضًا : ان الشيخ بمثل هذا الحال المتقلّب قد نال ونال القابًا ، القابًا ألقتْ على عيون مناصريهِ حجابًا ، حجابًا سيراه الناس بعد ظهور « الفتاة والشيوخ » هباء او هبابًا

فليفتخرِ الشيخ الآن أنهُ في وقفتهِ بنظراتهِ مكدّسًا اشواكهُ لسد الطريق القويم امامَ اخواتي وامامي، قد انتقم من الفتاة المسلمة ، ونال زعامة معارضيها ورئاسة المجلس الملّي الاسلامي . ليفتخر الشيخ ما استطاع الآن ، لانهُ لن يستطيع فيما بعد أن يفتخر بما بعجّلة علهو الزمان

نظرات النتاة ونظرات الشيوخ الرماة، في الاجتهاد الشرعي، وفي المدارس الاجنبية، والوطنية. وفيه انكارهم احاديث شريفة في العقل، وفي حق المرأة، وفرض العلم، والاخاء الانساني، والصلاح العالمي. ورد النتاة عليهم، وعلى الشيخ سعيد الجابي.

وقلت عاليًا للشيخ اذن لماذا يعدْ المعارضون با زعيهم تعلُّمي وتهذُّبي عند الراهبات نقيصة ؟ بل لمَ لمْ تعدّ، يا سيدي الشيخ، مشايخنا كما عددتَ الرهبانَ، مطهّرين متشبّهين بالانبياء والملائكة ؟ ولمَ لمْ تعلن أن في نسائنا مثل الراهبات : برّات، صالحات، فاضلات، عفّات، مقدسات، او ملائكة اطهار ؟ أوَ لم يجعل الحجاب في نظرك واحدة من المحجبات، تعلو الى درجة هؤلاء السافرات ؟

انك، سامحك الله، انكرتَ على المحجبات صحة الآداب، وسلامةَ الاخلاق، وعددتهن انت ورفاقك، غفر الله لكم، جاهلات، خاملات، خانعات، قائلين : لو مُنِحنَ الحريّة، لسافهنّ حتماً الى التهتّك والدعارة

ومع هذا، يا سيدي الشيخ، ان الرهبان مبشرون، والراهبات مبشرات، فعلامَ أقمتَ القيامة ضدّ المبشرين والمبشرات، واصماً اياهم بما وصمتَ، وقد قلتَ بتشبههم بالانبياء والملائكة ؟ ولمَ لمْ تحصر قيامتك فيمن تطاولوا من اشباههم على الاسلام، معيّنًا اسماءهم، لئلا تصيب سهامُ الطعن غيرهم ممن يستحقون احترامًا واكرامًا ؟

قلتُ ما قلتُ من الكلام، وانا من المعارضين الرماة بين الضجيج ورشق السهام، ولم اتلقّ منهم جوابًا، كأنهم لم يسمعوا لي خطابًا، بل علَت الاصوات وعلَت : « خلفك المبشرون، خلفك المبشرون، ومن اشتراهم المبشرون . انكِ تعلمتِ عند العلمانيين، والراهبات والاميركيين، فلا نقبل ثمرة من ذلك التعليم »

وعلا صوت الشيخ سليم حمدان صارخًا : انتِ تتغنّين بفضل الغرب، ولكن التعاليم التي دست في بلادنا حمة العقاب وسمّ الافاعي، وجنت على قوميتنا افظع جناية هي المدارس الاجنبية»[1]

وعلا صوت من اللاذقية يخدّش الآذان، طارت به الينا جريدة الاعتدال جاء فيه : ان الحديث « اطلبوا العلمَ ولو في الصّين » حديث مكذوب، وباب الاجتهاد في الشريعة مسدود . فلا نقبل ان تكون نظيره زين الدين، مجتهدةَ القرن العشرين

---

(١) يريد الشيخ تعاليم المدارس ليصح الخبر نحوًا، ويتم المعنى بيانًا

وصرخ الشيخ صلاح الدين الزعيم في رسالة سماها «فصل الخطاب في الحجاب»: يخاطبني قائلاً: ان اسناذكِ الى الرسول، صلى الله عليه وسلم، انه خطب فقال «ايها الناس كثُرَت عليّ الكذّابه، فمن كذب عليّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعدهُ من النَّار»، غير صحيح. فان الحديث لم يُدوَّن في زمنه، ولا في زمن الخلفاء الراشدين ولم يُعهَدْ في الصدر الاول انتشارُ الوضع حتى يقول الرسول «كَثُرَتْ عليّ الكذّابه». ان هذا الاختلاق دسهُ عليكِ، وعلى امثالكِ غلاةُ المبشرين واشباههم

وصرخ الشيخ سعيد الجابي، مدرس لواء حماه العام، في كتابه «كشف النقاب عن اسرار كتاب السفور والحجاب» ان الحديث الذي اتينا به: «لمَّا خَلَقَ اللهُ العقلَ أَستنطقَهُ. ثم قال لهُ أَقبِلْ فأقبل، ثمّ قال لهُ أَدبِرْ فادبرَ، ثم قال: وَعِزّتي وجَلالِي ما خَلقتُ خلقًا هو أحبُّ اليّ منك. ولا أكمّلتُك الا فيمن أُحبُّ. اما اني إيّاكَ آمر، وإيّاكَ أُعاقب، وإيّاك أُثيب» ان هذا الحديث، واحاديث العقل كلها كذب، ولا يصح في العقل حديث. وان الاحاديث التي ذكرتِها في حق المرأة، وكمال عقلها ودينها، وفرض العلم عليها، وفي الاخاء الانساني، كلها مزوّرة او محرّفة. والصحيح ان المرأة ناقصة العقل والدين، وفخ الشياطين، ولا يجوز تعليمها علومًا عصرية، ولا يجوز ازالة الفوارق من بين الاسلام وغيرهم من العالمين

ودامت السهام تترى

حينئذٍ صرخت: ناشدتكم يا كرام، يارماةَ السهام، ان تصغوا الى سؤالي ولا تجيبوا قبل ان تتناوله الافهام: هل ان استفادة نبيِّنا، في صباه، بعض العلم، من مثل الراهب بحيره، منع ان يكون، صلى الله عليه وسلم، فيما بعد رسولا؟ فما الذي يمنع الفتاة المسلمة ان تطلب الخيرَ لامتها وتجتهد، متخذةً لها كتاب الله قائدًا، وسنّة النبي سبيلا؟

ان زعيمكم الشيخ الغلاييني، في كتابه «الاسلام روح المدنية» قال: ان حَجْرَ العمل بالكتاب والسنّة، ووجوبَ التقليد والعمل بقواعد الفقهاء، من اعظم الاسباب التي أودت ببقيّة الروح التي كانت مختلجةً في جسم الاسلام، ومرفرفةً فوق عقول المسلمين

والشيخ جمال الدين الافغاني رحمهُ الله تعالى قال: ان المقلّدين لا يذهبون مذاهبَ الفكرِ، ولا يسلكون طرائق النظر، فاذا استمرَّ بهم ذلك، تغشتهم الغباوةُ بالتدريج، ثم تكاثفت عليهم البلادة، حتى تعطل عقولهم عن اداء وظائفها، فيدركها العجز عن تمييز الخير، فيحيط بهم الشقاء،

ويتعثّر بهم البخت، وبئس المآل مآلهم

وما كان قول الشيخ الغلاييني وقول المرحوم الشيخ الافغاني الاّ مصداقًا لما قالت هذه الفتاة في كتابها ما قالت: « يجب ان ندفع عن انفسنا الوهم القائم في أن الاذهانَ المفكِّرة في الدين، مختصةٌ بالاقدمين. فان حكمة الخالق ومصلحةَ الامة لا تجيز ان نعترف للاوّلين بعقولٍ صالحةٍ للتفكير، ومعرفة الحسن والقبح، وادراكِ الخير والشر، وننكر على انفسنا العقول السليمة والصالحة لذلك. فالله تعالى، جل جلاله، العدلُ كلّه. هو الذي خلقنا كما خلق الاقدمين، وهو الذي اعطانا كما اعطاهم عقولاً »

« يجب ان لا نقبل حَجْرَ بعض الفقهاء على عقولنا، مستأثرين بالعقل لانفسهم، مهدّدين بالمروق كلّ من يُعمل منا عقله. فمن يقبلِ الحجر على عقلهِ، ينقّصْ في نفسهِ شرطًا من شروط الاسلام. لان الحجرَ على العقل يُبطل عَمَلَهُ. واوّل شرطٍ من شروط الاسلام هو العقل »

« يجب ان لا نقبل الجمودَ في العقل. لان الجمود في العقل يُنتج، فيما يُنتج، الجمود في الشرع، والجمودُ في الشرع ينتج الجمود فينا. وان الجمود لمظهرٌ من مظاهر الموت »

« نعم ان من يجمدْ يحسبْ ميتًا فيقومُ مقامهُ حي »

إذنْ اذا كان سد باب الاجتهاد، يجعل الحيَّ في حكم الجماد، أَوَ ليس الاولى بنا ان نرحّب بالمجتهدات والمجتهدين في سبيل الحياة وخير المسلمين؟

* * * * *

وقلت: او ليس حرامًا علينا ان ننكرَ فضل المدارس الاجنبية، وجلُّ الراقين منا قد استقوا من ينبوع فضلها حتى ارتووا!

الغرب اخذ منا مبادىء العلوم، وليس الغربُ بمنكرٍ ذلك. فهل يجوز لنا ان ننكر ما نأْخذ عنه من العلوم، بعد أن اوصلها الى ما اوصلها اليهِ من الرقيّ؟

ناشدتكم الله ايها السادة، لا تصدّوا المسلمين عن طلب العلم، ولا توصدوا دون رقيّهم بابًا. فقد أمرَنا نبينا، صلى الله عليهِ وسلم، ان نطلب العلمَ ولو في الصين، ولم يخشَ من العلم، ولو في الصين، ان يُخلّ بالدين

أنشئوا لنا مدارس في الشرق وطنيّة، تسع ابناءهُ وبناتهِ وتطيب مقامًا، وتماثل المدارس

الاجنبيَّة فيه وفي الغرب رقيًّا ، رقيًّا في العلم والفنّ وانتظامًا ، نتعلّق بالاولى والقلب بها مشغوف ، ونترك الثانية بمعروف

ان خير الطرق في زماننا لانشاء خير المدارس ، او مدارس الخير للعرب والاسلام ، طرق تمرُّ في المدارس والجامعات الاجنبية العظمى مثل اوكسفورد والصوربون ، وكولومبيا ، و برنستن ، وهارْفَرد ، حيث تحرَّر العقول وتنطلق في سماء واسعةٍ نيِّرةٍ من العلم الحديث ، مستمتعةً بكل ما وهب الله لها من القوى النورانية ، متطهِّرة من جراثيم امراضٍ مجمّدةٍ او عاداتٍ بالية هي للشرق بلية

اننا اذا سلكنا مثل تلك الطرق فهمنا معنى الوطنية ، او معنى القومية ، وعرفنا ما للمرأة من حق وقوة وتأثير في الهيئة الاجتماعية ، وادركنا ان انوار المدنية التي تنير سُبُلَ الخير والسعادة والرقي ، ليست الا اشعة من نور العقل الحرّ ، او من انوار الكتب المنزلة الالهية ، والسنن الصحيحة النبوية ، وسرنا جنبًا الى جنبٍ مع العالم الراقي ، فانشأنا مدارس وجامعاتٍ وطنية ، فيها من الصلاح ما نبني عليه صروحاً من المجد المنشود للامة العربية

سقى الله اليوم الذي نرى فيه المدارس الوطنية ، تُغنينا عن المدارس الاجنبية

وقلت : ان الحديث « اطلبوا العلمَ ولو في الصين » حديثٌ شريف صحيح . وقد نظمه مفتي بيروت الجليل العلامة مصطفى افندي نجا في ارجوزةٍ له قال فيها :

وطلبُ العلم ولو بالصينِ   به أُمرنا خدمةً للدينِ

فعلام تنكرون يا ايها المعارضون ذلك ؟

وقلت : ان الحديث « كثرت عليَّ الكذّابه » حديث شريف صحيح . وان مؤلفة « السفور والحجاب » لاتختلق ولا تقول قولاً غير صحيح ، وما دسَّ هذا الحديث المبشرون ، كما تزعمون . انما أخذته الفتاة عن امير المؤمنين ، الامام ، عليه السلام

افتح يا شيخ صلاح الدين الصفحة ١١٢٦ من كتاب القضاء من كتاب الوسائل المطبوع سنة ١٢٨٨ ، والصفحة ١١٢٩٩ من كتاب نهج البلاغة المطبوع سنة ١٨٨٥ نرى فيها ان الامام ، عليه السلام ، لما سأله سليم بن قيس الهلالي عن احاديث البدَع ، وعما في ايدي الناس من اختلاف الخبرَ ، وقال : أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمدين ، ويفسرون

القرآن بآرائهم ؟ قال عليه السلام : « ان في ايدي الناس حقًا وباطلاً، وصدقًا وكذبًا، وحفظًا ووهماً، ولقد كُذِبَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهده، حتى قام خطيبًا فقال (ايها الناسُ قد كَثُرَتْ عليّ الكَذَّابة، فمن كَذِبَ علي متعمدًا فليتبوأْ مقعَدَه من النّار» ثم كُذِب عليه من بعده . وانما اتاكم الحديث عن اربعة رجال ليس لهم خامس . رجلٌ منافقٌ مظهرٌ للايمان، متصنعٌ بالاسلام، لا يتأثّم ولا يتحرج، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وعلى آلهِ متعمدًا . فلو علم الناس انه منافقٌ كاذب، لم يقبلوا منه، ولم يصدّقوا قوله . ولكنهم قالوا صاحبَ رسول الله، صلى الله عليه وعلى آلهِ وسلم، رآه وسمع منه، ولَقَفَ عنه فيأخذون بقولِهِ. وقد اخبركم الله عن المنافقين بما اخبركم، ووصفهم بما وصفهم به لكم . ثم بقوا بعده، عليهِ وعلى آلهِ السلام، فتقرّبوا الى أئمة الضلالة، والدعاةِ الى النار، بالزور والبهتان » . الى آخر ما قال

فينبغي لكم، يا سادتي الشيوخ المعارضين، ان تكثروا من المطالعة والدرس والتروّي، قبل ان تكتبوا كتبكم ورسائلكم، معارضين بها سير الفتاة، لتعرفوا من الحديث الشريف ما حدّث به سيدنا علي امير المؤمنين، فلا تسندوه الى المبشرين

وينبغي للشيخ سعيد الجابي، مدرس لواء حماه العام، ان لا ينكر احاديث العقل الشريفة ولا يقول، قال مثلا علي القاري، او قال ابو الفتح الازدي، انه لا يصح في العقل حديث، وان احاديثَ العقل كلها كذب

ينبغي ان لا يقول ذلك، وقد أثبتَ تلك الاحاديث الشريفة علماء الشيعيين كما اثبتها كثير من علماء السنيين موافقةً لكتاب الله، ونقلاً عن اهل البيت عليهم السلام . وما السنيون والشيعيون وغيرهم من الفرق الاسلامية الا اعضاء مرتبط بعضها ببعض يتألف منها جسم الاسلام

ليفتح الشيخ سعيد الجابي الصفحات الخامسة والثامنة والحادية عشرة من اصول الكافي لمحمد بن يعقوب الكُلَيني المتوفى في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩، وكتاب المحاسن لاحمد بن محمد خالد البرقيّ المتوفى سنة ٢٧٤، وكتاب المجالس لمحمد بن علي بابويه القُمّي المتوفى سنة ٣٨١، والصفحة السادسة والستين من كتاب الوسائل لمحمد بن حسن الحرّ العاملي، ير ان حديث العقل الذي انكره، يشعّ بالنور شعاعا . وهو مسندٌ عن محمد الباقر، وعن جعفر الصادق، وعن الرضا رضي الله عنهم

وأنّى للشيخ ان ينكرَ احاديث العقل مع موافقتها الكتاب ، والله لم يخاطب فيه الاّ من يعقلون واولي الالباب

وأنّى للشيخ الذي قال ان احاديث العقل كلها كذب ولا يصح في العقل حديث ، ان يقول بصحة ذلك الحديث عن نقص عقل النساء حيث قال : (واما نقصانُ عقلها ودينها فليس للرجل فيه من صنعٍ ولا هو اسنده اليها . ان الذي وصفها بنقصان العقل والدين ، هو رسول الله لا بعض المشايخ ، فقد بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ، على ما روى البخاري ، عندما وعظ النساء يوم العيد قال : « تصدّقنَ فاني أُريتكُنّ اكثرَ اهلِ النار . قلنَ وبِمَ يا رسول الله ؟ قال : تكثرْنَ اللّعنَ ، وتَكفُرنَ العشير . ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ اذهب للبّ الرجل الحازم من احداكنّ . »)

اوَ يجوز يا سيدي الشيخ ان يقال ان ما ارتأى اثباته البخاري ، بعد الهجرة باكثر من جيلين ، ونقلاً عن الروايات المتداولة على بعض الالسنة ، كلّه صحيح ، وان ما أثبته غيرُه من علماء الاسلام غير صحيح ؟

أوَ يجوز ان يقال ان ما كان للمرأة من احاديث العقل المروية كله كذب ، وما كان عليها كله صحيح ؟

أوَ يجوز ان يقال ان ما كان لاثبات كمال العقل والدين في الاسلام كله كذب ، وما كان لإثبات نقصانهما كله صحيح ؟

ومن ينكر ان عقول الناس واهواءهم مختلفة ؟

ومن ينكر انه في ذينك الجيلين قد زُوّرَ على النبي الوفُ والوفٌ من الاحاديث ؟

ومن يكفل للاسلام وللنساء ان البخاري لم يكن بمقتضي ظروفٍ احاطت به ، ممن لا يحسنون الظن بهنّ ، فلا يعطفون عليهنّ ، فاثبت بمقتضي ظنه وقناعته ما أثبتَ مما سمعه من الروايات عليهنّ ، واهمل في صحيحه كل ما كان لهنّ ؟

أوَ ليس البخاري بشراً مثلنا يخطىء ويصيب في ما عدّه صحيحاً ؟

أوَ ليسَ لنا من الحاضر عبرة ؟

أوَ لا ترون أنّ الناس في زماننا ، بالنظر الى تباين العقول صِنفان : الواحد يبذل قوى قلمه ولسانه لاعلاء شأن النساء ، فلا يذكر عنهنّ الاّ كل ما يحفظ حقهنّ ، ويعلي شأنهنّ ،

والآخر ببذل تلك القوى لغمطهن وبطر حقهن

اني اجل البخاري. ولكن هذا لا يمنعني في دفاعي عن حقي وحق بنات جنسي، ان اردّ، بمقتضى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما أثبتَ من الاحاديث الى كتاب الله جل جلاله، وأنفي ما أثبتَ منها في غمط النساء امهات الامة ومربّياتها. ولستَ اولَ من نفى بعض الاحاديث التي أثبتها البخاري. فان كثيرين قبلي قد نفوا ذلك. منهم السيد عبد الحسين نور الدين الذي ملأ الصفحة ٤٠ من كتابه «كلمات» بكلماتٍ عنوانها «بيان خطإ البخاري في الحديث وتشويشه»

ايها السادة، أوَ صحيح ان النساء يُكثِرن اللعن، ام ان الرجال يكثرونه؟ أوَ صحيح ان النساء يكفرن العشير ام أنّ الرجال يكفرون؟!

ما اكثر الرجال الذين تعودت السنتهم أن تلعن، والعياذ بالله، حتى الوالدِين والدين! وما اكثر الرجال الذين يكفرون فضل نسائهم الصابرات الصادقات، وينكرون عليهن حقهن، وعقلهن، ودينهن، ويؤذونهن، ويطلقونهن، وما كانوا بذلك الا معتدين!

ان هذا الحال المخالف لما جاء في الحديث الذي استند اليه الشيخ الجابي، نراه عين العقل اذا لم يغشها حجاب، ما ينفي صحة اسناد الحديث الى الرسول الاعظم، صلى الله عليه وسلم

وما هذا القول يا سيدي الشيخ، قولك: لقد ثبتَ فنًا ان دماغ المرأة ينقص عن دماغ الرجل مائة، بالنسبة الى الف ومائة وخمسة خمسين غرامًا؟

إنْ يكن الرجحان في وزن الدماغ حجة في رجحان العقل، فليس الرجال باعقل من الثيران والافيال

اما الدين، فانت نفسك، يا سيدي الشيخ قد قلت في كتابك ص٥٠ و٥١ و٥٢: «يامعشر النساء قد فطر الادميون، ولا يمكن تغيير فطرتهم، على ان ترك العفـة من الرجال، لا يؤثر على الشرف تأثيرها عليه من النساء، رضي النساء بذلك او غضبنَ. ذلك لان ضياع الشرف من المرأة يلقي في القلب جمرةَ نار، اما ضياعه من الرجل فانه موجب الافتخار، عند الاشرار، وان كان يستوجب غضب الجبار»

انكَ قلت ذلك، يا حضرة المدرس، ولم تخشَ في قولك من غضب الله جل وعلا،

ولم تخشَ العار، في هذا الاقرار

ايها السادة

نقل الشيخ الجابي الى كتابهِ ص ٢٢٨ ما قالت الفتاة في كتابهـا ص ٢٢٤ ردًّا على الشيخ محمد رحيم الفقرة الآتية: «فكن صريحًا شريفًا، واعلن ان المسلمات المحجبات، كاملاتٌ في العقل والدين، كما يعلن الناس في العالم السافر الراقي، ان نساءهم السوافر، كاملات كالرجال الكاملين. وإنْ لم تعلن ذلك، وثبتٌ في تحجيبهن، وفي اسنادك ما تسند اليهنّ، فلا خير في النقاب والحجاب، وهما للمهانةِ من الاسباب، وسلام وتحيةٌ على السفور، حيث الكرامة، وحيث النور». وبعد ان جزَم الشيخ الجابي بكفر من يقول بكمال عقل المرأة ودينها، قائلاً: ان هذا القول كفرٌ بما روي عن رسول الله في نقص عقلها ودينها، قال: «اما السافرون والسافرات، والراقون والراقيات، والكاملون عقلاً والكاملات، فلسنا منهم وليسوا منا»

يا للصغار، ويا للعار، في مثل هذا وذاك الاقرار، وفي عد السافرين والسافرات، والراقين والراقيات، والكاملين والكاملات، من الكفار!!

يا سيدي الشيخ، قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم «مَن كَفَّرَ مؤْمنًا فقد كفر» فالنساء الآخذات بامر رسول الله لا يكفّرنك لانكارك صحة احاديث العقل وغيرها من الاحاديث الشريفة المثبتة فيما تثبت خير الاسلام، كمال عقلهن ودينهن، وان اكثر الخير فيهن. فكيف يجوز لك ان تكفّر من يُنكرن صحة ذاك الحديث في انهن ناقصات العقل والدين؟

انك لم تُعمل العقل يا سيدي الشيخ لتدرك ان السافرين، والراقين، والكاملين عقلاً الذين ذكرتهم، كلهم جمعٌ للرجال، وان قولك ان هؤلاء ليسوا من الاسلام، مسدّدًا اليهم من التكفير ما سدّدت من النبال، لا يبقي في الامة مسلمًا حقًّا، الاّ المتقهقرين وناقصي العقول، والاّ المحجبات من ذوات السوار، او ربات الخلخال، ذينك الرمزين للقيود والاغلال

وكيف تقول يا شيخ، ان السافرين والسافرات، والراقين والراقيات، والكاملين عقلاً والكاملات، لسنا منهم، وليسوا منا؟

أَو الاسلام يا شيخ، مانع لكمال العقل والرقي؟

انك اردت يا شيخ، ان تعارض كلام الله في آيتهِ: «ان المسلمين والمسلمات، والمؤْمنين

 نظرات الفتاة ونظرات الشيوخ الرماة، في الاجتهاد الشرعي، وفي المدارس الاجنبية، والوطنية.
وفيه انكارهم احاديث شريفة في العقل، وفي حق المرأة، وفرض العلم، والاخاء الانساني،
والصلاح العالمي . ورد الفتاة عليهم، وعلى الشيخ سعيد الجابي .

والمؤمنات، والقانتين والقانتات . . . . أعدَّ الله لهم مغفرةً وأجرًا عظيماً » فقلت «السافرون والسافرات، والراقون والراقيات ، والكاملون عقلاً والكاملات ،لسنا منهم وليسوا منا » ولكنك لم تستند ، في معارضتك ، الى العقل ، ولم تستنر بنوره ، فوقعت في ما وقعت فيه ، وأثبتَ الله بذلك ، احاديث العقل التي انكرها الشيخ واستمسكت بها الفتاة ، واستمسكت بها لانها تنطبق على العقل ، وتوافق الآيات

لو لم تنكريا سيدي الشيخ ، على الاسلام احاديث العقل ، وعلى نفسك كمالهُ ، لوجب عليّ ان اوجه اليك العتاب ، على انكارك عليّ تأليف « السفور والحجاب » ، وأن أُخطّئكَ في تسمية كتابك « كشف النقاب » وانت من انصاره ، وان أُفنده تفنيدًا وازنهٌ اياه بعياره . ولكن هذا الانكار ، او ذاك الاقرار يغنيني عن ذلك ، والمرءُ مأخوذٌ باقراره

ولقد كان ينبغي الك يا شيخ ان لا تقول ما قلت في كتابك من أنّ الاحاديث : « العلم فرضٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمة » و « الانسانُ أخو الانسانِ أحبَّ ام كرِه» و « المسلمُ من سَلِم الناس من لسانهِ ويده » ، ومثلها من تلكم الاحاديث الشريفة التي ذكرَتها الفتاة ، وتجلى فيها ما يتجلى من حق المرأة ، وفرض العلم عليها ، والاخاء الانسانيّ ، والصلاح العالمي ، ومكارم الاخلاق ، فيسطع نورها على العالمين بأبهى ما يسطع نور الشمس على الآفاق ، كان ينبغي للشيخ المدرس ان لا يقول ان تلكم الاحاديث الشريفة مزوَّرة او محرَّفة . بل كان ينبغي له ان يحرّر عقلهُ كما أُمِر ، ويكلف نفسهُ عناء ، ويراجع غير ما راجع من الكتب ، فيرى ان تلكم الاحاديث الشريفة مثبتةٌ فيها ، بابهى مجاليها ، وانها موافقةٌ لكتاب الله ومصلحة الاسلام . واذا تأمل الشيخ او المدرس العام، في الاقوال والاحاديث التي نقلها ، كما نقلها بعض رفاقهِ ، معارضةً لتلك الاحاديث الشريفة التي نشرَتها الفتاة في « السفور والحجاب » ، اذا تأمل فيها وَردَّها ، بمقتضى امر رسول الله الى الكتاب ، لا يلبث ان يُسلِّم أنها تخالف كتاب الله فلا توافق مصلحة الاسلام ، وأنها هي الجديرة بان بعدَّها المسلمون والمسلمات مزوَّرة او محرَّفة ، وأنها ليست من كلام سيد الانام!

ليعلم الشيخ وكل معارض ، ان الفتاة المسلمة ، المحررة عقلاً من ربقة التقاليد والعادات ، والجائلة نفسًا في بستان الاسلام الزاهر العاطر ، تعرف الورود ، وعاطر الزهور ، ومنعشاتها :

وتجمعها باقات تبهر الناظرين، وتنعش المسلمات والمسلمين، بل كل المؤمنات والمؤمنين، والراقيات والراقين، والكاملات عقلاً والكاملين، من العالمين

ان الفتاة المسلمة تعرف وتعترف، مثلما الشيخ او كل مسلم يعرف ويعترف، ان بستان الاسلام الزاهر العاطر، قد زُرِعَ فيهِ غير ما زَرَعَ الله العظيم جل جلالهُ، والنبي الكريم صلى الله عليهِ وسلم. فاحرِ بالشيخ ورفقائهِ ان يحذوا حذوَ الفتاة، ويجمعوا من الباقات، ما فيها جمال باهر، وروح عاطر، وما فيها للامّ والأمّة عزّة وحياة. ذلك انما يُجنى مما زرع الله والنبيُّ الاعظم، لا مما زرعه او وضعهُ، بين الزرع النبويّ، غيرهما في أكثر من جيلين، قبل ان كُتِبَ الحديث بقلم. وان ما جمعت الفتاة، وما جمع امثالُ الشيخ من المعارضين الرماة، ستأْتي المقابلة بينهما بالميزان، في بحث النساء من هذا الكتاب، ليحكم بينها وبينهم أُولو الالباب، بعد ان يردّوا الاقوال" والاحاديث، بمقتضى امر رسول الله، الى الكتاب

ايها السادة المعارضون

ينبغي لكم ان لا تقولوا ما تقولون. ان اقوالكم هذه يستخرج منها الناس معاني تضرُّ بسمعة الاسلام. بل ينبغي للاسلام ان يستفيدوا من الحال، ومن رقي الشبان المسلمين والشابات المسلمات، المتعلمين والمتعلمات، في المدارس الاجنبية، او مدارسنا الوطنية على الاصول الحديثة الرشيدة، ان يستفيدوا من هذا الحال، لاصلاح مدارسنا التي يتعلم فيها مشايخنا. ليس امة غيرنا في العالم تقبل في مدارسها العالية من طب وحقوق وهندسة ولاهوت الاّ من اكمل تحصيل علومهِ الثانوية المتنوعة وتأهّل عقلهُ لتعقّل ذلك. فما العلوم الثانوية الاّ اساسٌ للعلوم العالية. ولا يصحّ بناءٌ دون آساس. وايُّ علمٍ فلسفيٍّ او شرعيٍّ أَعلى واسمى من شرع الله؟ فلِمَ نقبل في المدارس التي يحصّل فيها ذلكم الشرع الاسمى، أيًّا كان، بلا قيدٍ ولا شرط؛ فيخرج للامة منها بين من يخرج من العلماء الاعلام، ذوي القدر والاحترام، من ليس علمهم صحيحًا وكاملاً، فلا نرى من تفسيرهم واجتهادهم الاّ مجمّدًا، او مقيّدًا، او فاسدًا او باطلا

فليصلح الاسلام اصول التعليم في الازهر، وفي النجف، وفي دو بند، وليبدّلوا حديثها

من قديمها ، ناظرين الى ما في كليات العالم وجامعاتهِ ، والى نتائج ما فيها ، يحدث خير عظيم ، في التعليم ، فيخطو الاسلام حينئذٍ الى الامام ، في ايام ، ما لا يخطوه الآن في اعوام

انه وأيمُ الله يُحزنني ان اسمع كثيرًا من المسلمين ، وهم بين سائمٍ وبائس ، يوثرون لجمود تلك المدارس ، أن يُهمل امر اصلاحها اهالاً فيجعلها الزمان اطلالاً دوارس

ويُحزنني جدًّا ان اسمع اساطينَ من الاسلام يعلنون آسفين ان جامعة اكسفورد مثلاً ، تخرج باسلوبِ تعليمها الصحيح للامة الانكليزية ، من يصعدون بها الى اوج العلاء ، ويبدهم في داخل بلادها زمام ادارتها ، وفي خارجها زمام سيادتها : زمامَ سيادةٍ تتناول نحوًا من ربع العالم البشري ، وفيهِ نحو من نصف العالم الاسلاميّ . في حين ان الازهر والنجف — مع ان الطلاّب في كلٍّ منها يزيدون على طلاب تلك الجامعة عددًا ، والتعليم فيها اطول منهُ في تلك امدًا — لا تجني منها الامة العربية الاما تجني ما تراه العيون ، ويحزن القلوب ان يكون

فعلا الضجيج من صفوف المعارضين ، لا كان خيرٌ وصلاحٌ واصلاح وارتقاء ، اذا كان منشأ ذلك النساء

فقلت لهم ايها السادة : قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ، (أَكثرُ الخَيرِ في النساء) فلا تردّوا الخيرَ الآتي اليكم منهن

قلت هذا ولكن لم اسمع ايضًا لخطابي جوابًا . بل سمعت ضجيجًا « خلفك المبشرون ، خلفك المبشرون ، ومن اشتراهم المبشرون »

ثم علت الاصوات تابعة صوت الشيخ « لا نريد ، لا نريد »

قلت حينئذٍ لمن كانوا بجانبي : يا لدهاء الشيخ ! انهُ فيما فعلهُ قلب « دست الشوربا » وحملهُ . وما هذا الضجيج الاّ مثل كل ضجيج كان يقوم بهِ في الاستانة جماعة الانكشارية ، وهم حاملون « دست الشوربا » مقلوبًا صارخين « استميوز » اي لا نريد

قالوا كيف كان ذلك ؟ قلت :

انهُ كان لزعماء الانكشارية نفوذ في زمانهم يؤيدونهُ ببتدعات وصور غريبة . فاذا عرض لبعضهم غرض ضد احد رجال الدولة قلبوا « دست الشوربا » وحملوه على الاكف ، ومشوا بهِ على طريق الباب العالي ، صارخين بما معناه : لا نريد ، لا نريد » فيصرخ كل من سمعهم من الناس

مثلما صرخوا «لا نريد لا نريد» دون ان يعرف من الامر شيئاً، ويلحق بهم ظاناً ان في هذا التألب فائدة له منها نصيب. وكانوا يؤلفون جهوراً مهيباً بضجته وكثرته. ويدخل بعد ذلك اصحاب الغرض من الزعماء على حضرة الصدر الاعظم لنيل ذلك الغرض. وحكي ان احد المتألبين الصارخين «لا نريد» سأل مرة رفيقاً له صارخاً مثله: من هو هذا الذي لا نريده، ولماذا لا نريده؟ فاجابه رفيقه هو «الميخانه جي بوركي» لانه يسقينا العرق باقداح صغيرة ! ! !

فاجابوني صدقت ايتها الجاهلة. ان الناس كثيراً ما يضجون لما لا يعلمون، ويهرفون بما لا يعرفون. وما الذين ضجوا حول كتابك الا من اذا سمعوا ضجيجاً يضجون. واذا انتهى الضجيج يسكتون. وما دام مبنى كتابك ذانك الركنان الثابتان، السنة والقرآن، ومرماه الخير والصلاح، فسينشق امام من يقرأه حجاب الليل، ويتألق وجه الصباح

ثم صرخت عالياً مخاطبة اصحاب الضجيج، ما الذي لا تريدون يا سادة فقد اكون في كتابي ممن لا يريدون ما لا تريدون، ولا يقولون ما لا تقولون. اني طبعت كتابي «السفور والحجاب» ونشرته، والى العالم ارسلته. وقد احسنت فيه القصد والنية، بنفس عاقلة مستقلة مرضية، فانيلوا فتاتكم الرضى، وكونوا لكتابها من القراء. ان القارئ حر يأخذ ما يريده، وينبذ ما لا يريده.

اني ألحظ ان كل شخص منكم يقصد في ما لا يريده امراً. وانكم متفقون في الصوت، ولكنكم مختلفون في الموضوع. وانكم لا تريدون ما لم اردْه انا في كتابي الذي لم تقرأوه. ان في كتابي مباحث عن السفور وعما هو من الامور الاجتماعية المتنوعة اهم من السفور، ما لو تمّ لتمّ كل ما يُنشد للامة من الخير الموفور؟ كيف لا وقد نشدت ذلك بتحكيم العقل، والرجوع الى الكتاب والسنّة مصدري الهدى والنور؟

فعلت الاصوات من الصفوف «كتابك يقرأ من عنوانه فلا نريد السفور، لا نريد السفور، ولا يهمنا غيره من الامور»

وصرخ الشيخ سليم حمدان في خطاب ارسله في كتاب، سمعت فيما سمعت منه من كلم لا معنى فيه ولا شيء من الصواب: «النقاب لواء، هو شعار الملك للرجل، وشعار الدين للمرأة. فلا نريد السفور، لا نريد السفور»

فقلت اولاً للشيخ سليم : لا نتف يا شيخ سليم بين الجمهور ، وتاجر بغيرهك الامور . بئس القرش الذي بربحه الانسان بالرياء ، ويخرق حرمة الادب والولاء ، او بالتغرير والغرور . ما شأنك بين المشايخ ولم ترقط عمامه ، تزين منك الهامه ؟ ! ما ذاك الكلم في كتابك (النقاب لواء ، هو شعار الملك للرجل وشعار الدين للمرأة) ؟ وما هذا الكلم فيه : « ان كتاب السفور والحجاب وضعته طائفة من ادباء المسلمين والمسيحيين ، وانتحلته نظيره زين الدين لنفسها نزولاً على رغبة والدها المشغوف بالسفور لاسباب معلومة . . . ليس التقدم ايتها الآنسة بان تدخل الفتاة مدرسة الناصرة على الشرط المعهود . . . »

فما الاسباب المعلومة يا شيخ سليم ؟ وما الشرط المعهود ؟ اي شرط يعهد الشيخ لفتاة تدخل المدرسة ؟ واي منافاة للتقدم في دخول الفتيات مثل مدرسة الناصرة ؟ ان اقوالك يا شيخ لتافهة ، وصفقتك خاسرة

وصحت بالقوم : تأملوا يا قوم وانصفوا . أبمثل هذا الكلم وهذه الاداب ، يعارض كتاب « السفور والحجاب » ؟

ايها القوم العربي قومي ، انكم لم تتطوروا مع الزمان . فطوى الزمان لواءكم ، واضعتم تراث اجدادكم ، من ملك قد امتدّ من اقصى المشرقين ، الى اقصى المغربين . اوَ تريدون الآن ان تنشروا الويتكم على وجوه نسائكم ، متخذين منهنّ بدلاً من ذلك الملك ملكاً كما يريد الشيخ ؟ لا وربي . ان ذلك لا يكون ، وسيرى العالمون ان نساء العرب ، مسلمات وغير مسلمات ، ليس بينهن من هنّ ممن ملكت ايمانكم ، يا ايها المعارضون ، اوما تملكون

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النساء شقائق الرجال » فانهن سيبرزن جميعاً في عالم النهضة كما هنّ حرائر ، متطوّرات مع الزمان ، سائرات في طريق الحياة والنور ، مع الجيل السائر ، مطرحات كل ما تحبون ويكرهنَ من دواعي التفريق وموانع الرقي ، مجدات جادات لاسترجاع ما اضاع رجالهن من المجد الغابر . فأحرِ بكم ايها السادة ، ان تتفكّوا من قيود العادة ، وتمشوا واياهنّ ، ولا تعرقلوا مسعاهنّ

ثمّ وقفتُ متأملة آسفةً وقلت في نفسي : يا لضياع التعب والوقت الثمين ، المبذول لخير المعارضين ، فيما بحثت من جليل الامور ، فضلاً عن السفور . ولكن لا بد لتلك المباحث الجليلة الاجتماعية ، من ان تمحّصها العقول النيّرة الحرة في الامة الاسلامية . اللهمّ اهدِ رجال التقليد والتعقيد ، والجمود والتجميد ، اولئك الذين حجبوا منهم البصائر عن معرفة الخير والحق ،

ومنا الابصار ، عن رؤية الانوار ، مقيدين منهم العقول ، ومنا الجسوم ، بقيود تقاليد وعادات فيها لنا ولهم عار وخسار

وقلت عاليًا للمعارضين : ماذا تفهمون يا سادة من السفور ؟

فقال الشيخ الغلاييني ولما قال قالوا : السفور ، هو كشف العورات من مثل الاعضاد ، والصدور ، والظهور ؛ هو التهتك ، والتبرّج ، والدعارة ؛ هو ارتياد محلات الفساد ، والرقص المفسد ، والخلاعة والفجور

فقلت يا سيدي الشيخ ويا سادتي المعارضين : ان المعنى الذي تموّهون به ، ليس معنى السفور ، وانتم لذلك تدركون . انما تموّهون بهذا المعنى ، مماكرةً للعامة الساذجة عقلاً ، الطاهرة عرضًا ، الطيبة قلبًا ، فاشفقوا على الاسلام واتقوا الله فيما تقولون. وقد قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم « من ماكر المسلمين فليس بمسلم »

وهنا رأيت انهُ لا بد لي من مخاطبة عامة اهلي مباشرة ، فقلت لهم : يا اهلي أهل الاسلام ، يا ذوي النفوس الابية والاخلاق الكريمة الرضيّة ، ان معارضيَّ يخادعونكم في معنى السفور ، ويخادعون الله ، وهو خادعهم . ان السفور ، ليس لهُ معنى في اللغة ، ولا في الشرع ، ولا في كتابي ، الاَّ ظهور الوجه فحسب . وقد قال بهِ فيمن قالوا من الائمة العظام والفقهاء الاعلام الامام الاعظم ابو حنيفة رضي الله عنهُ . ان قولهُ « وجه المرأة ليس بعورة » مكتوب على لوح الحق باحرف من نور . واني لااقلُّ عنكم نفورًا من السفور الذي يموّه بهِ عليكم من يموهون . وما انا قائلة الا بالسفور الشرعي ، اي ظهور الوجه والكفين ، وانتم لذلك لا تنكرون . وذكرت في كتابي صفحة ٢٢٢ معنى ساميًا افهمهُ من كتاب الله فيهِ عبرٌ لمن يتأملون

اني حاربت في كتابي ، واحارب في كتبي ، التبرج ، والتعرّي ، والخلاعة ، والرقص المفسد ، ولبس القصير ، والنقاب الشفاف الخلاب مجلبة الفتنة والتغرير ، وسوء التفكير ، كما اني مناهضة ان تُرتاد محلات الفساد ، ومناهضة كل ما يفتن ويُفسد ، وينافي مكارم الاخلاق ، وانتم لذلك مناهضون ومحاربون . اذن نحن على اتفاق تام ، فقولوا للمعارضين : خافوا الله وكفوا السهام . واذا بقتم في ارتياب ، فاقرأوا « السفور والحجاب » ، واقرأوا مقدمة تقريظ العلامة الشيخ المغربي وقد نشرتها جريدة الاحرار واثبتّها في الباب الثالث من كتابي هذا . انهُ قد عرف بعلمهِ وفضلهِ ، ما رميت اليهِ في تأليفي ، كأنهُ عالم ببعض ما في نفسي

اجل اني كما قال الشيخ ارى سفور الوجه ، وقد اباحه الله ورسولهُ ، وتقتضيهِ النواميس

الاجتماعية والثقافية ، ومصلحة الامة ، واقعاً لا محالة . فلا اريد ان يظن بعض المسلمات انهن سفرن خلافاً للدين ، فيعتدنَ هتك حرمته ، ولا اريد ان يقال انهُ وقع بالرغم من دين الاسلام بدليل ان بعض شيوخه يقاومونهُ ويُكفرون اشياعه . بل اريد ان يقع بايدي العلماء والاولياء مقيّداً بالشرائط والتحفظات المستندة الى نصوص الدين الصريحة ، وقواعد الشرع السمحة المبهجة . والاّ فاني اخشي ان يقع دون التفات الى حدود فيتبعه ما يتبع من مثل التبرج المحرّم والتعري الشائن . ولا بدع ان يحصل ذلك ، لان كل ما تجاوز عن حدّه انعكس الى ضده . قال الله تعالى (وما جعلَ عليكم في الدِّين من حرَج) ذلك . لان الانسان اذا أُحرج في الدين ، وامكنهُ الخروج منهُ — والعياذ بالله — خرج

هذا ما قلتهُ لاهلي واخواني . اما المعارضون فكانوا يخنقون صوتي باصواتهم الصارخة (لانريد ، لا نريد) . ثم سمعت بعضهم يقول :

لا نريد ظهور الوجه ولو اباحه الله بما انزل في كتابهِ ، والنبيُّ بما حدّث في سننهِ ، وقال بهِ الائمة العظام في مؤلفاتهم الشرعية . نعم ان ستر الوجه ليس من الدين المبين ، ولكنهُ عادة الفينا عليها اباءنا ، وسادتنا وكبراءنا ، واوجبها الزمان الفاسد ، والمصلحة تقتضي الاحتفاظ بها خوفاً من الفتنة ، ودفعاً للارتياب ودرءاً للمفاسد

قلت : وانا ايضاً لا اود سفوراً لوجه من تفتن وتُفسد . لذلك قلت فيما قلت في كتابي : على اني اود ان لا ارى تحت لواء الحرية الاّ نفوساً من الجنسين شريفةً ابيّة

وقلت : انمـــا الفتنة ، في النقاب الخلاب ، والارتياب والجرأة على خرق الاداب ، في ظلمات الحجاب ، لا في نور السفور . فمن مصالح المؤمنات ومصالحكم ، ومصالح الامة ، ان يخرجنَ كما قال تعالى « من الظلمات الى النور . » . اقرأوا مباحث السفور والحجاب في كتابي ، واقرأوا منها بحث الفتنة ، وتأملوا ما هنالك من ادلة العقل والكتاب والسنة ، يتمْ لكم الاقتناع ، في نبذ الحجاب والقناع

وقلت ، قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم (انّ اللهَ فرَضَ فرائضَ فلا تضيعوها ، وحدَّ حدوداً فلا تعتدّوها ، وحرّم اشياء فلا تنتهكوها ، وسَكَتَ عن اشياء رحمةً لكم غير نسيان فلا تَبحثوا عنها .) وان امر الفتنة ما سكت الله عنهُ في كتابهِ رحمةً لنا غير نسيان

وقلت ان المسلمين مأمورون بتحكيم العقل واطاعة الله والرسول ، واتباع هداهما ؛ ومنهيون عن اتّباع ما الفوا عليهِ الآباء ، وعن اطاعة السادة والكبراء ، بقولهِ تعالى «أفمن يهدِي الى الحقِّ

أحقُّ أن يتبع ام من لاَ يهدِي الاّ ان يُهدَى فما لكم كيف تحكمون» وقوله تعالى «واذا قيلَ لَهم اتبعوا ما أنزلَ الله ، قالوا نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . أوَ لو كان اباؤُهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون» ؟ وقوله تعالى «يومَ تُقلَّب وجوهُهُم في النَّارِ يقولُونَ يَا لَيتنا أَطعنَا الله والرسُولاَ. وقالوا إنّا اطعنا سادَتنا وكُبَراءنا فاضلُّونا السبيلا . »

وقلت ان التقدير في كون الزمان فاسدًا او غير فاسد ، امر نظري لا ديني . اذن لمن يعتقد صلاحًا في هذا الزمان ان يرفع الحجاب لمقتضى المصلحة ، وعلى من لا يعتقد ذلك الآن ان ينتظر صلاحًا في الآتي لرفعه . ولكن الصلاح التام الذي تنشدون ، متى يكون ، ليرفع الحجاب عن العيون ؟

يا سادتي المعارضين ، انتم تعلقون السفور على الصلاح ، و يا ليتكم تعلمون ان الصلاح معلَّق على السفور ، اذ يكمل الرجال ادب النساء ، وتكمل النساء ادب الرجال ، في كثيرٍ من الامور . انكم بما تصنعون تمنعون التكمل منعا ، فلا تكونوا من (الذين ضلَّ سعيهم ، في الحياة الدنيا ، وهم يحسبُون أنَّهم يحسِنون صنعا)

فقال بعضهم من وراء الصفوف « لا نريد سفور الوجه دفعًا لنظرات السوء من الاشرار ، انهم يخالفون امر الله فلا يغضُّون من الابصار »

قلت جربت السفور سنين ، كما جرّبهُ من فضليات السافرات ملايين. ولم نشاهد نظرات سوء لا من مسلمين ، ولا من غير مسلمين . وان زعيمكم الشيخ الغلاييني نفسهُ ممن يقولون قولي حيث قال : « ان حجابُ اليوم يغرر الاغرار ، ويستميل الاشرار ، اكثر مما يغررهم السفور ويستميلهم » . اذن يجب ان ننبذ الشكل الغرّار ، ونجتنب ما لا يوافق الرصانة والوقار ، ذلك ما يستميل الناس فلا يغضُّون من الابصار

وقلتُ على النساء ان يقدرنَ الحكمة المكنونة في امره تعالى « ان يُعرَفنَ فلا يؤذينَ » فيُظهرن وجوههن ليُعرفنَ لدى الملا ، اذا اردنَ اجتناب الاذى

وقلت : يا سادتي ، لم يبقَ من داعٍ في زماننا للخوف من الرجال ، انما يجب ان نخاف من نفوسنا ان لم نشرفها بالتربية الصحيحة واسباب الكمال . وينبغي لنا ان نهزأ ونهزأ جدًّا بعقل من يحسب ان في غطاء وجه محارمه بلوغ الارب . ان المغرِّر والرادع او الجاذب والدافع ما تظهر النفس من زيغٍ وميل ووقارٍ وادب

قالوا : « ان سفور الوجه يجرّ غيره فلا نريد ، فلا نريد »

قلت : وانا ايضاً لا اريد ما لا تريدون . ان من تجرّ وراء كشف وجهها كشف غيره مما ينافي الاداب ، فهي لا تستحق نور السفور ، فلتبقَ في ظلمة الحجاب

ولكن ماذا تقولون يا ترى بسفور القرويات ونساء الاعراب ، وهن اضعاف اضعاف المدنيات اذا ضبطنا الحساب ؟ ان كشفهنّ وجوههنّ ما جرّ قط كشفاً لغيرها يستوجب اللوم والعتاب

فسكت الجمهور حائرين في الجواب . اما الشيخ الغلاييني فاجاب : ان صحة اداب الاعراب واهل القرى وسلامة اخلاقهم ، مما يجعلهم يستحقّون نور السفور ، وان الفساد في اخلاق اهل المدن يجعلهم يستحقون البلاء بظلمة الحجاب

فقلت في نفسي لا حول ولا

وقلت للشيخ

عفواً يا سيدي الشيخ ، اني قروية ساكنة في المدن – نظرت في اهل القرى ، ونظرت في اهل المدينة ، فلم ار المدنيات والمدنيين ، دون القرويات والقرويين ، في صحة الاداب وسلامة الاخلاق ، وارى ان ليس فيهم جميعاً ما يستوجب مثل حكمك . بل ارى الامة مستعدة للسفور عن تلك الوجوه النقية الحرة الشريفة ، وفي حالة تستحق الثقة بنسائها ، والطمأنينة الى رجالها . ولا تحتاج الاَّ الى مساعدة مثلك من ارباب الاقلام لفك قيودها ، وكسر حديدها ، فتسير الى الامام ، ولا حجاب ولا قيد لها الا شرف الاسلام

وما كدت اتم كلامي هذا الا انبرى على منبر مجلة الشبيبة السيد كرم كرم ، وصرخ قائلاً : «انا من انصار الحجاب ، ذلك الذي اقمتِ عليهِ القيامة فقام الناس يستقبحونهُ ويقبّحونهُ . انك تقولين ويقولون ان المرأة يجب ان تملك حريتها ، يجب ان ترى النور ، يجب ان تتحرر من قيود الماضي . واننا لمصدقون لذلك وموافقون . بل نحن في طليعة من يريدون للمرأة الحرية . انها مثلنا في عقلها وعواطفها وقلبها . بل هي مثلنا في حقها بالحياة . ولكن الا تريد السيدات والآنسات ان يأسرن القلوب ؟

« أليس هدفهن الاسمى ان يتملكن العقل واللب ، وان يسيطرنَ على الرجال بلطفهن وجمالهن ، وغنجهن ودلالهن ؟ فان يكن هذا هو الهدف الذي يرمين اليهِ فانني لأؤكّد لهنّ ، ان المرأة الجميلة القد ، الهيفاء ، الرشيقة المشوقة ، لأجمل وهي في الحجاب تتمايل وتتبختر وتميس ، منها وهي

سافرة . فالمهج تمشي في اثرها لتحظى بنظرة منها ، والعيون لا تفارق خطاها ، وابناء الصبابة يذوبون اذا ما رشقتهم بنظرة من وراء حجابها الشفاف الخافق ، ظفرًا ونصرًا . وهذا كل ما تتمناه المرأة في الوجود . فالمرأة تريد ان تلفت الانظار ، وليس كالحجاب يساعدها على نيل امنيتها

«انا من انصار الحجاب على ان يكون هذا الحجاب شفافًا رجراجًا تبدو منهُ بعض قسمات الوجه، وانا الكفيل بانها تأسر كل قلب ، وتثير كل وجدٍ وهوى . والسلام على من اتبع الهدى وهدى »

قلت اخطأتَ يا استاذ . ليس هدف المرأة العربية ، ليس هدف الام الاسمى ، ان تلفت اليها الانظار ، بالنقاب الغرار ، فتكون العوبة لهوى الرجال ، بما تأتيه من التبرج المفسد ، والتفنن في الغنج والدلال . جلّت المرأة الشريفة العربية ، جلت الام عن ذلك ، وهي عالمة ان ذلك ما قد نهى عنهُ الشرع الاسلامي ، وكل شرع سماوي، والخلق الكريم والطبع السامي . انما مقصدها الاسمى ، ان تحرر ضمن دائرة من شرع الله بجهادها، وتنطلق سافرة بقواها وهداها ورشادها ، على طريق الرصانة والفضيلة والكمال ، فتفك العقول من الاغلال ، ومن كل عقال ، وتصلح بما تبثُ من الصلاح والصواب والخير ما فسد من قلوب الرجال ، ونظام العمال ، راميةً بذلك الى ان تكون المثل الاعلى . في الحياة المثلى ، ليعود قومها العربي ، الى سؤدده العالي ، ومنزلته الرفيعة ، تحت راية الحرية والاستقلال . فاذا كنت على امك ، واختك ، وقومك ، وعلى الفضيلة غيورًا ، فاعصِ هواك ، وانشد للمرأة ، وهي نصف الامة، سفورًا رصينًا ونورًا ، ولا تكن للحجاب نصيرًا

فقال الشيخ ولما قال قالوا : « لا نريد لا نريد . ان السفور وكثيرًا في كتابكِ من الامور مما يريده الاستعماريون . وان حرية المسلمات من الاساس التي يبنى عليها الاستعمار »

وصرخ نذير في العهد الجديد عدد ٥٢٢ «كتاب السفور والحجاب دسيسة سياسية . الاجانب من الغرب يشغلون المسلمين في الشرق بقضية السفور الاجتماعية ، ليفتحوا من قلوب النساء

سورية . حذار ايتها المسلمات ان سفوركن يجرم امتكن الاستقلال ، ويبقيها مقيدة من الذل في الاغلال »

وصرخ الشيخ سليم حمدان في كتابه المدنية والحجاب ص ج و ٦ و ٧ و ح و ١٢٢ : رأيت ضبع الاستعمار يكشر عن انيابه، وثعالب الشرق يضبحون حوله مراوغين . ان المبشرين سخروا لاهوائهم اناساً فاسدي الضمائر ، ساقطي النخوة ، دساسي العرق ، وليس حمة العقارب ، وسم الافاعي ، اشد شراً ، واخبث قصداً ، من دعوات سوء تبث في سبيل افساد « او تحرير » المرأة المسلمة ، لينسنى للطامعين ، استعباد المسلمين ، والاخناء على نضارة بلادهم ، واستبقائهم مطية الاستعمار ، وبقرتة الحلوب

وصرخ الشيخ الغلاييني في نظراته قائلاً : ان المملكة الرومانية ايام حظرت على النساء السفور والاختلاط بالرجال ، كانت في اوج العظمة ، ولما اباح الرومان ذلك قضوا على دولتهم ومدنيتهم

قلت يا أهلاً من اهلي الاسلام . حرام ان تقضوا حياتكم في الاوهام . اي قيمة للمثل الذي رواه الغلاييني عن الرومان ، ازاء الامثلة الماثلة للعيرن في اوربا واميركا واليابان ؟ واقرأوا وليقرإ الشيخ الزعيم ، كتاب «مونتسكيو » الفيلسوف الاجتماعي الشهير، تعلموا ويعلم اسباب عظمة الرومان واسباب انحطاطهم ، وتعلموا ويعلم ان مبادئ الفتاة تؤول ، بحسب الزمان ، الى العظمة على اساس الحرية والاستقلال ، وان مبادئ معارضيها ، تخالف مقتضى الزمان فلا تؤول الا الى الانحطاط والاضمحلال

فلا تلمزوا انفسكم وليحسن بعضكم في البعض الآخر النية . ولا تقولوا ان مخالفيكم في الرأي ثعالب يضبحون. انما اولئك يريدرن ان يكونوا ليوثاً لا يؤكلون . وليس الليث الا ابن لبوة . وليست اللبوة ، من نساء اليوم ، الا من اخذت قسطها المشروع من الهواء والنور، ومن القوة الحقيقية : العقل ، والعلم ، والادب ، وحرية الفكر والارادة والعمل ، وحرية اللسان والقلم . تلك مناعة حامية من حمة العقارب ، وسم الافاعي ، ومن كل جرثومة للفساد ، ودافعة للمطامع ، ما تذكرون ، وما لا تذكرون !

ليس في النقاب ، تلك القطعة من النسيج الخلاب ، قوة تحمي الذمار ، من الدمار ،

والديار، من الاستعمار . ان تلك القوّة التي تحركونها للنقاب ما نجحت الاّ على منوال اذهان ضعيفة ، فهي وهمٌ مما تنسجون

ان الاستعمار لا يُبنى على اساس الحق والعدل والحرية ، انما ذلك يُبنى على اساس الجور والباطل والعبودية

الاستعمار ليس لبلاد شعبها من نساء ورجال ، حرّ قلبًا وقالبًا ، ظاهرًا وباطنًا ، قلمًا ولسانًا

ليس الاستعمار لبلادٍ شعبها من نساء ورجال ، حرٌّ في فكره ، وقولهِ ، وارادتهِ ، وعملهِ ، يأنف من ان يستعبد بعضهُ بعضًا ، فلا تضغط فيهِ حرية

الاستعمار ليس لبلاد شعبها يأبى ان يغلّ احدى يديهِ ، و يعمي احدى عينيهِ ، و ينهك احدى قوتيهِ . او يكسر احد جناحيهِ ، وترَى نفسهُ العزيزة كلّ قيد ذلاً الاّ ما شرع الله ، وما نص القانون

الاستعمار ليس لبلاد شعبها يبني حياتهُ على قواعد المساواة ، والاخوة ، والحرية ، والاحترام المتبادَل

ذلك هو الشعب الذي نشدتهُ في كتابي . ذلك هو الشعب الجدير بالاستقلال المنشود ، هو الجدير بذلك في نظر الانتداب ، وفي نظر جمعية الامم ، وفي كل دولة او جمعية حرّةٍ في الوجود

ايها السادة ، لا تعارضوا الفتاة فيما تنشد ، اذا شئتم ان تأمنوا وقوعًا في ما تخافون . واعلموا، اعلموا : ان المرأة والرجل لبناء العيلة عمودان . فاذا مال احدهما وقصرَ واختلّ وضعهُ، تداعى سقف العيلة ، وانهار صرح الاجتماع القائم على دعائمها . او هما جناحا الشعب ، ولا يعلو شعبنا الى استقلالهِ ، الاّ بجناحيهِ مستويين . فان لم يستوِ جناحاه ، علت الشعوب المستوية الجناحين الى مراتب العزّ ، وظل شعبنا محرومًا استقلالهُ ، وظلّ من يكسرون احد جناحيهِ ، مستلقين يتغنُّون بمجد الاجداد السابقين ، كما تتغنى العجوز بجمالها المنقضي ، رامين بالكفر ، او الخيانة ، او الالحاد ، كل من حاول من علوا وتحرروا ، جبر ما كسروا

فسلموا ايها الرجال الى امهاتكم وبناتكم واخواتكم وزوجاتكم حقوقهنّ ، وليسلّم بعضكم الى بعض حق الحرية في الفكر ، والارادة ، والقول والعمل ، باللسان والقلم ، تكونوا ذلك الشعب

ان النساء في الامة احدى القوتين ، ويدٌ من اليدين ، وعينٌ من العينين ، بل جناح من الجناحين ، ولسنَ دونكم حرصًا على الاستقلال ، ولا اختلافَ في الامة الاَّ في اختيار الطريق المؤدي اليها ، او الطريق الضالّ . ولنا في الغرب السافر عبرة ، حيث لا امة مستعبدة ، لان الامَّ فيه حرة

ان حقوق المرأة يا اخواني ، مساويةٌ مساواةً تامة لحقوق الرجل بلا زيادة ولا نقصان . يأمر بذلك الدين والشرع ، والعقل والطبع . واي حق في الدنيا اقدس من حق التمتع بالهواء والنور ؟ وهل ذلك يا ترى يتجلّى في الحجاب ام في السفور ؟

* * * * *

وقلت يا سبحان الله ، كيف تقولون ما تقولون ؟ أوَ كان قاسم امين ، ذلك المصلح العظيم ، ثعلبًا ضابحًا لاستعمار بلاده ؟ أوَ ملك الافغان ، ومصطفى كمال ، ذانك الاسدان ، ثعلبان في الشرق يضبحان ، حول ضبع الاستعمار ؟ أوَ هما مراوغان ، راغبان ، في استعباد البلاد للاجانب ، وخراب الملك والديار ؟

ان مصطفى كمال هو من قال : لقد احرزتُ نصرًا مبينًا على الاعداء ، يرجع نصف الفضل فيه للجند ، والنصف الآخر لتمزيق الحجاب عن وجوه النساء

وهذا ملك الافغان امان الله ونعم الامان قد اهاب بقومه من رجال ونساء ، اهابةً نقلتها الينا عن الجرائد الافغانية جرائدنا العربية . جاء فيها :

« عيشوا احرارًا ، وموتوا احرارًا ، لا قيدَ لكم الاَّ شرع الله والقانون . نحن كلنا في الحياة المدنية ، والحياة الشعبية ، اخوان واخوات متساوون . وما انا الاَّ واحد منكم . ليس لي امتياز في ذلك على احد . انما انا كبيركم في نظر القانون للقيام بتنفيذه »

« يا رجال افغانستان لا يجوز لاحد ان يتكلم لغوًا ، او يقول كلمة قبل ان يضعها من العقل في ميزان . فاجعلوا ديدنكم التفكير قبل الكلام . شمروا عن سواعد الجدّ ، وسابقوا الامم في سبيل المجد . ان دولاب الزمان ، لا يزال في حركة ودوران . ولا يقف في آن . فعليكم ان ان لا تقفوا . ولا يتسنى لنا ان نلحق بالامم التي سبقتنا الاَّ باتباع الطريق التي سارت فيها تلك الامم »

« لا تظنوا ان النساء انما خلقن لنستعبدهن ، ونسخّرهنّ لقضاء شهواتنا . ان المرأة تحمل

بين جنبيها نفساً كنفوسنا ، وان ديننا الحنيف قد خوّلها حقوقاً مساوية لحقوقنا. فلا يجرأنّ احدٌ على التعدّي عليهن ، وقد اعلنتُ ان جميع ابنائي وبناتي من الشعب الافغاني كلهم قد اصبحوا سواء منذ اليوم في الحقوق »

« ايتها الامهات والاخوات الافغانيات . انكن انتنّ سترَبّينَ النشأةَ القومية ، التي ترفع شأن الوطن ، وتجعله من ارقى بلدان العالم . ان هذه النشأة الآتية لن تنشأ قادرة على ذلك ، الاّ اذا تعلمتُنّ انتنّ يا امهاتِ الشعب ، واتّصفتُنّ اتّصافَ الاحرار بحبّ التضحية ، والجرأةِ التي لا تهاب الموت ، وكنتنّ مرشداتٍ فاضلات ، وقدواتٍ صالحات ، لاولادكنّ »

هذا ما قاله ذلك الملك العظيم ، فثار عليه ابن السقا الغاشم ، واعوانه الغاشمون ، تلك الثورة الغاشمة ، استبقاء للمرأة في ظلام الجهل ، مسخرةً لاهوائهم ، تحت نير استبدادهم ، ولو جر ذلك الى استعمار بلادهم واستعبادهم

ثاروا او أُثيروا على ذلك الملك العظيم ، حتى ملّ بينهم عيشه ، وسئم عرشه . ترك العرش وفارقَ البلاد وعن امّته انقطع ، الى ان ينمو ويثمر ، باذن الله وحوله ، ما غَرَس فيها من مبادىء الصلاح والاصلاح وما زرع . فارق البلاد وهو من اعماق نفسه يدعو الله لها ، ان يصلح نفسها ويقوّم ميولها ، ويقودها الى العلاء ، صائناً اياها من الاعداء ، مغلباً فيها اهل التجدد على الجامدين ، والاحرار الصادعين بالحق على المرائين

*****

وما قلت هذا الكلام للسادة المعارضين ، الاّ استرعى سمعي صوت فتاة مسلمة ، كأنه صوت ملاك كريم ، تتلو آيات الوداع للملك المصلح العظيم

لهفَ قلبي على بني الأفغانِ نكّبتهم طوارىء الحدثانِ
قمرٌ عن سمائهم غيّبتهُ كان نورَ العيون والاذهانِ
لا أمانٌ وقد تخلى أمانُ اللهِ عنهم وطاش سهم الامـــاني
والثريّا مالت مع القمر البـــاكي فعمّ الظلامُ كلّ مكانِ
ظُلمةٌ أطبَقت على وطنٍ غا دَرَهُ الجهل انعس الاوطانِ

نظرات للفتاة، عكس نظرات المعارضين الرماة، في دواعي الاستعمار. وفيه كلمات لجرائد اسلامية بيروتية ثلاث في يوم واحد. وكلمتي فيها

وطنٌ جانبَ الهدى واصطفى الغيَّ وضحّى بعزّه لهوان
أنزل الحرَّ عن اريكته واختـــارَ عبدًا للتاج والصولجان
ويحَ قومي مما جنوه فقومي عرّضوا عرضهم لهزء الزمان
ركبوا جهلهم وهاموا ببيدا ء المعاصي رعيّةَ السرحان
شرعوا كلَّ شرعة ببرأْ القر آنُ منها ومنزلُ القرآن
انّ قومي ضلوا فيا مقلةَ الاســلام ذوبي دمعًا على الافغان
ووداعًا يا ايهــا الملكُ الرا حلُ عن ملكه بقلب عان
قد زرعتَ الاحسان في تربة تنـ ـبتُ جحدًا لزارع الاحسان
وأسلتَ النميرَ حيث غدا الآ سنُ أشهى موارد الظمآن
وأجزتَ البرَّ الصحيح لذي جو ع أبى ان يسفَّ غيرَ الزوان
علةٌ في النفوس جئتَ تداو يها فباء الطبيبُ بالخذلان
غيرَ أنا نحنُ الحسانَ سنبقى لك قيدَ الوفاء والعرفان
فلئن خانكَ الرجال بعرش فلكَ العرشُ من قلوب الحسان

* * * * *

قلت ما قلت وسمعت ما سمعت، فشعرت ان ذلك قد حمل القوم على شيء من التفكير والاصغاء لصوت الضمير

ثم لحظت ان الشيخ يحاول الكلام، وارشقني بالسهام، وسمعت صوتًا بيروتيًا علا من صفه يقول: ان حجاب النساء، لم يمنع اجدادنا من السبق في مضمار العلاء. فما لنا ومصطفى كمال وملك الافغان؟ وما لنا والتجدد مع الزمان؟

نعم ان رفع الحجاب الذي تؤثرين يجر الديار الى الاستعمار

فقلت: كيف تقولون ايها السادة المعارضون، ما تقولون؟ وهذه جريدتكم الشرق في عددها ٢٧٢ قالت في مقال لها عنوانه (العرب بين اليأس والرجاء متى ينبثق فجر الامل. قالت:

اذا اراد العرب لانفسهم حياة غير مشوبة بالذل والهوان، وراموا لبلادهم حرية

واستقلالاً ، فلا محيدَ لهم عن الاعتماد على انفسهم والتأليف بين قلوبهم ، والسير في الطريق التي سارت فيها امم الشرق التي تمتعت بالعز والمنعة كتركيا والافغان ؛ والاخذ باهداب المدنية الصحيحة والمناحي العصرية في الحياة ، والعمل على انشاء جبهة منيعة لا يقتحمها الاستعمار ، ولا يجرؤ على الاصطدام بها »

وهذه جريدة البلاغ البيروتية في عددها ٢٦٦٣ استهلت مقالاً لها عنوانه : (دولة شرقية تنهض من سباتها . التجدد والاصلاح في بلاد الافغان) بقولها : « يَردنا بريد الشرق، من حين الى آخر ، طافحًا بالانباء عن افغانستان ، واعمال الاصلاح فيها ، وسيرها الى النهوض في فترة قصيرة سيرًا استوقف انظار العالم كله . وذلك عائد لجلالة مليكها ، الذي عاد من رحلته متأثرًا ما شاهده في اوربا ، فعزم على ان يحذو حذو تركيا في النهوض ببلاده »

وهذه جريدتكم العهد الجديد في عددها ٥٦٢ قالت : « ان الاصلاحات التي ادخلها ملك الافغان غير ناجحة نجاحًا تامًا . فان رجال الدين يقاومونها ويوقعون الاضطراب ، وان انكلترا هي السبب في الحركة المعارضة للاصلاح ، وانها تستخدم الحمية الدينية ، منعًا لارتقاء البلاد ، من حالة التأخر التي هي فيها »

فهل رأس المدنية الصحيحة ، يا سادتي ، او المناحي العصرية التي اشارت اليها جريدة الشرق ، ورأس اعمال الاصلاح التي اشارت اليها جريدتا البلاغ والعهد الجديد ، غير تحرير الام ، ورفع الغطاء عن وجهها ، مجمع حواسها ، وملتقى طرق عقلها ؟ أوَ ليس ذلك ما يفسح مجالاً للام لتنهض بالامة ؟

تلك الجرائد الاسلامية الثلاث في بيروت . انها ذكرت في يوم واحد ما نقلت عنها . فأنّى تقولون ما تقولون ؟

خذوا ايها السادة من الانكليز في الافغان عبرة . انهم ، على ما شاع وذاع ، قد اتخذوا الحمية الدينية وسيلة ، فالقوا الفتنة في تلك البلاد مقاومة لتحرير نسائها ، مع انهم قد سبقوا دول الارض جميعًا في تحريرهم نسائهم ، وجعلهن مساويات للرجال في الحقوق المدنية والسياسية كلها . ان ذلك ما اختاروا لانفسهم وفعلوا في بلادهم ، فعلّوا بالجناحين ، واعتزّوا بالتوئين ، وصاروا اكثر الدول عددًا ، واوسعها ظلاً ومن افواها يدًا

٥٢ نظراتٌ للفتاة ، عكس نظرات المعارضين الرماة ، في دواعي الاستعمار .

وفيهِ ان قياس الحاضر في الشرق والغرب على ذلك الماضي قياس مع الفارق ، وان في تعصب الشرقيّين للجمّيد من شرقيّهم ، او المقيّد من تقاليدهم ، وفي معارضتهم الوحدة العالمية، موثّقة فيها عرى العيلة البشرية ، انتحارًا ، وان بين الشرقيّ والغربيّ فرقًا

تأمّلوا ، ايها السادة ، أوَليس بلاد الافغان يقاوم الانكليز فيها التجدد والسفور ، اي الحرية والنور ؟

تأملوا ، أوَ ليس من اسباب تمكّنهم من استعمار نصف العالم الاسلامي وأزيد ، ما تولّد حرية المرأة فيهم من رقيٍّ وحياة وتجدد . وما يولّد حجاب المرأة في الاسلام من تأخّرٍ وتجمّد ؟

انهم يدركون ، و يا ليتنا ندرك ، ان تحرير المرأة في الاسلام وما ينتج من حياة ، قضاء على سلطتهم المبسوطة على نصف عالمٍ و يزيد . ولولا ثقةٌ لي مستمدّة من وقائع التاريخ بما في فرنسا المنتدبة علينا ، من النبل والفضل ، وحسن القصد ، وحب الخير الانساني ، والصلاح العالمي، ومن نهجٍ لها مشهود في كثير من الاحيان ، طريق التضحية بمنافعها الخاصة ، ايثارًا للمنافع العالمية والحقوق الانسانية العامة ، لخشيتُ مقاومة منها في تحرير المرأة المسلمة، لا تكون مقاومتكم، يا أيها المعارضون ، بجانبها شيئًا

فلا تقولوا ، لا تقولوا : ان قصد هذه الفتاة المسلمة لتحرير المرأة وسفورها دسيسة سياسية ، يفتح بها الاجانب من قلوب النساء سورية،او أن حرية النساء من الاساس الاستعمارية . لا تقولوا ذلك . بل ثقوا ، ايها السادة ، أن اجلّ المرامي ، وجلّ مرامي ، في كتابي ذاك وكتابي هذا، احداثُ قوةٍ جديدة تمنع خيال الاستعمار ، ان يجول في الافكار . فتأملوا في ما تقول الفتاة ، واتركوا الجمود انهُ من مظاهر الموت ، وأقبلوا على التجدد ان في التجدد الحياة

*****

لا تقيسوا على الزمان الماضي ، ولم يمنع فيهِ اجدادنا حجاب النساء ، من السبق في مضمار العلاء ، فذلك قياسٌ مع الفارق . لان نساءنا قد أُجمدنَ اجمادًا اشد من جمود من رجالنا ، اما نساء غيرنا من الاقوام ، فقد نهضنَ وانهضنَ ، محرّراتٍ سافراتٍ متجددات،الى رجالهنّ المتجددين في انهاض اقوامهن،ولَهُنّ قوة عظيمة ينبغي لنا ان لا نحرَمَ منها ، الاّ اذا نشدنا العزة والمنعة ، والحياة المُثلى

يرينا التاريخ ان الشرق والغرب كانا يسيران سيرًا متشابهًا في طريق واحد قيّد فيهِ العقل ، ولم يعط حرية التفكير المطلق ، كما قيدت فيهِ المرأة بانواع القيود . فكان الشرق وهو مطلع النور ، سباقًا له التقدم على الغرب . غير انهما اختلفا بعد ذلك مسيرًا ومصيرًا

ان الشرق نام على جموده ، امــا الغرب فقام ، رجالاً ونساء ، يمشي الى العلياء ، براياتهِ وبنوده . وبعد زمن لم يطل رأينا الغرب المتجدد المجاهد ، فوق الشرق الجامد ، وقد جاوزه في حلبة الرقي والمجد شوطًا بعيدًا

ايها السادة

كان علم الفوز في يد الشرق فنهض الغرب بنهضة نسائهِ ، واختطف ذلك العلم ورفعهُ في سمائهِ ، فكاد الشرق كلهُ ينضوي تحت لوائهِ

ان الغربيين اليوم لسابقون ، ونحن بحكم التطور القاضي باتباع الاصلح ، اردنا ام لم نرد ، شعرنا ام لم نشعر ، لهم لاحقون . ومن لم يسر معنا ومنهم مع تيار المدنية يضمحل ويتلاشى

ليس من مصلحتنا ان نحرد او نغضب على الغرب الثائر حردًا او غضبًا يلقينا في وهدة التعصب للجمود من شرقيتنا ، او المقيد من تقاليدنا في امر نسائنا ، جاعلين لهن من الحجاب اغلالاً ، ومنهنّ على ظهر الشرق اثقالاً ، بدلاً من ان يكنّ جناحًا له يطير بهِ الى الهدف الاعلى ويتعالى

ان مثل هذا الحرد او الغضب لا يجدي فتيلاً ، ولا يشفي غليلا . بل ان في ذلك للشرق انتحارًا يضحك منهُ من يضحك ، ويبكي من يبكي

ايها السادة

لا قوّة تمنع العالم في اختلاطهِ ، واتصالهِ باسباب مواصلاتهِ ، ان يتبع كلهُ مدنيّةً مؤتلفةً متشابهةً واحدة ، هي ما يرى العقل البشريّ انها اصلح المدنيات . واي عقل غير سقيم ، يتصوّرُ أن الغرب يتبعنا في عادة الحجاب ، وتقليد الجمود ، حتى يعمّ العالم وتتم الوحدة العالمية ، موثّقةً فيها عُرَى العيلة البشرية . انما العقل السليم يجزم بان روح التجدد ونور السفور سيعمّان بني الانسان ، في كل مكان ، فلا يجوز لنا التفريط في فرص الزمان ، والتأخر عن قافلةٍ تجدّ في طريق الرقي ، وتدور مع الدوران . بل علينا ان نلتحق ونلتحم بها مؤيدين كل ما صلح ، ومصلحين كلّ ما فسد ، علّ الشرق يسترجع علم الفوز ، ويعود في السباق التكملي اقرب من

الغرب الى المثل الاعلى ، والغاية المثلى . ان ذلك المسمى هو الاحرى بقومي العربي ، ومتبعي سنة النبي محمد ، والكتب المنزلة الجلى

يا سادتي المعارضين

ألا ترون كما يرى اولو الالباب ، او كما رأت الفتاة « في السفور والحجاب » ، ان الغربي الجاهد ، وثق بنفسه وحكمته ، فمنح المرأة حريتها وحقوقها ، وجرى يسابقها في ميدان الرقي لا يخشى منها ان تسبقه او تتفوق عليه ، ولا من نفسه ان تعجز عن حملها بقوة الفضيلة على احترامه ، فكان ما له من السؤدد والخير والمجد ، نتيجة حكمته وانعامه ؛ وأن الشرقي الجامد ، لم يثق بنفسه وحكمته ، فمنع المرأة حريتها وحقوقها ، لئلا تسابقه فتتفوق عليه ، ولم يأمن من نفسه ان تعجز عن حملها بقوة الفضيلة على احترامه . فبدلاً من ان يطلقها ، فيبذل قواه ، وتبذل قواها ، في سباق وجهاد ، لنيل المراد ، استند الى قوة جسمه ، مهملاً قوى عقله وروحه ، فقيدها ، باذلاً قواه في خلق قيود لها من الظلم والاستبداد ، فجر ذلك ما جر من البلاء والاستيلاء عليه ، وعلى الامة والبلاد ؟

فليستيقظ الشرق رجالاً ونساء ، وقد مدت شمس الحرية اشعتها من فوقه ، وليمش مشية الغرب الرشيدة الحثيثة مختاراً ، ومصلحة تضطره ، والله بذلك يأمره ، وان يتأخر فلا بد للزمان من سوقه

انا اذا خالفنا امر الله ، وقضاء العقل ، ومقتضى المصلحة ، وحكم الزمان ، متعثرون لا محالة في طريقنا ، واقعون في حضيض الهوان ، او سائرون ولكن من خسران بالاسف الى خسران

*****

ايها السادة

لا غرو اني اطربت ، فيما سبق ، النهضة التي نهضها امان الله ومصطفى كمال ، فتلك نهضة صالحة واقية من الاستعمار والاستغلال ، تنهض بالشرق وبالاسلام وتتقدمها الاجيال

على اني لا انكر ان هذين البطلين المتفانيين حبا للاسلام ، ورغبة في اعادة بدره الى التمام ، قد افرطا في بعض الامور ، وتعديا حد الحرية ، كما انه لا ينكر ان قوة الدفع تتزايد بتنضى

ناموس الطبيعة ، بنسبة قوّة التضييق . فالامتان التركية والافغانية قضتا اجيالاً تحت كابوس من عالم يضغط الحرية ، خلافاً لمقتضى العقل ، وللاوامر الالهية والنبوية ، حتى جمدتا فانحطتا انحطاطاً شائناً واوشكتا ان تقعا كما وقع غيرهما تحت نير الاستعمار . ولولا الموازنة الدولية لوقعتا تحت ذلك النير. فما افراط امان الله ومصطفى كمال في استئصال كل ما قبح وساء من العادات والتقاليد ، ليقوم مقامها الحسن الجميل من كل جديد ، وبضمنا لامتها الاستقلال الدائم والمستقبل المجيد السعيد ، الاّ قوة دفع مفرط ، بنسبة قوة التضييق المفرط . والتبعة في ذلك على المضيّق اشدّ منها على الدافع ، فما علينا الاّ ان نعتبر في الامر الواقع

وهنا لا بد لي ان اذكر ما تحقّق من ان الملك امان الله والملكة ثريا ما كانا قط الا مستمسكين باهداب الشريعة الغراء ، وما طلبا فيما طلبا لامتهما من الصلاح ، واسباب الرقي والفلاح ، الاّ الحرية الشريفة والسفور الشرعيّ للنساء ؛ ومن أن صورة الملكة ثريّا التي رأيناها في المجلات المصورة لم ترسمها الشمس ، وعين الرجال ترى زينتها واعلى صدرها وعضديها ، انما رسمتها الشمس ، ولم يكن غير النساء لديها . غير ان الاعداء لمآرب لهم نسبوا ما نسبوا الى الملك العظيم واليها

قلت ما قلت ، فرأيت من سكوت المعارضين ، او سكون الرماة ، ما جعلني اظن انهم سلّموا بالحق للفتاة . ولكن ما لبثوا ان قالوا : بلسان العهد الجديد عدد ٤٧١ :

ان رسالتكِ الى المفوضية العليا واطراءك الدولةَ المنتدبة ، ما يُضعف ثقتنا بوطنيتك ، ويريبنا في قوميتك ، ولولا ذلك لما صادف كتابك « السفور والحجاب» ما صادف من المقاومة . وقد أسأتِ بذلك من حيث اردتِ الاحسان الى مصلحة السفور ، تلك النهضة المعلومة التي قمتِ بها ، وعزوت الفضل فيها الى دولة الانتداب التي لقّبتها بنصيرة الحق ، والعلم ، والحرية ، والمدنية ، والنور ؛ وحسبت تحرير المرأة من الثمرات الطيبة المنتظر ان نقتطفها ويقتطفها العالم من وجود فرنسا بين ظهرانينا منتدبة علينا ، زاعمة انكِ بمثل ما كتبتِ تسهّلين مهمة الدولة المنتدبة في الاصلاح الذي تنويهِ وانتدبت اليه . على ان السواد الاعظم من المسلمين ، في سوريا ، بغنًى عن اقتطاف مثل هذه الثمرات ، وهم يعدون ديباجتك ديباجةَ رياء وزلفى

فقلت في نفسي ، يا سبحان الله ، كيف ضحّى خير الدين بك الاحدب صاحب العهد الجديد ، كيف ضحّى بمبدإه السفور ، وعهدي ان استمساكهُ به قولاً وفعلاً شديد . كذلك عهدي انهُ ثابت المبدإ وانهُ ذو رأي سديد . فهل من سداد الرأي ومقتضى الثبات ان يضحي هو بمبدإه السفور ، لاني اطريتُ انا ، ام الحرية والمدنية والنور ؟

وقلت : لم تخطر السياسة لي وضع كتابي وفي كتابة رسالتي على بال ، وما قصدتُ في خطابي السلطة والمفوضية العليا ، الاّ تأمين دفاعي عن حقوق المرأة ، يدفعني الى ذلك الاخلاص ، ومقتضى الحال ، وحبي الخير لامتي . ولكن المتطفلين على السياسة الراغبين في الاستفادة الشخصية عن طريق الرياء ، او عن طريق السياسة الخرقاء ، يرون بعين الطمع والغرور كل امر مطيةً لما لهم من مآرب ، او بقرة لحالب . فيدفعني واجب الدفاع الى خرجةٍ من دائرتي ، دائرة الاجتماع ، ولاألبثُ ان اعود اليها باسراع

وصرخت : ايها الساده ، انكم لم تدققوا في كتابي ، ولا في رسالتي . ولو كان في نفسي شائبة رياء او شائبة زلفى للدولة المنتدبة ، لما جعلت كتاب الله وسنة رسوله ، بقلبي ، وقلمي ، وفمي ، وحملتهما اليها والى العالمين ، مباهيةً بما في الدين المبين

اني لم اطلب من الدولة المنتدبة في كتابي ، ولا في رسالتي ، تحرير المرأة المسلمة . بل قلت لها ص ١٤ «ان المرأة المسلمة لا تطلب منك ان تحرريها ، فهي ، كما لا يخفى عليك ، حرةٌ في كتاب الله ، حرةٌ في اوامر رسولهِ ، حرةٌ في الشريعة ، حرةٌ في القانون ، حرةٌ في مبادىء الاجتماع العليا ، حرةٌ في حقوق البشر المعلنة ، حرةٌ مثل كل انسان ، حرةٌ مثل كل امرأة . وانمـــا نطلب ان يكون للقانون المسنون حياة بنفوذٍ لا مردّ له . ذلك صوناً لحرية الشخصية اذا حاول سلبها من يعتدون»

ايها السادة ، انتم تعلمون ان موقفي موقفُ دفاع عن المرأة ، ولا تخفى عليكم احوالنا الاجتماعية . فممن تريدون ان اطلب حفظ حقوق المرأة وحريتها الشخصية ، وقد راجعتم السلطة المحلية في دمشق فاعتدّت عليها ، ولم تعبأ السلطات المحلية لصونها من اعتداء الافراد في دمشق وغيرها ؟ أوَ ليست المفوضية العليا مرجع ذلك الطلب ؟

هل في سوريا ولبنان ، من لا يرجع الى المفوضية العليا ، او الى وزارة الخارجية الفرنسية ، او الى جمعية الامم ، اذا اقتضى ذلك دفاعهُ عن حقٍ يراه غير مصون ؟

ان لم تصن المفوضية العليا الحرية الشخصية ، فليست بنتَ ام الحرية والمدنية والنور ، وليست مندوبة جمعية الامم لاصلاح ما يجب اصلاحه من الامور

ايها السادة الرجال

ان الرجال والنساء، في الحقوق الاساسية سواء ، فلا تحرموهنّ حقًا لهنّ اساسيًا في مراجعة السلطة العليا صونًا للحرية ومنعًا للاعتداء

انا نراكم تتقاطرون من جميع ارجاء البلاد الى ابواب المفوضية العليا افواجًا ، ونرى البرق والبريد يحملان كل يوم من مراجعاتكم الى ساحلها امواجًا ، امواجًا تحمل في طياتها ما تحمل ، حقًا وباطلاً ، واستقامةً واعوجاجا . ومع هذا كله ، نراكم قد اقمتم القيامة على الفتاة المسلمة ، كأنها زعزعت اركان الدين الاسلامي، ذلك لانها كتبت رسالة الى المفوض السامي ، وهي كلمة حق اقتضتها الحال ويجدر بكم ان تجعلوها منهاجا ، وان لا تقيموا القيامة من اجل مثلها ، وترتجفوا ، وترتجوا ارتجاجًا . ان حق المرأة المسلمة الذي تحاولون ، بمثل ما تقولون ، ان تحولوا من بعد ظهوره ، دون امتداد نوره ، سيضحي قريبًا باذن الله ، وبمقتضى شرعه الانور ، سراجًا في الامة وهاجا

على رسلكم ايها الساده . انهُ لا خير الا في الصراحة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَن رأَى الحقَ وسَكَتَ عنهُ فهو شيطَانٌ أخرَس » وقال صلى الله عليه وسلم « قُلِ الحقَ وإن كانَ مُرًا » . وقال صلى الله عليه وسلم « إن أَخوَفَ ما أخافُ عليكمُ الشِركُ الأصغر» قالوا ما الشركُ الاصغر يا رسول الله قال: « الرياء »

ليس انا من لقب فرنسا بنصيرة الحق وام الحرية والمدنية والنور . انما لقّبتها الاجيال ، وقد شاهدت منها ما شاهدت من جليل الفعال ، والاثر المشكور ، ولا ينكر الفضيلة على اربابها الاّ اصحاب الغرور

قلتم انكم تستغنون عن اقتطاف الثمرات الطيبة من الانتداب ، ولكن يجب ان نعلم ان الانتداب ، اردنا ام لم نرد ، امر واقع ان امكن انكار وجوبه ، لا يمكن انكار وجوده . ولا يتسنّى رفعهُ الاّ اذا تسنى رفع الاسباب التي استوجبتهُ في نظر جمعية الامم والدولة المنتدبة ، او الا اذا اثبتنا باقوالنا واعمالنا ان تلك الاسباب لا حقيقة لها ولا وجود

ان القائلين بوجوب الانتداب علينا يقولون ان المدنية الحاضرة وما تقتضيهِ من تأمين

الامن والحق بين الناس ، انما يرتكزان على اساس الحرية والاخوّة ، والمساواة ؛ وينكرون على قومنا العربي وجود هذه الاساس . فينبغي لنا ان نظهرها باقوالنا واعمالنا ، اظهارًا حقا يمنع الريبة والالتباس

وعلى كل حال ينبغي لنا ان نسلّم بان شجرة الانتداب الباسقة التي غرستها جمعية الامم دانية القطوف لمن يقتطف ، ومن كان في ظلها لا يشاء ان يقتطف من ثمراتها فالمفوض اليه الامر ، المفوض السامي ، يقتطف ويرسل اليه غذاء طيبًا لروحه ؛ حتى اذا بلغت روح القومية اشدها بقواها الثلاث الاخوّة الخالصة ، والمساواة التامة ، والحرية الحقيقية بانواعها ، فكرًا وارادة ، قولاً ، وعملاً ، لسانًا ، وقلماً ، وتمت الثقة بقيام قومنا مقام الانتداب على حفظ الشجرة والعناية بها ، لتعطي دائمًا ثمراتٍ طيبة شرعًا بين ابناء الوطن وبناته جميعًا ، فالدولة المنتدبة وتاريخها شاهد ، ولنا من اقوال رجالها الكرام مساند ، تُسرُّ بما أَنتجَ غرسها ، وانتجت عنايتها من خير ، وتدع الشجرة لاهلها ممتدّةَ الاصول والفروع ، يانعةَ الثمار ، ويكتب لها الدهر علينا من الفضل ، مثل ما كتب لها على غيرنا ممن اولتهم من الامم حريةً واستقلالاً كاملين

يا روح القومية خلقكِ الله انتِ وروحَ الحرية ، وروحَ المساواة ، وروحَ الاخوّة من نفس واحدة . خلقكنّ متحدات ، لا حياة لاحدا كنّ منفصلةً عن الاخريات

يا روحَ الامّ . بثّي هذه الارواحَ الخالصة في الامة . جاهدي في سبيل اصلاحنا وكمالنا ، وعجّلي بيوم استقلالنا

ايها السادة ، بقدر ما نتسارع الى تغذية الروح بكل ثمرة طيبة ، ونتسارع الى ازالة الاسباب ، التي استوجبت في نظر جمعية الامم الانتداب ، تلك الاسباب التي ينبغي لنا ان نفهمها دون ان يساورنا الغرور ، الغرور الذي يحول دون سعينا الى ازالتها ، او الى اثباتنا فعلاً انّ لا حقيقة لها ولا وجود ، بقدر ذلك نتسارع الى نيل حريتنا التامة ، واستقلالنا الكامل . فهل نحن الى ذلك متسارعون ؟ ام نحن بمثل ما قلنا ، وكتبنا ، وعملنا عند ظهور « السفور والحجاب » ، مثبتون وجود تلك الاسباب ، ومثبتون الانتداب ؟ ان ذلك يعقله اولو الالباب

اجل انكم ايها السادة المعارضون ، بمثل ضغطكم الحرية ومخالفتكم مقتضى روح المدنية ، وروح القومية ، تثبتون ما لا تريدون

ان السواد الاعظم من الامة العربية ، ليس دون غيره من الامم الحرة المستقلة رشدًا وهدى . غير ان مثل اعمالكم ، او اعمال امثالكم ، تغشّي ذلك النور ، فترمَى الامة بالقصور .

ان القصور في العدد القليل ، يجرُّ ما يجرُّ على الجمهور

اجل ينبغي لنا حيال الامر الواقع ، وفي الحالة التي نحن فيها ، ان نتخذ الى اثبات الرشد سبيا ، ونعرف فرنسا وجمعية الامم ، أمًّا وابا ، وان نقدِّم لها ما يجب لها على الابناء ، ليقدِّما لنا ما يجب على الامهات والآباء

فلا ننكرنَّ لها ما عشنا من الحب ، والصداقة ، والولاء ، حقوقًا ، ولا نظهرنَّ في حركة من حركاتنا ، ما يسمنا بغير الوفاء ، او ما يسمى عقوقًا . ان حبها ورضاها ، قبل نيلنا الثقة بالرشد ، وبعد نيلنا الاستقلال ، لكنز ثمين نستمدُّ منهُ خيرًا جزيلاً في كل حال

واني معتقدة اعتقادًا ثابتًا لا اظن ان السواد الاعظم في الامة لا يوافقني عليهِ ، ان ام الحرية والمدنية والنور ، تستمالُ الى ما ننشد لامّتنا من الامور ، بالوفاء والولاء والعواطف ، لا بالجفاء والعواصف . سلكنا الطريق الثاني مرارًا ، فلنسلك الاول نحقق الامر اختيارًا

قال بعض الحكماء لا تكن رطبًا فتعصَر ، ولا يابسًا فتكسر

اما الوطنية ، وقد حسبتم رسالتي الى المفوضية العليا ، من مضعفات الثقة بما في نفسي منها ، فليست الوطنية الحقة ذات الثمار الطيبة ، تلك التي يظهرها بعض الناس ، كل يوم في لباس. ليست الوطنية الحقة ، ما تظهر ، كما تظهر قوس قزح ، او السهام النارية المركبة ، بالوان تتراءى جميلة للناظرين ، وتتلاشى بعد حين . انما الوطنية الحقة ما كانت مستندةً الى العقل والمنطق ، وبعد النظر ، ثابتةً على اركانها ، من مثل خير وحق ، كالجبل العالي المكين

ان العاقل المخلص لامتهِ يعمل بما يوحي اليهِ خلوصهُ مستندًا الى العقل السليم ، ولا يعمل بما يوحي اليهِ الغرور ، او حب الفخفخة والظهور . فكثر ما جرَّ ذلك على الشرق الويل والثبور

ثقوا ايها السادة المعارضون ، انكم لستم اشد غيرة وحرصًا على حرية الامة العربية واستقلالها ، من فتاتها الذائبة في استعجال نيلهما ، بما تبثُّ من الروح في اقوالها

فلننبذ الهوى ولنتبع الصواب ، ولنرفع الحجاب ، عن الوجوه والالباب ، ولنبنِ على آساس الحرية والاخوة والمساواة ، اقوالنا واعمالنا ، ولنحرِّر الامَّ ، تحرِّر الامة ، ويتم لها الاستقلال ورفع الانتداب

قلت هذا فقالوا : وكأنّهم لم يسمعوا شيئًا ، ولم يعوا ما قلت ، : « لا نريد ، لا نريد . لا نريد السفور ، لا نريد السفور »

قلت لكم في ذلك رأيكم ، ولمن يريدونه رأيهم ، وليس من مجبرٍ لكم او لهم . ان لكل عيلةٍ منا رئيسًا او قيمًا له الحق الصريح في سفور نسائهِ او في منعهِ ، فمن اراد السفور اتّبعهُ ، ومن اراد الحجاب اتبعهُ

اجل ان دين الاسلام بُنيَ على الحريّة في الفكر والارادة والقول والعمل ، لا مسيطر على المسلم في امر دينهِ الا عقلهُ وارادتهُ ، ولا حجة بينهُ وبين احد ، انما الحجةُ بينهُ وبين الله

فالمسلم الحقّ ، المدركة روحه ما في الاسلام من سموّ ، هو من يطلق فكره ويحرّره من التقاليد الجمدة ، والعادات المستعبدة ، حتى لا يرى صعوبةً ما في قبول رأيٍ من الآراء ، او مذهب من المذاهب يخالف رأيهُ او مذهبه ، اذا انكشف لهُ من الحقائق ما يؤيدهُ

فعلت الاصوات : « لا نريد ، لا نريد ، ان السفور والحجاب من الامور الاجتماعية التي يجب ان يستقل في مجال الجدال فيها المسلمون . ومع هذا فقد اشترك النصارى في معالجة ذلك ، آخذين باقوالك . فلا نقبل شيئًا من تلك الاقوال ، وقد اشترك النصارى في المعالجة والجدال »

ومنهم من حملت جريدة « هبّت » صوتًا له يقول : « لقد دخلت المسئلة في طور العناد . فلن تفلحَ نظيره زين الدين ، بما تأتيهِ من برهانٍ او دليل ، حتى ولو زعمت ان كتابها كتب باصبع جبرائيل »

ومنهم من صرخوا قريبًا من الشيخ ، فحملت اصواتهم نشراتٌ وزع كثيرٌ منها في الجوامع والشوارع ، مؤرّخة في ٢٥ ذي القعدة و ٢٥ ايار فيها ما فيها : « مهلاً ايها النصارى ، خففوا من غلوائكم . . . . وحق الرب المعبود ، رازق الدود ، في الحجر الجلمود ، سترون الدماء تفور ، والاجسام تفور ، عندما نحقق فكرة السفوريين الخونة ؛ لقد علمنا انكم اعداء الفضيلة ، وانصار الرذيلة . انكم لا تريدون ان تخرج النساء لتساعد رجالها ، بل تودون ان تخرج ، لتنقضوا عليها كالكلاب الكلبة التي تنهش الاجساد ! »

ومنهم من جالوا في الاسواق مهدّدين بايعي كتابي بما يخدش الافكار ، آمرين ان يحجبوه

في اشتراك اخواننا بالوطنية ، في معالجة مثل السفور والحجاب من العادات والامور الاجتماعية ، وفي بلاد السفور واهله . ومشاهد من ضغط الحرية

عن الابصار ، لئلا ترى النساء ما فيه من انوار

ومنهم من دخلوا ادارات الصحف وهددوها ، وعن حرية القلم صدوها ، لان حقوق المرأة المسلوبة ، اذا بدت على بساط البحث ، لا يستطيعون طبعاً وشرعاً الآن بردوها

وقد رأيت منهم من دخل بعض المقامات العالية في لبنان ، راجياً منها ان تحذوَ حذو حكومة دمشق في ضغط حرية الحياة ، والقلم واللسان. وسمعتُ بعدئذٍ صوتاً شبيهاً بصوت ابي ، يقول لي : « كسّري الاقلام يا ابنتي ، وفي الدفاع عن حقوق المرأة لا تكتبي » ولكن قد ايقظني عجبي ، فعلمتُ ان الامر في مثل لبنان ، بتكسير الاقلام ، من اضغاث الاحلام ، وما كان هذا الا رؤيا في منام

ومنهم من انشدوا في تلك الصفوف ، قصيدة القاضي المعروف بشاعر العلماء ، وقد اشار اليها السيد عمر نجا في مقالهِ المنشور في العهد الجديد عدد ٤٦٦ ، مستشهداً منها ببضعة ابيات ، وهي القصيدة التي نشرتها جريدة البلاغ ونثرتُ عقدها في كتابي ص ٢٧٦ منها :

« السفور داء وخيم ! لا يدعو اليهِ الا السفيهُ الرجيم ! ومن يريد الخنا و يروم !

« السفوريون يريدون ان يكونوا كلاباً ! وتكون نساؤهم كـ أزرٍ ممتدم استعمالهُ مشاع بين الرجال !

« الاقوام التي قبلت السفور ضاعت انسابها ! وتعدى اللئيم على اعراضها ! وخربت بلادها ! وعم الجهل فيها ! وسفُلت ! واستولى عليها الذلُ والصغار ! وأتى اليها القحط ! وقلّت فيها بركات السماء ! وحلّ الغلاء ! وقلّ الحياء ! وعدم الوفاء ! وتوالى عليها البلاء ! وسرَت فيها السموم ! وماتت المروءة حتى لم يبقَ في اهلها من المروءة ميم !

« الحجاب هو الذي يُعرّف الغلام اباه ! »

ومنهم من ألقى ، بعد اداء فريضة الجمعة ، في الجامع العمري الكبير ، ارجوزةً سمعت فيما سمعت منها :

قالوا أفدنا حكمة النقابِ   قلتُ لهم معرفة الأنسابِ
قالوا وما قولك في السفورِ   قلتُ هو الفحشُ مع الفجورِ

...

في اشتراك اخواننا بالوطنية ، في معالجة مثل السفور والحجاب من العادات والامور الاجتماعية ، وفي بلادالسفور واهله . ومشاهد من ضغط الحريّة

فهي اذا حجبنها حصان وهي اذا سيّبنها الشيطان
فدارِها من فاجراتِ الجيره اياك ان تصغي الى نظيره

∴

ومنهم من قاموا بعد ينشدون على « القرادي » سمعت فيما سمعت من ذلك وقد نقلته جريدة هبت

باسم الله دخلنا ها الباب باب السفور والحجاب
مش عاوزين اجر وثواب لكن غيره دينيه

∴

لكن غيره على الدين الحجاب كنز ثمين
بامر رب العالمين نحافظ عالذريه

∴

نحافظ على البنين الولد يعرف بيّو مين
يا نظيره زين الدين شو ها الثوره الفكريّه

∴

وصرخ الشيخ الغلاييني في كتابهِ نظرات يخاطبني قائلاً : «لا يريد المسلمون ان يصيبهم ما اصاب غيرَهم من ابناء الوطن ، وهم له كارهون . فان نتساهل كما تساهلوا ، وقعنا في شرِّ ما وقعوا فيهِ ، وتدهورنا في واد من الشر اعمق من واديهم»

وعاد الى كتابهِ الاسلام روح المدنية وقرأ منهُ : « ثبتَ بالاحصاء ان النساء الخائنات لازواجهنّ ٧ في المائة في المانيا ، و ٦ في بلجيكا ، و ٥ في انكلترا ، و ٤ في النمسا ، وعشر الواحدة في البلاد الاسلامية . ومن قابل بين اخلاق وآداب المسلمين القاطنين في البلاد الاسلامية ، قبل ان أذنوا لنسائهم برفع الحجاب ، (وبين) تهتكهم وآدابهم اليوم يتضح له صحة

ما قلناه من ان الحجاب هو هو اعظم كفيل لضمانة [1] المرأة »

ثم علا بين الاصوات صوت ما عرفت مصدره ، ولكني قرأت صورته على ابواب بعض المستنيرين ، قبل ان نزعته الضابطة هكذا : « انذار : انك يا صاحبَ هذا البيت ، اردتَ ان تفتح ثغرةً في الاسلام برفع الحجاب عن النساء والستار ، فسجلتَ لنفسك العار . الامر الذي لا نرضاه ، ولو سالت الدماء ، وعظم البلاء . لذلك ننذرك الآن باسم الامة الاسلامية ، اصحاب النخوة العربية ، فان اقلعتَ وتُبتَ ، والا فلا تلومنّ الاّ نفسك »

وعقبهُ صوت آخر بالبريد وتراءى لي انهُ مرسل من صفرٍ وراء صف الغلاييني جاء فيهِ هذا السباب الذي لم تسمع اذني قبلهُ من نوعه : « انا شكلنا جمعية فدائية اسلامية ، مستعدة للثورة الدينية ، » وذكر المنذرون عدة اشخاص قضوا عليهم بالموت اذا تابعوا طلب الحرية في السفور

قالوا ذلك كلهُ وكان على مقربة مني بين من كان ، سيدتان مسلمتان متألمتان جدًّا من عذاب الحجاب . وسيدة مسيحية لها منزلة اجتماعية ، شديدةُ الغيرةِ على الوحدة القومية ، وعاملةٌ لتوثيق عرى الوطنية . فاخذت الاولى تردد هذه الفقرة وقد حفظتْها فيما حَفِظت من كتابي : « سيطروا وضيّقوا ، يا سادتي ، سيطروا وضيقوا ، ما شئتم على النساء ، وعلى الحرية ، وعلى العقل ، وعلى الحق ، وعلى الافكار ، فقوّة الدفع تزداد بقدر التضييق »

« اشتدّي أزمةُ تنفرجي فالشدّة اولى بالفرج »

---

(1) ماذا يعني الشيخ استاذ اللغة بقوله (ان الحجاب هو اعظم كفيل لضمانة المرأة) ؟ فالضمانة في اللغة ، الزمانة ، وهي العاهة ، وعدم بعض الاعضاء ، وتعطيل القوى والشلل

أيعني الشيخ الاستاذ ان حجاب المرأة كفيل لاجلائها بذلك كله من تعطيل قوى ، وشلل ، وفقد اعضاء ، ويدري من حيث يدري او لا يدري الى ما يدعو ، ام انه تاه في مجاهل اللغة ، فحسب الضمانة كالضمان ، واصاب قوله مع ضعف اللغة ، ما اصابه من ضعف البيان ؟؟

فقلت لها بحيانك دعينا الآن من تكرار هذه الفقرة ، وانشاد هذا البيت ، فقد احتدم الامرُ واشتدّ ، وتجاوزَت الازمة الحد

اما الثانية فاقتربت مني وقالت لي متأوّهةً : انك اردت لنا الشفاء ، فكشفت الادواء ، ووصفتِ الدواء ، وباشرت عمل الجرّاح والجابر . ولكن الرجال . قد ضيقوا علينا القيود والاغلال ، فلم نكسب الامرارةَ ، وزيادة في العذاب والالم

فقلت لها : أوَ كنت تأملين الشفاء، دون ألم من عمل جراحيٍ وجبارٍ، او دون مرارة من دواء ؟ انما علينا العمل واحتمال مقاومة من يقاومنا من الرجال ، والصبر على المرارة والألم ، والله هو الكريم الحكيم الشافي من كل داء

وقالت لها احدى رفيقاتي مستشهدة بقول الشاعر المعروف ببدوي الجبل :

لا أخالُ الارواح تكسر قيدَ الاسـ — ـر إن لم يعذّبوا الاجساما

وقالت لها رفيقة اخرى :

تريدين ادراك المعالي رخيصةً ولا بدّ دون الشهدِ من ابر النحلِ

اما تلك الاخت المسيحية ، فتبسمت تبسم الاسف ، وقالت : ان انشاد المعارضين على القرادي ، وقد قابلوا الخيرَ بالشر ، والحلوَ بالمر ، واسندوا الى اهل السفور ، الذين يرجون لهم ، مثل ما تستمتع به انفسهم ، من خيرٍ ونور ، ما قد اسندوا من معايب الامور ، ان ذلك ذكرني بقولٍ ، على القراديّ ايضاً ، ولكنهُ بليغ . كانت جارتنا حنة ، الله يرحمها ، تقوله لاخيها عساف ، انه كان قاسياً عليها قسوةَ المعارضين على اختهم وابنتهم الفتاة المسلمة ، في نهضتها الفكرية ، او في مقاصدها الخيرية ، وعلى نصرائها في ذلك من اهل السفور اخوانها اخواتهم واخواتها اخواتهم في الانسانية والوطنية :

ميشْ حق الله يا عساف بصلي لك بتفردف لي
بسقيك من شهد العسل بتسقيني زوم الدفلي

فقلت لها : رحم الله حنة ، إنّ قولها البليغَ الجميل ، يمثّل الحال احسن تمثيل . على أنّي أكاد ارى الله ، وهو منبع الخير ، ومصدر الحياة ، آخذاً بيد المسلمات يخرجهنّ من الظلمات الى النور ، ليقوينَ على مثل هذا الحال ، او الداء العضال ، المتملك في قلوب بعض الرجال

نظراتٌ للفتاة، عكس نظرات المعارضين الرماة، في اشتراك اخواننا بالوطنية ٦٥
في معالجة مثل السفور والحجاب من الامور الاجتماعية، وفي بلاد السنور واهله .
ومشاهد من ضغط الحرية . — وفيهِ حديث منظوم بين سافرة ومحجبة

وقالت لها احدى رفيقاتي المدلمات المستنيرات ، لاتنظري يا اختنا الى اقوال هؤلاء المعارضين ، الذين يغمطون الناس ، ويخالفون الدين باسم الدين ، فيجعلونهُ وسيلة للتفرقة بين اهل الوطن الواحد ، او بين العالمين . فما النصارى اتباع المسيح عيسى، وما المسلمون اتباع محمد عليهما الصلاة والسلام ، سواءٌ أكانوا من أتباعِ السفور ، او من اتباع الحجاب ، الاَّ اخوان واخوات ، منهيون ومنهيات عن الفحشاء والمنكر والبغي ، ومأمورون ومأمورات بالعدل والاحسان ، والرفق والمعروف ،والحرية والاخاء ، والمروءة والحياء ،والمحبة والسلام، ومكلَّفون ومكلفات تبادل الاحترام ، وكل ما يبعث الهدى ، وينشر النور ، ويضمن الوئام، في الانام.

اجل لاتنظري يا اختنا الى قولِ شاذّ ، لاولئك الشذّاذ ، بل انظري الى ما يقول الاعلام ، او السواد الاعظم من الاسلام ، انظري الى كلام امير الشعراء وما اشرفَ الكلام

وُلدَ الرفقُ يومَ مولدِ عيسى والمروآت والهدى والحياء
وسرَتْ آية المسيح كما يسـ ري من الفجرِ في الوجود الضياء
تملأُ الارضَ والعوالمَ نورًا فالثرى مائجٌ بهـا وضَّاء
لا وعيدٌ لا صولةٌ لا انتقامٌ لا حسامٌ لا غزوةٌ لا دماء

ولم يقل السيدات ما قلنَ ، ولم اقل ما قلتُ لهن من الكلام ، الاَّ سمعتُ نغماً من ألطف الانغام فالتفتُّ فرأيت على احدى الآكام ، فتاةً سافرةً نيّرةً مثل البدر في الظلام، ورأيتُها تخاطب عن بعد اختًا لها محجبة عن العيون كما يحجب الشمسَ الغمام

قالت بنغمها اللطيف :

يا فتاةَ الشرق قد فاض الضحى وعلت في الافق انوار الهدى
وعلى الآكام زهرٌ باسمٌ سرَق الالوان منها وارتدى
وجلالُ الطودِ في اشراقهِ يرفع النفسَ الى أعلى العلى
فانظري ما اجملَ الكونَ وما أبدعَ الخالقُ حبًّا للانام

اجابتها المحجبة بنغمها الشجي :

حرموني منظر الصبح وما في فضاء الله من لونٍ ونورْ
وعلى عينيَّ لاستبدادهم سدَلوا من ظلمة الجهل الستور
بتُّ لا يؤنسني الاَّ الأسى أُرسلُ الدمعَ على قلبٍ كسير
فاذا ما طلعت شمس الضحى كنتُ من قلبي وعقلي في ظلام

قالت السافرة :

نهض الناس الى العلم فكم حولَ حوض العلم من مزدحمٍ
ومَضَوا في سعيهم نحو العلى كسهام في استباق الأُمم
ترفع المرأة في نهضتهم شَرَف الاخلاق مثل العلم
فانهضي يا بهجةَ الشرق الى عرشِكِ السامي فقد طال المنام

قالت المحجبة :

لا نهوض للتي قد رزحت في قيود الجهل والظلم الغشوم
حرَّموا النور فنهنا مثلما تاه من يُحرم انوارَ النجوم
نحن لا فائدةٌ منا ولا أملٌ يرجَى ولا حبٌّ يدوم
مهملاتٌ في زوايا بيتنا كأوانٍ للملاهي والمدام

قالت السافرة :

بهجةُ الدنيا فتاة سَفرَت وزهت بالدين والعلم الصحيح
يتحاشى القومُ في حضرتها كلَّ فعل ساء او لفظ قبيح
اطلَّت في الغرب من آدابهِ فهي في التهذيب للاقوام روح
هي نور القلب مصباح الهدى هي معوانٌ بحرب وسلام

قالت المحجبة :

نحن للشرق جناح اهلهُ كسروهُ فلذا الشرق التوى
ومشى منكسرًا بين الورى حينما الغربُ الى الاوج سما
جعلونا مثقلاتٍ ظهره كلما قام عن الارض هوَى

في معالجة مثل السفور والحجاب من الامور الاجتماعية ، وفي بلاد السفور واعنه .
ومشاهد من ضغط الحرية . — وفيه خطابي الى المعارضين
لاتباع الصواب وطريق الخير والحق المبين

وعجيب أمر من لا يرعوي   وعلى بؤس وخسران اقام

قالت السافرة :

جدّدي الآمال فاليأس انقضى   ان نورًا في دجى الليل اضاء
أشعلته بنتُ زين الدين في   امّةٍ قد بخست حق النساء
هاكها سافرةً ناشرةً   سورة النور وآيات الرجاء
وحجاب الجهل قد مزقته   سفرُها الغالي واخلاقٌ كرام

قالت المحجبة تناجي ربها :

يا اله الناس ألهم قومنا   طرقَ الخير واسباب الحياة
واكشف الظلمةَ وارحم امّةً   بضياء في طريق الامهات
واهدِ للحق رجالاً ظلموا   بل رموا امنهم في الظلمات
وسهام الشرّ تترى منهمُ   فاهدم يا ربنا كسر السهام

سمعت هذه الانغام اللطيفة الشجية ، ولكن المعارضين في ضجيجهم لم يسمعوها ، ودامت السهام تترى

ثم رفعت صوتي عاليًا وقلت لهم :

واحسرتاه ! أَوَيجوز ان نترك الحقيقة المستقاة من كتاب الله عنادًا ، ويُحرَم المسلمون هدًى بريك الله لهم ونورًا ورشادا ؟

واحسرتاه ! اوَ لسنا في الوطن الواحد اخوةً واخوات مصالحهم في الدنيا مشتركة، يقوَى الواحد بقوة الآخر ، ويضعف بضعفه

اوَ ليس للاخ ان يهتمّ لمصلحة اخيه ، فيبحث عن خيرٍ له يراه ؟

أَوَ لم يُعلن المسلمون ان الحجاب ليس الا عادة اجتماعية ظن الناس انها من الدين وهي ليست من الدين ؟

وهل يجوز ان يمنع احد من الامة العربية ، من البحث في عادة اجتماعية ، كانت عامة

لجميع افراد الامة ، ثم تركها فريق منها مسلمون وغير مسلمين ، وبقي مستمسكًا بها فريق آخر مسلمون ايضًا وغير مسلمين

أوَ ليس ذلك منافيًا لما نعلنهُ من الوحدة القومية العربية ، والاخوّة في الوطنية ؟

أوَ لا يؤخّر ذلك خطواتنا نحو ما ننشده من الاستقلال الناجز الكامل ؟

ألا يدرك اولئك الذين يدعون النخوة العربية ، انهم بمثل ما يعملون من منع الناس عن العمل بمقتضى الاخوّة ، ومن مقاومة الحرية الشخصية والفكرية والقلمية ، يخلقون ما تتخذه الامم دليلاً على اننا لم نبلغ الرشد وعلى وجوب الانتداب علينا ؟

وكيف ننشد الاستقلال والحرية وبعضنا يحرم بعضًا اياها ، ويأنف بعضنا من ان يأتيهُ نفع عن طريق البعض الآخر ؟

واذا اعتقد المسيحي المشترك في الوطنية معنا ، ولا يمكنهُ الانفراد عنا ، ان تحرير المرأة حجر الزاوية لرقي الامة العربية وبلوغها ذروة الحرية ، اوَ ليس لهُ ان يطلق فكره وقلمهُ ، في سبيل اقناع الامة لتحرير المرأة توسلاً لنيل ما ينشد من استقلال وطنهِ ووحدة قومهِ ، وقد قال صلى الله عليهِ وسلم « حبُّ الوطنِ من الايمان » ؟

أوَلنا ان نمنع قلمه عن الجري في طريق يعتقد انهُ يفضي الى الحرية والوحدة والاستقلال ؟

أوَلنا ان نهدّده ، ونقيّده ، بمثل ما يريد السادة المعارضون ان يقيّدوه من اغلال ؟

أوَلنا ان نمنعهُ عن البحث في عادة الحجاب ، وكثير من نسائهِ في كثير من الانحاء العربية ما زلنَ يرسفنَ في اغلال تلك العادة ؟

قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم « من رأى الحقّ وسكتَ عنهُ فهو شيطانٌ أخرس »

أوَلنا ان نسكت المسيحيّ عن الحق ، ونجعلهُ بالرغم منهُ شيطانًا أخرس ؟

وقال صلى الله عليهِ وسلم « يا عليُّ ، ذهبَتِ الجاهليّةُ بعصبيّتها ، فلا عَصَبيّةَ في الاسلام » .
وقال علي عليهِ السلام « إذَا كانَ لا بدّ لكُمْ من العصبيّةِ فتعصّبوا لمكارمِ الأخلاَق » . فهل يُحسب ما قلتم يا سادتي عن اخوانكم واخواتكم في الوطنية ، او في الانسانية ، من الاخلاق التي أمرتم ان تتعصّبوا لها ، أم انهُ من العصبية التي ذهبت بها الجاهلية ؟

يقول بعض كتاب الغرب ان في هذه البلاد نزاعًا بين الحضارة النصرانية والحضارة

الاسلامية ، ويبذرون هذه البذور ليحصدوها شقاقًا وخلافًا . فلا تؤيدوا باعمالكم اقوال اولئك الكتاب . وليعلم العالم ، كما قال الاستاذ فوزي بك الغزي في خطبة له في الجامعة الوطنية، رحمة الله ، انه ليس في الشرق العربي سوى نزاع واحد ، هو نزاع بين العبودية والحرية ، نزاع بين الظلمات والنور ، وانه ليس عندنا الا وطنية واحدة ، لا نصرانية ولا اسلامية ، وطنية عربية خالصة بريئة من كل شائبة من شوائب التعصب الذميم

وقال المرحوم المشار اليه كل شيء نصيبة التحول والتبدل الاّ ثلاثة امور : حقيقة تُبحث ، وخيرٌ يُعمَل ، ووطن يُخدَم ، فلا تمنعوا الحقيقة ان تُبحث ، والخير ان يُعمَل ، والوطن ان يُخدم

نعم انكم توفقتم ، يا ايها المعارضون، بتهديدكم، الى منع الصحف البيروتية، من البحث في قضية المرأة الاجتماعية ، مع ما في ذلك من عمل الخير والخدمة الوطنية . ولكن ذلك ليس من مصلحة العرب ولا من مصلحة الاسلام

اناشدكم الله ايها السادة لا تخفوا الادواء ، اذا اردتم للامة العربية الشفاء، ولا تنكروا المظالم اذا نشدتم العدل ، ولا تمنعوا العلماء والاطباء الاجتماعيين ان يعالجوا ما فيه خير للمجتمع . فليس علم الاجتماع وطبّه مختصين بالمسلمين . والا فنحن في وطن مجتمعة مشتّت ليسَ له من علوّ المقام ما يجب ان يكون له بين العالمين

فعلامَ يظهر غير المسلم ابعد منكم يا ايها المعارضون نظرًا ، واشدّ ازرًا ، في نفع القومية ، وتعزيز الوطنية ؟

قال المرحوم جمال الدين الافغاني : « كأنّ غير المسلمين يعملون بما جاء في القرآن ، وكأن المسلمين لا يعملون » . وانا بعد قوله اقول : « ليعتبر المسلمون »

أوَليس من الظلم والاعتساف ، وقلة الانصاف ، ايها السادة المعارضون ، ان تطعنوا بنشراتكم ، وجرائدكم ، وقصائدكم ، في اخوتنا واخواتنا أتباع السفور ، تلك الطعنات الشنعاء ، منكرين عليهم حتى العرض والمروءة والاباء والحياء ، وصحة الانسال ومعرفة الآباء ، وان تمنعوا في الوقت نفسه اقلامهم عن الجري في مضمار الدفاع عن مبدإهم ، مبدإ السفور القويم،

 نظرات للفتاة ، عكس نظرات المعارضين الرماة ، في اشتراك اخواننا
بالوطنية ، في معالجة مثل السفور والحجاب من الامور الاجتماعية ، وفي بلاد
السفور واهله . ومشاهد من ضغط الحرية . — وفيه كلمة للاستاذ
فارس بك الخوري في الشرائع السماوية ، وحيلولتها دون سير المدنية .
وكلمتي في كلمته ، وفي امور الدنيا وامور الدين

دفاعًا ادبيًا نزيهًا يبرّئون به انفسهم لديكم ما اسندتم اليهم جهلاً او عدوانًا ، وبه يتوصلون الى ما يكسبهم من احترامكم نصيبًا ومن قلوبكم مكانا ، والى ما يكسب القوم العربي ، بما يتمّ فيه من الحرية الحقة العامّة ، والمساواة الفعلية التامّة ، ومن خالص الاخوّة ومتبادل الاحترام ، مجدًا خليقًا به ووحدةً ليس لها انفصام ؟

قال السيد المسيح عليه الصلاة والسلام : (كل ما تريدون ان يفعل الناس بكم ، افعلوه انتم بهم . وكل ما لاتريدون ان يفعل الناس بكم لا تفعلوه بهم) . تلك هي القاعدة الذهبية التي تبنى عليها مبادىء الاديان المنزلة والاخلاق . أوَ تريدون ان يسند اهل السفور اليكم ، ما اسندتم اليهم او بعض ذلك ؟

اوَ تريدون ان تستبدّوا بعقول الناس واخلاقهم كما استبددتم بنسائكم ، وتحجبوا وجوه الخير من حرية العقل والقلم كما حجبتم وجوههنّ ؟

ما هذا الكلام : رازق الدود ! الحجر الجلمود ! الدماء تفور ! الاجسام تغور ! مئزر مستديم ! استعماله مشاع ! كلاب كلبة ! تنهش الاجساد ؟ !

ان على العقلاء منا ان يظهروا للسادة المعارضين ، واجب الاخاء وحق الوطنية ، واسباب الخير لتحرير الام والامة ، ويمثلوا للعيون ، الضرر الذي ينتج مما يقولون ويعملون ، ليجتنبوا ما يجرّ علينا الانتقاد ، من كل واد

ولم اقل ما قلت من الكلام ، وانا من المعارضين بين الضجيج ورشق السهام ، الاّ رأيتُ الاستاذ فارس بك الخوري من الوزراء السابقين ، واعلام الوطنيين ، على منبر جريدة الاصلاح يُلقي خطابًا مهيبًا سمعت منه :

« وانت اذا عرفت ان سبب تقهقر الشرق محصور بالكابوس الديني الذي جعل قواعد الحياة مستمدة من السماء ، ادركتَ الضرر من تعظيم دعاة الدين المسؤولين عن خلق هذه القواعد ، واشرابها نفوس العامة قرونًا طويلة حتى جعلوها عقبة كؤودًا في طريق كل تجدد

الشرائع السماوية ثابتة مستقرة ، والمدنية متحرّكة متحولة . والثابت لا يستطيع ان يرافق الماشي . ولا بد للماشي من ترك الواقف حتى يتمكن من بلوغ محجته . فان لم يفصل المسلمون شريعة محمد وصحبه وأتباعه عن امور دنياهم ، لا يمكن ان يرافقوا مدنية العصر الحاضر ، ويؤيدوا لهم ولشركائهم في اوطانهم حقوق الحياة التي يتطلبها احرار هذا الزمان »

هذا ما قال الاستاذ . ولم يحمله على ذلك الا مثل اقوال معارضيّ ، واعمال امثالهم

فقلت للاستاذ : ليست الشرائع السماوية مانعة ما يتطلب من حقوق الحياة احرار هذا الزمان . انما المانع لذلك سوء تفهمها وتأويلها . فبرّىء الشرائع السماوية مما اسندت ، واسنده الى مخالفيها من بني الانسان . فللدين من شرع الخالق سلطان ، وللدنيا من عقل المخلوق سلطان ، كلاهما بمقتضي تلكم الشرائع متآزران متضامنان في الحق والخير ، ولكنهما مستقلان

ان الشرائع السماوية ، لا تقيدنا تقييدًا ثابتًا الا في علاقاتنا مع خالقنا سبحانه وتعالى ؛ ذلك في اصول الدين والايمان . واما امور دنيانا ، وقواعد حياتنا ، والمعاملات والعلاقات بيننا ، فهي تابعة بمقتضى تلكم الشرائع لحكم العقل ، ومتحولة بمقتضى المصلحة والزمان . ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم « أنتمُ أعلَمُ بامورِ دُنياكم » . ولقوله صلى الله عليه وسلم « يبعثُ اللهُ على رأسِ كلِّ مئةِ عامٍ من يُجدِّدُ لهذهِ الأمّةِ أمرَ دينها » . وما امر الدين الذي يجدد في كل عصر بمقتضى الزمان ، الا المعاملة بين بني الانسان ، لقوله صلى الله عليه وسلم « الدينُ المعاملة » . وبما انه لا نبيّ بعد نبينا عليه الصلاة والسلام ، فهل من مجدد في امر المعاملة الا ذلك النور الروحاني ، العقل الانساني ، المفوض اليه من الله امر اشتراع الاحكام ؟

ان تلكم الاحاديث الشريفة ، من آساس الحكمة التي بنيت عليها القاعدة الجليلة الشرعية : « لا يُنكَر تغيُّرُ الاحكام بتغيُّرِ الازمان » . وان الحديث الشريف « العَقلُ شرعٌ من داخِلٍ ، والشرعُ عقلٌ من خارج » ، والحديث الشريف « كُلُّ ما يراهُ المسلمونَ حَسَنًا ، فهوَ عندَ الله حَسَن » والحديث المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ اللهَ خَلقَ العقلَ وهو اوَّلُ خلقٍ من الرُّوحانيينَ عن يمينِ العرشِ من نُورِه ، وجعل له الخير وزيرا » الى آخر الحديث ، ان تلكم الاحاديث الشريفة تدل ابهرَ دلالة على ان العقل لامور الدنيا شرعٌ يترقّى ، او سلطان له سلطة من الخالق ان يشرع احكام الدنيا ويُعدّلها ويبدّلها تبعًا للزمان ، وله الخير وزير

ولا بدع في ذلك فان عقل الانسان مظهر روحه، وما روحه الا من روح الله، الروح الاعظم. قال الله تعالى في كتابه العزيز. «وإذ قالَ ربُّكَ للملائكة إني خالقٌ بشرًا من طين، فاذا سوّيتُهُ ونفختُ فيهِ من رُوحي فقعُوا له ساجِدين.» وقال تعالى «يا ايها الناس، اتّقُوا ربكُمُ الذي خَلَقكمُ من نفسٍ وَاحِدَة» اي روحٍ واحدة

اذن ليس حكم العقل الا مظهرًا من حكم الخالق. لان العقل من نور الله، جعله الله نور الروح من الانسان، وروح الانسان من روح الخالق. ولولا ذلك لما أمر الخالق الملائكة أن يقعوا للانسان ساجدين؛ ولولا ذلك لما جُعل الاجماع، من اصول الاحكام الاربعة مثل الكتاب والسنة، ولما جعل العقل واحدًا من تلك الاصول

كيف يُحرم العقل الاشتراع تبعًا للمصلحة والزمان، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما حرّمَ اللهُ شيئًا الاّ اباحه للضّرُورة»؟ فاذا كان للعقل ان يبدّل عند الضرورة في المنهيات والمحرمات فيجعلها مباحةً، أما يجوز له عند الضرورة ان يبدّل بالاحرى في المأمورات؟ ومَن ينكر الضرورة في الحياة الحاضرة لتبديل بعض الاحكام والمعاملات الدنيوية، بعد ان رأينا تلك الضرورة قد حملت المسلمين وخلفاءهم على تبديل ما بدّلوا منها؟ انهم فصلوا امور الدين عن امور الدنيا، فشرعوا يبدّلون في قوانينهم الحديثة كل ما ارتأوا تبديله من المعاملات الدنيوية، وقواعد الحياة. ولا غروَ ان يفعلوا ذلك، فعهدنا عمر رضي الله عنه قد بدّل من قبل ما بدّل ابتغاء الخير للاسلام. ولو كان للنساء اشتراك في الاشتراع والتبديل لتناول في كل مكان ما يتعلق بالمرأة المستضعفة، كما تناول ما يتعلق بالرجل، شيئًا غير قليل. واننا لمن اتباع الهوى المخطئين، او من الظلمة المستبدين، اذا حسبنا ما يتعلق بالرجال من امور الدنيا المتحوّلة، وبعض ما يتعلق بالنساء من امور الدين

ان خلفاء الاسلام والدول الاسلامية حرّروا القاعدة الجليلة الفقهية «لا يُنكَر تغيُّر الاحكام بتغير الازمان»، حرّروها من قيدٍ اجتهاديّ يوهن قوّتها، مضيقًا دائرتها، منقصًا فائدتها. ذلك القيد هو جواز حصر التغيير في ما بني على العرف والعادة. فكانوا بتحرير تلك القاعدة آخذين بالحكمة المكنونة في آيات الله، مأوّلين اياها خير تأويل تبعًا للقصد الالهيّ في التنزيل. وليس القصد الالهي في احكام المعاملات الدنيوية، الا الخير لعباد الله في الدنيا. وطرائق الخير في الدنيا المتقلبة، تختلف بحسب الازمنة المتحوّلة، فلأهل الازمنة ان يذهبوا وفاقًا للحديث الشريف: «أنتم أعلمُ بأمورِ دُنياكم» ما شاؤوا من المذاهب في سبيل خيرهم

ونفعهم ، لا يعوقهم عن السير في ذلك السبيل ، نصٌ كان فيه لغير زمانهم خيرٌ كثير ونفعٌ جليل . وحيث يتم الخير والنفع للناس في الزمان الذي هم فيه ، يتم القصد الالهي . انهُ ينبوع الخير واليسر والرقي للعباد

أوَليس من اجل ذلك كانت آيات الله اثناء تنزيلها تُنسَخ وتعمّ وتخصّص بحسب الزمان ؟ اجل انها كانت تنسخ وتعم وتخصص بحسب الزمان ، ذلك تأميناً لنفع الانسان ، وتعليماً له ان يجدّد قواعد الحياة والمعاملات ، بحكم العقل ذلك النور الروحاني ، او بحكم ما فيهِ من روح الاله الحيّ مصدر النور ومنبع الحياة

اني استدللت فيما استدللت بالناسخ والمنسوخ . اما بعض علماء الاسلام فقالوا : ليس في القرآن ناسخ ومنسوخ انما فيهِ آيات شدةٍ وآيات رخاء ، لنأخذَ بهذه او بتلك بحسب المصلحة والاقتضاء

ان خلفاء الاسلام والدول الاسلامية ، ذهبوا في قواعد الحياة ووضع القوانين الحديثة ، مذهب التجديد باشتراع العقل في امور الدنيا . وخير انٌ نعد ونعتقد ان تجديدهم او تجددهم عن اجتهاد واعتقاد ، من ان نذهب الى ان ذلك نتيجة خرقٍ في الدين او الحاد

انهم بدلوا باشتراع العقل ما ارتأوا تبديله من المعاملات . محافظين على الاحكام المختصة بالعبادات ، لانها علاقة البشر بالخالق ، وحق الخالق . فهذه ثابتةٌ ابداً ، ليس للمخلوق ان يمدّ اليد بتبديل شيء منها ابداً . فكل ما حسّن الله ورسوله منها حسن ابدي ، وما قبّحاه قبيح ابدي . غير ان ما يختص بمعاملات البشر وقواعد حياتهم ، فقد حسّن الله ورسوله التجدد فيهِ ، لان الحسن والقبيح من ذلك لا يمكن ان يكونا ابديين

لو لم يعطِ الله العقلَ سلطةَ الاشتراع في امور الدنيا ، لما قال نبيه سيدنا محمد عليهِ الصلاة والسلام « كلُّ ما يَراه المسلمُونَ حسنًا فهو عِندَ الله حَسَن » ولما قال سيدنا عيسى عليهِ الصلاة والسلام « كلُّ ما تحلونهُ على الارضِ فهو محلولٌ في السماء ، وكلُّ ما تربطونهُ على الارض فهو مربوط في السماء »

اذن ان الشرائع السماوية يا حضرة الاستاذ منبع الخير ، وما كانت عقبةً كؤوداً في طريق كل تجدد ، وما كانت لتمنع العقل ان يشترع قواعد الحياة تبعًا للمصلحة ، وما كانت لتمنعنا ان نرافق مدنية العصر الحاضر ، وان نؤيد حقوق الحياة المشتركة التي يتطلبها الاحرار لاعتزاز الوطن المحبوب ، وبلوغ المحجة من الخير المطلوب . على انهُ اذا جُعلت عقبة كؤودا ، نستوجب

قهقرةً او جمودا ، او اذا جعلت كابوسًا يضغط نفوسًا ، فالتبعة على عقل الانسان ، لانهُ بمقتضى تلكم الشرائع هو المشترع لقواعد الحياة تبعًا للزمان ، وعليهِ ان يستشير الخير ، لانهُ الوزير ، وهو السلطان

* * * * *

نعم ان التبعة على بعض الرجال ، اذ انهم قد اكتفوا بفصلهم عن امور الدين الثابتة ، امور الدنيا المتحولة المتعلقة بهم ، من معاملات وعقوبات وقواعدَ حياة . فبدّلوا في قوانينهم ، ونُظُمِ حياتهم ، ما رأوا مصلحةً لهم في تبديلهِ ، وما زالوا يعدّون بعض ما يُفضّلهم على النساء في قواعد الحياة والاحوال الشخصية ، من امور الدين الثابتة . فكانوا في ذلك الاكتفاء وفي استئثارهم بالنور والهواء ، جائرين على النساء ، ومانعين الارتقاء ، والسير في طريق التجدد والعلاء . ولا تُمحَى تلك التبعة ، حتى يُحيي تبعًا للحكمة المكنونة في شرع الله وتبعًا لشرع العقل ومقتضى الزمان ، كلُّ فرقٍ في امور الدنيا والدين ، بين المسلمات والمسلمين ، كما محيت تبعًا للحكمة المكنونة في ذلكم الشرع الانور كل الفروق في المعاملات والحقوق الاساسية والسياسية بين الاحرار والارقاء ، و بين الاسلام وغيرهم من العالمين

وحينما ارى ما ارى من الاجحاف ، او قلّة الانصاف ، في اجتهاد الرجال واشتراعهم فيما يتعلق بامور النساء ، لا اتمالك من قول صريحٍ مبين ، ان الخير لا يتم للمسلمين ، حتى تحرر المرأة المسلمة ، وتشترك من اكثر الخير فيهن – النساء – في الاجتهاد الشرعيّ ، وفي الحكم الشعبيّ ، واشتراع القوانين

اجل ان حرمان المرأة الاشتراك في الحكم الشعبي ، منافٍ لامره تعالى ان يشترك الرجال والنساء في المبايعة والانتخاب ، كما بيّنت ذلك في « السفور والحجاب » ; ومناف لمقتضى العدل ، وحكم العقل ، ومصلحة الامة ؛ وفيهِ اوضح دليل واجلى برهان على استبداد الرجل استبدادًا أعمى بصيرتهُ عن رؤْية الحكمة ومعرفة الصلاح والخير

قال رسول الله صلى عليهِ وسلم « إمرأة صالحةٌ خير من ألفِ رَجُلٍ غير صالح » فكيف يجوز ان يشترك في الانتخاب للحكم الشعبي الفُ رجلٍ غير صالح ، ولا تشترك فيهِ صالحة ؟

وقال صلى الله عليهِ وسلم « أكثرُ الخيرِ في النساء » . وما قال في المرأة النبي الحكيم سليمان ابن داود عليهِ السلام : « تَفتحُ فمَها بالحكمة ، وفي لسانها سنّنُ المعروف ، تَصنعُ خيرًا

لا شرًّا كلَّ ايامِ حياتها » . فكيف يجوز ان تحرم الامة تلك الحكمة ، وذلك الخير ؟

أَنَّى يجوّز العدل والعقل ومصلحة الامة ، ان يشترك في انتخاب مدبري شؤونها ، ومنظفي بلدياتها ، ومراقبي اداراتها ، الكناسون ، والزبّالون ، والمعزّلون ، والسكيرون ، والحشاشون ، وسوّاس الخيل ، ومن هم على شاكلتهم من الرجال ، اولئك الذين لم يتيسر لهم التكمل العقلي والادبيّ والنفسي ، ولم يألف ذوقهم الانتظام والجمال ؛ وتحرم الاشتراك في ذلك العالماتُ الفاضلات ، والاديباتُ المهذبات ، من السيدات او ملكات البيوت ، اولئك اللواتي تكمّلنَ عقلاً وادبًا ونفسًا ، واصبح الجمال والانتظام جزءًا من ذوقهنّ ، او صورةً من نفسهنّ ؟

أَنَّى يجوّزُ العقل السليم المنزّه ، ان تُحرَم الاشتراك في الانتخاب حائزات الشهادات العلمية والفنية ، ومُديراتُ المدارس ودور التربية ومعاهد العلم والادب ومعلماتُها ، ورئيساتُ المؤسسات الخيرية والجمعيات التهذيبية واعضاؤها ، ويشترك فيهِ اولئك الجهلة من خدامهنّ ، ومن لم تنل انفسهم مكانةً علميةً وادبيةً تمكنهم من الطموح الى الجلوس في حضرتهنّ ؟

ان الحكم الشعبيّ المبني على آساس فاسد لفاسد ، ولهذا نرى النور فيهِ ضئيلاً ، والخير قليلاً . سنى الله اليوم الذي تُحرّر فيهِ المرأة تحريرا ، ونشترك اشتراعًا وتأويلا وتفسيرا ، فيفيض الحكم الشعبي على الشرق والوطن ما يرجو لها الشعبيون الغُيُر والوطنيون الاحرار ، عدلاً وخيرًا ونورا

* * * * *

اجل انهُ كما للمرأة ان تشترك في الحكم الشعبي ، ان لها الحق الصراح ان تشترك في الاجتهاد الشرعيّ تفسيرًا وتأويلا . بل انها أَولى من الرجل بتفسير الآيات القائم فيها واجبها وحقها ، لان صاحب الحق والواجب أهدَى اليهما من غيره سبيلا .

لا يخفى على كل عاقل وعاقلة ان اوامر الله جلت حكمته ، منها ما خُصَّ بالرجال ومنها ما خصَّ بالنساء ، ومنها ما يعم الجنسين . فكما أَنَّ على الرجال ان يتعقّلوا ما خُصَّ بهم ويتفكروا فيهِ ليعملوا بمقتضاه ، كذلك على النساء ان يتعقلن ما خُصَّ بهن ويتفكّرنَ فيهِ ليعملن بمقتضاه . اما الاوامر الالهية التي تعم الجنسين ، فتعقّلها والتفكر فيها للعمل بمقتضاها حقٌ لله واجبٌ على الفريقين

اعني ان كلاً من المسلمين والمسلمات، مكلف ان يعمل عقله فيما امر به، ليقضي امر ربه . لأن الحجة بين الله والانسان ، كما قال صلى الله عليه وسلم ، انما هي العقل ، والعقل هو المخاطَب ، والمعاقب ، والمثاب

فاذا كلف الرجالُ النساءَ ان يعملنَ بتعقلهم لا بتعقلهنَّ في ما أُمِرنَ ، فقد جعلوا انفسهم حجةً او وسطاء بين الله والنساء . واذا انكروا عليهن نعمة العقل ، فهل لهم ان ينكروا من كتاب الله آيات بيّنات ، هنّ فيها مخاطبات ؟

واذا اخطأُوا في التعقل والتفسير واتبعت النساء اقوالهم ، فهل تنجو النساء من التبعات ؟ ان النساء لمأمورات ان يعقلنَ ويتّبعنَ ما انزل الله من تلكم الآيات ، وليس عليهنّ ان يتبعنَ ما جاء به ، من ينكر عليهن العقل ، من التفاسير والتأويلات

واني لاكتفي الآن بما ذكرت مما ارى فيه الخير للمسلمين ، وغيرهم من العالمين ، ويُظهِرُ ما يظهر من الحكم المكنونة في الدين ، على ان اعودَ الى هذا البحث الجليل بعد حين

* * * * *

قلتُ هذا الخطاب للاستاذ فارس بك الخوري ، ورأيت الشبان المسلمين ، والشابّات المسلمات ، من المستنيرين والمستنيرات ، قد اجتمعوا زرافات زرافات ، مستمعين بامعان وتروٍّ عميق الى ما قالت الفتاة . فلما شهد الشيخ الغلاييني ذلك الاجتماع ، وذاك الاستماع ، تحركت عاطفته . وغلبته موحيات عقله ، تلك التي اخفاها في نظراته حرصُ انتقامه ، فوقف على منبر « اتحاد الشبيبة الاسلامية » وقال لهم ما يأتي بحروفه :

« امضوا في سبيل التقدم الاجتماعي بخطوات واسعة ، على شرط ان يكون العقل رائدكم ، والاخلاق الفاضلة منارَكم ، وتقوى الله في السر والعلانية شعاركم . واعلموا ان الاسلام لا يكون عثرة في طريق تقدمكم ونهوضكم . فما كان الدين ، ولا يكون ، ولن يكون عقبة في طريق التمدن الصحيح . لانه لم يكن الاّ لاصلاح الانسان في معاشه ومعاده ، واسعاده في دنياه وآخرته . وان زعم زاعمٌ ان الدين حجرٌ يعثر به من يريد المضي في سبيل التمدن الحديث ، فهو إمّا جاهل لا يدري معنى الدين ، وإما متعصب لغير الحق تعصّباً لا يسير به على هدًى ولا علم ولا كتاب منير . فدين الله حيث تكون المصلحة . وان المصلحة ركن من اركان قبة الاسلام . حتى صرّح العلماء ، عليهم الرحمة ، ان يترك النصُّ الصريح للمصلحة لان الدين انما كان للمصالح

العامة التي يسميها علماء الاصول « المصالح المرسلة». وقد اطالوا في الكلام عليها اطالةً لم تدع حاجةً في نفس طالب الحق .(١) وابذ لوا الجهد في سبيل اصلاح العائلة وذلك لا يكون الا بتعليم المرأة ، ونشر ما يتعلق بها من تعاليم الاسلام الصحيحة . فالحياة المنزلية اليوم سيئة في كثير من المدن والقرى لانها منافية لدين الله »

الى ان قال :

« فالاهتمام باصلاح نظام البيت من آكد الواجبات التي يُفرَض على الشاب المسلم المتعلم المتخلق باخلاق الاسلام القيام بها . وخاصة السعي في تنظيم قانون الاحوال الشخصية يعتمد فيه على الكتاب والسنة وهدي ائمة الاسلام والسلف الصالح ، وتراعى فيه المصالح التي يقتضيها الزمان والمكان ، فلا يجمد فيه على مذهب واحد كما هي الحالة اليوم . »

الى ان قال :

« فانكم ترون باعينكم ، وتسمعون باذانكم ما يجري من الاعمال الشائنة التي يحمرّ لها وجه الدين خجلاً من جرّاء فوضى الزواج والطلاق ، تلك الفوضى التي يستثمرها بعض المتلبّسين بلباس الدين ، والدين منها ومن اهلها الذين جعلوها قطبًا لمعايشهم ومنافعهم ، براء »

قال الشيخ هذا وقبل ان يعود الى صفوف المعارضين أسديته ما استحق بكلمته من شكرٍ له ، وقد حذا حذوَ الفتاة المسلمة في اجتهادها . غير اني لفتُّ نظر الشيخ الى افراطه في ما قال ، حيث حصر الدين بالمصالح العامة . وذكر تصريح العلماء ان النص الصريح يترك للمصلحة . وحيث قال ببيانٍ آخر انه يجب على الاسلام ان يتركوا العقل الصحيح حرًّا غير مقيَّدٍ الا بالمصلحة العامة . لفتُّ نظر الشيخ الى افراطه . ذلك لانه ذَكَرَ ما ذَكَرَ ، ولم يذكر ان ذلك يكون في امور الدنيا والمعاملات ، ولا يكون في العبادات . لانها حق الخالق ، ثابتةٌ ابدا ، ليس للمخلوق وليس للعقل ان يمدَّا اليها يدا

---

(١) لا غرو ان يقول الشيخ ذلك في جمعية الشبيبة الاسلامية ، فقد قال ايضًا في خطاب له " بين التمدن والحديث " في الكلية الاسلامية ما نصه : " جاء في الحديث الشريف ويبعث الله على راس كل مئة عام من يجدّد لهذه الامة امر دينها " ان الحاجة لا تعرف التقييد ولا التقليد . فلندع العقل الصحيح حرًّا غير مقيد الأ بالمصلحة العامة "

في معالجة مثل السفور والحجاب من الامور الاجتماعية، وفي بلاد السفور واهله.
ومشاهد من ضغط الحرية. — وفيه المعارضون لا يزنون الكلام، ولا يتأملون
في من يصيبون من حيث لا يدرون، بما يرشقون من السهام.

قلتُ ما قلتُ للشيخ ثم عدت الى السادة المعارضين وقلت:

ان السوافر اليوم يملأنَ الدنيا. ألا ترون الوفًا من الفتيات والسيدات السافرات اللواتي يشبهنَ البدور يضربنَ مجتمعاتٍ ومنفردات في مشارق الارض ومغاربها ويطفنَ العالم على اتمّ ما يكون من الثقة والطمأنينة، ويمرحن في الطرقات والمتنزهات ساعيات الى علمهنّ او كسب رزقهنّ الحلال او لتنزيه قلوبهنّ؟ فمن من الناس يتعرض لهنّ، او ينهش عرضهنّ؟

وقلت أنّى يقول شاعر العلماء والمشايخ المعارضون ان السفور هو الفحش والفجور، وان حكمة النقاب معرفة الانساب، وانّ الحجاب هو الذي يعرّف الغلام اباه؟

أنَسوا ما في العرب وما في قريش، من شريف الانسال وصحيح الانساب، وامهاتهم وجداتهم ما كنّ في حجاب؟

أنَسوا ان نبينا محمدًا، أشرف الناس امًا وابا، والانبياء العظام، عليهم الصلاة والسلام، والخلفاء الراشدين والصحابة الكرام، اولئك الذين علوا نسبًا، أنسوا انهم كلهم كانوا من ابناء السفور؟

أنَسوا حوّاء ام العالمين، وخديجة ام المؤمنين، ومريم العذراء تلك المطهرة المصطفاة، اي خير الامهات، أنَسوا انهنّ كنّ سافرات؟

وقلت؟ أنّى يقولون ان النساء اللواتي لا يلبسن النقاب هنّ الشياطين؟

ايجهلون الى هذا الحد، الفضيلة في جداتهم وفي نساء العالمين؟

ألا يؤلم العرب والاسلام ان يظهر فيهم من يقول مثل هذا القول الشائن الذي يمجه العقل والسمع، ويستكرهه الطبع، ويننبذه الدين المبين؟

وصرختُ عاليًا: ايها السادة، لا تتركوا الروية وابعدوا النظر وزنوا الكلام، وتأملوا في من تصيبون، من حيث لا تدرون، بما ترشقون، من السهام

وقلت: ليس من الحقيقة والواقع ان غير المسلمين في هذه البلاد قد تدهوروا بنبذ الحجاب من الشرّ في واد، انما الحقيقة والواقع، ان ذلك قد رفعهم من الاودية الى الآكام، وبدّل فيهم النور من الظلام، أوَ هم لذلك كارهون؟!

 نظرات للفتاة، عكس نظرات المعارضين الرماة، في اشتراك اخواننا بالوطنية في معالجة مثل السفور والحجاب من الامور الاجتماعية ، وفي بلاد السفور واهلهِ. ومشاهد من ضغط الحرية . — وفيهِ متابعة خطابي الى السادة المعارضين لاتباع الصواب وطريق الخير والحق المبين

وقلت : أوَ يقبل من لهُ لبٌ ما لفّق الشيخ من الاحصاء ، في خيانة النساء ؟ أوَ النساء الخائنات ، سافرات كنَّ او محجبات ، يجعلنَ خيانتهنَّ ليحصيها مثل الشيخ ؟

ان احصاء الشيخ من الترّهات ، ولا يليقُ بالشيخ مثل هذهِ الاحصاآت

*****

وقلت : ايها السادة ، لو ان اعتقادي في اهل السفور ما اعتقد شاعر العلماء ، لبعدت عن السفور بعد الارض عن السماء . ولكني قلت ما قلت في كتابي ص ٢٧٩ في معارضة القاضي الشاعر ، ما تطمئن اليهِ النفوس وتنعم بهِ الشواعر . قلت :

« لو أجاز مولانا القاضي لنفسهِ ، التعرُّف الى البيوت الشريفة السافرة ، لا الى غيرهـــا من السوافر

« لو رأى مجالس تلك العيلات ، وفيها الانسُ والعلمُ والادبُ والوقار

« لو رأى كيف يكمل هناك الرجالُ ادب النساء ، وكيف تكملُ النساء ادب الرجال

« لو رأى كيف تجري المناظرات هناك على قواعد الادب ، يقودها العلم والعقل ، ولا يُحرّى فيها الا الحقيقة

« لو تأمل فرأى أن النساء المسلمات لسنَ دون غيرهنَّ شرفًا وعفافًا ، وانهُ يمكنهنَّ ، كما امكن غيرهنَّ ، ان يتبادلن هنَّ والرجال احاديث العلم والادب اذا سفرنَ

« لو تأمل في ان طالبي السفور من الرجال ليسوا بانذالٍ يرومون الخنا كما قال ، بل هم اولو الشرف ، اولو الالباب المنهبة قلوبهم حمية لخير امتهم

« لو سافر الى بلدان العالم السافر الراقي ، حيث يختلط الرجال والنساء ، بالمعنى الذي يقصده اهل الادب ، ورأى ما في بيوت النبل هناك من العرض المصون ، والمروءة الخالصة ، والادب الصحيح ، وحفظ الانساب ، وما في تلك البلدان من بركات الله وخيرات البشر

« لو افتكر ان الامم الاسلامية المحجبة ، امست محكومةً ماديًا ومعنويًا ، لذلك العالم السافر

« لو تحرّى الداء الذي اورثنا ما اورث من الضعف والانحطاط والتأخر وافقد المسلمين،

في معالجة مثل السفور والحجاب من الامور الاجتماعية وفي بلاد السفور واهله.
ومشاهد من ضغط الحرية . — وفيه متابعة خطابي الى السادة المعارضين
لاتباع الصواب وطريق الخير والحق المبين

ميزانهم الثمين

« لو تامل اقلّ تأمل ، في قوانين العالم السافر ومؤلفاته الخلقية والادبية ، وهي مظهر من مظاهر رقيهِ في الاخلاق والآداب

« لو كان له كل ما ذكرت ، وهو عالم فاضل احترمهُ واجلهُ ، ولم اجادله الاّ في سبيل الدفاع عن الحق

« لو كان له كل ما ذكرت، لتغير قلبهُ ولسانهُ ، ولغيّر كثيرًا من ابيات قصيدتهِ ، ولربما عاد ينشدنا من الثناء على السفور وعالمه قصائد خالدة »

* * * * *

وقلت : مالكم واضغط الحرية في بيع كتابي وشرائهِ وقراءتهِ ؟

ان لم يكن في كتابي حياة ، فلا تمنعوا ظهوره ، يرَ ميتًا فينتهي امره . واذا كان فيهِ حياة ، ففاعليَّةُ الحياة فيهِ تشقّق كل حجاب يُلقى عليهِ ولو كان صخرًا . فلا تؤخروا استفادة الامة مما فيهِ من حياة . ان الامة تستفيد من الحي المتجدّد ، لا من الميت المتجمّد

ان كتابي في نوعه ، اول كتاب ظهر يوقظ الافكار . فلا تحرموا الامة دعوة الى اليقظة . فقد طال عليها الليل ، فليطلع النهار

تأملوا فيهِ ، وتأملوا في مجموع ما نشر معارضوهُ رفاقكم من كتب ورسائل ونشرات ومقالات ، وقصائد واراجيز وفراديات، واذكروا الله في تأملاتكم كما اذكره في تأملاتي ، انهُ علينا شهيد ؛ تأملوا في اقوال الفريقين واعقلوها ، وردوها الى الكتاب، يظهر في ايها الخير والحياة للامة ، ويظهر على الباطل الحقُّ والصواب . وسترون المقابلة في ما سأعرض لديكم من المباحث والفصول والابواب . واذكروا قوله تعالى « فبشّر عباديَ الذين يستمِعون القولَ ويتّبعونَ أحسنهُ ، اولئك الذينَ هَدَاهُمُ اللهُ ، واولئك همُ اولو الالبابَ »

وقلت : يا سادتي ، يشهد الله انهُ لم يدفعني الى ما كتبتُ لا مسلمون سنيون ، ولا مسلمون شيعيون ، ولا مسلمون درزيون ولا نصارى . بل ليس لي دافع الاّ حبي الخير لامتي ، وبنات جنسي ووطني وقومي وديني . ذلك ما فعلتهُ بحسن نية ، وقد اكون على خطإٍ وقد اكون

على صواب ، ولم اقل قولاً الاّ استخرجه عقلي من كتاب الله وسنة رسوله ، ولم اطلب الاّ السفور الشرعي اي ظهور الوجه والكفين ، واني اشد محاربة منكم لكل ما يدعو الى الفتنة والفساد

وهل قولي بالرجوع الى الكتاب والسنة ، والاعتصام بها ، رامية ً بذلك الى توحيد الفرق الاسلامية ، وتوطيد دعائم الوحدة القومية ، واستئصال الاستقلال الناجز الكامل ، والى تحرير الام لتحرير الامة ،هل قولي بذلك يستوجب ثورة ً دينية ؟ جل الدين عن ان يثير اهل الدين لامور دنيوية . وأحرِ بالاسلام ان تتجلّ فيهم ثورة فكرية ، يجدِّدون فيها ما يجب تجديده من امورهم الاجتماعية

لا مجبر لكم ايها السادة على قبول ما قالت هذه الفتاة في كتابها . فيكفيكم ، اذا لم تستحسنوه ، ان تهملوه ولا تقبلوه . ولكل من الناس رأيه . ذلك هو الموافق لرضى الله ولروح الدين ، والموافق لشرف المسلمين ، في نظر العالم المحدّق اليهم تحديق المراقبين الناقدين

* * * * *

وقلت مستعطفة ، آملة ان يصادف قولي عطفًا وحلماً :

ايها السادة المعارضون .

اجتنبوا صدمة المتجددين في الاسلام الغيُر عليه غيرة رشيدة حقة . ولا تحجروا على العقول والافكار لئلا تتحجّر . ولا تستعبدوها ، فشرُّ الاستعباد استعبادها ، وليس اضرُّ بالاسلام من ذلك . ان ذلك يفضي الى الاستعباد ، واستعمار البلاد

اقدروا الجرأة الادبية ، فهي الجديرة بالقدر ، وشجعوا على الادب فهو الخليق بالتشجيع . اما الجرأة والتشجيع في عكس ذلك ، فما يخالف روح الاسلام ، ولا يوافق مصلحة اهله

قال احدكم الشيخ سليم في كتابه «المدنية والحجاب» : «اسأل الآنسة هل عمرها سمعت عن شعب ضعيف مضعضع الراي مشمول بالانتداب يفكّر بتحرير المرأة قبل ان يحُرِّر عنه الفكر ؟ وقال انك تتوخين فتح السبل لاستقلال النساء قبل ان تحرر افكار الرجال»

اما انا فاقول : ما وضعت كتابي الاّ لتحرير افكار النساء وافكار امثاله من الرجال . وآخر كلمة من كتابي كانت : «يا ويلنا ان لم نضع ورجالنا يدًا واحدة في كسر تلك القيود والاغلال ،

آخذين منها الحريات أخذاً للنساء وللرجال . انها عطية الله تعالى ، وفيها الصلاح والرقيُّ والسعادة . فخسئت عن سلبها العادة . » وجعلت مسك ختامها نفحة من روح الزهاوي الطيبة في بيتهِ العامر :

لا ترتقي أمةٌ حتى يكون لها يومًا على سيِّء العادات عصيانُ

هذه آخر كلمة من كتابي الاول فلا تمنعوا تحرير افكار النساء وافكار الرجال بضغطكم

كيف تريدون الاستفادة من قوَّة الارادة ثم تسعون بالضغط لمحوها من النفوس ؟

كيف تسيطرون على الناس والله سبحانه وتعالى نهى نبية نفسه ، صلى الله عليهِ وسلم ، عن السيطرة بقولهِ تعالى (فذَكّر انما أنتَ مذكّر ، لستَ عليهم بمُسيطر)

كيف تريدون ظهور الحق ولا يلمع برقهُ الا من تصادم الافكار الحرة ؟ ٠

كيف جوَّز بعضكم الردَّ على كتابي قبل ان يقرأوه ، وكيف يحسّنون او يقبّحون ما لم يروه او يعلموه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم « حقٌ اللهِ على العباد أن لاَ يقولوا ما لا يعلمون »

كيف تأملون الصلاح وتعميم التهذيب ومكارم الاخلاق ، اذا نشدتم ذلك بالسباب والشتائم والاختلاقات وانواع المغالطات والافتراآت والتعرض للشخصيات ؟

قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم « أشرَفُ الايمانِ أن يأمَنَك الناس وأشرَفُ الاسلام ان يَسلَمَ الناسُ من لسانِك ويدِكَ » . —وقال صلى الله عليهِ وسلم « راسُ العقلِ بعد الايمان التحبّب الى النّاس » . —وقال صلى الله عليهِ وسلم « المؤمن آلِفٌ مألوف ، ولا خيرَ فيمن لا يألف ولا يؤلَف » . — وقال صلى الله عليهِ وسلم « ليسَ بمؤمنٍ من لم يأمَن جارُه غوائلهُ »

فهل انتم بما قلتم ، وما خطبتم ، وما كتبتم ، متبعون قول رسول الله ؟ لا لعمري ، بل انتم لقول رسول الله مخالفون

لا تضعوا النفوس تحت الكابوس . ان الدين الاسلامي كافل للانسان حريتهُ وراحتهُ وأمنهُ في الحياة فلا تعلموا الاَّ بمقتضاه

قال زعيمكم الشيخ الغلاييني كما قال قبلهُ الشيخ محمد عبده رحمهُ الله « ان دين الاسلام الحقَّ محجوب بالمسلمين » . فارفعوا بحقكم الحجاب عن المرأة ، وعن العقل ذلك النور الالهي ، وعن الدين المبين . ان هنالك جواهر وينابيع خير وحقائق يجب ان لا تخفى

حكموا العقل الحرّ وتأملوا في نتائج ما تقولون وما تعملون ، لئلا يورث حبُكم الذي تدعون ، الدينَ والوطنَ العزيزين، مثلما أورثَ المرأة ، من ضعفٍ وغير ذلك ما يحزن القلوب أن يكون

لا تفتخروا باضطراركم اهل الرأي والادب وهم السواد الاعظم من الامة الى التخفي والانزواء، او الى الظهور في مظهر الرياء . فذلك ليس من المفاخر ، وليس من مصلحة الاسلام ، وانكم لا تجهلون ان الكرام ، لا يخافون ولا يتخفون من الكرام

قال مجلس الوزراء المصري : لن تصل الامور الى قرار ، الاّ اذا خلص الافراد مما يرهقهم من ضروب الاعتداء والتشهير بالباطل ، فأمنوا ان يبدو آراءهم في غير حرج . فيا ايها المعارضون لا تمنعوا امور الاسلام ان تصل في طريق الحرية الفكرية ، والقولية ، والعملية ، دون حرج ، الى قرارها المنشود

أنّى تكفرون بعضكم بعضاً لاختلاف في رأيٍ واجتهاد ، والاجتهاد لا ينقض بمثلهِ ، وقد قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم « من كفّر مؤمنًا فقدكفَر» ؟

ألا تدرون انهُ لو سلك من ابناء الامة مخالفوكم في الرأي طريقكم ، فكفروكم لاختلافهم وإياكم اجتهادًا ، كما تكفّرونهم ، لامسينا جميعًا في نظر العالم المحدِّق الينا كفّارًا ؟

ألا تدرون انهُ لو قابل مخالفوكم رايًا في الامور الوطنية والقومية طعنكم بمثلهِ ، لامسينا جميعًا في نظر العالم خائنين ؟

ألا تدرون انهم لو قابلوا المثالب بالمثالب ، لنزع العالم منا جميعًا صفةَ الصلاح ؟

ألا تدرون ان الاستعاضة عن الجدل الفكري ، بالتعرُّض الفعلي خنقًا للحرية الشخصية ، يتخذها العالم المتمدن حجة لخنق استقلالنا ، وللتضييق علينا بنسبة تضييقنا على الحرية ؟

ألا تدرون ان كل حركة تبدو ولو من فرد واحد منا خنقًا لتلك الروح ، تؤخر استقلال المجموع اعوامًا ؟

ألا تدرون ان امره تعالى ايانا في كتابهِ العزيز ان لا نجادل الا بالتي هي احسن وان لا نلمز انفسنا مبني على حكم رائعة حفظًا لكرامة المسلمين ، وترغيبًا للنفوس في الدين المبين ؟

ألا تدرون ان العقل يزيد نشاطًا اذا جال في جوّ حرٍّ طليق ، وان الحقيقة لا ترى في

ابهى مجاليها ، الاّ اذ ابيح البحث عنها بلا قيد والتفتيش عليها من كل طريق ؟

اذا كانت هذه اصول الجدل التي تتبّعونها ، مع ان اصول الجدل تقتضي نزاهةَ المجادل في قولهِ ، ومقابلة البرهان بمثلهِ ، فواحسرتاه ! انا نخالف بذلك امر الله . وما كان ذلك الاّ عجزاً عن قرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل ، او مخالفةً علنيةً صريحةً لشرعنا الجليل

وهل في شرع الاسلام ، ان يُلاَم ، بافظع الكلام ، او أن يُهدّد بافعال يجلُّ عنها الكرام ، خالص النية ، وحرّ الطوية ، وقاصدُ الخير للعرب والاسلام ، والصلاح التـــام ، للرجال والنساء ، والسلام العام ، لجميع الاقوام ؟

* * * * *

قلتُ ما قلتُ ، ولكن صوتي الضعيف لم يصل الى الآذان ، كي تتناوله القلوب والاذهان . ذلك لان الاصوات التي كانت تعلو من صفوف المعارضين كانت تخنق صوتي . وما كنت اسمع حينئذٍ من تلك الصفوف الاّ اصواتًا شاغبةً تابعةً لصوت الشيخ الغلاييني قائلةً « لا نريد ، لا نريد »

ثم التفتُّ الى اليمين والى الشمال ، فرأيتُ ، وما اكثر من رأيت ، من نساء ورجال ، ينظرون ويتطلّعون الى مكان الضوضاء ، مصغين اليها اي اصغاء ، متعجبين من القوم الصاخبين ، باسم الدين ، على من تنادي بالحق والخير مستمسكةً بحبل الله المتين ، متعجّبين من المقاومة لحرية القلم ، وقد علّم الله بهِ الانسانَ ما لم يعلم . فصرخت :

ايها الاقوام ، لا تسيئوا الظنّ بالاسلام . ان المقاومين للحق المبين ، او حزب الشيخ الغلاييني المعارضين ، ليسوا الا فئة قليلة ، من امةٍ عظيمةٍ جليلة . امةٍ كريمة الاخلاق ، شريفة الاعراق ، حملت لواء المدنية والعلم عصورًا ، وملأت اقطار العالمين فضلاً ونورًا . وما زال فيها لذلك الفضل مواكب ، ولذلك النور كواكب ، امةٍ لا تقرع لها صَفَاة ، ولا تُغمَز لها قناة . امةٍ يمشي بها في كل قطرٍ قادتُها في حفل عظيم كريم ، يحفُّ بهِ حفل عظيم كريم ، الى ما كانت عليهِ من سُؤددٍ عالٍ ومجد باذخ قديم . امةٍ اعلنت نساؤُها الجهاد الاكبر ، بالعلم والادب ، والعفاف والشرف ، ليعقدن لها لواء الظفر الانور . فانظروا الى تلك الكواكب المنيره ، والمواكب الجليلة ، لا الى تلك الفئة القليلة ، وعجّلوا علينا ما تعجّلون

ثم التفت الى ذلك القصر العالي حيث يقيم ذلك العلامة الفاضل الورع ذو المنهاج القويم وقلت :

بارك الله فوك يا سيدي المفتي الورع الجليل وابقاك ذخراً للامة

لا أنسى ابداً الساعات الشريفة التي شرّفت بها بيننا ومع سماحتك حضرة الشيخ ابرهيم المجذوب المحترم لالقاء نظرة على كتابي بُعيدَ تأليفهِ وقُبيل طبعهِ . فقد قرأ لديكما والدي على مسمعٍ مني صفحات منهُ كثيرة . واتذكر منها جيداً ما كتبتهُ تحت عنوان « المعنى السامي الذي افهمهُ من كتاب الله » ص ٣٤٣ وكنتَ تفترُ وتدعو لي وتباركني . وما زالت كلمات رضاك عليَّ ودعائك لي ، ترنُّ في اذني وتكبرُ بها نفسي . وفي ختام القراءة قلتَ لأبي على مسمعٍ مني معيداً دعاءك الذي كررتهُ مراراً اثناء القراءة « الله يحفظها الله يبارك فيها . انا لستُ من رأيها في سفور الوجه ، بل ان رأيي سترهِ ولكن بغير الغطاء الحاضر الشفاف الفتان . غير انها اجتهدت في كتاب الله وسنة رسولهِ ، ولا لوم ولا تثريب على ما ارتأت في نتيجة اجتهادها . ان ابنتي الآنسة بركة الله عليها ، ابنة طيبة النفس كريمة الخلق طاهرة . لقد قرأت في الكتب ما كان عليهِ الاسلام في صدره ، وفي زمن الصحابة الكرام من الصلاح ومكارم الاخلاق ، ولم تعرف بعد فساد الزمان الحاضر ، فكتبت ما كتبتهُ لائقاً بذلك الزمان السعيد الماضي ، مستندةً الى روح الكتاب والسنة »

حينئذٍ قال الشيخ ابرهيم لابي : ألا يمكن اقناع حضرة الآنسة ان تحوّل قوة حجتها وبرهانها ، وسعة علمها واطلاعها ، الى الدفاع عن الحجاب ؟ فقال لهُ سماحة المفتي الجليل : « ياشيخ ابرهيم قالوا لك ان الكتاب طبع منهُ قسم كبير . فكيف تكلف ذلك ؟ نحن يكفينا ان هذه الآنسة الفاضلة ، مستمسكة باهداب الدين اي استمساك ، وقد اجتهدت في كتاب الله وسنة رسولهِ ، راميةً الى توحيد الفرق الاسلامية . وقد سمعنا ما كتبت قولها : انهُ لا يضمن توحيد الفرق الاسلامية الاّ الرجوع الى الكتاب والسنة مرجعيْ فرق الاسلام كلها . ويكفينا انهـا حاربت التبرُّج والتعرّي والخلاعة وارتياد محلات الفساد . اما سفور الوجه فلها رأيها ولنا رأينا فيهِ ، ولكلٍّ رايهُ ومعتقدهُ »

عند ذلك حضر سامي بك جنبلاط ، وسليم بك عبد السلام حمدان ، زائرين ، فقال لهما سماحة المفتي الجليل : يا ولديّ اقرآ ، وقولا لاخوانكما ابناء الطائفة ان يقرأوا كتاب الآنسة . ان ذلك ما يمكّن في دين الاسلام ، ويجعل الحظيرة واحدة لجميع الفرق . فقد قال الله تعالى ،

واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا »

وقد رأى سماحة اطال الله عمره ، واعلى قدره ، ان يزيده برهانًا جديدًا على ما في كتابي في بحث اجتهاد النساء وحريتهن ونص على اني الفقرة الآتية :

« لما خطب عمر بن الخطاب على المنبر يوم الجمعة قائلا : ان مهر فاطمة بنت رسول الله اربعماية درهم . فمن زاد منكم على ذلك المهر اخذت الزيادة منه ووضعتها في بيت مال المسلمين ، قامت امرأة وقالت : من اين لك هذا الحق يا امير المؤمنين ، والله تعالى قال في كتابه « واذا آتيتم احداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا » فقال « يا ايها الناس امرأة اصابت ورجل اخطأ »

تلك فقرة جليلة زينت بها الصفحة الـ ٤٠٧ من كتابي

بارك الله فيك يا سماحة المفتي الجليل وابقاك ذخرًا . انك شرّفت بيتنا بعد ان تشرّف ابي ، بناء على رجائي وطلبي ، بحضرتك في منزلك العامر ، وبحث مع سماحتك في الموضوع ، وكان ذلك البحث في حضرة السيد بن محمد افندي الفاخوري وعز الدين بك العمري وغيرهما ، ثم قرأ عليك صفحات من كتابي وعاد اليّ حاملاً منك الدعاء والبركة . ولما انتهى طبع كتابي وتغليفه ، اهديت يوم ظهوره الى سماحتك نسخة منه مع عريضتي التي نَشَرَتْ صورتها جريدة الاحرار ، وحمل اليّ منك ، مع الدعاء والرضى هدية نفيسة ، هي ارجوزة من نظمك وخطك وتوقيعك مفيدة للعلم . كيف لا وفيها مثل هذه الابيات الابيّات :

معرفةُ الله العظيم الهادي	واجبةٌ شرعًا على العبادِ
وهيَ بان يعتقدَ الانسانُ	بكل ما جاء بهِ القرآنُ
وكل ما قد صحَّ عن خير الورى	سيدنا محمدٍ سامي الذرى
وطلبُ العلمِ ولو بالصينِ	بهِ أُمرنا خدمةَ للدينِ
وكلٌّ من علّمنا حرفًا وجب	له علينا الشكر حفظًا للادب

* * * * *

ثم التفت الى السادة المعارضين وقلت :

يا سادتي المعارضين

هل من اتبعت قول الله تعالى « وشاورهم في الامر » فاستشارت فيمن استشارت من المشايخ والعلماء مثل سماحة المفتي الجليل في امر كتابها ، وقد زان ما نصه لها صفحة منه ، هل يجوز عدها سيئة النية ، ورسولَ اشباه المبشرين ؟ وهل يجوز ان تُحَرَّمَ نتاجَ عقلها ودينها

المبين ، وأن ينسب ذلك اليهم ؟

اجل ان اصدقاء ابي من المشائخ والعلماء السنيين والشيعيين ، والادباء المسلمين والمسيحيين كثيرون ، وان بيتنا كثيرًا ما يكون مجمع الادباء والعلماء من جميع الطوائف من بيروت وغيرها . وقد استعنت في تأليفي بما عند بعضهم من رسائل وكتب مطبوعة ، وكنت أعرض احيانًا للانتقاد ما كنت اكتبهُ . ذلك لاني أنشد الحقيقة ، وأرغب في ان لا يحتوي كتابي الاَّ ما صحَّ وصلح ، فما رأيت الاَّ استحسانًا ، وما سمعت الاَّ شكرانا

أوَ من تعرض كتابها اثناء تأليفهِ وقبل طبعهِ على نقد المشائخ والعلماء والادباء اطمئنانًا الى الحقيقة ، يُنسب اليها سوء قصدٍ ونية ؟ وهل يجوز ان يُعد بيان الاستحسان والشكران من كل مَن قرأ شيئًا من كتابها قبل طبعهِ ، تأليفًا او اشتراكًا في التأليف ؟

أوَ مَن تفعل ذلك يا سادتي ، ساعيةٌ الى الحقيقة وخير الامة هذا المسعى ، أوَ مَن تفعل ذلك سيئة النية ورسول اشباه المبشرين ؟

هل ان المبشّرين يؤّلفون ويذكرون في تآليفهم ما ذكرتُ من الآيات البينات ، والاحاديث الشريفة ، وينطقون بالشهادتين ، ويكرّرون عبارة (صلى الله على النبيّ محمد وسلم) مرارًا في كل صفحة ؟

وهل المبشرون يطبعون على غلاف كتاب ألّفوه صورتي القرآن والسنة يشعّان بالنور شعاعًا ، ويطبعون عليهِ الآية الكريمة « يُريدُون ان يُطفئوا نور الله بافواهِهم ويأبى الله الاَّ ان أن يُتِمَّ نُورَه » ؟

هل المبشّرون يثبتون كما أثبتُّ في كتابي أن القرآن مصباحُ الهدى ، ومنار الحكمة ، ودليلُ المعرفة ، وان التفكر في آياتهِ حياة قلب البصير ، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور ؟

قدّمت هذه الفتاة كتابها الى سماحة المفتي الجليل وختمت عريضة التقدم بالعبارة الآتية :

« وها انا ذا مقدمة نسخةً من كتابي الى حضرتك ، عارضةً اياه لدى حكمتك ، راجيةً من سماحتك النظر اليهِ ، والتأمل فيهِ ، فما كان منهُ موافقًا لكتاب الله وسنة رسولهِ نال منك ارضى ، وما كان غير موافق تشير اليهِ بالرأي السديد الرشيد ، والدليل من الكتاب المجيد ، والحديث الاكيد ، فأبدّلهُ بكتابٍ جديد »

وقد ختمتُ ايضًا عرائضها لكل من اهدت اليهِ كتابها من الشيوخ والعلماء الاعلام ذوي القدر والاحترام بمثل تلك العبارة

فهل من فعلت يا سادتي ذلك ، سالكةً في طلب الحق والخير خير المسالك ، هل يمكن ان تكون سيئةَ النية ، ورسولَ اشباه المبشرين ؟

وهنا لا بد لي ان أُعلن يا سادتي المعارضين اني ولئن رأيتُ فعرضت «السفور والحجاب» لينتقده من قبل طبعه اولو الالباب ، فقد رأيتُ ، بعدما رأيتُ منكم ، ان لا اعرض للانتقاد «الفتاة والشيوخ» الاّ بعد طبعه ، لا ادعاء للعصمة عن زلة في القول ، ولا اعراضاً عن الاستشارة ، بل اتقاء لوقوعكم في زلةٍ وقعتم من قبل فيها . ذلك اذ حملكم عرض «السفور والحجاب» للانتقاد، الى اهمال البحث في مبادئه ومقاصده الجوهرية ، والى الاشتغال فيما هو خارج عن دائرته من الامور العرضية . فلا تحمّلوا انفسكم عبثًا بعد ظهور «الفتاة والشيوخ» عبء البحث عن مؤلّفين من مبشرين وغير مبشرين ، ومعممين وغير معممين ، ومسلمين وغير مسلمين !!

وان ابيتم الاّ ان تخلقوا مؤلّفين فلا بد لي حينئذٍ من اعادة قول الشاعر :

من كان يخلق ما يقو — ل فحيلتي فيه قليله

ولا بد لي ايضًا من القول انه إن يظهر في كتابي هذا خطأ كان لي ، بعرضه للانتقاد ، الى اصلاحه سبيل ، فتبعة ذلك ليست على الفتاة ، انما تلك على الشيوخ المعارضين الرماة ، وقد حملوني بسلوكهم بعيد ظهور «السفور والحجاب» على العدول عن ذلك السبيل

قلت ما قلت في خطابي هذا الحرّ الصريح ، واذا بي ارى من الهدوء ما لم اصادف مثله في ذلك الكفاح ، فايقنتُ قرب جلاء الليل وانجلاء الصباح ، حين لا تتراءى الاشباح . فاني لم اسمع في ذلك الهدوء الاّ صوت الغلاييني اذ قال : لا تذعنوا يا قوم لقول الفتاة ، وانبذوا كتابها «السفور والحجاب» . ان اقوالها فيه شعرية تسحر الالباب ، وتخفي الصواب ، فيكفيكم يا قوم ان تقرأوا نظراتي فيه ، وقد جمعتها في كتاب

فقلتُ له ، يا شيخ ، ليست اقوالي بشعر ، وليس فيها من سحر ، انما هي شعار الصدق والخلوص في الدين والاخلاص للامة ، وفيها نور العقل السليم ونور الكتاب والسنة ،

فيها ألقيتَ من الظلام ، وفائدك الانتقام ، بتلك النظرات ، سيبدِّده باذن الله ذلك النور الذي تحمله الفتاة

يا لتلك المعمعة من عمياء خَطِرة ! لولا من اتكلتُ عليه وسلمت امري اليه ، من بمحو آيةَ الليل ويجعل آية النهار مبصرة ، لنال من سهامها السامة ، ما اصونُ من الكرامة ، شيءٌ كثير

فكثيرَ ما سمعتُ في تلك المعمعة اصواتًا ، أنطق الله بها ، صارخةً من راشقي السهام انفسهم « اياكم نظيره زين الدين ، انها لفتاةٌ اديبةٌ مهذبةٌ ، طيبة النفس ، كريمة الخلق ، بعيدةٌ عن التبرُّج والخلاعة ، خليقةٌ بالصيانة والكرامة . ليست هي من الاعداء ولكن الاعداء خلفها »

وكثيرَ ما سمعت اصواتًا اخرى مما أنطق الله خارجةً من صفوفهم : « يا نظيره زين الدين ، لا نقصدك بسهم ما وجهنا الى من هم من الاعداء خلفك »

قالوا ذلك وكان لله في ما انطقهم حكمة ، وكان لبعضهم في ذلك مآرب اخرى . ولكن ذلك كله لم يمنع بعض السهام منهم ، مقصودة او طائشة ، أن انجهت نحوي ، دون ان يكون لها عمل بي الا أنها مست ثوبي مسًّا . وما اتذكر أو أنسى ، لا أنسى أنه كان لتلك السهام عملٌ بأعزةٍ كرامٍ اعلامٍ جعلوا صدورهم دون فتاتهم ترسًا . ولا أنسى تلك الاصوات التي تعالت حواليَّ في العالم العربي ممن عَلَوا خُلقًا ، وسموا ادبًا ، وكبروا نفسًا . اذكر الآن منها ما اذكر من قصيدة للسيد فوآد جرداق ، شاكرةً له ولكلٍ من امثاله مكارم الاخلاق ، في كلمات طيبات رقاق ، نحوا بها اختًا لم تراها فوق الاستحقاق ; قال فيما قال

أنجبتها ملةٌ مـــا أنجبت	مثلهـــا منذ ابتداء الازليّة
هي روحُ العقل في الشرق كما	انها كنهُ العنايات العليّه
لا تهاب القلمَ الفاسد انْ	حركتهُ بالخنا الايدي الرديّه
لا ولا ترهب اقوامًا اذا	كفّروها فهي من كفرٍ بريّه

فقلت لاولئك الاخوان الادباء : عفوًا يا كرام ، ان الحجاب او ما يجرُّ وراءه من ذيول الظلام ، منعكم ان تشهدوا ما أنزل الله من آيات النجابة والنبوغ في بنات الاسلام ، فاكبرتمُ علاً لمن لا ترى في نفسها الا نورًا ضئيلاً ، وترى في الوفرِ منهنَّ انوارًا يضأل لديها البدر التمام . ثقوا ايها السادة ، انه اذا ما اطلق المسلمون الحرية الفكرية لبناتهم ، كما اطلق حريةَ فكري ابي ، شهدتم من تلك الآيات الوفا والوفا ، وحبذا اليوم الذي اراهنَّ فيه ، وقد لاح فجره ،

يؤلفنَ امامي وانا وراءهنّ صفوفًا صفوفا ، صفوفًا تنهض بالشرق وبالاسلام الى عرش النور ، وما كان النور في حقيقة الاسلام الاّ عرشًا فوق العروش عاليًا شريفًا

ثم وجهتُ وجهي وقلبي ، الى ربّي ، وقلت : احمدكَ يا الهي حمدًا ، واشكرك شكرًا ، اني بكتابك اعتصمت ، وعليك اتكلت ، وجعلتك حسبي ووكيلي ، فجعلتَ عنايتك لي حفيظًا . واحمدكَ يا رسول الله واشكرك ، اني لسنتك السنية اتبعتُ ، وجعلتها دليلي الى الحق والهدى ، فكنت لي عونًا وصونا

وعلى كلّ حال ، إنّ لي اسوةً بالرسول العظيم سيد الانام ، وبالانبياء الكرام ، وبمن اشعلوا فكرة الاصلاح من الرجال العظام ، فانهم لم يسلموا من أن يرشقوا بسهام الانتقاد والاضطهاد ، والتحقير والتكفير والالحاد . ولكن الناس يكفّرون ثم يقدسون

اجل انه ليجزنني ان يكون جلُّ جهادي ، في سبيل الخير لامّتي وبلادي ، ويرشقني بعض اهلي بما رشقوا من سهام . ولكن حينما اتذكر فيما اتذكر ان سيدينا روح الله عيسى وحبيب الله محمدًا عليهما الصلاة والسلام ، قد قاومها بعض اهلها في القدس ومكة ، ثم انتشرت انوار ما بثّا من المبادىء الصالحة في الاصقاع البعيدة ، كمدينتي انطاكية وروميه والمدينة المنورة ، حتى عمّت فيما بعد اهلها ، صلى الله عليهما ، بين من عمّتْ من العالمين ، حينما اتذكر ذلك ، احكم أنّه ليس لمثلي من المستضعفات الاّ ان تشلها سنّةُ كونٍ شملت حتى المسيحَ عيسى ومحمدًا خاتم النبيّين

ان امامنا افوالاً وافوالاً رَمى بها بعض المشايخ ، تعدُّ تعليم البنات في المدارس من خوارق الدين ، ومفسدات الاخلاق . اما اليوم فقد أَلِفنا تعليم البنات ، وعمّ الاعتقاد في المسلمين ان ذلك من موجبات الدين ، ومقوّمات الاخلاق . ولا ريب ان مثل هذا التحول او الانقلاب ، سيتجلّى بعد حين في السفور والحجاب . فانه بقدر ما ينشر العلم على المسلمات انوارا ، تتّخذ المستنيراتُ منهنّ نور السفور شعارا ، ولا يمضي زمن قليل حتى ينتشر العلم انتشارا ، ويتقلّص الحجاب رويدًا رويدًا حتى لا نرى على البصائر والابصار بل نستوحش ان نرى عليها ستارا ، فيتألّق حينئذٍ فجر الحق ويتحقق ان اتباع السفور ليسوا الاّ حملة للواء الخلق الكريم ، والايمان القويم ، لاملحدين ولا كفّارا

*****

حمدت الله وشكرته ، وتذكرت ذلك وقلته ، في ما كان من هدوء . ثم قلتُ وقد مدّ الصباح رواقه ، وشاهدت في النور الغلاييني ورفاقه : ايها السادة المعارضون لكتابي ، أُسديكم شكري على ما ذكرتم أن بي من الصفات اللائقة بالفتاة المسلمة الحرة . وكنت اود لو اخلص الشيخ الغلاييني و بعض رفاقه منكم النية ، وسلكوا طريق النزاهة في الجدل ، ولم يذهبوا الى الاختلاق والافتراء عليّ وعلى كتابي ، فأعمل بقاعدةٍ جوهرية (قل كلمتك وامش) . ولكن بعد ان قالوا ما قالوا ، وكتبوا ما كتبوا ، رأيت انهُ لا بدّ لي من بعض الرد على ذلك . ولا اكتبُ ردّي الاّ تثبيتاً للحكي ، وهو كتابي ثمرة سعيي وجهدي ، ونتاج فكري وعقلي ، ذلك ما حاول الشيخ الغلاييني سلبهُ مني . بل لا أكتبُ ردّي ، الا اكمالاً للمهمة التي ندبتُ اليها نفسي ، فانتدبت بداعي الحمية الاسلامية ، ودافع المحبة الوطنية ، والغيرة القومية العربية ، وحبي لاخواتي بنات ديني وجنسي ، ولا سيما ان هذه الحمحمة التي أُثيرَ نقعها ، كانت سبباً موقتاً حال دون استماع بعض اعمامي واخواني منكم لما عرضته في كتابي على مسامعهم ، ودون تأملهم فيهِ بسكون وحسن قصدٍ ونيّة . اذ انهُ اختلط صوتي الخالص الصادق المستمدّ من الكتاب والسنة ، باصوات رماة اسهام ، واصداء اصواتهم التي حسبوها اصواتاً لأشباحٍ صوّرتها الاوهام . وقد يكون أنهُ حام حول كتابي بعض الظنون التي ينبغي لي أن أُبرّئ قلبي منها لتكون الامة كلها راضية عني . ان قلبي لا يتمُّ سروره ، ما لم يتمّ رضى الامة وسرورها . فليس في ما عرضت في كتابي ، واعرض في كتبي ، يا سادتي ، الاّ ايضاح حرٌ وتشريح وتنوير ، لامور فيها للعرب والاسلام خير كثير ، وخدمة من فتاة مسلمة للدين المنير ، وجميعنا متفقون في اصولها وفي ارادة الخير والصلاح ، واستكمال اسباب الرقي والنجاح . وكيف لا نتفق في فروعها بعد انتهاء الحمحمة التي اقيمت على اشباح ، وبعد ان ساد السكون عند انجلاء الصباح ؟ كيف لا نتفق وامامنا كتاب الله وسنة رسوله ، مصدرا النور والخير والهدى والفلاح ؟ قال الله تعالى : « يا أيُّها الذين آمَنوا أَطيعوا اللّهَ وأَطيعوا الرسولَ وأُولي الامرِ منكم . فان تنازعتمُ في شيء فردُّوهُ الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسنُ تأْويلاً »

اذن رجائي ان تهدّئوا يا سادتي المعارضين الروع بعد ان ساد السكون ، وتقبلوا رجاء سبق في ان تعيروا كتاب ابنتكم واختكم هذه الفتاة جميلاً ، وتحسنوا النية والظن ، فتقرأوه

متأملين فيهِ زمنًا ، كما تشاؤُون ، قصيرًا او طويلاً ، وتردُّوهُ الى الله والرسول ، ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً

* * * * *

ايها السادة

قال احدكم الشيخ المدهون ، ما قال في نظرتهِ السادسة بجريدة النذير عدد ١١٢ قال بعد ان ذكر شيئًا من كتابي : إنَّ من يقرأ هذا الوصف المنطوي على عبارات الدفاع عن حرية المرأة ، وتلك الخواطر والتأمُّلات المطروحة لدى الناس ، عملاً بحرية التفكير ، وتحت راية السيادة العلمية المستقلة ، اجل ان من يقرأ هذا وامثالهُ من بيان خطة آنستنا المبشرة بالسفور ، يُخيَّل لهُ أنَّها سيدةٌ كبيرةٌ في سنّها وفي علمها ، وفي اختباراتها الكثيرة ، وفي تجاربها ، وانها أتمت دراستها في الجامعات الكبرى ، وصارت من الاختصاصيين في علم الاجتماع ، عدا حذقها العلوم الشرعية الاسلامية بحذافيرها . وكيف لا يظن الناس فيها ذلك ، وهم اذ يرونها فقيهةً مجتهدة ، اذا بهم يجدونها محدِّثَةً ومفسِّرَة ، وبينا هم يعرفونها آنسةً من الجنس اللطيف ، اذا بهم يشهدونها فارسةً مجاهدةً تنهض لتدافع عن حقوق المرأة ، وكشف الغم والضيم عنها ، حتى كأنَّما روح القديسة (جان دارك) الشهيرة في بلادها في حرب الانكليز دفاعًا عن وطنها ، قد تقمَّصت فيها ، فحُلّت في بيروت منذ عهدٍ قريبٍ خلقًا سويا ؟

ثم قال : ان مبادىء كتاب « السفور والحجاب » مهما كانت صحيحةً وسديدة ، قد أُلبِست لباس الريب للاعتقاد القائم أنَّ لهُ مؤلفين مستترين ، والاستتار مدعاةٌ للريب . فطلب حضرتهُ مني في مقالهِ عينهِ أن أُثبِتَ أنَّ الكتاب باكورة قلمي وفكري ، بتصنيف كتاب ثانٍ من مثلهِ . فتطمئن القلوب ، وتركن النفوس ، الى حسن القصد وسلامة النية من وضعهِ

قال حضرة الشيخ الفاضل ما قال واعتقد انهُ ما كان الا مكرهًا على الوقوف في صفوف الرماة . وكم فاضل مكرهٍ في تلك الصفوف من الشيوخ والعلماء الثقات ! قال ذلك ، وعليهِ ارجو منكم ومنهُ ان يعدَّ كتابي هذا ثانيًا . واذا اقتضت الحال ثالثًا فليعلم الشيخ اني على رَسْلِهِ ، وليثق بادبي كما انا واثقةٌ بفضلهِ . فلتطمئنَّ القلوب الى ان «السفور والحجاب» ليس الاَّ باكورة قلم ابنتكم واختكم الفتاة المسلمة او ثمرة جهدها ، ولتركن النفوس الى ما ترمي اليهِ الفتاة المسلمة من الخير للاسلام في قصدها

* * * * *

يا سادتي المعارضين

لقد قال زعيمكم الشيخ الغلاييني في احدى مقابلاتو انّ في كتابي الغثّ والسمين . اما فتاتكم هذه فترجو منكم ان تأخذوا سمينهُ وتتركوا ما ترونهُ بعد الدرس غثا . وان لا تضيعوا السمين لما يتراءى لكم من غيره . وقد اكون مخطئة في بعض الامور ، وجلّ من لا يخطىء ، فخذوا الصحيح واتركوا بعد الدرس ما تعدونهُ خطأً

اني لفتُّ والفتُ نظركم الى كتابي، ليتحقق خطإي او صوابي . فان رأيتم باطلاً لي فبالدليل والبرهان أزهقوه . واذا رأيتم حقًا فأحقّوه ، معتنقينَ عنولكم اعناقًا ، مطلقين اقلامكم في مجال الجدال بالتي هي احسن انطلاقًا

وعلى كل حال اني اجتهدتُ بما ارتأى عقلي ، فلا ارى نفسي مستحقةً اهانة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم «ما اكرم النساء الاّ كريم ، وما اهانهن الا لئيم» .— وقال صلى الله عليهِ وسلم « استوصوا بالنساء خيرًا فانهنّ يغلبنَ كريمًا و يغلبهُنّ لئيم » . ——واعيذ امتي من ان يكون فيها الاّ الكريم الحليم

قلتُ ما قلتُ في خطابي هذا الطويل ، فتحولت الوجوه العابسة صباحا ، وآنستُ من النفوس الى ما اقول ارتياحا ، واطّرَحتِ الايدي تلك القسيّ والسهام اطّراحا ، وبدا لي ان كثيرًا من معارضيّ يريدون مني في معرض الردّ تنويرًا للقضية وايضاحا ، فيقبلوا ما كان حقًا ، وخيرًا ، ونورًا ، وهدًى ، وصلاحا

فطابت حينئذٍ نفسي ، واطمأنّ الى الاقناع بحسن الجدل قلبي ، فعزمتُ ان أتابعَ طريقه متّكلةً على الله راجية توفيقه

قلت : ربي ! اجعل من انوارك نورًا في عقلي ونورًا في قلبي ونورًا في نفسي ، ونورًا في فمي ونورًا في قلمي ونورًا في طرسي ، لظهور الحق والحقيقة

والتفتُّ حينئذٍ يمينًا وشمالاً وصرختُ بصوتٍ عالٍ : ايها المستنيرون والمستنيرات، الذين آثروا التكتم والاحجام، على الصراحة والاقدام، قائلينَ لي الى الملتقى، يوم يتيسّر لنا حفظُ كرامتنا،

في استعمال حريتنا ، تعالَوا فقد حان يوم الملتقى ، تعالوا حيّوا الاخوان ، انهم اطرحوا القسيّ والسهام والرمح والسنان ، وسيقابلون البرهان بالبرهان ، ويقبلون وفقًا لارادته تعالى ردّ ما فيه تنازعٌ الى السنة والقرآن . تعالَوا اني ازيل باذن الله الاشواك من طريقنا اليهم . فاجمعوا وإياهم ، خاطبوهم وليخاطبوكم ، فاوضوهم وليفاوضوكم ، جادلوهم بالتي هي احسن وليجادلوكم ، ليتبين الرشد من الغيّ ، وينفسح المجال الحر الواسع لتسلك الامةُ طريقها في النور ، لا يصدّ بعضها بعضًا عن السير فيه ، مزدريةً كل ما يعوق قصدها الى ذروة المجد الأعلى ، وغاية الحياة المثلى . فالويل لامةٍ لا يجروء العاقل فيها ان يصدعَ بالحق الذي يراه بعين عقله

لا تيأسوا فلا معنى للحياة مع اليأس ، ولا معنى لليأس مع الحياة . قد بَدَأَتِ الامة تفكّر ، فلا بد لها من ادراك الحقيقة ونيل امانيها

يا ايها المستنيرون ، يا مصابيحَ الامة وقادتها ، ايُّ خيرٍ للامةِ من ترأسكم وقيادتكم في الظاهر ، اذا كان الزمام لقيادة الامة في يد من يرَون ما لا ترَون ؟ ايُّ فائدة لنا من نور عقولكم اذا غشيهُ الرياء ، وكدّره الجبنُ ، وحجبهُ ضعف الارادة ؟ ايُّ فائدة من عقولكم ان لم تحترموا نفوسكم فتصدعوا بما تأمرها به تلك العقول ؟ وايُّ نفعٍ من تلك العقول ، اذا تدنّأَت تلك النفوس الى الرياء ؟

قال ولي الدين يكن رحمهُ الله :

فما يرفع الاوطانَ ما صاغ شاعرٌ ولا ينفع الاوطانَ ما خطّ كاتبُ
ولكن جهاد الحرّ في الحق واجبٌ فياربِّ ارشدنا لما هو واجبُ

اجل يجب على الانسان ان يجاهدَ بعزيمةٍ لا يشوبها ضعف في سبيل الحق . ولئن يلصقْ بالمجاهد باطلٌ في البداية ، فلا بدّ له من الفوز في النهاية . وان رجوعَ الانسان عن الجهاد في سبيل الحق ليس الاّ جبنًا او احتقارًا لمبدإ الصدق الذي يجب ان يتأصّل في القلوب ، ويحكم الشعوب . ينبغي للانسان حينما يرى الحق والباطل يتنازعان ، ان يحملهُ كبر نفسه على تأييد الحق وازهاق الباطل . بل ينبغي له ان ينقبَ الباطل كما قال الامام عليه السلام ويثابرَ على نقبه ، حتى يخرجَ الحق من جنبه . فانّا او المعارضين ، لعلى هدًى او في ضلال مبين . هدانا الله وهداهم الى ما فيه الخير ويوافق روح الدين . وان لم يتيسّر اقناعهم بالسفور ،

فاقنعوهم بانّ لكم كما لهم حريةً شخصيةً في اختيار ما تعتقدون انه خير الامور . « واللهُ وليُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور »

قلت هذا وكأنَّ هذه الصراحة ، وهذه المبادىء قد راقت اعامي الحجابيين ، فاعتلى احد زعمائهم السيد نجيب بالوظه مِنبَرَ الاقبال ، وقال لي فيما قال :

بريدون السفورَ وقد توارَوا لجبنٍ تحت ذيلك مختفينا
جبانٌ من توارى وهو يدعو الى ما ظنَّهُ الحقَّ المبينا

ولم اقل ما قلت ، ولم اسمع ما سمعت ، الاّ سمعت فيمن سمعت من اعلام الشعر والعلم والادب في الاسلام ، الاستاذ السيد معروف الرصافي شاعر العراق الكبير ، مهيبًا باخواننا الحجابيين من على منبر « العراق » اهابةً لا يوحي مثلها الا الغيرة الاسلامية ، والحمية العربية ، وحرية الضمير

∴

قل للحجابيين كيف ترونكم من بعد سفرٍ للسفور مبينِ ؟
كشفت به ما كانَ من حُجُب العمى عنكمْ نظيرةُ بنتُ زين الدينِ
سفرٌ أقام على السفور أدلةً تركت ذبابكمُ بغير طنينِ
يا لاجئين الى العنادِ خصومةً ما كان حصنُ عنادكم بحصينِ
هدّمت نظيرةُ ما بَنَت عاداتكم من كل سجنٍ للنساء مهينِ
هل من نظيرٍ بينكم لنظيرةٍ او من فقيهٍ مثلها وفطينٍ ؟
أفتمكثون على العناد وقد بدا من بعد ليلِ الشكِّ صبحُ يقينِ ؟
نحن السفوريين أعلمُ بالذي شرع النبيُّ محمدٌ من دينِ
أيكون ما شرع النبيُّ محمدٌ شيئًا يخالفُ شرعةَ التمدينِ ؟
ان اعتزالكمُ النساء ترفعًا امرٌ يناقضُ حكمةَ التكوينِ
حتى رجالُ الصين تحترمُ النسا أفنحنُ ننقص عن رجال الصينِ ؟
كلاّ ولكن عادةٌ همجيةٌ جعلتكمُ حربًا لكلِّ حسينِ

∴

سمعتُ تلك الاهابة ، كما سمعت اهابةً مثلها من الاستاذ السيد جميل صدقي الزهاوي

الشاعر الفيلسوف ، وقد نطق بلسان الحكيم العارف الداء الشاعر بألمه :

أُخر المسلمين عن امم الار — ضِ حجاب تشقى بهِ المسلماتُ

وفيما كانت ارجاء العالم الاسلامي ، تردّد الصدى الرهيب ، لصوت الفيلسوف المهيب ، رأيتُ الاستاذ محمد كامل شعيب الشاعر العاملي على منبر المقطم يهيب ايضًا بالامة لنبذ الجمود وتحرير النساء ، والسير في طريق العلاء ، حيث قال فيما قال :

. . .

عارٌ اذا وصلت بالغرب همّتهُ — للمعليات وهــذا الشرقُ لم يصلِ
عارٌ على الأمِ بعد اليوم ان صَحِبَتْ — ركائب الجهل في حلٍّ ومرتحلِ
لا ترتقي أمةٌ حتى يكونَ بها — للمرأةِ الحقُ مثل الحق للرجل
ليتَ الحجاب حجاب الجهل مرتفعٌ — عن الوجوه وطلقٌ غير منسدل
ليس الحجاب بأمرٍ غير مبتدعٍ — ولا الحجاب بفرض غير منتحل
سلي عن الدين مبدولاً أجبك وعن — ما قد أتاهُ أُولو التأويل لا تسلي
فضوا على الشرعِ حتى بات محتضرًا — كواهنٍ بحبال الموت متصل
وا ضيعة الدين والاسلام في فئةٍ — عن الخوارقِ في التأويل لم تحل
صوني يراعكِ عن شتى مباحثهم — مشوبةً بفساد الرأي والخطل
اما الكتاب فاني قد لمستُ به — نورَ الحقيقة والبرهانُ فيه جلي
زهْ يا نظيرةُ زهْ هذا الكتاب حوى — بحرًا من العلم يغنينا عن الوشل
لله انتِ وما ابديت من فكرٍ — غرّاء ترفلُ في زاهٍ من الحلل
لا يقعدنّ بعزم منك مؤتلقٍ — ما أنفع الجهل من ردٍّ ومن جدَل
هبي الفتاةَ عملاً عما تضام به — فلن نُقيمَ على ضيمٍ ولا خبل
وشأنُ سفرُك سفر النور بعد غدٍ — في المشرقين سيضحي قبلة القبل
لا يبتغون لما أفضى به بدلاً — فما لمنهلهِ السلسال من بدل

. . .

وكذلك سمعتُ من على منبر حفلة « الصراط » ، وهي مدرسة بنات محجبات ، صوتًا للشيخ احمد تقيّ الدين ، من كبار القضاة واعلام اللبنانيين ، سمعت منه بين تصفيق الحاضرات

والحاضرين فيما سمعت :

يا فتاة الخدر سيري للسفورِ   لا تكوني ظلمةً في عصر نورِ
انظري الغربَ وسيرَ النور في   اهلهِ وابكي على الشرق الاسيرِ
وانظري المرأةَ في الغرب فقد   جعلتهُ ايَّ بستانٍ نضيرِ
وبروحي نهضةٌ قامت بها   بنت زين الدين تدعو للسفورِ
قد اتتنا بكتاب قيِّمٍ   ليس فيهِ ان عدلنا من نكيرِ
انما النكرُ بأن ننقلهُ   وهوَ يدْعو للهُدى لا للشرورِ
لا تقولوا نحن نمشي بهدًى   والأُلى قد جاوزونا ، في غرور
اين هذا الزعمَ قد أخَّركم   فرغبتم عن لبابٍ في قشور
انظروا كيف غدوتم تبعًا   بعد ان كنتم اساتيذ العصور
انظروا الغربيَّ في عليائهِ   يتسامى بالنهى نحو البدور
علِّموا البنتَ وفي ذمَّتكم   حبسها في البيت كالشيء الحقير
ودعوها ترتقي لا تحرِّموا   خيرَها فهي لكم خير نصير
لا يضير النورُ وجهًا سافرًا   في ضياء العقل والخلق الطهور

∴

ثم التفتُّ يمينًا وشمالاً في العالم العربي ، فرأيتُ وما اكثر من رأيت من اعلام العلم والفضل والأدب على منابر الصحافة يرسلون الخطاب تلو الخطاب ، مقرّظين كتابي داعين الامة الى ما دعاها اليه من المبادىء القويمة ، وايثار التجدُّد على الجمود ، والسفور على الحجاب . وبعد ان جمعتُ ما جمعتُ من خطاباتهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب ، عبرةً لاولي الالباب ، سمعت صوت الزهاوي صارخًا من على منبر العراق ، بصوت يشق حجاب الآفاق ، قائلاً في « السفور والحجاب » :

∴

مزّقي يا ابنة العراق الحجابا   واسفري فالحياةُ تبغي انقلابا
مزّقيهِ وأحرقيهِ بلا رَيْـ ـثٍ فقد كان حارسًا كذّابا

وفيه للرصافي ، والزهاوي ، وابن شعوب ، وابن تقي الدين ابيات ابيّات —

وفيه نشيد السفور

مزّقيهِ وبعـــد ذلك ايضًا مزّقيهِ ، حتى يكون هبابا
إنزعيهِ بقوّةٍ وطئيهِ واجعلي في فم الحنيقِ ترابا

∴

فصرخت عفوًا يا سيدي عفوًا ، ارجو منك ان لا تكملَ خطابا . انا نريد انقلابًا مستطابًا لا ثورةً ولا اضطرابا . واقتربتُ اليهِ والى السادة الخطباء والشعراء شاكرةً وقلتُ لهم فيما قلت : ايها السادة ، ان السفوريين لا يمتازون على غيرهم الاّ بما فيهم من مثل الادب الكبّار واللطف العجاب ، فخليق بنا ان نعمدَ دائمًا في الجدل والخطاب ، الى اللين الجذّاب . بل الاحرى باخوان السفور ، ابناء النور ، بعد ان قالوا ما قالوا ، ان يصبروا حتى يبصروا اختمار الحق والصواب ، في ألباب اخوان الحجاب ، وليس ذلك ببعيد ، اني اسمع الحق يقرع منهم القلوب ، ويفتح من بعضها الابواب

وقبل ان اكمل خطابي لاسمع الجواب ، سمعتُ ، وما ألطفَ ما سمعت ! سمعت نغم غناء روحيّ ، ما أوقعَ الاّ على اوتار القلوب ، وقد اشتركت في ترتيلهِ وانشاده الامةُ العربيةُ رجالها ونساؤُها ، واهتزت سرورًا بهِ ارجاؤُهـــا وارضها وسماؤُها ، فوقف الجمهور ، كأنّ على رؤُوسهم الطيور ، مصغين الى ذلك النغم الروحي ، الى ذلك النشيد ، نشيد السفور ، وقد نشرتهُ مجلةُ الشمس ينبض بالنور :

أسفري وجهًا فتاةَ العربِ وأفيضي منهُ اخلاقًا ودينا
واعبثي بالحجبِ والزمي من دينكِ الحصنَ الحصينا

...

أسفري وجهًا وصوني الخُلُقـــا في ذمارٍ من تقى
انما لحظاكِ لما خُلِقا خلقا كي يرمُقـــا
لو اراد الله ان تحتجبي لَأَبَى ان يخلُقَ اللهُ العيونا

...

واجهي سافرةً وجهَ السما والضحى المبتسما
إعشقي النورَ وجافي الظُلَمَا فالصِّبا ما حُرِّما
انّ ربي لم يقل في الكتبِ ان يكونَ الوجهُ عن نورٍ مصونا

نداء الفتاة الى اخواتها السفوريين واخواتها السفوريات

وفيه للرصافي ، والزهاوي ، وابن شعيب ، وابن تقي الدين ابيات ابيات.—

وفيه نشيد السفور

حصلي العلمَ وحسن العملِ واظهري في المحفلِ
واجعلي نفسكِ اعلى مَثَـلِ بالتُّقى للرجلِ
والبسي ثوبك ثوب الادبِ إنهُ أجملُ ثوبٍ تلبسينا

∴

بنتَ زين الدين هزّي القلما وارفعيـــهِ علَما
قد مَشي جيشك جيشًا عَرِما بالهـدى معتصما
لا يطيبُ العيشُ عيشُ العربِ قبل أن ينجَح النصرُ مبينا

∴

أيْ بني يعربَ طيبوا شِيَما واستطيلوا هِمما
حرّروا الامّ تسودوا الاما وتصونوا الحُرَمــا
واتبعوا في امرهـــا شرعَ النبي انهـــا مثلكُمْ روحًا وطينــا

∴

فقلت في نفسي

يا له من نغمٍ روحي ، يوحي الى النفوس ما يوحي ! انه جلا الغمّ عن الارواح ، كما يجلو الظلمات انبثاقُ الصباح ، او كما يجلي نورُ السفور ظلمةَ الحجاب عن وجوه المسلمات الشريفات ، تلك الوجوه الصباح . يا لها من وجوهٍ نيّرة ! يا لها من وجوهٍ حرة ! انها وجوه الامهاتِ الراقياتِ بالامة في معارج الحرية والفلاح . كَشَف الله الغطاء عن عيونهن ، فرأينَ وأرين اولادَهنّ طريق النجاة والنجاح . عسى ان يتوبَ الى الله ، من خالف الله ، تبعًا للاهواء ، وجريًا مع الرياح .

*****

ثم التفتُ الى الشيخ الغلاييني وقلت له :

يا سيدي الشيخ ، مالي اراك وحدك في هم ، تلقى مع النغمِ الغم ؟ بحياتك قل : هل كنتَ في ما خطبتَ وكتبتَ منتفعًا ، أو كنتَ بين مضطرٍ ومرغم ؟

انك، غفر الله لك، بما اختلقتَ وبما أثرتَ عليّ قد أردتَ الانتقام، لكنك، وانت اليوم في بيروت رئيس المجلس المليّ الاسلامي، لم تنفع العرب ولا الاسلام. وان قضاةَ الاجماع في العالم من الاسلام وغير الاسلام، سيحكمون وستشهدُ الايام، في اينا النافع بما كتب، والضارّ بما خطب، وفي أينا مبادئة صالحة فتُتبع، او غير صالحة فتنبذها العقول ومن القلوب تُنتزَع

واني لأكتفي الآن بما عرضت من حقائق في خيال. وفي ما يأتي من الفصول والابواب، مجلًى رائع، ومجالٌ واسع، للحقيقة والصواب، ونورِ العقل ونور السنة والكتاب



الباب الثاني

رسالتان واربع محادثات ، ادخلها المعارضون في المعارضات

تمهيد

سبب اثبات الرسالتين والمحادثات في هذا الكتاب

بما ان بعض معارضي كتابي قد اكتفوا بالنظر الى الشطر الاول من عنوانه ، والى رسالتي الى فخامة المفوض السامي ، ورسالتي الى سماحة المفتي الجليل ، تينك الرسالتين الناطقتين باهدائي الكتاب اليهما ، وبما ان بعضهم قد اهتموا في المعارضة لما في محادثاتي الاربع للمدوين صحافيين ، اكثر مما اهتموا لما فيه ، رأيت من الضروري ان أُثبتَ في كتابي هذا كلاحقةٍ لذلك الكتاب ، تينك الرسالتين، وقد نشرت صورةً عنهما جريدتنا لسان الحال والاحرار ، وتلك المحادثات وقد نشرتها جريدتنا الراية والحرية ومجلة مينرفا . فاني أُثبتُها هنا لتكون الأساس التي يُبنى عليها الجدل كلها ، مشهودةً لدى العيون

رسالتي الى فخامة المفوض السامي ، وفيها من كتاب السفور والحجاب
اهم المرامي

قالت لسان الحال في عددها ١٠٢٦٨ المؤرخ في ١٢ نيسان سنة ١٩٢٨

السفور والحجاب

هو كتاب الانسة النابغة نظيره زين الدين يتضمن محاضرات لها ونظرات مرماها تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي

تصفحناه فالفيناه بما فيه من بلاغة ادبية ، وسموّ فكري ، ورقيّ خلقي ، سفراً نفيساً جليلا ، يوآنس فيه القارئون نوراً وهدًى ويرى منهُ المبصرون الى الخير دليلا

اهدتهُ الينا المؤلفة الكريمة كما اهدته برسائل خاصة الى المقامات العالية ونقابات المحامين والصحافيين والاطباء والصيادلة والمعلمين ، والى فريق كبير من اعلام الصحافة والادب والمفكرين في العالم العربي ، داعية الى التعاون على النهضة للحياة المثلى · وقد اتصلت بنا بعض تلك الرسائل وبعض الاجوبة عليها فآثرنا ان نخصص لها من جريدتنا حقولاً نزرع فيها بزوراً طيبة من العلم الواسع، والادب الرائع ، وستتحف قراء اللسان، من كتاب السفور والحجاب باياتٍ من البيان

وهذا تعريب رسالة المؤلفة الى فخامة المفوض السامي ، والاصل والتعريب من قلمها

∴

سيدي المفوض السامي

اني فتاة مسلمة لبنانية شرقية . مكنني ابي من تحصيل العلوم ومن استعمال حريتي في الفكر

والارادة والقول والعمل . فدرست بعقل حر مطلق من تأثير العادات والتقاليد مدنية الشرق واحواله الاجتماعية ، كما درست مدنية الغرب واحواله الاجتماعية . ودرست فيما درست من اصول ديننا كل ما له علاقة بالمدنيتين ، وبقواعد الاجتماع فيهما ولا سيما ما له علاقة بحقوق المرأة وبالحرية والمساواة والاخوة درساً عميقاً دقيقاً . فكانت نفسي آسفة جداً حين رأيت ان مدنيتنا واصول اجتماعنا مبنية على عادات ٍ وتقاليد َ وبدع ٍ في الاجتهاد قديمة تخالف روح كتابنا وسنة نبينا وتخالف حكم العقل مخالفة ظاهرة لكل من عقل وتأمل . ذلك ما اوجب انحطاطنا الى الدرجة التي ترونها فيها . بل كادت نفسي تقع بسبب ما ذكرت في ظلمة اليأس، لولا نور رجاء لمع لها من موافقة مدنية الغربيين وحرياتهم واصول اجتماعاتهم لروح الكتاب والسنة ، وليس فيها الاّ ما يقتضيه العقل السامي المنزّه عن الهوى . ذلك ما اتبعه الغربيون فوصلوا الى ما وصلوا اليه من الرقي والسعادة . فرأيت اننا اذا اتبعنا ما تبعوا بلغنا ما بلغوا مما ترجوه نفسي لامتي و بلادي

نعم رأيت مدنية الغرب الحديثة ، وحرياته بانواعها ، وقواعد الاجتماع فيه – ما عدا الرقص بالمخاصرة وتعرية النساء مثل صدورهن ّ واعضادهن ّ– موافقة لكتابنا وسنة نبينا موافقة تامة ، وانه لم يثننا عن هذه الحقيقة والعمل بمقتضاها الا الغرض والغرور والهوى ، وجمود اصحاب العقول من علمائنا على ما لا يصلح بقاؤه في زماننا ، ومقاومتهم سنن التطور، واجمادهم عقول العامة من الامة على ما ترتإي عقولهم ، مستمدين نفوذهم من قوتين ، قوة السلطات العالمية التي كانت تظن جهل العامة ورزوحها تحت كابوس التقاليد نافعين لتأييد نفوذها ، وقوة تكفيرهم كل من خالفهم في ما يرتأون ويبدعون . ومما زادني اسفاً استحكام الفروق وسوء التفاهم بين المسلمين وغيرهم

تأملت وتأملت، فتبين لي ان اعظم داع لسوء التفاهم وعدم التآخي والتآلف ، واقوى عامل للانحطاط الحالي ، وامتناع الارتقاء الاستقبالي ، انما هو تحجيب المسلمات وايهامهن ّ بنقص العقل والدين ، وحرمانهن الحرية واسباب التكمل العقلي والادبي ، وسلبهن قواهن وحقوقهن التي خولهن الله اياها ، والقاؤهن ّ مستعبدات ذليلات في دركات الشقاء

ولما رأيت في كتاب الله وسنة رسوله من انوار الهدى المحجوبة وراء غيوم من غرائب التقاليد والبدع ما يملأ العالمين حرية ً ورقياً وسعادة ً وصلاحاً ، ورأيت ام الحرية وام المدنية والنور

نصرة الحق في العالم تخفق راياتها فوق رؤوسنا ، شعرت في نفسي بقوة كافية تمكنني بالحجة والبرهان من جلاء الحقائق ورفع الستار ، عن البصائر والابصار . كيف لا وانا معتصمة بكتاب الله وسنة رسوله ، وقلمي يمشي في اثر عقلي حرًّا مطلقًا لا يخشى العثار ، مشعلاً امامه مصابيح الهدى من تلك الانوار . فكتبت سلسلة من المحاضرات والنظرات اعالج فيها مرضنا الاجتماعي الذي يميت قوة المرأة ويضرُّ بالمسلمين خاصة وبالعالمين عامة ، نظرًا الى اشتراك المصالح في الدنيا ، وجمعتها في كتاب عنوانه « السفور والحجاب » ، ومرماه تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي

فالامور الاجتماعية التي تناولها البحث في كتابي واثبتُّها اثباتًا بالادلة العقلية وبآيات كتاب الله واحاديث رسوله أهمها ما يأتي :

اولاً — ان تحجيب النساء في الاسلام لم يكن الاّ عادة مضرة موروثة عن عبدة الاصنام ، ولا يستند الى دليل من اصول الدين . وانه خال من كل فائدة ، ولا ينتج الاّ الضرر والفساد في الاخلاق والانحطاط والشقاء ، ذلك بعكس السفور الذي يخلو من كل ضرر ولا ينتج الا الفائدة والصلاح في الاخلاق والرقي والسعادة . ان هذا الموضوع محور في كتابي والمواضيع الاخرى تدور حوله

ثانيًا — ان حرية النساء واجتماعهنّ والرجال من محللات الشريعة السمحاء ، وهما من اهم العوامل للخير والصلاح ورقي الاخلاق ، وتمكن الآداب في نفوس الرجال والنساء

ثالثًا — ان الرجال ليسوا باكمل من النساء عقلاً ولا دينًا ، وليسوا احق بالحرية منهن . وما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « اكثر الخير فيهنّ » . — و « ساووا بين اولادكم في العطية فلو كنت مفضلاً احدًا لفضلت النساء »

رابعًا — وجوب تعليم الرجال والنساء تعليمًا مشتركًا في مستوى واحد

خامسًا — ان المرأة في شرع الله ، خلافًا لقول بعض الفقهاء ، سيدة كاملة لا مستعبدة ناقصة

سادسًا — ان الحكم في دين الاسلام ديموقراطي ، ويجب اشتراك الرجال والنساء فيه ، ولا سيما في حق الانتخاب

سابعًا — ان اصلاح العيلة والمجتمع لا يحصل الا بعمل الرجال والنساء مشتركين في مستوى واحد ، اذ ان في كل من الفريقين نقصًا يجب ان يكمله الآخر

ثامنًا – وجوب تعقل المسلم والمسلمة اصول دينهما بنفسهما، وعدم جواز التقليد في دين الله، وللمسلمة مثل ما للمسلم في الاجتهاد وادراك الحق وبيانه

تاسعًا – ان كلاً من المسلم والمسلمة حرّ في فكره وارادته وقوله وعمله لا مسيطر عليه في ذلك ، فليس لعقول ان تسيطر على عقول ، وليس للحجابيين سيطرة على من ارادوا السفور ، وليس للسفوريين سيطرة على من ارادوا الحجاب

عاشرًا – ان الشرع الواجب اتباعه هو ما شرعه الله لا ما قاله الفقهاء ، وقد اخطأوا في كثير مما قالوا وجل شرع الله عن ذلك

حادي عشر – ان الله ونبيه نصيرا المرأة، وشطرًا من الفقهاء اعداؤها ، وانهما جل جلاله وصلى الله عليه وسلم نصيرا الحرية والاخوّة والمساواة والتطور بحسب مقتضى الازمنة، وذلك الشطر من الفقهاء اعداء ذلك، وقد حال بينهم وبين الحق ونور الله ، الغرض والغرور والهوى والجمود والتقليد والعادة كما ذكرت سابقًا . تلك آفات الشرق وبلاياه

ثاني عشر – ان تمسك العامة من المسلمين خلافًا لشرع الله ببدع الفقهاء وبالاباطيل والتخوّز ، واهمالهم لباب الامور، من اسباب انحطاطهم

ثالث عشر – ان القرآن مصباح الهدى ، ومنار الحكمة ، ودليل المعرفة ، ولكن المفسرين لم يدركوا لبابه بل اكثروا من التجهل واتباع الاقاويل، واخطأوا في التفكير ، فجعلونا بذلك في حال ضيق عسير ، وابتدعوا بدعًا مظلمة تراها عيون الناقدين تغشى ديننا المنير

ان كل مفسّرٍ للقرآن في الاقدم عدّ نفسه متفننًا في الدين ، ومشترعًا ، وطبيبًا ، ولغويًا ، وطبيعيًا، وفلكيًا، ورياضيًا، وتاريخيًا ، واجتماعيًا ، رياضيًا ، وجغرافيًا او جامعة لانواع العلوم والفنون . فجال فيها كلها مستقلاً برأيه مع انه لم يرَ من الدنيا الا الزاوية التي وجد فيها ، ولم يتعلم الا الصرف والنحو واصول الفقه وما شاكل من العلوم التي لا تؤهله الى ادراك لباب القرآن ، واقامة مدنية رشيدة تضاهي المدنية الحديثة . والمدنية الرشيدة الحديثة اساس واركان لم يكشفها الا المتأخرون ، تلك اساس موضوعة في الكتب المنزلة لم يتوفق الى كشفها المفسرون الاقدمون

رابع عشر – ان كتاب الله يحبّب اشتراك المسلمين وغيرهم في الملبس الاصلح تأمينًا لسعادتهم ومنعًا للفروق فيما بينهم في الدنيا . وان الملبس الاصلح هو الذي آثره العالم الغربي ؛ وان العقل والدين يرجحان البرنيطة على الطربوش ، كترجيحهما السفور على الحجاب

خامس عشر — وجوب تآخي المسلمين وغيرهم من الامم على اتم قواعد المساواة والتآلف تبعًا لاوامر سيدينا محمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام ولتعاليمهما الجليلة المتفقة في روحها اتفاقًا تامًا

سادس عشر — ان المسلم مأمور بأخذ الحكمة اينما كانت ، فهو مكلف ان يأخذ كل ما في الغرب من حكمة

سابع عشر — أنّ لا صلاح للشرق اذا بقي معمّى عن الحق بجموده وغروره ، ولم يحكّم العقل فيدرك لباب كتاب الله وسنة نبيه ، ولم يعرف مزايا الغرب في مدنيته الحديثة واصوله الاجتماعية ، ولم يأخذ من الغرب كل ما صلح وتجدد ، ولم ينأ عن عاتقه كل ما بلي وفسد ، محتفظًا بكل صالح . ولا يتم الصلاح والسعادة في العالم ما لم تتعارف فيه الشعوب والامم رجالاً ونساء ويستووا مدنية ورقيًا وحقوقًا ، وما لم يزيلوا من بينهم سوء التفاهم

وها أنا ذا رافعةٌ نسخة من كتابي هذا الى مقام المفوضية السامي ، راجية ان تشملوه بنظركم العالي . ومَن أولى من ممثل ام المدنية والحرية والنور بمد اليد القوية لانقاذ المرأة المستضعفة المسلمة من الوهدة المظلمة التي القيت فيها خلافًا لمقتضى كتاب الله وسنة نبيه وحكم العقل وقواعد الاجتماع ، ذلك -كما رجوت بندائي الى السلطات في كتابي - بمنع كل سلطة في الانتداب الفرنسي ان تتدخل في امور الدين ، فتضغط حرية المسلمات في معتقدهنّ ، وبتأمين الحرية الشخصية تأمينًا يقتضيه القانون العالي المسنون ، وبمظاهرة المتجددين في الاسلام لتأييد اسباب الخير والرقي ، وحماية الحريات ، وتعميم الصلاح ، وتهذيب الاخلاق ، وتوثيق عرى الاخوّة والتآلف والمساواة بين الناس . انما بمثل هذا نقتطف ويقتطف العالم الثمرات المنتظرة الطيبة من وجود فرنسا بين ظهرانينا منتدبة علينا.واني معتقدة اني بمثل ما كتبت اخدم امتي وبلادي وبنات جنسي انفع خدمة ، واسهل مهمة الدولة المنتدبة في الاصلاح الذي تنويه وانتدبت اليه .

وقد رفعتُ ايضًا عشر نسخ اخرى من كتابي عسى ان المفوضية العليا ترسلها الى من تريد من المقامات والجمعيات في فرنسا ومستعمراتها حبًّا لاخواننا واخواتنا المسلمين والمسلمات هناك ورغبة في الخير لهم

وتفضل يا صاحب الفخامة بقبول فائق احترامي نظيره زين الدين

في ٣ نيسان سنة ١٩٢٨

رسالتي الى سماحة المفتي الجليل · وفيها يرى أولو الالباب ،
روح السفور والحجاب

وقالت الاحرار في عددها ٩٤١ المؤرخ في ١٢ نيسان ١٩٢٨

حول كتاب السفور والحجاب

او تحرير المرأة والتجدد في العالم الاسلامي

رسالة مؤلفته الآنسة نظيرة زين الدين الى سماحة مفتي بيروت

صدر منذ ايام في بيروت كتاب قيم عنوانهُ « السفور والحجاب » وهو محاضرات ونظرات مرماها « تحرير المراة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي » لمؤلفتهِ حضرة المهذبة المجتهدة الانسة نظيره زين الدين كريمة حضرة صاحب السعادة سعيد بك زين الدين مدعي عام محكمة الاستئناف. وسنقول كلمتنا في هذا الكتاب الجريء الجديد في عدد قادم · اما اليوم فننشر صورة الرسالة التي بعثت بها حضرة المؤلفة مع الكتاب الذي اهدتهُ الى سماحة الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت · ومن هذه الرسالة يعلم القارئ روح الكتاب ومراميهِ · قالت الانسة :

سيدي الجليل

بأكمل تعظيم واجل احترام اقبل يدي سماحتكم المباركتين . ثم اعرض : اني تأملت في قول رسول الله صلى الله عليهِ وسلم « طلبُ العلم فريضةٌ على كل مسلمٍ ومسلمة » فاستدللتُ على ان الرجال والنساء في فريضة العلم سواء . وتأملت في قولهِ صلى الله عليهِ وسلم : « اطلبوا العلم ولو في الصين » فايقنت ان نور العلم مثل نور الشمس نعمة من الله لا تختصُّ بعالمٍ من

العالمين . وكان لي نصيب من فضل ربي ، انه قد يسر لي ابي تحصيل العلوم في مدرسة راهبات الناصرة ، وفي كلية البنات الاميركية ، وفي الكلية العلمانية وغيرها ، واني لأحمد الله حمدًا كثيرًا ، واشكره شكرًا جزيلاً ، اذ ان ذلك لم يزدني الا تثبتًا في دين الاسلام السامي الوضاء ، ونورًا وهدًى الى حقائق كتاب الله الكريم ، وسنة رسوله العظيم ، خاتم الانبياء

وقد مكنني ايضًا ، عملاً بكتاب الله وسنة رسوله ، من استعمال حريتي في الفكر والارادة والقول والعمل . فدرست بعقل حرّ مطلق من تأثير العادات والتقاليد ، مدنية الشرق واحواله الاجتماعية ، كما درست مدنية الغرب واحواله الاجتماعية ، ولا سيما ما له علاقة بحقوق المرأة ، درسًا عميقًا دقيقًا . وما كان ذلك مني الا طلبًا للحكمة عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها اخذها »

وصرفت وقتي وفوقي في تعقل آيات الله وتدبرها وتذكرها عملاً بقوله تعالى « كتابٌ أنزلناه اليك ليدبّروا آياته ، وليتذكّرَ أُولو الالباب »

وأجلت النظر في ما قاله المفسرون والفقهاء ولا سيما في ما يتعلق بالمرأة ، فلم اجد شريعة في العالم اعطت المرأة قدر ما اعطاها الله ورسوله من حقوق يقول بها الفقهاء الاعلام ، ذوو القدر والاحترام . بيد اني وجدت ان لا شريعة في العالم بعد الجاهلية والادوار المظلمة ، ظلمتها قدر ما ظلمها بفعل التقليد وقوة العادة ، فريق آخر من الفقهاء في ما سنوا لها من البدع ، وفي ما استندوا اليه من الاحاديث الملفقة المختلقة المفتراة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان اختلاقها وعدم ردها الى الكتاب سببًا لظلمها

انهم عدوها طورًا كالجماد وطورًا كالحيوان ، وسلبوها حقوق الانسان ، لا يمنعهم في ذلك ما يمنع في السنة والقرآن ، وحبسوها ثم عدوها ناقصة العقل والدين ، فخًا لابليس وحبالة للشيطان ، ومصدرًا للشر على الانسان ؛ ولم يفكروا ان أين الاسلام الحق الأبيّ يأنف ان توصف امه بما وصفوها من أدنى صفات الدناءة ، وتُمتهن كما امتهنوها باقصى ضروب الامتهان

انهم ضلوا واختلقوا فقالوا : « مثلُ المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم الذي احدى رجليه بيضاء » . فيا لها من وصمة سوداء ، وتهمة عمياء ، أن يختلقوا الاسلام صلاحًا فيه انكروه على النساء . انهم طعنوا شرف الاسلام في قلبه الطعنة النجلاء

ولم يفتكروا ايضًا انه لا يجوز لهم ان يعاملوا النساء بما عاملوهن ، وقد قال صلى الله عليه

وسلم : « اكثر الخير فيهن » . — و « وساووا بين اولادكم في العطية فلو كنت مفضلاً احداً لفضلت النساء . — و « امرأة صالحة خير من الف رجل غير صالح » . — و « برّ أمّك ، ثم امّك ، ثم امك ، ثم اباك ، واذا دعاك ابواك فاجب أمك . ان الجنة تحت اقدام الامهات » —و «ما من احد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه إلا ادخلتاه الجنة » . — و «من كان له ابنتان او اختان فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت واياه في الجنة كهاتين» . — و « من خرج الى سوق من اسواق المسلمين فاشترى شيئاً فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور . نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه » . — و « من حمل طرفة من السوق الى عياله فكأنما حمل اليهم صدقة حتى يضعها فيهم . وليبدأ بالاناث قبل الذكور ، فان من فرّح انثى ، فكأنما بكي من خشية الله ، ومن بكي من خشية الله حرّم الله بدنه على النار » . — و « ان لله عمالاً في ارضه والمرأة من عمال الله » . وقال النبي سليمان بن داود عليه السلام : « المرأة الفاضلة قيمتها تفوق اللآلئ . تصنع خيراً لا شراً كل ايام حياتها ، تبسط كفيها للفقير وتمد يديها الى المسكين ، سراجها لا ينطفئ في الليل ، وتشتغل بيدين راضيتين . العز والبهاء لباسها وتضحك على الزمن الآتي . تفتح فمها بالحكمة ، وفي لسانها سنن المعروف . ولتمدحها اعمالها في الابواب »

كذلك لا يحسن بذلك الفريق من الفقهاء ان يصفوا المرأة بتلك الصفات المفتراة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب النساء من اخلاق الانبياء » . وامرنا صلى الله عليه وسلم ان نأخذ نصف ديننا عن امرأة رضي الله عنها . فالمرأة ، وهي مصدر نصف ديننا ، لا يجوز عدّها حبالة شيطانية ، او مصدراً للشر

انهم لم ينظروا الى ذلك كله ، فظلموا المرأة لا يريدون لها انصافا ، وارادوا ان يحرموها الكتابة ويحصروا في المغزل عملها مستخفين بها استخفافا

انهم منعوا بالنقاب عن عينيها الضياء ، وعن رئتيها نقي الهواء ، ولم يكتفوا بذلك حجاباً لها ، بل ارادوا ان يجعلوا حجابها جدر خدرها ، فلا تخرج منه إلاّ الى قبرها ، حذراً من موهوم شرّها ، قائلين انها عورة وعيّ ، يجب ان يُستر عيّها بالسكوت ، وتُستر كلها بجدر البيوت ، مستعيضين بذلك عن الوأد الذي كان آباؤهم يأتونه في الجاهلية ، ناصحين للرجال ان يستعينوا على النساء باعراتهن ، او يلزمن جنش ثيابهن ، كي لا يعجبهن الخروج من بيوتهن

انهم لم يكتفوا بستر طرق عقلها اي حواسها بالنقاب المظلم ، بل ارادوا ايضاً ان يسدوا جهنا

تحكم فيها يعدها تغليظاً لصوتها خوف الفتنة . ولم يكفهم انهم منعوا تكمّلها العقلي والادبي في المجتمعات حيث تكتسب من علم الرجال واحاديثهم وتجاربهم في العالم ، بل منعوها ايضاً ان تجتمع هي وغير المسلمات عادين غير المسلمات كالرجال الاجانب . فلا يجوز ان يرين وجهها ، او يسمعن صوتها ، او يرين منها شيئاً ولو قلامة ظفرها المرمية ، الاّ اذا كنّ اماء وجواري عندها

فهل تلك يا سيدي غير بدع احدثوها وليس لها في كتاب الله وسنة رسوله الحنة من مستند اودليل ؟ أوَ ليس ذلك يا سيدي ما اورث فيما اورث شللاً في نصف مجتمعنا الاسلامي وانحطاطاً فيه ، فقويت عليه كما ترى ، الامم الاخرى ، مستولية في كل محل لم يرجع اهلوه الى كتاب الله منبع الهدى والرقي والصلاح ، ولم يأخذوا نصيبهم من التطور والفلاح ؟ . وخلطت تلك الامم بين شرع الله واقوال اولئك الفقهاء ، فعدّت ديننا الانور ، الدين السامي الاطهر ، مانعاً للترقي وموجباً للانحطاط ، وسبباً لشقاء المرأة المسلمة . انهم قد ضلوا في ذلك ضلالاً مبيناً. فما دين الاسلام الحق ، الاّ منبع السعادة للخلق ، قال الله تعالى في كتابه العزيز « ما انزلنا عليك القرآن لتشقى »

سيدي المفتي المعظم

ان الله تعالى امرنا بالتعقل والتفكّر والتدبّر والتذكّر . فما كان اجتهادي في تعقل آياته بلائي ، وما كان دفاعي عن حقي وحق اخواتي ، الاّ طوعاً لامره تعالى ، وصدعاً به . فجعلتُ نتيجة درسي كتاباً عنوانه « السفور والحجاب ، او محاضرات ونظرات مرماها تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي » ، ألّفته وارسلته الى الامة راجية منها ان تضعه موضع البحث الحرّ ، مشعلة امام البصائر والابصار ، ما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله العظيم من الاضواء والانوار

اني طلبت في كتابي طلباً لحل النزاع بين السفوريين المتجددين ، والحجابيين الجامدين ، تحكيم العقل الحر المطلق ، ورد اقوال الفقهاء الى الكتاب الحق ، ذلك لقوله تعالى : «واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم. فإنْ تنازعتُم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خيرٌ وأحسن تأويلا » ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خطب بمِنى « ايها الناس كَثُرَت عليّ الكذّابة ، فما جاءكم عني يوافق كتاب الله فانا

قلته ، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم اقله ، كل شيء مردود الى الكتاب والسنة ، وكل حديث لا يوافق الله فهو زخرف »

وقد قال سيدي محيي الدين العربي « لا يجوز ترك آية او خبر صحيح لقول صاحب او امام، ومن يفعل ذلك فقد ضل ضلالاً مبيناً وخرج عن دين الله . وما اوجب الله علينا الاخذ بقول احد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ولا يجوز ان يدان الله بالراي وهو القول بغير حجة ولا برهان من كتابٍ او سنةٍ او اجماع . والتقليد في دين الله لا يجوز عندنا ، لا تقليد حيّ ولا تقليد ميت »

اذن عليّ ليس الا من قبيل الصدع بما امرت قصداً لاتباع ما انزل الله وسنّ رسوله ، مرجحاً ذلك على ما الفيت عليه آباءنا لئلا اكون من الذين بكّتهم الله تعالى بالآية « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أوَ لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » — وبالآية « أفَمن يهدي الى الحقّ أحقُّ ان يُتَّبع ام من لا يهدي الا ان يُهدَى فمالكم كيف تحكمون » — او من اشار اليهم تعالى بالآية « يومَ تُقلَّبُ وجوهُهُم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله والرّسولاَ . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا »

وقد اردت بعملي ان اكون ممن اشار اليهم تعالى بقوله « قُلْ هذه سبيلي أدعُو الى الله على بصيرة ، انا ومن اتّبعني ، وسبحانَ الله ، وما انا من المشركين »

واني اتبعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا التبست عليكمُ الفتَن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن . فمن جعله امامه قاده الى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه الى النار . وهو الدليل يدلُّ على خير سبيل . فليجلُ جالٍ بَصَرَه ، وليفتح للضياء نظرَه ، ينجُ من عَطَب ، ويتخلّصْ من نَشَب . فان التفكّر فيه حياةُ قلبِ البصير ، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور »

ولم ارَ جائزاً لي ان اقبل الحجر على عقلي عن تعقّل كتاب الله لاني من المخاطبات فيه ، وقد خاطب تعالى من يعقلون وأُولي الالباب من الرجال والنساء على السواء . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دينُ المرء عقله ، ومن لا عقلَ له لا دينَ له » . — و « لا يتمُّ دينُ المرء حتى يتمّ عقله » . — فمن يقبل الحجر على العقل ينتقص من نفسه شرطاً من شروط الاسلام . لان الحجر على العقل يبطل عمله . واول شرط من شروط الاسلام هو العقل . فهو المخاطب ، وهو المعاقب ، وهو المثاب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله العقلَ استنطقه . ثم قال

له أقبل فاقبل ، ثم قال له ادبر فادبر ، ثم قال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو احبُّ الي منك ، ولا أكملتك إلا في من أحب ، أما اني اياك آمر ، واياك أعاقب ، واياك أثيب » . —
وقال صلى الله عليه وسلم « استفتِ عقلَكَ وان افتاكَ المفتون » . — و « الحجة فيما بين العباد وبين الله العقل » . — وفي الحديث عن الامام علي رضي الله تعالى عنه « العقل شرع من داخل ، والشرع عقل من خارج »

وقد اخذت من اقوال الفقهاء ما حكم به عقلي انه احسن الاقوال ، لقوله تعالى « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، اولئك الذين هداهم الله ، واولئك هم أولو الالباب »

ولا اكتم سيدي صاحب السماحة اني لم اقبل في درسي وتعقلي وبياني سيطرة او وكالة على عقلي لقوله تعالى مخاطباً نبينا صلى الله عليه وسلم « فذكّر إنما أنتَ مذكّر ، لست عليهم بمسيطر . . . وما ارسلناك عليهم وكيلاً » ولقوله تعالى « قل يا أيها الناسُ قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه . ومن ضلّ فانما يضلّ عليها ، وما انا عليكم بوكيل »

سيدي المفتي الجليل

اني اطللت على الاسلام من اعالي آيات الله واحاديث رسوله ، فرأيته مستوياً على عرش العظمة ، والحرية ، والمساواة ، والعدل ، واليسر ، والخير ، والكمال . فانتعش قلبي ، وكبُرت روحي حتى كادت تخرج فرحاً من صدري . فعسى ان يُطلّ من يدّعون انهم حماة الاسلام ، وحملةُ لوائه الشريف من حيث أطللت ، فيروا ما قد رأيت ، ولا يطلوا عليه من خروق تفاسير ، وثقوب روايات ، وتأويل ، تريهم الاسلام في المكان الذي وضعته فيه تفاسيرهم ورواياتهم وتأويلهم ، وهو يجلّ عن مثل ذلك المكان اجلالاً عظيماً

وها انا ذا مقدمة نسخة من كتابي الى حضرتك ، عارضةً اياه لدى حكمتك ، راجية من سماحتك النظر اليه ، والأمل فيه ، فما كان منه موافقاً لكتاب الله وسنة رسوله نال منك الرضى ، وما كان غير موافق تشير اليه بالرأي السديد الرشيد ، والدليل من الكتاب المجيد ، والحديث الاكيد ، فابدّله بكتاب جديد

وتقبل يا صاحب السماحة في ابتداء وختام ، عظيم الاجلال وفائق الاحترام

من مستمدة الدعا وطالبة الرضى

نظيره زين الدين

محادثتي لمندوب الراية ، في الضجّة – والمناظرة – وتدخل غير المسلمين
– وادراك الغاية

وقالت جريدة الراية عدد ٢٦٣ وقد نقلت حديث مندوبها مع المؤلفة

ايضاح جديد عن كتاب السفور والحجاب

لمندوب (الراية) الخاص

ما كادت الانسة نظيرة زين الدين تنشر كتاب « السفور والحجاب » حتى قامت حوله ضجة ، ولا كالضجات ، وعلا صوت الرجعيين فملأ الفضاء تقبيحًا لفكرة ذلك الكتاب ، واستهجانًا لنظرية حقٍ تؤيدها بالبرهان العقلي والديني فتاة من بيتٍ كريم رأت بلادها تتخبط في تقاليد وعادات اذا خرجت عليها كتب لها الفوز في معترك الحياة كأمة راقية تريد ان ترتفع الى مستوى الامم الراقية الاخرى . فوضعت كتابها وكل قصدها ان تخدم امتها خدمة مجردة نزيهة

واجتمعنا الى الانسة نظيره ودار بيننا وبينها احاديث حول ذلك الكتاب وحركة الرجعيين . فصرحت لنا قالت :

(النواح على الحسين)

– اجل ، لقد توقعت هذه الحركة التي يقوم بها بعض الرجعيين للنيل من « السفور والحجاب » . واشرت اليها في كتابي صفحة ٢٨ فقلت :

« زار احد الادباء يومًا ابي . فاراه شيئًا مما اكتب ليرى رأيه . فأطرى ما كتبت ،

وحكى حكاية قال : كنتُ في استانبول في اليوم العاشر من محرم – وهو آخر ايام المأساة التي يمثلها الايرانيون تذكاراً لاستشهاد الحسين ومَن صحبه من اهل البيت عليهم السلام . وكان هناك خطيب حكيم اراد ان يغتنم فرصة اجتماع القوم ليحدثهم بامر اجتماعي لم فيه خير عظيم. ولكن ما كاد يصعد المنبر حتى علا نواح القوم وبكاؤهم ظناً منهم ان الخطيب سيذكرهم بما يعلمون عن حادثة كربلاء ، فلم تستطع الآذان ان تسمع من الخطبة شيئاً . حينئذ قام رجل صارخاً بأعلى صوته : ايها الناس لنستمع الى الخطيب متأملين في كلامه لعل لنا فيه حكمة جديدة ، او كلمة مُفيدة . لا تتأثروا من قول قبل ان تسمعوه ، ولا تحكموا في امر قبل ان تفهموه وتعوه

«ثم قال الاديب لابي : عسى الحجابيون لا يتاثرون ولا يحكمون الا بما يسمعون من هذه المحاضرات ويعون –

« قلت : اذاً اجعل محاضراتي مطبوعة ، يقرأها اولو الالباب على مهل . فاذا آنسوا فيها نوراً اشعلوا مصابيح علمهم ، وانار كلٌ منهم ما حوله من الظلام »

فابتسمنا وابتسمت الآنسة نظيرة وشاركنا والدها بالابتسام عند هذا التشبيه اللطيف !

(اداب المناظرة النزيهة)

ثم قالت : اما نجاح قضيتي فاني واثقة به كل الثقة . فقد طرحت نظريتي على بساط البحث لدى قضاة الاجتماع . فليدرسوا ويدققوا ويحكّموا العقلَ والمنطق فيما ذهبت اليه ، ثم ليقولوا كلمتهم مجردة عن كل عاطفة

على ان ضعف الحجة في خصوم السفور او عجزهم عن الدفاع ضمن دائرة المناظرة والمجادلة بالتي هي احسن ، الجأهم الى اهمال البحث في ما تضمنه الكتاب ، بدعمة الدليل ويؤيده البرهان. فراحوا يشتغلون في ما هو خارج عن دائرة الكتاب مما لا يثبت علما ولا يظهر حقاً ، ويخالف اصول المناظرة النزيهة ؛ ولعلي بساط البحث قد توسلوا في مناظرتهم ، الى التهديد والوعيد . ولا اعتقد انهم موفقون الى غايتهم في طي هذا البساط قبل ظهور الحقيقة ولاسيما بعد انتشار كتابي في العالم العربي ، وقد مضى العصر الذي كانت فيه بعض العقول تجمّد غيرها ، وجاء العصر الذي سادت فيه حرية الفكر والارادة والقول والعمل ، وتفككت عرى تضامن

الرجال على ظلم المرأة ، وامسى السواد الاعظم معها لا عليها

— وهل تظنين هذه المقاومة تدوم

— نعم تدوم ، ولكن الى حين . فيتمّ البحث ضمن دائرة المناظرة المألوفة المحدودة ، فتسفر حينئذ المرأة المحجبة والحقيقة معًا

— ماذا تقصدين بسفور المرأة المحجبة ؟

— اقصد سفور وجهها لانه مجمع حواسها ومظهر نفسها ، وفيه طرق عقلها واهم اسباب حياتها . وقد حملت في كتابي على تعرية مثل الصدور والاعضاد ، وقبّحت الرقص المفسد ، واستنكرتُ خلوة الرجال بالنساء وكل ما لا يعلي المرأة اخلاقًا

— هل في نيّتك الرد على المنتقدين ؟

اني ارسلت الى الامة العربية كتابي الناطق ، واريد ان اسكت زمانًا ينطق فيه رجال الامة ونساؤها ، ثم يأتي دوري ، ان اقتضت الحال

(القضية قضية اجتماعية)

— ما رايك في تدخل غير المسلمين في بحث الحجاب ؟

— ان الحجاب ظاهرة اجتماعية نشأت عن استبداد الرجل بالمرأة ، وليس هو من اصول الدين في شيء . وقد اخطأ من اراد ان يلبسها الثوب الديني . ودليلي على ذلك ان الحجاب كان وما زال شائعًا بين غير المسلمين . وبالطبع لم يستند غير المسلمين في مثل حماه وحمص في حجاب نسائهم الى نص ديني اسلامي . اذن ، فلغير المسلم مثلما للمسلم حق البحث في هذه القضية الاجتماعية . وما المسلمون وغير المسلمين الا اخوة واخوات ، مصالحهم في الدنيا مشتركة ، يقوى الواحد منهم بقوة الآخر ويضعف بضعفه . ومن حق كل فرد في المجموع ان يستكمل اسباب القوة للمجموع . فلا ينكر على غير المسلم هذا الحق ، ولا ينكر عليه حق البحث في الحجاب المتناول غير نساء المسلمين ، ولا ينكر عليه حق حرية الفكر والقول في كل ما يعتقد انه يرفع مستوى المجموع الذي هو منه ، ولا ينكر حق الدفاع عن السفور ازاء المطاعن الشائنة فيه . بل اني أتساءل مدهوشة : كيف يجوّز العقل والعدل ان يطعن الحجابيون في شرف السفوريين ، ويطلبوا من السفوريين ان يصمتوا ؟ بل كيف ينكَر على الانسان حق الدفاع عن نفسه ،

والنجدة للمظلوم بقلمه ولسانه ؟

اني لما وضعت كتابي اخذت الله لي معينًا ونصيرًا . اما الحجابيون فقد تخيلوا خلفي وحوالي اشباحًا اخذوا يحاربونها . فارى غير جائز وبعيدًا عن الحق ان تحرَم الفتاةُ المسلمة نصرة المنصفين فوءاد

محادثتي لمندوب الحرية في تأليف السفور والحجاب — وتكفير التجدد
والنهضةالسفورية

وقالت جريدة الحرية عدد ١٧٦٥ وقد نقلت حديث مندوبها مع المؤلفة

تصريحات هامة للآنسة نظيره زين الدين

قائدة الدعوة الى السفور في هذا الشرق العربي

ورسول النهضة النسائية

اوفدت هذه الجريدة مندوبها ، فتشرف وقابل الانسة نظيره زين الدين ورجا منها ان تدلي اليهِ بتصريحات هامة حول كتاب السفور والحجاب فتكرمت بالقبول وهذا ما دار بين مندوبنا و بين حضرتها :

س — قلتِ في مقابلة لمندوب الراية انك بعد ان ارسلت كتابك الناطق ستسكتين زمنًا تنطق به رجال الامة ونساؤها فهل حانَ وقت كلامك ، وقد كثرت اقوال المعارضين لكتابك ؟

ج — لم يظهر بعد لكتابي معارض يجادل بالتي هي احسن، ويقابل البرهان بالبرهان لا نكلم . ولم اسمع الى الآن من العلماء الاعلام متكلماً في موضوع كتابي ومراميه الاّ العلامة المغربي

س – الناس في دهشة من علمك الواسع في القرآن والحديث . فهل تتفضلين بالبيان عن كيفية تحصيلك ذلك مع انك تعلمت في المدارس الاجنبية

ج – اني بينتُ ذلك في الصفحتين ١٥٥ و١٥٦ من كتابي . واني اعيد على مسامعكم ما قلت فيه :

« لا انكر عليكم ايها السادة والسيدات اني لما باشرت اعداد دفاعي عن المرأة استندت فيه الى العقل فحسب. ولكني ما قرأت ذلك الدفاع على ابي ، وعنده احد الشيوخ العلماء المستنيرين ، الا رأيت عيني ذلك الشيخ تلمعان ، ووجهه يفترُّ من الاستحسان . غير انه قال : ان دفاعك يا ابنتي غير تام . لان الادلة الدينية لم تشترك مع الادلة العقلية في هذه القضية التي يجب ان يشترك فيها العقل والدين ، فهما متآزران في الحق لا يفترقان . قلت : هل في الدين ادلة منطبقة على ما اراني العقل من الادلة وهو مطلق مجرّد ؟ فقال الشيخ الجليل : (كل الصيد في جوف الفرا . لا أمرَ في الدين القويم ، الا قبلة العقل السليم ، اذا افلت من القيود ، وتجرّد عن الاهواء ; وما استحسن مثل هذا العقل امرًا الا كان منطبقًا على اصول الدين . وان جاء في كتب الفقه ما لا ينطبق على المصلحة والعقل ، فليس ذلك الا خطأً في الاجتهاد ، لان المجتهد يخطىء ويصيب ، والاجتهاد يتغير بحسب المكان والزمان ، ولكن كل شيء مردود الى الكتاب والسنة)

نظرت الى ابي ، فقال : الحق ما قاله حضرة الشيخ . فاسمعني الشيخ درسًا وجيزًا بدا لي شعاعًا من الهدى ساطعًا ، ثم شرع ابي يلقي عليّ دروسًا تلو دروس ، آنستُ فيها هدى كثيرا ، ونورًا يلي نورا . ففتحت كتاب الله وكتب الحديث الشريف ، وكتب الفقه والتفسير ، واطلقت للعقل حريته في تعقّلها ، فكان لي من كتاب الله وسنة رسولهِ انوارُ هدى في الحرية ، وحرية المرأة وحقوقها ، تسطع منها الشمسُ اذا طلعت . »

س — ما هي درجة انتشار الكتاب

ج — في ايدي الناس منه الآن اكثر من الف ومائة

س — وما قولك في اسناد الحجابيين تأليفه الى جمعية من المشايخ خفية ؟

ج — ان الحجابيين يدّعون أنّ المرأة عورة وعيّ وناقصةُ العقل والدين ، وأن العلوم الدينية يتعذّر فهمها الا على فئة من الرجال . فرجّحوا ان يختلقوا حوالَيّ اشباحًا باطلة من المشايخ يسندون اليهم تأليف الكتاب ; رجّحوا ذلك على ان يسلّموا للمرأة بكمال العقل والدين . وعدم

الحي . لان هذا التسليم ينقض ادعاءهم لدى قضاة الاجتماع ، ويتضمن التسليم باعطاء المرأة حقها الشرعي ومنزلتها الحقيقة بها

اني استرشدتُ باقوال كثيرين من المشايخ العلماء ولكن ليس لاحدهم اشتراك في تأليفي بكلمة او بحرف

س — وما رأيك في تكفير بعض الحجابيين كل من اراد السفور ، من الاسلام ؟

ج — يعلمنا الحديث الشريف أن « من كفر مؤمنًا فقد كفر » ، ويعلمنا التاريخ ان تكفير كل مجدد عادة قديمة لم يسلم منها اولياء ولا انبياء . ولكن الناس يكفّرون ثم يقدّسون

فقال لها مندوبنا وانت ستقدسك الاجيال وودعها وانصرف

محادثتي لمندوب ميزفا في رسالة (مشروعية الحجاب)

لسماحة المفتي الجليل

حديث المؤلفة مع السيد عبد السلام النابلسي مندوب مجلة ميزفا نشرته المجلة المذكورة في عدديها الثاني والثالث لسنتها السادسة قالت :

حديث

مع الآنسة نظيرة زين الدين

مؤلفة كتاب « السفور والحجاب »

لا اجدني بحاجة لتقديم هذه الاديبة المجددة وتعريفها الى جمهور القراء ، ولها من شهرتها الواسعة ما يغني عن كل تقديم وتعريف . ويكفي ان اقول انها مؤلفة كتاب « السفور والحجاب » ، حتى يشعر قارئيّ باحترام واجلال لتلك الانسة الناهضة التي ابادت بمؤلفها ، بل بسفرها النفيس ، وَهْمَ الكثيرين من الذين كانوا يرون الحجاب وامتهان المرأة ، من لباب الدين ، وأُسهِ المتين

وان التاريخ لفخور بتسطير هذه المأثرة العظيمة لحضرة الانسة المصلحة ، وان الشعب المتجدد لكفيل بقدر جهود هذه المجددة الكبيرة التي تقاعس عنها الكثيرون من علمائنا — المتحفظين . . .

قصدت حضرة الانسة في منزلها لاستوضحها بعض الايضاحات واستطلعها رايها في رسالة سماحة مفتي بيروت في « مشروعية الحجاب »

فاستقبلتني حضرتها بكل حفاوة واكرام، وبما جبلت عليه من اللطف والادب الجم ، مما يدل على طيب المحتد وشريف العنصر

وقد دار بيننا الحديث الاتي ، انشره للقراء الكرام بحرفه دون زيادة او نقصان

س — هل قرأت يا حضرة الآنسة رسالة سماحة المفتي في « مشروعية الحجاب » ؟
ج — كيف لا اقرأها وانا من عشرات الايام بانتظارها ؟ نعم اني قرأتها بامعان لادراك اسرارها . وقرأتها باجلال واحترام تقدراً لسماحة من تفضل باصدارها
س — وهل بدّلت بعد قراءتها نظرة من نظراتك في كتابك ؟
ج — لم يظهر لي ما يقتضي ان أبدّل نظرة او رأياً ؛ انما ظهر لي ان سماحته يؤيّد من نظراتي ما يتعلق بنبذ ازياء الحجاب الحاضرة ، لانها ، كما ذكر سماحته ، فتّانة تخالف الشرع ، وتبهر العقول ، ولأنها من التبرّج الذي عظمت مفسدته ، وتحققت مضرّته ، وقد نهى الله عنه
س — ذكر سماحته ان من الواجب على المسلمين الذين يرون رفع الحجاب ان يسألوا عنه « اهل الذكر » ، قبل خوضهم في امر السفور ، مستشهداً بالآية الكريمة — (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) فهل تحققتِ من هم اهل الذكر الذين اشار الله تعالى اليهم في آيته الكريمة ؟
ج — ان المفسرين متفقون على ان اهل الذكر في الآية المذكورة هم اهل الكتابين : التوراة والانجيل

ولما ظهرت عليّ علامات التعجب من استشهاد سماحته بالاية مع ما ذكرت الانسة ، نهضت لساعتها واخرجت من مكتبتها كتب التفسير ، وناولتني اياها ، وبعد البحث فيها قرأت في الصفحة ٣٣٣ من النسفي والخازن ، والصفحة ٤٦١ من البيضاوي ، وتحققت ما قالت

ثم قلت لها :

س — وهل تحققتِ معنى الحديث الشريف المستشهد به في الرسالة منعًا لتفسير القرآن المجيد بمجرد الرأي والاجتهاد . — (من تكلّم في القرآن برأيه فاصاب فقد أخطأ) ؟

ج — لم استطع رد هذا الحديث وتوفيقه لكتاب الله مصدر الحق والصواب . اذ لا أعلم كيف يمكن عد المصيب في أمرٍ مخطئًا فيه ! ولا افهم كيف يكون « اولو الالباب » و « من يعقلون » المأمورون بتعقل القرآن،لا رأي لهم في تعقله ، ممنوعين عن ادراك الحق وبيان الصواب !

ولا يخفى ان كثيرًا من الاحاديث المروية غير صحيح . — ان الصحيح، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما وافق كتاب الله ، وغير الصحيح ما خالفه

ان سماحته استند فيما استند بامر الحجاب الى ما جاء في صحيح البخاري وتفسيره : (يرحم الله النساء المهاجرات الاول، لما انزل الله الآية : « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » شققن مروطهن فاختمرن بها وغطين وجوههن بما شققن من مروطهن :)

فاذا صحت الرواية وكان ان النساء المهاجرات الاول فهمن من (ضرب الخمر) معنى شق المروط ، ومن (الجيوب) معنى الوجوه ! فهل على رجال اليوم ونسائه ، وقد وصلوا الى ما وصلوا اليه من الرقي ان لا يفهموا الا ما فهمت النساء المهاجرات ، ولا يفسروا كلام الله الا كما فسرنه بمجرّد رأيهن واجتهادهن، ولا يعملوا الا بما عملن من شق المروط وتغطية الوجوه، كأنهن معصومات عن الخطأ ؟!

هل عليهم ذلك، ام لهم ان يرجعوا الى كلام الله ويعقلوه ويفسروه برأيهم واجتهادهم تفسيرًا مصيبًا ؟ وقس على ذلك ما جاء في الرسالة من مثل هذا التفسير وهذه الرواية ، واراني وإراك بغنى عن التطويل ، لما في كتابي من الشرح والتفصيل

س — وما قولكِ في قول سماحتهِ : « لو سلمنا بان رفع الحجاب الآن قد اقتضتهُ المصلحة، فلا يجوز رفعهُ في هذا الزمان الفاسد »

ج – اني لأشكر لسماحتهِ ، فيما اشكر ، قبولهُ جواز التسليم بان رفع الحجاب الآن قد اقتضتهُ المصلحة ، وتعليقهُ جواز رفعهِ بصلاح الزمان ، لان في مثل قولهِ هذا تلميحاً منهُ للحق ، اراه دليلاً على امرين : الاول ، ان الحجاب ليس في الشرع من الامور التي لا تتغيّر ، والثاني ، ان الحجاب يُرفَع في زمان غير فاسد

اما التقدير في كون الزمان فاسداً او غير فاسد ، فهو امر نظري . اذن لمن يعتقد صلاحاً في هذا الزمان ان يرفع الحجاب لمقتضى المصلحة ، وعلى من لا يعتقد ذلك الآن ان ينتظر صلاحاً في الآتي لرفعهِ . ولكن الصلاح الذي ينشدهُ سماحتهُ متى كان ؟ ومتى يكون ؟ !

ان العلامة المغربي كان رأيهُ ، والله يشهد ، سديداً في وجوب رفع الحجاب بيد العلماء على الوجه الذي ذكره

ان في ذلك على ما ذكرت ايضاً في كتابي من منع التبرُّج والفساد في السفور المنشود ، وان شئت قل في الحجاب المحدود ، ما يجعل المرأة في حالة افضل من الحالة الحاضرة رصانةً وكرامة وصيانة

واستغرب جدّاً ان يفهم بعض الناس من السفور — وهو ليس في كتب اللغة وفي كتابي الاّ ظهور الوجه – معنى التعري والتهتك ، والظهور في مظاهر غريبة عن الفضيلة

وبعد هذا شكوتها على ايضاحها ، وودعتها متأملاً من آنساتي وسيداتي الفاضلات ان يحذين حذوها في الجرأة والثبات والصراحة ، فيخدمنَ انفسهن ويخدمن هذا الوطن التاعس ، وينهضنَ بهِ الى معارج الرقي والفلاح

ولا نهضة صحيحة لامة من امم الارض الا باشتراك نسائها في ذلك النهوض . والاّ كان نهوضاً زائفاً او رقياً كاذباً !

فعليكن انتن يا سيداتي مسؤولية اتمام نهضتنا الحاضرة

ولا تجزعي ايتها الفتاة ، ولا تأخذك رهبة من هؤلاء القوم عباد القديم، بل ارفعي صوتك عالياً ، وطالبي بما امرك بهِ الله ونبيهُ الكريم. والله تعالى يُجِلُّ عن ان يغبنك حقك العادل

وقد آن لهم ان يرجعوا الى الحق والبرهان المحسوس ، فتتوحد عزائمنا وننهض سوية بوطننا المحبوب نهضةً تنسيهِ ماضيهُ، ويخلد لنا التاريخ ما خلد لاسلافنا الكرام، اذ اننا ما خرجنا عن كوننا بشراً مثلهم ... فيمكننا ان نعمل ما عملوا ، ونخلّد ما خلدوا ، والله تعالى من وراء القصد

بيروت عبد السلام النابلسي

حديث المؤلفة مع محرر «النهضة الحلبية» ، في بعض حقوق المرأة والاحوال الشخصية ، نشرتهُ مجلة مينرفا في عددها ٨و٩و١٠ من سنتها السادسة قالت :

حديث مع الانسة نظيرة زين الدين

الانسة تستعد لاظهار كتاب جديد

— آراؤها في حقوق المرأة —

تاقت نفسي وانا في دمشق ان ازور بيروت عروس سوريا لامتع طرفي برأى الروح الفعالة المتجسدة في بناتها وابنائها . وتلك امنية في النفس قديمة كانت الظروف تؤخرني عن بلوغها من حين الى حين

هبطت بيروت وطفت جميع انحائها وزرت آثارها الفخمة من معاهد علمية وحدائق غنّاء . ولكن وجدتني لا ازال في خسارة عظيمة اذا لم اسعد بزيارة الفتاة التي احدثت ضجة عظيمة في القطر السوري بل في الشرق ، الفتاة التي ثارت على الحجاب (وهو اكبر التقاليد الموروثة) ونهضت لمحاربتهِ وكفاحه لا بالسيف والسنان ، بل بالقلم واللسان . وتلك هي الانسة نظيرة زين الدين

قصدت منزلها فأُدخلتُ الى ردهة الاستقبال وجلست انتظر مقابلتها بشيء من الرهبة . وما هي الا لحظات قلائل حتى رأيت الانسة نظيرة واقفة امامي هاشة باشةً مرحّبة بي بلطف زانهُ الوقار والرزانة . رفعتُ بصري اليها متمعنًا ، فما لبثت ان قلت في نفسي : « لله هذه النفس الكبيرة بآمالها وطموحها ، العظيمة بجرأتها وثباتها »

الانسة نظيرة في العشرين من العمر تقبل على محدثها بكثير من رحابة الصدر والبشاشة مع البساطة وعدم التكلف ، ولكنه مع ذلك يشعر بنفسهِ انهُ امام فتاة مهيبة الجانب وقورة ، فيخشع امامها بكل ادب واحترام . وادركت حضرتها ما خالج نفسي من الارتباك فابتدرتني قائلة :

— كيف حال اخواتي الحلبيات ؟

— قلت (وانا خجل مما اقول) ليست هي على ما يرام . فان شيئًا من الخمول لا يزال مخيماً في سماء الشهباء

— قالت واين وصلت حرية المرأة عندكم ؟

— اجبت بصراحة : ان المرأة عندنا على درجات ثلاث في الحرية . فمرأةٌ لا تزال سجينة الدار يقفل عليها زوجها باب المنزل فلا تخرج منهُ ابدًا . وهو لا يرى لها من الحق اكثر مما يرى للعبد الرقيق يحاسبها على الكلمة والنظرة ولا يتأخر عن استعمال العصا في ظهرها عند اللزوم (الذي يعتقده)

— قالت بدهشة واشمئزاز : يا للفظاعة ! أفي القرن العشرين لاتزال المرأة تحيا مثل هذه الحياة المرّة تحت كنف رجل لا يعرف لها قدراً ، ويحسبها عنده كخادمة مستأجرة مسترقة لا كرفيقة وشريكة له في الحياة ؟

— قلت نعم هذه حالة القسم الاول . اما القسم الثاني فنساؤه يعشنَ في شيء من الطلاقة والحرية ، يذهبنَ حيث شئن محجبات ، يتمتعنَ بحرية معتدلة ، تحيط بهنّ بعض قيود من سلطة الرجل . اما القسم الثالث (القليل) فنساؤه على تمام الحرية الشخصية يخرجن سافرات الوجوه تزينهنّ الحشمة والوقار

— قالت وما ضرّ لو ان كل النساء برزنَ سافرات الوجوه وتمتعن بنعمة تلك الحرية التي اباحها الله لهنّ ، وحرّمها الرجل عليهن ، تصونهن العفة والكمال ، وتزينهنّ الادب والجلال !

— قلت . ما الدافع الذي اثار في نفسك رغبة تأليف كتابك « السفور والحجاب » ؟

— اجابت : كنت منذ نشأتي كما اوضحت في فاتحة كتابي اتألم للحالة التي عليهـا فتاة الشرق اليوم . واتضح لي بنتيجة البحث والتنقيب ان هذه القيود التي تحيط بالمرأة ليست من حقيقة الدين في شيء . فعزمت على وضع محاضرة في ذلك . وعندما ظهرت حركة السفور في دمشق ، ورأيت كيف ان الحكومة تدخلت في الامر وقمعت تلك الحركة بالقوة . فعجبت لذلك التدخل غير المشروع وتوسعتُ في موضوع المحاضرة ، فاذا بها جاءت كتاباً ضخماً من حيث لم أشعر

— قلت : وهل لاقى كتابك مقاومة تذكر ؟

— اجابت : نعم وكثيراً . فقد تصدى لي نقادون كثيرون . وأخذت ردودهم (الخارجة عن اداب المناظرة) تنهال علي من كل جانب. حتى ان بعض المتحمسين للحجاب كان يستغل مركزه الديني في نفوس العامة فينادي في الجوامع وفي كل محضر (ان نظيرة تريد تقويض اركان الدين بكتابها . وهي قد خرجت على الشريعة الاسلامية ... الخ) وقد كان لكلامه اثرٌ سيء في نفوس بعض العامة نحو كتابي ، ولكني لم احفل بذلك ثقةً مني بان الحقيقة يجب ان تقال مهما كابر المعارضون ، وان الحق لا بد له ان يفوز على الباطل . ولم يعدم كتابي انصاراً كثيرين أعجبوا به واكبروه

— قلت : وهل لاقيت معارضة شخصية ؟

— قالت كلاَّ . فاني اخرج لقضاء شؤوني مرتديةً معطفًا بحجب كل اعضائي فلا يظهر منها الا الوجه والكفان . ولم يحدث ان تعرض لي احد في غدوي ورواحي ابدًا لانهم كانوا يرون في حشمة ملبسي ، وفي ادب نفسي ، ما يمنع مواجهتي الا بشيء من الاحترام ، خلافًا لمن تخرج بحجاب يستلفت الانظار بزخارفهِ و بهرجتهِ ، وبحالة هي اقرب الى التهتك والخلاعة ، منها الى الوقار والادب والكمال

— قلت : ولِمَ لا تصدرين مجلة نسائية تمكنك من متابعة جهادك في تأييد مبدإك هذا ، وبثّ فكرتك التي تربنها حقًّا ؟

— اجابت ان مشاغلي الكثيرة واستعدادي لنيل البكالوريا الثانية مما يعوقني عن ذلك. ولكني الان اتمّ كتابًا جديدًا اتممت تأليفهُ واسميتهُ (الفتاة والشيوخ) وهو يحوي ردودًا على كل الردود التي اصدرها المعارضون لكتابي الاول، وهو جامع ايضًا لكثير من الملاحظات والاراء في بعض المباحث الاجتماعية الهامة التي لم تذكر في كتابي « السفور والحجاب » . ثم تلت علي بعض شذرات منهُ فدهشت لما تضمنهُ من المباحث الفلسفية الدقيقة التي تدل على سعة اطلاع وتعمق في التدقيق

— قلت انك استطعتِ تأويل الآيات الواردة في حق الحجاب علي عدم مشروعيتهِ . ولكن ما قولك بالتحوير الذي احدثهُ مصطفى كمال في بعض النصوص الدينية المتعلقة بحقوق المرأة بجعلهِ شهادة المرأة معادلة لشهادة الرجل وارثها كارثه ؟

— اجابت بتفكير وامعان : ان سؤالك هذا يقتضي بحثًا طويلاً تضيق عنهُ هذه الساعة . ولكن ما لا يُدرك كلهُ لا يُترك جلهُ . ليس مصطفى كمال اول من شرع في الاسلام بجعل شهادة المرأة كشهادة الرجل وارثها كإرثهِ ، فبعض القوانين العثمانية مثل اصول المحاكمات الجزائية والقوانين المتعلقة بالاراضي ، تلك القوانين التي وضعتها الخلافة قبل الغائها، ساوت بين الرجل والمرأة في الشهادة في العقوبات والارث في الاراضي

وكأنَّ الخلافة اعتقدت ان ما سنتهُ من تلك القوانين العصرية يتعلق بالامور الدنيوية وقد اقتضتهُ تطوراتها، بخلاف الامور الدينية التي هي علاقة البشر بالخالق، فتلك ثابتة ابدًا، ليس للمخلوق ان يمد اليها يدًا. كأنها اخذت في الامور الدنيوية بالحكمة المكنونة في آيات الله مأولة اياها

خير تأويل تبعاً للقصد الالهي في التنزيل ، وليس القصد الالهي في احكام المعاملات الدنيوية الا الخير للبشر في الدنيا

وطرائق الخير في الدنيا المتقلبة تختلف بحسب الازمنة المتحولة. فلأهل الازمنة ان يذهبوا ما شاؤوا من المذاهب لخيرهم ونفعهم . وحيث يتم الخير والنفع للناس يتم القصد الالهي ؛ انه ينبوع الخير واليسر والرقي للعباد . اوَ ليس من اجل ذلك كانت ايات الله اثناء تنزيلها تنسخ وتعم وتخصص بحسب الزمان تأميناً لنفع الانسان ؟ اوَ ليس من اجل ذلك جعل عندنا اجماع الناس اصلاً من اصول الدين كالكتاب والسنة، وجعل عند غيرنا ما بحلة الناس على الارض محلولاً في السماء ؟

اذن الخلافة ابتدأت ومصطفى كمال اكمل . وكأنها نظرا الى تلك الحكمة المكنونة في آيات الله والى السبب في تنزيلهـــا والى حديث رسول الله ، صلعم ، « انتم اعلم بامور دنياكم »، وحديث (ليبعث الله على رأس كل مئة عام من يجدّد لهذه الامة امر دينها) فحررا القاعدة الجليلة القائلة (لا ينكر تغير الاحكام بتغير الازمان) من بعض القيود التي توهن قوتها ، مُضَيِّقَةً دائرتها ، منقصةً فائدتها

ولماذا لا يتأثر بعض الرجال من اتباع مقتضيات الزمان وفاقاً لتلك القاعدة في سن القوانين المدنية كلها – وما اوسعها – ويحصرون اهتمامهم في مسئلة الشهادة والارث ؟ أليس ذلك دليلَ تحاملٍ منهم على المرأة كما هو الامر في الحجاب ؟

يريد بعض الناس ان يستدلوا بعدم تساوي الرجل والمرأة في القرآن ارثاً وشهادةً على نقص عقلها او على تفضيل الرجل عليها . ان استدلالهم هذا خطأ محض، فان شهادة غير المسلم على المسلم مثلاً كانت غير مقبولة . فلو صح استدلالهم لكان البشر كلهم الا المسلمين ليسوا ناقصي العقول فحسب بل فاقديها ، وذلك ما لا يفترض ان الله اراده . وان قبول الشرع شهادة المرأة وحدها في امور النساء التي لا يطلع عليها الرجال لدليل قاطع على عقلها التام . وما من سبيل الى الظن ان عد شهادتها نصف شهادة الرجل في بعض الامور لنقص في دينها وقد قال رسول الله صلعم (امرأةٌ صالحةٌ خيرٌ من ألفِ رجُلٍ غيرِ صالحٍ) ، انما كان ذلك كله لحكمة الهية توافق مقتضى ذلك الزمان . ولا يخفى ان الشهادة تكليف يُتعب صاحبه ويحرجه، فكأن الله قد اراد حكمة تعالى ايضاً ان يخفف حينئذٍ على النساء حمل التكاليف ،

بمجلسٍ الناس على استشهاد الرجال فيما هذا امورهنّ الخاصة . ثم ان الله مع اعطائهِ المرأة بمقتضى ذلك الزمان من الارث نصف ما للرجل قد وضع على الرجل تكاليف مثل المهر والنفقة تعادل ما نقص من ارثها او تزيد . وكيف يتصور ان الله يريد تفضيل الرجل على المرأة في ذلك وقد قال رسول الله ، صلعم ، « ساوُوا بينَ اولادِكم في العطيّة فلو كُنتُ مفضلاً احداً لفضّلتُ النساء ». ولا شك انهُ اذ عُد الزواج اشتراكاً ، واقتضى الزمان ان يتساوى الرجل والمرأة فهو كما يتساوى اثنان في شركة بينهما ، فلا شك انهُ يقتضي تساويهما حينئذٍ ارثاً كما هو الحال اليوم في العالم الغربي وفي الشعب التركي

ولا يخفى الفرق العظيم بين الامر والنهي . فقد قال رسول الله ، صلعم ، « اذا امرتُكم بشيء فأتوا منهُ ما استطعتم واذا نهيتكُم عن شيء فاجتنبوه ». ومع ذلك فان المسلمين والخلفاء انفسهم قد اجتهدوا في المنهيات مثل الربا واجازوه مع بعض قيود وشروط تبعاً لمقتضي الزمان ، ومثل ذلك تقويم المسكر وبيعهُ وشراؤُه ، وغير ذلك من المنهيات كثير . ذلك ما يدلنا على جواز الاجتهاد بالاولى في المأمورات ولزوم اتباع مقتضى الزمان فيها . واذا سلكنا هذا الطريق ، طريق الاجتهاد الحر الموافق لروح الدين كما كان شرع يسلك الخلفاء ، استطعنا انالة المرأة ما يريدهُ الله لها من الحرية والحق حسب مقتضى الزمان . انتهى

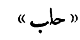
* * * * *

وعلمت من حضرة الانسة انها قد اكملت دراستها العليا في مدرسة الناصرة والمدرسة الاميركية وفي المدرسة العلمانية وحازت على البكالوريا الفرنسية الاولى . وقد درست الاداب واللغة العربيـــة بصورة مخصوصة درساً متيناً وتعمقت في المباحث الدينية واكثرت من التدقيق في كتاب الله وسنة رسوله . وهي الان تشتغل بدرس الفلسفة لنيل البكالوريا الثانيـة [1] والتخصص بعدها في العلوم الاجتماعية

(١) قد نلتها

والحق يقال انني خرجت من زيارتها وانا اشعر في نفسي بروعة الاعجاب ، وخشوع الاحترام ، ولقد كانت في حديثها مثال الفكرة الناضجة ، والنفس الكبيرة العالمة ، تتكلم بلغة عربية فصحى ، تنمّ عن مقدرة وسعة اطلاع

ألا حيّا الله نفساً كهذه النفس، وحبذا لو اقتدت اخواتي فتيات سوريا بعلمها وادبها ، تاركات السفاسف والاهواء التي تحط من قدر المرأة ولا تقيم لها وزناً ، عاكفات على ارتياد مناهل العلم الصحيح والادب التام ، جامعات بين الفضيلتين العلم والاخلاق


« حلب » فوزي الرفاعي




الجزء الثاني





او

بعض اقوال لاعلام من شيوخ المسلمين وعلمائهم وادبائهم وعلماء العالم
وادبائه، في قدر « السفور والحجاب » ومبادئه

تمهيد

فيهِ سبب وضعي الكتاب الذهبي

قال احد معارضيَّ الشيخ سليم حمدان في كتابه «المدنية والحجاب» ، ذاك الكتاب الذي لم أرَ فيه ما يستحق اهتماماً او ردّاً ، ورأيتُ ان لا اقابلَ بعض ما فيه الا بالصفح عنه والاستغفار له ، قال :

لو جرّد القارئ كتاب السفور والحجاب من الآيات والاحاديث ، لما بقي من عنوانه ومتنه الا ما يحاكي ثقالة القدر ، ونفاضة العكم ، ولرأى انهُ محشوٌ بالترهات والحجج الفارغة

وقد وافقه بعض المشايخ المعارضين على مثل قوله واقاويله ، في كتبهم ورسائلهم ونشراتهم المنثورة والمنظومة ، والموزعة بلا قيمة . واني استغفر الله لهم ، كما استغفرت لهُ ، ما قد كان ينبغي له ولهم ان ينزهوا اقلامهم عنه مما ينافي اداب المناظرة ولا يوافق مكارم الاخلاق

ولهذا رأيتُ ، بعد ما عرضتُ من حال ، او من حقائق في خيال ، ان انقل قبل الدخول في الجدل مع الشيوخ المعارضين ، في ميدان الحق المبين ، من بعض ما كتب اليَّ او ما اتصل بي ، او مما قال في وصف كتابي وقدره اعلام وعلماء وادباء من المسلمين السنيين والشيعيين ، ومن غيرهم من العالمين ، ما يأتي

وما لم يأتِ في هذا البـاب ، فقد اثبتهُ حيث احتجت اليه في غيره من الابواب ، او ارجأت نقله لامرين . اولاً : لان نقل ذلك كله يؤلف ما حجمهُ اكبر جداً من كتابيَّ مجموعين : «الفتاة والشيوخ» و «السفور والحجاب» . وثانياً : لاني ارى ما انقل هنا من النماذج كافياً لاولي الالباب

فما اثبته لاحتياجي اليه في غير هذا من الابواب : كلمة الشاعر القروي ، وابيات الرصافي ، وقصيدة العاملي ، ونشيد السفور ، وابيات للشيخ احمد تقي الدين والسيد فؤاد جرداق ، وكلمات مخزومي باشا ، والشيخ المدهون ، والسادة بيوت ، والرفاعي ، والنابلسي ، ومندوبي الراية والحرية ، وكلتا لسان الحال والبرق

انقل هنا ما انقل من نماذج التقريظ اولاً ليحكم قضاة الاجتماع في ما قال المعارضون من

وصف للكتاب غريب عن الموصوف ، وقدر لا ينطبق على المقدور . فيصفوه و يصفوهم وصفه ووصفهم ، و يقدروه ويقدروهم قدره وقدرهم وثانياً : ليتنزه القارئون والقارئات في رياض نضرات من اقوال لاهل الفضل والادب، اذ ان للفكر في استمرار المناظرة والجدال ما لا يخفى من تعب

وكثيرَ ما سمعتُ ذكراً لكلمات في تقريظ الكتاب باهرات ، نشرتها في العالمين ، القديم والجديد ، الجرائد والمجلات ، ولم تتصل بهذه الفتاة . وفي ما يلي من الصفحات بعض ما كتب الي او ما اتصل بي :

*****

كتاب المفوضية السامية للجمهورية الفرنسية في سوريا ولبنان والعلويين وجبل الدروز نشرتهُ جريدة الراية عدد ٢٥٤ قالت :

الثورة حول السفور

﴿ كتاب من المفوضية السامية للمؤلفة ﴾

لم تكد تنشر الانسة نظيره زين الدين كتابها على الناس في « السفور والحجاب» حتى اهتزّت لهُ اقلام الكتاب بين محبذ ومنتقد . وذلك هو الدليل الاكبر ان للكتاب قيمته ، وان للمسألة خطورتها . وقد ارسلت فتاتنا الكريمة نسخة من كتابها الى المفوض السامي مرفقةً برسالة تفصيلية ، فجاءها الجواب الاتي تعريبه

حضرة الانسة نظيره زين الدين المحترمة

لقد تلطفت بارسال بضع نسخ الى فخامة المفوض السامي من الكتاب الذي عنيت بنشره مؤخراً عن احوال المرأة المسلمة في الشرق . فقد طالع فخامته باهتمام كلي وعناية خاصة الكتاب المشفوع برساليتك هذه . وقد رغب في درس النظرية التي تدافعين عنها درساً مستفيضاً فأمر بترجمة اهم صفحات الكتاب وهذا هو السبب في تأخره عليك بالجواب . وهو يكلفني ، في غيابه ، ان اشكر لك هديتك اللطيفة وان اهدي اليك اخلص تهانئه ، وقد كان لك ذلك النصيب الاوفر في خدمة الابحاث الاجتماعية الشرقية . وتفضلي يا حضرة الانسة بقبول فائق احترامي

رئيس الغرفة : دروين

كتاب سموّ الداماد احمد نامي بك رئيس الدولة السورية السابق

نشرتهُ جريدة البرق في عددها ٣٠١١

قالت :

بين الانسة نظيره زين الدين وكبراء رجال الامة

لم يكن لكتاب من الخطورة ما كان لكتاب « السفور والحجاب » الذي اخرجتهُ للناس حضرة الكاتبة الناهضة الانسة نظيره زين الدين ٠ فلقد اثار في الصحف والنوادي هزّة روحية سيكون لها صدى يترجع

والكتاب كناية عن محاضرات ونظرات ترمي الى تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي ٠ فبحثت في السفور والحجاب بحوثاً مستفيضة ايدتها بما استخلصتهُ من الادلة الكتابية والمأثور من الحديث

ولقد عهدنا الى صديقنا المنشئ الاديب السيد بشير يموت ان يقرظ الكتاب فوعد ٠ ولكنهُ تيسر لنا قبل ان ينجز السيد بشير مقاله ان نطلع على كتب بعض الكبراء التي تلقتها اديبتنا النابهة في صدد كتابها هذا ، فرأينا من اشد دواعي الفخر ان ننشرها هنا على ان ننشر كلمة الجريدة في الاجزاء القادمة

وهذا هو الكتاب الوارد من سمو الداماد احمد نامي بك

حضرة الآنسة النابغة نظيره زين الدين الفاضلة دام علاؤها

كلما تتبعتُ ما خطته يداك الكريمتان في سبيل جهودك العالية التي توّجت بتاليفك الانيق « السفور والحجاب » غدوتُ شاكراً لك تلك الخدمات الجلى باعجاب ، مبتهلاً لله ان يلهمنا ما فيه صالح البلاد ورقيّ مستواها الاجتماعي . ولا غرو فانت ابنتها النبيلة « والشيء من معدنه لا يستغرب » لستِ الا الغصن النضير الذي انتشرت عبقريته الزكية بما اتصل اليكِ من والديكِ الفذّين ، والمفكرين اللبيبين ٠ فانجباكِ وقرّت عيناهما بك . ووهبا لك

مواهب عز نظيرها · فاقطعي غير مبالية اشواطاً ومراحل في الطريق القويم الذي اخذت به ناهضة بعالم الادب والتجدد الفكري . لا زلت خير قدوة لخدمة امتك التي ستفاخر بك وبامثالك ، راجياً قبول عاطر تحياتي وتشكراتي الخالصة لاهدائك الي افخر ما يهدى . الا وهو كتابك المستطاب · حفظك الله وابقاك ذخراً لبلادك

٧ نيسان سنة ١٩٢٨

احمد نامي

* * * * *

كتاب فخامة الشيخ تاج الدين الحسني رئيس الحكومة السورية

دولة سوريا

رئيس الوزارة

حضرة الانسة الادبية الفاضلة

تحية واحترام . تناولت كتابك الكريم ، ومعهُ مؤلفك القيم في « السفور والحجاب » الذي خطه يراعك البليغ · فاشكر لك هذه الهدية النفيسة النادرة التي ساحتفظ بها كاحسن ذكرى لفضلك وادبك وسعيك المشكور لترقية المرأة . والسلام مختوم باحترام لفضلك وادبك ، ايتها الانسة المحترمة

دمشق ٢٥ نيسان ١٩٢٨

محمد تاج الدين الحسني

* * * * *

كتاب صاحب المعالي محمد بك كرد علي وزير معارف سوريا ورئيس المجمع العلمي العربي نشرتهُ مع جوابي عليهِ جريدة البرق عدد ٣٠١١

قالت بعدان ذكرت كلمتها المذكورة سابقاً تحت عنوان : (بين الانسة نظيره زين الدين وكبراء رجال الامة) :

وهذه صورة الجواب الوارد الى المؤلفة من معالي العلامة المصلح محمد بك

كرد علي وزير معارف سورية ورئيس المجمع العلمي العربي

دولة سوريا
وزارة المعارف

حضرة الباحثة الكاتبة الانسة نظيره زين الدين المحترمة

سيدتي

قرأت جملة من كتابك الممتع « السفور والحجاب » . فاعجبت بجودة بيانك و بعد نظرك في الاحتجاج والاستنتاج ، ورأيت انك قد عالجتِ ، عافاكِ الله ، موضوعاً كان وما زال من اهم العوامل في حياتنا الاجتماعية . وسيكون لكلامك التاثير الحسن في النفوس ما تخطو به الامة ولو خطوةً واحدةً الى الامام . لا جرم ان انطلاقك في الفكر ، وحريتك في البحث ، وتلهبك غيرة على نصف امتنا المنحط ، سيحمل كل ذلك درساً نافعاً للرجال ، وربات الحجال . ويقيني ان المواد الصافية التي ابرزتها بهذه الحلة القشيبة هي انفع من الخطب المحمرة والشعر الخيالي

نعم انتِ وُفقتِ الى طرق الموضوع من بابه ، لا من وراء ستار . خلافا لما كان يتعثر به بعض من سبقوك من العثرات التي ما خلت من جمجمة ولا تقية

اخذ الله بيدك الى ما فيه صلاح العرب والمسلمين

وارجو ان تتفضلي بارسال عشرين نسخة من كتابك باسم وزارة المعارف مشفوعةً بقائمة ثمنها ولك الفضل يا سيدتي الفاضلة

في ١٥ نيسان سنة ١٩٢٨

وزير معارف سوريه
ورئيس المجمع العلمي العربي
محمد كرد علي

ولم يسع حضرة الانسة ان تقف موقف الساكت تجاه كلمة معالي الوزير المنشطة فبعثت اليهِ بالجواب الاتي

الى معالي العلامة العلم وزير معارف سوريا ورئيس المجمع العلمي المعظم

سيدي العلامة الكبير

تناولت بيد التعظيم رسالتك الكريمة . وما مزقت حجابها حتى بدا لي وجهها العربي وفيه عزة الاسلام . فخفضتُ جبيني هيبةً واحتراماً ، وانحنيتُ لديها اجلالاً واعظاماً . بارك الله في وجه انور ، قراتُ فيه إذ سفر ، آياتٍ من الحكمة او حكمةً في السور ، وآنستُ فيه بشرى ، يا لها من بشرى ، بتقلص الظلام ، والسير في النور الى الامام . وأنى لا تخطو الامة خطوات في طريق حريتها وسعادتها ، وانت من قادتها ؟ لا زلت محمدا في العرب ، وعلياً في الاسلام

سيدي الوزير الخطير

امتثالاً لامرك ارسلت عشرين نسخة من كتابي « السفور والحجاب » باسم الوزارة الجليلة مشفوعة بقائمة ثمنها ، وقدمت معها عشرين نسخة هديةً مني يتفضل الوزير الجليل باهدائها الى من شاء ، من اخواني الرجال واخواتي النساء ، راجيةً من حضرته قبولها ، وقبول عظيم اجلالي وخالص شكري وفائق احترامي

بيروت في ١٨ نيسان ١٩٢٨ نظيره زين الدين

* * * * *

كتاب الشيخ يوسف الفقيه مستشار محكمة التمييز الشرعية

نشرتهُ جريدة الوطن عدد ٢٧٦٠ تحت عنوان

علماء الاسلام بين السفور والحجاب

ونشرته جريدة البرق عدد ٣٠٣٨ تحت عنوان

بين مؤلفة " السفور والحجاب " وعالم مجتهد كبير

حضرة الاديبة الفاضلة الانسة نظيره زين الدين طال بقاؤها

تناولت التحفة الثمينة « كتاب السفور والحجاب » . وسرحت نظري في جملة من

محاضراته ونظراته التي هي اصول الكتاب وعليها مدار البحث . فوجدتها حدائقَ علمٍ قد تفتقت عن الحقائق اكامها ، بل خرائدَ فضل قد انكشف عن فلق الصبح لثامها . فحياكِ الله من كاتبةٍ نبيلة ، قد بذَلت جهدها في العلوم ، فوقعت من منطوقها على المفهوم . ولا غرو فقد انجبك نجيب كريم جرى في حلبة الفضل فحلق ، وما سوبق في مكرمة الا سبق

ايتها الفاضلة لقد فتحتِ للبحث ابواباً طالما وقفت دونها الفطاحل ، ونقحمتِ من المطالب ما قد احجم عنها كثير من الجهابذة الافاضل ، سالكةً في ذلك سبيل التحقيق ، ماشيةً مع الدليل بحرية مطلقة ، فوفقتِ الى الصواب ، فاطلقتِ العقل من عقاله بقوة البيان ، وذُدتِ الاباطيل عن جنابه ببارق البينة والبرهان ، فعاد مستوياً على عرش عزه ، له القول الفصل ، والقضاء العدل

وحررت الفهم من استعباده بالتقليد بسلطان الحجة ، وحميت حوزتهُ المنيعة برقيق اللهجة ، فاستباح التمتع بحريته بعد الحظر ، وتصرف بحقه بعد الحجر . واضحي يتمشى بنور الكتاب والسنة ، من غير ما خجلٍ ولا وجل

وقلتِ ان للمرأة ان تنهض من حضيض الجهالة المزرية ، والمهانة المخزية ، الى اوج الادب والفضيلة ، وسماء الكمال والمعرفة . وهذا ايضاً لا مريةَ فيه من كل ذي مسكة ، لاطلاق الكتاب والسنة ، ولا يعتري العقلَ فيه شبهة

وقلتِ بالتجدد مع الزمن وهو في غير القوانين اللزومية لازم ، اذ به تحفظ المروءة ، وهو مستفاد من السنة . وفي ما ورد منها في اللباس ، كما ذكرتِ في كتابكِ ، كفاية . الى غير ذلك مما انتظم في سلكه من الدرر او الدراري ، وضمَّ بين دفتيه من السور او السواري

غير ان السفور بمعناه المعروف عند من افرط من السفوريين لا يجيزه كتاب ولا سنة ، ولا يستحسنهُ عقل ، فان الرجل يأنفهُ لنفسه فضلاً عن زوجته وامه

اقول هذا مع احترامي لمقالك ومعرفتي ما له من الجلالة . على انهُ يمكن ان يراد منه السفور عن مواضع الزينة الظاهرة المستثناة بقوله تعالى « الا ما ظهر منها » ، وهي الوجه والكفان . وحينئذٍ يطيب ثمر الكتاب لمجتنيه ، ويعذب ماؤهُ لوارديه ، ولا يبقى لقائل فيه مغمز ، ولا لعاذل فيه مهمز

اما قول فريق من الحجابيين بلزوم الحجب مطلقاً حتى الوجه والكفين ، فهو غلوٌّ بحتٌ انبعث عن الحمية ، وانتجتهُ العادة ، كما انتجت المنع من اختلاط النساء بالرجال على الوجه

المتعارف في القرى في حضور المحارم وحيث لا خلوة. مع ان المنع مخالف للسيرة ، ومباين لجوهر الشريعة السمحاء . قال تعالى « يريد الله بكم اليسرَ ولا يريد بكم العسرَ » . وان الاستدلال لما قالوه بخوف الريبة غير صحيح . فانها لا تتحقق مع كل نظرة واختلاط ، ولا لكل ناظر ومختلط . على ان ذلك لو تمَّ لاوجب الحجاب على الرجل ايضاً لاتحاد المناط ، والتفكيك بينه وبين المرأة تفصيل في مدلول الدليل الواحد

عذراً ايتها النبيلة . فاني لم افه بكلمتي هذه الا ليكون لي نصيب من خدمة الدين والامة، لا مستدركاً على كتابك لقصور فيه ، عن تحقيق ما اشرتُ اليه ، كيف وقد سطع النور من صفحاته فلم يبق في المجال حقيقةٌ مكنونةٌ الا اظهرها

فحقاً اقول ، ان لك على الحقائق ايادي َ تُشكر ، وفواضل لا تنكر. فأبتهلُ الى الحق سبحانه ان يطيل بقاءك الشريف للامة والوطن واقبلي احترامي

حرر في ١٩ نيسان ٩٢٩

يوسف الفقيه

* * * * *

كلمة الشيخ عبد القادر المغربي عضو المجمع العلمي العربي في دمشق

نشرتها جريدة الاحرار عدد ٩٥٩

قالت :

كتاب السفور والحجاب

❋ بقلم حضرة العلامة الشيخ المغربي عضو المجمع العلمي بدمشق ❋

ارسل الينا بعض اصدقاء « الاحرار » بدمشق مقدمة التقريظ الذي كتبهُ الاستاذ الشيخ المغربي لكتاب « السفور والحجاب » لينشر في مجلة المجمع . وقد احببنا ان ننشر هذه المقدمة لانها ليست جدلاً في الموضوع الذي كنا اغلقنا بابهُ ، وليس فيها تعرض او مس لكرامة احد . وانما هي تحض على استعمال الروية

في هذه المسألة التي احتدم الجدال حولها ، وملافاتها بطريق الشورى الطائفية .
قال الاستاذ في مقدمته :

قرأتُ هذا الكتاب لمؤلفته الفاضلة الآنسة نظيرة زين الدين فوجدته اشبه بعلمة «انسكلوبيدية» احاطت بهذا الموضوع من جميع اطرافه ، وتضمنت كل ما يمكن ان يوجه اليه من الاعتراضات ثم الرد عليها من طريق العقل تارةً ، والنقل اخرى ، و بالقضايا الخطابية او الشعرية احياناً كثيرة

والكتاب عدا ما فيه من تحقيق مسألة الحجاب والسفور ، قد اتحفنا بفائدتين جليلتين ، احببت قبل الشروع في تقريظه ان لا يفوتني التنبيه اليهما ، وشكر المؤلفة عليهما

الفائدة الاولى: ان المؤلفة في عكوفها على دراسة القرآن والحديث، واستدلالها بنصوصهما ونزولها في مسالة السفور على حكمهما ، كانت كانها تقول :

«ان طائفتي (الدرزية) مهما كان لها من تقاليد تاريخية تميزها عن غيرها من الفرق الاسلامية ، ما زالت ولن تزال تستمسك مع اخوانها المسلمين بعروة الاسلام ، وتهتدي بهديه ، وتنضوي الى جامعته»

وعندي ان اعلانها هذا الامر في مثل هذه «الظروف» التي تعمل على التحليل والتركيب السياسيين — هو اهم بكثير من تحقيق مسألة الحجاب والسفور

اما الامر الثاني او « الفائدة الثانية » التي لمحتها من خلال سطور كتاب الحجاب والسفور ، فهي لا تقل عن الفائدة الاولى شاناً وتنبيهاً لنا معشر المسلمين الذين يهمهم ان يقع اصلاحهم الاجتماعي عن طريق دينهم الحنيف . ذلك ان المؤلفة الفاضلة في كتابها المذكور كانت كانها تخاطب انصار السفور من جهةٍ ، ثم تلتفت فتخاطب العلماء انصار الحجاب من جهةٍ ثانية

فتهتف بالاولين السفور يين قائلةً :

انه لا ينبغي لنا ان نستقل بالنظر في هذه المسالة الاجتماعية الدقيقة من دون التفات الى نصوص الدين ، ومن دون تحكيم شريعتنا السمحة بالامر

ثم تلتفت الى السادة العلماء فتقول :

ان السفور يين والسفوريات يا سادتي كثروا في العالم الاسلامي كثرة مطردة . وان

المسالة اصبحت عملية بعد ان كانت نظرية . وان معظم الذين ينصرونها ويؤيدونها هم طبقة المسلمين المتعلمين الذين اصبح بيدهم الحل والعقد تقريباً ، والذين يعتقدون ان فكرة السفور في المسلمين ليست في الحقيقة اثراً من آثار تشهي اشخاص ، بل هي أثر من آثار نواميس اجتماعية وثقافية تعمل عملها قسراً

وان من نظر في تاريخ هذه المسألة وتطورها :

من يوم ان كتب عنها قاسم امين ما كتب

وما كان من الاتراك الكماليين

وما كان و يكون من اخواننا المصريين الذين يزورون سوريا بنسائهم السافرات

و بعد ان رفع زعيم مصر المطاع (سعد زغلول) النقاب بيده عن وجوه المسلمات اللواتي احتفلنَ بقدومه ومنفاه

وما فعله ملك الافغان وزوجته « ثريا »

من نظر الى ذلك كله وما شابههُ من الوقائع والشواهد علم ان الامر جد ، وان سكوت علمائنا عنه ، وعدم مبالاتهم به ليس من مصلحة المسلمين ولا من سداد الرأي في شيء

اننا اصبحنا معشر المسلمين مع مسالة السفور تجاه امر واقع . وهذا الامر الواقع هو مظهر من مظاهر القضاء والقدر الذي اعتدنا ان نقول حين توقع حلوله : « اللهم انا لا نسألك دفع القدر ولكن نسالك اللطف به » . واللطف في مسالة السفور يكون بالاقتصار فيه على ما رضيه لنا الوحي وسنهُ لنا السلفُ الصالح

ثم كأني اسمع المؤلفة تقول :

وها أنا ذا يا سادتي كان يمكنني ان اسفر وابقى صامتة كما صمت غيري ، لكنني رايت ان أسنّ لنفسي ولاخواتي المسلمات هذه السنة الحسنة وهي :

ان نرجع في امورنا الدينية والاجتماعية اليكم ايها العلماء ، فتعالجوها بحصافة عقل ، واخلاص قلب ، وهدوء اعصاب . تعالجوها ولو بواسطة اجتماع ملي يؤلف منكم على اختلاف مشاربكم ، فتحللوا ما احله الله وتحرموا ما حرمه الله ، بعد ان تتذاكروا في المسالة مذاكرةً برلمانية منظمة ، بحيث يكون لها نتيجة عملية يمكن تطبيقها والتعويل عليها . واني اخشى يا سادتي العلماء — وقد بلغ الامر من الجرأة على السفور ما بلغ — ان يعمّ و ينتشر بين المسلمين كافة . وعندها يقول بعض الناس : ان السفور وقع بالرغم من دين الاسلام بدليل

ان علماءه يقاومونهُ ، ويكفرون اشياعهُ

واني اخشى ان يقف علماء بلادنا موقفاً سلبياً إزاء مسالة السفور كما فعل علماء الاتراك حتى آل الامر اخيراً الى انتزاع حق التكلم في هذه المسالة من ايديهم وانتقاله الى ايدي الكماليين الذين اضجرهم الجمود ، فاصبحوا على قاب قوسين من الجحود

لا جرم ان مجرد شعور السفوريين والسفوريات بأن صنيعهم يجعلهم في حيدة عن سائر اخوانهم يزيدهم جرأة على ممارسة مخالفاتٍ اخرى قد تكون اقبح في نظركم وانكر من مسالة السفور

بل ان كان النقاب رفع عن وجه التركيات بيدٍ وطنية مسلمة في الجملة ، فاني يعلم الله اخشى ان يرفع ذلك النقاب عن وجه التلميذات السوريات بيدٍ لا تريدونها

بيدٍ ترفعه ثم تعمل بالسر على رفع غيره

بيدٍ ترفعه وتودعه بكلمات السخرية والتهكم

فالآنسة نظيره كأنها في كتابها هذا تضرع الى علماء الاسلام قائلة :

ان السفور اذا كان ولا بد من وقوعه بين المسلمين كما تدل عليه القرائن الكثيرة فليقع بايديكم ايها السادة :

فليقع بايدي المتعممين لا المطربشين ولا المقلنسين

فليقع بالقدر الذي تشاؤون ، لا الغلو الذي تكرهون

فليقع مقيداً بالشرائط والتحفظات المستندة الى نصوص الدين الصريحة ، وقواعد الشرع السمحة المبيحة

وإلا فاني اخشى ان يقع كما وقع لدى الكماليين من دون مراعاة نص ، ثم يعقبه على الاثر التبرج والخلاعة وفاحش « الدنس »

ان السافرات ايها السادة انما يسفرن باذن اوليائهن . فمعارضتهن إذن عبث بل فضول . واذا اقترنت المعارضة بالتعيير والقذع ، سوف تؤدي الى التفرقة والصدع ، وتكون النتيجة انهيار البناء بالطبع

هذ ما تخيلتُ اني اسمعه من الآنسة نظيرة زين الدين مذ حاولتُ تقريظ كتابها . وها انا ذا الان ارجع الى المقصود من تقريظه ووصفه . وبيان ما توخته مؤلفته في تنسيقه ووصفه فاقول ...

عبد القادر المغربي

هذا ما نقلتهُ جريدة الاحرار من قول الشيخ المغربي · ولا ادري هل اكمل الشيخ الحكيم تقريظه كما تقتضي مقدمته ، ام انهُ جسّ كما يجسّ الحكيم النبض ، فاقتضت في ذلك ما اقتضت الحال وحكمتهُ

* * * * *

كلمة الاستاذ الشيخ علي عبد الرازق في مجلة الهلال
لشهر اغسطوس سنة ١٩٢٨

وقد نشرت المجلة بمناسبة كلمته هذه صورة الشيخ بجانب صورة المؤلفة رمزاً لمعاضدة الشيوخ الثقات ، للفتاة

قال الاستاذ :

كتاب السفور والحجاب

كان امر السفور والحجاب من المسائل التي غلت بين المصريين ، واشتدت حيناً من الزمن · لكن نحواً من عشرين عاماً قد مضت عليها فاستقرّ غليانها · واني لاحسب مصر قد اجتازت بحمد الله طور البحث النظري في مسئلة السفور والحجاب الى طور العمل والتنفيذ . قلستَ تجد بين المصريين الا المخلفين منهم ، من يتساءل اليوم عن السفور اهو من الدين ام لا ، ومن ضروريات الحياة الحديثة ام لا ؟ بل تجدهم حتى الكثير من الرجعيين المحجبين منهم يؤمنون بان السفور دين ، وعقل ، وضرورة ، لا مناص لحياة المدنية الحاضرة عنها · ولكن العقبة الجديدة التي تواجه المصريين اليوم انما هي الوسيلة التي يتدرجون بها الى السفور الفعلي تدرُّجاً لا يكون فيه منافرة بين ذوق الحجاب القديم وذوق السفور الجديد . فان الرجل والمرأة بالطبيعة يحرص كل منهما على استرضاء الاخر وموافقة ذوقه . وذلك الحرص الطبيعي من المرأة على موافقة ذوق الرجل ، ومن الرجل على موافقة ذوق المرأة ، هو فيما نظن العقبة الوحيدة التي يوشك ان يجتازها المصريون الى السفور الكامل الشامل

اما اخواننا السوريون فيلوح ان للسفور والحجاب عندهم تار يخاً غير تاريخه في مصر . فهم لم يجتازوا بعد طور البحث النظري الذي بدأه بيننا المرحوم قاسم امين منذ اكثر من عشرين سنة . ولكنهم على ذلك يسيرون معنا جنباً الى جنب في الطور الجديد الذي نسير فيه طور السفور الفعلي الكامل الشامل

لذلك نقرأ كتاب « السفور والحجاب » للانسة نظيره زين الدين . وهو عبارة عن محاضرات ونظرات مرماها تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي . وفي الوقت نفسه نقرأ اخبار الاضطراب الذي اثارته حركة السفور الفعلي في دمشق وغيرها . وكذلك نرى طوري البحث النظري والتنفيذ العملي يمشيان معاً في بلاد الشام . وقد كان بينهما في بلاد مصر عشرون عاماً او اكثر . ذلك لان الشام غير مصر ، ولان الحياة اليوم لا تحتمل من البطء والتأني ما كانت تحتمله يوم صدع المرحوم قاسم امين بدعوته الى السفور

فلا غرو ان يقطع الشام في خطوة واحدة ما قطعته مصر في خطوتين او ثلاث ، وان يصل معنا او قبلنا الى الغاية التي نسير نحوها من تحرير المرأة

* * * * *

انا لنغتبط من جهات كثيرة بكتاب الانسة نظيره زين الدين . واهم هذه الجهات في نظرنا ان تنهض شابة فتية من بنات الشرق بالدعوة الى ما تعتقده اصلاحاً ، وان كان في ذلك الاصلاح خروج على المألوف ، وباعلان ما تعتقده صواباً وان خالفت بذلك رأي الشيوخ والمتقدمين . وان اول بشائر الكمال في الانسان ان يستطيع التفكير حراً ، ويستطيع ان يصرح بفكره حراً

فاما الذي يخشى من رفع صوته بالرأي ، واعلان ما يعتقده صواباً ، فليس هو باقرب الى الكمال الانساني من عامة الناس وجهالهم . وانك لتجد بين العامة ، واعرق الناس جهالة ، من اذا تحدثت اليه في بعض شؤون الحياة رأيته بصيراً بها وبما يعيبها من نقص ، وبما ينبغي لها من اصلاح . لكنه عاجز عن ابداء رأيه ، والدعوة اليه ، جهلاً منه او خوفاً من ان يثور عليه المخالفون له ، و ينهض لمحاربته اهل الهوى والغرض . فاولئك ليسوا بانفع للبشرية من اهل البله الذين لا يميزون بين خير وشر . بل ربما كان اولئك في سكوتهم عما يعرفون ، وفي اعراضهم عما انكشف لهم من الحق ، احط درجة من الحمقى والمغفلين . اولئك هم الذين ورد في وصفهم انهم شياطين خرس

اما بعد فليس ينقصنا التفكير ولا المفكرون . فان التفكير سارٍ في البشرية كلها يشترك فيه العالم والجاهل ، والخاصة والسوقة . وان المفكرين منتشرون في بقاع الارض وفي جميع الطبقات من الرجال والنساء ، ومن الكبار والصغار . ولكن الذي ينقصنا انما هو الشجاعة في الرأي ، وقول الحق من غير تردد ولا رياء . فهنا مبدأ الكمال الانساني ، وهنا تختلف اقدار الناس

من اجل ذلك نغتبط بكتاب الانسه نظيره زين الدين ونلمح فيه قبساً من اول بشائر الكمال

نغتبط بكتاب الآنسة نظيره زين الدين ، ونعتقد ان هذا الاسم قد استحق ان نفسح له موضعاً بين الاسماء البارزة في عالم النهضة النسوية في الشرق ، نرعاه بكثير من الامل ، ونحوطه بكثير من العطف ، ونرجو له اطيب النجاح

الى ان قال

ان تكن الانسة نظيره زين الدين قد ارادت بكتابها مجرد الدعوة للسفور عن طريق البحث الديني والجدل ، فقد اهتدت الى طريق من طرق الدعوة الموصلة الى الغاية . اما ان تكن ارادت بكتابها ان تخوض مع الخائضين في غمار المناقشات الدينية ، فذلك مجال نرجو ان تربأ الآنسة بنفسها عن التوغل فيه ، اشفاقاً على مجهودها الغالي ، ونزعاتها الكريمة ، وشبابها المتحمس ، ان تضيع في ذلك المجال التائه العقيم

علي عبد الرازق

الى آخر ما قال

قلت ان في كلمة الاستاذ من الحكم البالغة الضرورية للحياة ، الخالدة للتاريخ ، ما يقتضي ان تقتبسه مصابيح الامة بل نيراتها من نساء ورجال ، للعمل به في طريق الكمال

كتاب الشيخ طاهر النعساني نشرته جريدة البرق عدد ٣٠٣٩
قالت :

السفور والحجاب

رسالة من الشيخ طاهر النعساني الى مؤلفة كتاب السفور والحجاب

ننشر فيما يلي الرسالة التي بعث بها حضرة العلامة الشيخ طاهر افندي النعساني الى حضرة الانسة الفاضلة نظيره زين الدين مؤلفة كتاب « السفور والحجاب » ننشره بعد ان نشرنا في الامس رسالة الشيخ يوسف الفقيه وهو هذا :

حضرة الانسة الفاضلة النابهة السيدة نظيرة زين الدين لا زالت زينة بنات جنسها لا بل نبراسهن الوضاء في عصرنا

اطلعت على كتابك الكريم المنشور في جريدة الاحرار الذي بعثتِ به الى سماحة مفتي بيروت مع كتابك المولف في السفور والحجاب او تحرير المرأة والتجدد في العالم الاسلامي ، فراق لي ما جئتِ فيه من الادلة والحجج الدامغة التي برهنتِ بها على تضلعكِ من الكتاب والسنة ، واطلاعكِ على اسرارها ، وما ترمي اليه الشريعة الاسلامية غير متقيدة بقيود المفسرين ، وحواشي المحشين وشرح الشارحين ، عامدة الى اطلاق الفكر من القيد ، واللسان من العيِّ ، والكلام الا فيما ينفع ويفيد . فشكرت لك هذه النهضة المباركة وهذه الجرأة الفائقة ، التي سيذكرها لك التاريخ وتقدسها الاجيال في المستقبل

يا لله ما اجمل ما جئتِ به وما احسن وقعه لدى عارفي فضلك ونبلك ونبوغك

اني ايتها الكريمة على استعداد لترويج كتابك في حاضرتنا حماه . فان فيها من يقدر المرأة قدرها ، ويعمل على اعطائها حقها ، وانالتها حظها من العلم والاخلاق الفاضلة . فهل لكِ ان ترسلي لنا بضعة عشر نسخة منه لعلنا نقوم بواجب متحتم علينا القيام به نحوك ، يا من تعمل في سبيل العلم الحقيقي وتريد لبنات جنسها حياة العلم مقرونة بالاخلاق يزينها الدين . لا زلت بهجة العصر . والسلام ، عليك في المبدإ والختام ، ايتها النابهة الناهضة من اخيكِ المخلص

حماه ٢٩ شوال ٣٤٢ — ١٩ نيسان ٩٢٨ طاهر النعساني

* * * * *

كتاب العالم المعروف الشيخ ابي يوسف عبد القدوس الهندي

بسم الله عز وجل

بهار الشريفة

في ٢٣ من رمضان المبارك سنة ١٣٤٧ هجرية

سيدتي المحترمة المفضالة الكريمة سلام الله عليكن ورضوانه

غب ما تحظى شفتي بلثم اناملك الطاهرة ، ارفع الى فخامتك الوكني هذه متمنياً ان تسرحي عليها عين الالطاف والكرم ، عسى ان افوز بمرامي ، ولك الفضل فوق الفضل

انا اهنئك يا سيدتي باول وهلة على عوارفك الجميلة ، وغيرتك الدينية الحسنة ، ثم على صفتك الغراء التي بدت بين العالم في ثوب «السفور والحجاب» فيا حبذا المثل ذلك الكتاب الزاهر . انه جاء اهم جدوى واكثر نفعاً من الكتب التي ألفت حديثاً في هذا الباب . والحق يا ابيتها الكريمة ان الامة الاسلامية لكانت مفتقرة الى نظير «السفور والحجاب» اشد من احتياجها الى الشمس والسحاب . ولا سيا الامة الجامدة التي لا حس فيها ولا حراك . وها نحن الهنادكة اكلها جموداً ، فتريننا والله كاننا اشباح لا روح فيها ولا نفس

فالحمد لله على ان «السفور والحجاب» جاء علقاً نفيساً . نعم وجاء أسقى ريه ، واروى غله . فاشكر مولفته المفخمة التي ايقظت به النيم ، لا بل القت روح الحرية ، روح النشاط في اجساد الاموات ، واثني اطيب الثناء واحمد جزيل الحمد لسيادتها

بيد انه يا خيبتاه ! يدمي اماني كثير من اخواننا جهلهم اللسان العربي المبين . فانهم من ثم لا يستطيعون ان يرووا به غلتهم حتى يعرض لديهم «السفور والحجاب» في السنتهم . فوددت لو اكسوه لباس لغتنا الاردوية ، ثم اعرضه بين الامم الهندية ، بين السفوريين منهم والحجابيين ، عسى ان يتنبه به الحطمة[1] على اخواننا واخوانك وامهاتنا وامهاتك . وما هذه البغية بصميم فؤادي فقط ، بل اغراني على ذلك كل الاغراء ، احد مديري الجرائد الهندية الحكيم محمد يوسف حسن مدير الجريدتين الذائعتي الصيت «نيرنك خيال» و «تازيانه»

---

(١) الظلمة من الرعاة

فيا حبذا لو ترخصين لي ان اترجم ذلك الكتاب[١] . انه ليس ببدع من معارفك وعوارفك . كيف لا ؟ وانت في صعت[٢] المساواة للنساء وحريتهن

فيا سيدتي أو لسنَ بنات الهند اخوات لكن ؟ او لسنَ حريات بان ترحميهن ؟

اني لاقسم برب الكعبة انهن لاخوات لكن ، كاخواتكن الشاميات ، مفتقرات الى الطاف تلك الكريمة

هذا وغاية ما اتمنى ان تسرعي بالجواب ولك الشكر جزيل الشكر . والله اسأل ان يكثر فينا امثال تلك السيدة و يجزيها خيراً . والسلام عليكن تراب قدميكن

ابو يوسف عبد القدوس

محلة بنوليا . بهار الشريفه . ضلع بثينه . الهند

لقد ذكرتُ نماذج مما قال في كتابي شيوخ المسلمين ، ورايتُ ان اذكر انموذجين مما قال فيه كهنة المسيحيين ، دليلاً على ان روح الدين ، والعقل السليم ، والمبدإ القويم ، في وحدةٍ كاملةٍ بين العالمين .

١

كتاب الاب نعمة الله باخوس وكيل المطرانية المارونية في بيروت

حضرة الفاضلة الانسة نظيرة زين الدين المحترمة

لقد كتبتِ علينا ايتها الانسة الفاضلة الشكر الذي يعجز القلم عن القيام به ، وعن الاحاطة بما يتقاضاهُ من الفضل الذي تقدمتِ به الينا . الا وهو اهداؤك الينا كتابك « السفور والحجاب »

ذلك الكتاب الذي قد رنّ ذكرهُ ، وبَعُد صيته ، وأمعنت في البلاد شهرتهُ ، واهابت بابناء الضاد كافته

---

(١) ومن طالبي ترجمة الكتاب للهندية او نقله الى صحفهم صاحبا جريدتي «البلاغ السماوي» و «صوت الحق» . وقد طلب غير واحدٍ ترجمته الى الفرنسية والانكليزية

(٢) صدد

ذلك الكتاب الذي قد تفردتِ به في ما قلتِ وكتبتِ، وجريتِ فيه على نشر حقيقة كان قد طواها حجاب التقليد دهراً طويلاً، واذلّ المرأة الشريفة باداهم الرق والعبودية، وعرضها سلعةً رخيصة الثمن في اسواق الاثرة والطمع

اجل هو ذلك الكتاب الذي قد نضوتِ فيه عن محيا تلك الحقيقة لثام الترّهات، ومزّقتِ عن مخدراتها جلابيب الخرافات، بكلامٍ تنفس منه البيان عن نسيمه، وتبسم درّه فيه عن نظيمه

بل هو ذلك الكتاب الذي قد كان له وقعه في مختلف الاذواق، وتاثيره على منقسم الاخلاق، وانتصاره في معترك المذاهب والاراء، وانتشارهُ في الشرق والغرب بالرغم من تضارب الاهواء

بل هو ذلك الكتاب السافر الذي محوتِ باشعة سفوره غياهب ذلك الحجاب، وفتحت لبنات جنسك الابواب، الى الحريه، الى الصراحة، الى النزاهة، الى الفضيلة، الى شرف النفس وعلوّ الكعب، وفتحتِ اكمام ورودهنّ وزنابقهنّ، فتضوّعت اطياب فضائلهن وطهرهنّ

بل هو ذلك الكتاب الذي قد برزتِ انتِ فيه سافرةً، واضحة الجبين، عالية الرأس، شريفة النفس، ربيبة المجد، حارسةَ الآداب، رافعةً لحرية المرأة علماً خفاقاً، وانتِ غير هيابة ولا عابئة بما يرهقهُ دعاة الحجاب من ظبي اقلامهم، وما يصوبونهُ اليك من أسلات رماحهم، فانها ستتكسر على صخرة الحق، ولن تصل باذن الله اليك

فهنيئاً لك بهذا الكتاب الذي ستباركك عليه الاجيال الاتية، ويخلد تاريخه ذكرك واسمك

هذا وفيما نحن ننتظر بروز صنوٍ له من يراعك المجدّد، ولسانك المسدّد، نضاعف لحضرتك كلمة الشكر والثناء، سائلين الله تعالى ان يؤتيك العون على تحقيق امانيك الصالحة بمنه تعالى وكرمه

الداعي لك

الخوري نعمة الله باخوس

* * * *

كلمة الاب لامنس اليسوعي نشرها في مجلة المشرق (بيروت) العدد الخامس من سنتها السادسة والعشرين

نداء اسلامي

لتحرير المراة

بقلم الاب لامنس اليسوعي

ظهر في بيروت كتاب جديد اسمه «السفور والحجاب : محاضرات ونظرات مرماها تحرير المرأة ، والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي ، تأليف الانسة نظيره زين الدين» وهو مهدى الى والد المؤلفة ، سعيد بك زين الدين الرئيس الاول لمحكمة الاستئناف في الجمهورية اللبنانية . ونحن اذا اعتبرنا هذه التقدمة الصادرة عن برّ بالوالد بليغ ، وتدبرنا بالروية نصها الدقيق، علمنا ان امامنا مؤلفين للكتاب لا مؤلف واحد، وشعرنا ان «السفور» وليد الحادثات العيلية ، ونتيجة جهود الابنة والوالد الذي احتجب ، بعد انتهاء العمل ، مختفياً وراء من كان عليها كتابة امانيه . لاننا ، دون ان نبخس الانسة نظيرة حقها ، نرى ان اسلوب المناظرة في الكتاب ، والاستشهاد الكثير باحكام الشريعة ، مع تلك السهولة في استعمال الفقه والقوانين ، كل هذا ينمّ عن تدخل رجل القانون

وقد استلمنا ، برفق النسخة التي أهديت الى مجلتنا ، رسالة ترجو بها الانسة نظيرة من ادارة التحرير ان تبدي رأيها بكل حرّية . فنحن ، مع شكرنا للانسة ثقتها فينا ، نجتهد في ان لا نطيع تلك الدعوة . لاننا قلنا سابقاً (مشرق آذار من هذه السنة ص ١٣٦٠) ان المسألة لا تهمّ الا المسلمين ، ولهم وحدهم الحق في ان يفحصوا فوائد الحجاب ومضاره ويعينوا مقدار ما ينيلونه من الحرية لنسائهم . اما في ما يخصنا من ذلك فقد حلت المسألة ، منذ نحو الفي سنة ، بفضل الانجيل ، وقانون المدنية المسيحية

على ان تحامينا الدخول في هذا البحث لا يمنعنا من القول ان الكتاب جمّ الفوائد ، يثير كثيراً من المسائل . واذا استثنينا بعض المراجعات ، ظهرت اكثر البراهين متسلسلة

بوضوح ، موفقة في عرضها ، لاذعة بعض الاحيان . وانها المرة الاولى التي يظهر فيها في سوريا ، على ما نظن ، درس موضوع السفور بهذا المظهر الجامع ، و بهذه السعة في العقل ، تكتبهُ مؤلفته مسلمةً ، فتتكلم وتناظر مسلمةً

ونحن ، دون ان ننكر حقها في ذلك او ننحاز اليها او عنها ، نرى ان قراءنا يشكروننا اذا ما اوردنا لهم ملخص الكتاب ، واشرنا الى اهمّ البراهين التي تستند اليها المؤلفة . فيكون دورنا دور الناقل ليس غير . وهكذا فلا نخشى ان نحتجب وراء الكاتبة ، تاركين لها مجال الكلام ، ناقلين بعض نصوصها

* * *

يبدأ القسم الاول « بجولات عامة في الحرية ، والحق ، والشرع ، والدين ، والعقل » تعرض فيهِ مؤلفته ما يستند اليه اعداء السفور من ان المرأة احط من الرجل ديناً وعقلاً ، و بما يبرهنون على ذلك من ادلة يتخذونها من الشريعة القرآنية التي تعتبر المرأة نصف رجل في مسائل الشهادة ، والارث ، وتعطي الرجل حق تعدُّد الزوجات ، والاستبداد بالطلاق متى شاء دون رضاهنّ . ثم تجتهد في دحض تلك الاستنتاجات (الصفحة ٩٠ وما يليها) مستشهدة بنصوص عديدة من الحديث

و يأتي القسم الثاني وفيه توسيع الادلة العقلية فيبدأ هكذا : (ص ١٠٩)

« قابلتُ في اول الامر ، بين عدد انصار الحجاب وعدد انصار السفور ، فرأيت ان اهل الحجاب لا يجاوزون عدة ملايين من الاسلام يسكنون المدن ، وان العالم الاسلامي في القرى ، واكثر من الف وسبعمائة مليون من الامم الاخرى ، كلهم من اهل السفور ، وقد نبذوا الحجاب الذي كانوا انصاره من قبل ، ورأيت ان الامم التي نبذت الحجاب امم راقية في العقل والمادة ، رقياً ليس للامم المتحجبة مثله . فالامم السافرة هي التي اكتشفت بالبحث والتنقيب امرار الطبيعة ، وسخرت لارادتها العناصر ، كما تعلمون وتشهدون . اما الامم المتحجبة فلم تكتشف سرّاً ، ولم تسخر لارادتها عنصراً ، وانما هي تتغنى بمجد مضى ، وتقليد لها قديم ، مستنهمة بذاك الغناء على الجمود . »

بعد هذه المقابلة ، تؤكد المؤلفة ان الحجاب لم يكن فخراً للرجل بل هو لمهانته ، لانهُ يجعل كل رجل « يحقر امه ، وابنته ، وزوجته ، واخته ، بسوء ظنه المستمرّ ، يسند اليهنّ فساد الاخلاق » ، يعتبرهنّ عاجزات عن مقاومة ميول الطبيعة الفاسدة . وهي تستشهد بقول

شوقي بك « امير الشعراء » :

« ان السفور كرامةٌ وبسارةٌ ، لولا وحوش في الرجال ضواري »

ولكن من حسن الحظ ان الشعراء يستبيحون ان يغيروا آراءهم كلما عنّ لهم ذلك ، وان لا يتقيدوا اليوم بما قالوه امس . وما قولكم بهذه الابيات لشوقي بك نفسه :

قم حيِّ هذي النيرات ! حيِّ الحسان الخيراتِ !
واخفض جبينك هيبةً للخرَّد المتخفراتِ !
مصر تجدِّد مجدها بنسائها المتجدّداتِ ،
النافرات من الجمو د كأنهُ شبح المماتِ .
هل بينهن ، جوامداً ، فرقٌ وبين المومياتِ !

وان الانسة نظيره تابى كل الاباء ان تُعدّ بين تلك « المومياء » . وهي تعتبر ان الحياة في العالم ، والاجتماع المختلط ، يتمُّ التهذيب المدرسي ، وان الاجتماعات العيلية مراقي العقل والاخلاق . ودون ادنى حياء بشري ، تذكر مثال الراهبات السافرات فتقول :

« لا يجوز لنا ان ندعي ان نساءنا المتحجبات بزيهن الحاضر الخلاب اكثر شرفاً ، واكمل ادباً ، واعفّ نفوساً ، وابعد زياً عن التبرج والفتنة من الراهبات السوافر اللواتي انقطعنَ عن الرجال ولا قوّام عليهنّ في هذه الحياة ، كانما هنّ اللواتي عملنَ بكتاب الله وسنة رسوله في العلم والتعليم وفي الزيّ إذا خرجن من بيوتهنّ ، وكأنما نحن الالى خالفوا

« ان كل من تأمل منصفاً بعقل مجرد عن الهوى يرى ما رأيت

« وهل بيننا من لا يثق بهن كل الثقة وقد اعترف لهنّ العالم بحسن السجايا فضلاً عن شديد عنايتهنّ بتهذيب الصغار وتثقيف اخلاقهم وانارة عقولهم

« وهل ينكر احد انهنّ مرجع الفقير ، وملجا العاجز والمريض ، وغوث المعوز واليتيم ؟ أكان سهلاً عليهن ان يفعلنَ ما يفعلنَ في سبيل خير البشر لو كنّ في امر الحجاب يرسفنَ بقيوده كما يريد سيدي الرجل ان نكون نحن ؟

« وهل يرضى الله عزّ وجلّ ، وهو العدل كله ، عن ضعفنا وخمولنا ونحن محجبات ، ولا يرضى عن جليل عمل اولئك وهنّ سوافر ، وقد ملأن البشرية منافع واحساناً ؟

« انظروا معاهد العلم التي اسسنها ، وهي تنير ارضنا كما تنير النجوم السماء . انظروا اليها وقد صيرتها بقوة الحرية والارادة وسمو المدارك وصدق العزيمة جنات باسقة الاغصان ناضجة

الثمار . واسمعوا من وراء جدران الملاجئ دعاء الايتام والمعوزين الذين رمتهم يد القضاء الى وهدة البلاء والشقاء ، فتلقتهم ايدي ملائكة البر والعطف البشري تشبع جوعهم ، وتكسو عريهم ، ناشلة اياهم من تلك الوهدة

«انظروا كل هذا يا سادتي الرجال ، وقابلوا بين الفئتين الراهبات السوافر ، والنساء المحجبات اللواتي حرمن القوامين عليهن ، تروا هؤلاء وقد عجزن عن كسب قوتهن يتزاحمن على ابواب المحاكم الشرعية ودوائر التنفيذ ، منكسرات القلوب ، ذليلات النفوس ، يسالن نفقة تقيهن غائلة الجوع ، وبعضهن يشتهي الرغيف ، واولئك يطعمن الفقراء واليتامى . أفلا يخشى الرجل ان تتبذل المرأة التي لا معين لها ، اذا عجزت ، وقد منعها الحجاب ، عن كسب رزقها الحلال ؟ (ص ١٥١-١٥٢)»

ولكن اعداء السفور يدعون ان ترك الحجاب يجرّ الى ترك المنزل ، فعدم الاهتمام بتربية الاطفال ، ويقود لا محالة الى قلة المواليد. فتجيب الكاتبة : «ان عدد نفوس الملل الاسلامية المحجبة في تاخر وتوقف ، ونفوس الملل السافرة تتضاعف عدداً في عشرات السنوات . » ثم تلقي نظرة عامة فتقول :

« حين نرى ان مدينتي لندن ونيويورك تبلغ نفوس كل منهما عداً سبعة ملايين ونيفاً ، وذلك اضعاف اضعاف ما كانتا عليه قبل مئة سنة ، واضعاف ما بقي في سورية ولبنان وفلسطين والعراق من نفوس

« حين نرى المدن الاخرى في العالم السافر تتضاعف مثلها نفوساً حتى ضاقت ارض السفور باهلها على رحبها فانتشروا في الارض مستولين بما خلقت عقولهم من قوة ، وبما اعدّوه من عدة ، على بلدان الامم المحجبة ، او بلدان الامم المتاخرة ، وهي التي امست الارض فيها واسعة على سكانها الجامدين في مقدار نفوسهم ، كما جمدوا على العادات في عقولهم او تاخروا

« حين نرى الحقائق فنعرف دون اعتراض على حكمة الباري ، ودون انكار لحكم الاجل ، أن نصف الاطفال عندنا يموتون من جهل امهاتهم ، وقلما يموت عندهم طفل الا بقدر

« حين نرى ما انجبت تلك الامهات في هذا العصر ، عصر العلم والنور ، من مخترعي طيارات وسيارات وغواصات وتلغرافات وتلفونات سلكيات ولاسلكيات ، وميكروسكوبات وتلسكوبات . ومن كاشفي ميكروبات وايونات ، وراديوم وانوار واشعات ، وغير ذلك من المدهشات المذهلات .

« حين نرى كيف انجبت اوائك الامهات السوافر اولئك المخترعين والمخترعات ، والمكتشفين والمكتشفات ، والمعلمين والمعلمات ، والاطباء والطبيبات . ثم نلقي نظرة الى انفسنا والى ما انجبت امهاتنا

« حين نتامل فنرى ونعرف ، ان لا فرق بيننا وبين ذلك العالم ، إلاّ نقاب النساء ، يجب ان نعترف بان الام هناك لم تهمل تربية اولادها ، بل احسنتها وان السر في زيادة عدد النفوس هناك ، ونقصانها هنا ، انما هو حسن تربية الام عندهم وسوء تربيتها عندنا . (ص : ١٦٢—١٦٣) »

ثم تنال الانسة نظيره من جبن الرجال ، والتناقض بين آرائهم واعمالهم (ص : ١٦٥) فاكثرهم يعترفون بمضارّ الحجاب ، ولكنهم لا يجرأون على رفعه خائفين من نقد العامة ويزعم غيرهم انهُ من اللازم قبل السماح بالسفور « تعميم تعليم البنات ، وتهذيب الشباب ، تعليماً وتهذيباً صحيحين ، وبعدئذٍ يحسن تعميم السفور . » (ص : ١٧١) ولكن هذا المنطق لا يغرُّ الآنسة فتلاحظ انه لا تهذيب ولا تعليم مع الاحتفاظ بالحجاب وحبس النساء ، فيلزم إذن رفع ذلك الحاجز

*

اما القسم الثالث فيتناول الادلة الدينية ويُتوسع فيها في البرهان عن نظرية المؤلفة وهذه الادلة مستمدَّة من المعتقدات الاسلامية ، وسنختصر ايجازنا لها لئلا يؤول بنا الامر الى مناظرة في ذلك . فنكتفي إذن بالقول ان المؤلفة تزعم ان آيات القرآن القائلة بتحجب النساء ، وبقائهنَّ في المنزل ، لا تخصّ الا نساء النبي (ص : ١٨٧) وان المفسرين اخطأوا في تعميم تلك الايات على المسلمات كافةً . وهي تؤكد ايضاً انهُ ، في القرن الاول للاسلام ، لم يكن استعمال الحجاب عاماً بعد ، ولم يكن من فرق ، في العلاقات الاجتماعية ، بين الرجال والنساء (ص : ١٩٠) . واخيراً تفادياً من الوقوع في اغلاط كالتي تنسبها المؤلفة الى المفسرين ، ترى من الواجب ان تؤلف لجنة لتفسير القرآن من اجلة الفقهاء العصريين ، وعلماء الاجتماع والاخلاق ، وذوي الاختصاص في العلوم والفنون المتنوعة ، يشتغل كل منهم ضمن دائرة اختصاصه . (ص : ٢١٤)

وينتهي المطالع الى القسم الرابع وهو اطول الاقسام واوفرها طرافة . وفيه الردّ على بعض الكتابات الحديثة ضدّ السفور . ونحن نمرّ عليه بسرعة آخذين بعض المُثُل منهُ ،

محيلين القرّاء الى مطالعته في الكتاب نفسه ، مؤكدين لهم انهم لا يضيعون وقتهم ، ولا يندمون اذا طالعوه

تفتح المؤلفة سلسلة ردودها بذكر معارضة لاحد قضاة الشرع سابقاً ، دون ان تذكر اسمهُ (ص : ٢٧٥) ، ثم تنتقل (ص : ٢٨٠) الى كتاب للشيخ سعيد البغدادي ، وهو يزعم ان النساء ، اذا ظهرنَ سافرات ، اوقعنَ الرجال في الكبائر . فتردّ عليه بقولها :

« اذا كان يجب ستر ما يراه الانسان مما ليس قادراً عليهِ ، ولا صابراً عنهُ ، فيجب ان يستر عن كل انسان كل ما يشتهيه ، وعن الفقراء كل ما عند الاغنياء ، من بيوت وملابس ، ومآكل ، واسباب الرفاهية على انواعها . (ص : ٢٨٢) »

و يرى الشيخ نفسه ان لبس الحجاب يميز الانسان عن سائر الحيوان ... فتجيب :

« قلتُ : اذن الاولى بسيدي المرشد ، ان يتحجب و يضع النقاب على وجهه ، مثل النساء ، ليمتاز عن سائر الحيوان ، فالرجل اجدر من المرأة بهذا الامتياز ، لان عقله كامل ، وعقل المرأة ناقص ، كما زعم حضرتهُ في جوابه على السؤال الثاني في الرسالة المذكورة . وهكذا اقول ، لكل من يقول ان الحجاب للمرأة ليس بدليل على تحقيرها ، انما هو دليل على احترام الرجل اياها ، اني اقول له : إذن الاولى بالرجل ان يحرز مثل هذا الدليل على احترام المرأة اياه ، فيحتجب ساتراً وجهه . وإلا فهو مراءٍ فيما يقول و « إنَّ اللهَ حرَّمَ الجنةَ على كلّ مراءٍ » . (ص : ٢٨٥-٢٨٦) »

وان الشيخ البغدادي الذي سمى كتابه بهذا العنوان الجريء « السيف البارق ، في عنق المارق » يثير قريحة الانسة نظيره فتفهمهُ ان الزمان قد سار بنا ، وتسألهُ :

« ايجوز لنا بعد ، ان نستعمل « بارودة بفتيل » تجاه البواريد والقنابل والمدافع البعيدة المرمى ؟ وهل يجوز ان نستعمل النوق والجمال ، تجاه الدبابات والطيارات والسيارات المصفحة ؟ ايجوز لنا ان نؤثر الجهل على العلم ، والظلم على العدل ، والباطل على الحق ، والاستعباد على الحرية ، والحجاب على السفور ؟ (ص : ٣٠١) »

وهنا نكتفي بالاشارة الى ردّ محكم (ص : ٣٠٢) على احد شيوخ الازهر وهو من اعداء تعليم النساء .

واوفر منهُ طرافة ذاك الردّ على الشيخ محمد رحيم الطرابلسي القائل ان الدين الاسلامي يجبر المسلمين ان يتميزوا عن غيرهم باللباس ، فيلزمهم مثلاً ان يحافظوا على العمامة ولا

يتشبهوا بغيرهم (ص : ٤٢٩) فتجاوبه المؤلفة قائلة :

« يا سيدي الشيخ ، اذا كان الاشتراك في الملبس ممنوعاً ، سواء كان مقروناً بقصد التشبه والميل لدين صاحب الزيّ ، او لم يكن ، فلمَ اشتركنا معهم في كل ملابسهم، واخذنا عنهم كل ما يلزم لمعيشتنا حتى الابرة والخيط ، والملعقة و « الشحيط »

« لقد أجمدَنا بعض ذوي العمائم يا سيدي الشيخ ، في التعصب الجـــامد ، والورع البارد ، حتى خدرت عقولنا ، وشلت ايدينا ، وعجزنا عن صنع ما يلزمنا ، وجلبنا كل شيء من العالم السافر الراقي ، ولبسناهُ او استعملناه ، ولم يبقَ شيء مما عندهم لم نشترك فيه ، الا البرنيطة او المظلة ، والمؤمنون احقّ منهم بها . وقد كانت عندنا قبل ان كانت عندهم، ونحن احوج منهم اليها ، فالحرّ عندنا اشد من الحرّ عندهم . (ص : ٣٣٦) »

وهنا تتوفق الكاتبة الى ذكر كل ما حرّم قديماً من المرافق على غير المسلمين ، والتي جمعها قدماء الفقهاء كابن عابدين ، ثم تقول :

« لم يجز ابن عابدين لغير المسلم ، ان يركب الخيل مطلقاً ، وان ركب حماراً لضرورة فينزل عنه عندما يمرّ بالمسلمين ، واوجب عليه التضييق ، والجاءه الى اضيق الطريق ، كل ذلك لملازمته الذلّ والصغار على ما ذكر . وانظر اليوم ، انت يا سيدي الشيخ ، الى غير المسلم ، الا ترى انه بعد نيله حرياتـه وافـلاته من قيوده واغلاله ، لم يكتفِ بتسخير الارضين ، وسهولها ، وحزونها، لعجلاته ، وسياراته ، ودباباته، وبتسخير البحار لبواخره، ومواخره ، ومدرعاته ، بل سخر الافلاك الواسعة لطياراته ، وركب متن الجو ينظر الى الارضين من علٍ ، هازئاً بالقطبين والاوقيانوس الشاسع الواسع ، الفاصل بين العالَمين ؟

« لم يجز ابن عابدين لغير المسلم ، ان يسكن داراً عالية البناء لئلا يقف عند دارهِ سائل و يدعو له بالمغفرة او يعامله في التضرُّع . وانظر اليوم انت يا سيدي الشيخ ، الى غير المسلم ، وقد نال حرياته ، وافلت من قيوده واغلاله ، الا ترى ان قصوره الشاهقة ، وقد يبلغ بعضها سبعين طبقة ، تناطح السحاب وقد تعلوه ؟ وهو لا ينتظر السـائل ليدعو له بالمغفرة ، او يعامله بالتضرُّع ، انما ترفع عن ذلك ، وهو يرسل الى ما وراء البحـار ، والى كل الاقطار ، ملايينه ومليارانه ، لاسعاف الفقير ، وشفاء المريض ، ونشر العلم ، وتثقيف العقل ، واسعاد البشر ؟

« لم يجز ابن عابدين لغير المسلم ، ان يستخدم العبيد والجواري استخفافاً به . فتأمل

انت يا سيدي الشيخ فيما فعل غير المسلم ، بعد نيل حرياته وافلاته من قيوده واغلاله . انه حرر العبيد والجواري ، في الدنيا كلها جبراً ، بمعاهدات خاصة ، وبدلاً من ان يستعبد اخوته واخواته من بني الانسان ، ويسخرهم ، استعبد الطبيعة الجامدة ، مسخراً اياها ، ومسخراً قواها لارادته ، وخدمته ، وراحته ، ونفعه .

« لم يجز ابن عابدين لغير المسلم ، ان يلبس الثياب الفاخرة ، مثل الصوف المربع ، والجوخ الرفيع ، والابراد الرقيقة ، ولا زنار الابريسم لان ذلك جفاء في حق الاسلام ومكسرة لقلوبهم ، بل يلبس الكستيج ثوب العجز والذل ، محوكاً من خيوط الصوف والشعر الثخين

« وقد تناسى ابن عابدين على ما يظهر انه لما علم القرآنُ نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ان يستعيذ من مساوىء الاخلاق كان الحسد من جملة ما لقنه الاستعاذة منهُ فقال تعالى (قلْ أعوذُ بربّ الفلَق . مِن شرّ ما خلق ... ومن شرّ حاسدٍ إذا حسد) .

« وانظر اليوم يا سيدي الشيخ ، الى غير المسلم ، الا ترى انه قد حصر به صنع الاقمشة الفاخرة ، كما حصر به سائر الصناعات الهامة عنوان العز والقدرة ؟ فهو الذي يرسل الينا من الاقمشة الفاخرة ما نلبس

« هل يرى ابن عابدين موافقاً لمكارم الاخلاق التي انما بعث نبينا صلى الله عليه وسلم لتتميمها ، ان نحسد غير المسلم، على لبس الملابس الفاخرة، ومثل زنار الابريسم ، ونعد ذلك مكسرة لقلوبنا، في حين ان غير المسلم ، يرسلها الينا من وراء البحار ، لنتزين بها ، دون ان يجول في فكره شيء من الحسد ؟ (ص : ٣٥١–٣٥٣) »

ثم تسرد الكاتبة الاحاديث الكثيرة التي ورد فيها ان الله « يحب الجمال والتجمل ، و يبغض البؤس والتباؤس » . « فلماذا تكلف المرأة ان تكون بغيضة ، مكذبة بنعمة الله » (ص : ٣٦١) وهي لا تخشى الدفاع عن البرنيطة فتقول :

« وانك يا سيدي الشيخ ، تقاوم لبس البرنيطة ، وما هي الا مظلة . وقد سئل الرضا رضي الله عنه ، عن رجل يلبس البرطلة ، فقال : « قد كان ابو عبد الله جعفر الصادق رضي الله عنهُ ، يلبس مظلة يستظل بها من الشمس » (ص : ٣٦٢)

فكيف تلوم المسلم يا سيدي ، اذا استحسن مظلة فلبسها يستظل بها من الشمس ، وقد لبس مثلها ابو عبدالله جعفر الصادق رضي الله عنه

لبس المسلمون الطرابيش ، وما هي الا قلانس يونانية الوضع ، تركها الاتراك بما غيروا فيها ، حتى صارت الى حالتها الحاضرة ، وهي جامدة على حال واحد صيفاً شتاء لا تتغير . إنهم في هذا الشرق ، جعلوا كل ملبس للانسان ، يتغير بحسب الفصول ، والحر والقر ، الا ملبس الرأس ، فانهم جعلوه جامداً . وكأنهم اجمدوه ، لانه لبس مواطن العقول التي ارادوا واسفاه ! ان يجمدوها . (ص : ٣٦٣) »

وتقف الانسة نظيره امام معارضة الشيخ الغلاييني في كتاب « الدين الاسلامي واللورد كرومر » فتقول ان كتابه هذا من عمل الشباب ، وقد يكون مؤلفهُ نال في العشرين سنة التي مضت على تأليفه ، آراء جديدة عن دور المرأة في الحياة . اما الشيخ فانهُ يبدأ بمنح المرأة بعض الحقوق ، ثم لا يلبث ان يسترجع كل ما منح فيقول بكل تشاؤم مستشهداً بقول غيره :

« ما دامت المرأة تضيع ثلاثة ارباع الوقت ان لم اقل تسعة اعشاره في الملبس والزينة ، وتقضي معظم العشر الباقي في الكلام عن الامرين ، فهي لا يمكنها المطالبة بحق واحد من حقوق الرجل . ولو وكل امر تدبير هذا الكون الى النساء فقط لكان اليوم قفراً هذا ان بقي » !!

ولكنّ محمداً « جعل المرأة ربة المنزل وسيدته » .

« وأنى تكون ربةً لمنزل او سيدة فيه حقاً ، وهي في عرف رجلها ، لا يجوز لها ان تقرب من نافذة ذلك المنزل ، او تطلع الى سطحه ، او تخرج الى شرفته ، او داره ، بل يجب عليها ان تخدمهُ فيه ، واقفةً لديه ، كأمة بين يديه

« كيف تكون ربة لمنزل او سيدة فيه حقاً ، وهي في عرف رجلها ، لا تزال في المنزل ، كما قال السيد جميل بيهم ، الا من قبيل القنية ، يتزوّجُ بها للخدمة والتناسل ، ويترفع الرجل سيدها عن مصاحبتها ، ومؤاكلتها ، ومجالستها ، ويهنأ بموتها لانه يتهيأ له بذلك فراش جديد ؟

« أوَهذه هي المساواة التي امر بها الدين ؟ أوَهذا هو تعظيم شأنها الذي اوجبته الشريعة الاسلامية ؟

« ان المرأة لا تعارض احكام شرع الله ، يا سيدي الشيخ ، بل تطأطىء رأسها طاعة واحتراماً له ، وانما تعارض ما يعاملها به الرجل خلافاً للدين ، ولشرع الله ، ولقانون البشر ولناموس الطبيعة ، وللمروءة والمصلحة . (ص : ٤٠٨) »

و ينتهي الكتاب بان تسأل المؤلفة ما عساه يقول ابو حنيفة لو بعث حياً ... فنقول انه لو بعث حياً لرأى في كتاب السفور ما يدفعه الى التفكر ، فالموافقه على ما فيه من روح التحرر الحقيقي . ونحن نعلم ان مذهبه مذهب اصحاب الرأي ، وإذن فهو يرى من الواجب استعمال العقل في المسائل المتعلقة بآداب المجتمع

كتاب المصلحة الجليلة النبيلة هدى هانم شعراوي

باريس في ١٥/١٠/٢٨

حضرة الانسة النابغة نظيره زين الدين

تلقيت هديتك الجميلة « السفور والحجاب » وشكرت لك ذلك النداء الحار الى تحرير المرأة ، وهذا الصوت العالي في المطالبة بحقها في الحياة غير منقوص . احمد فيك هذا الشعور النبيل ، واثني عليك الخير كله . وكذلك كنت في كتابك الممتع مخلصة ، وكنت شجاعة ، و بمثلك يعتز جنسنا و يفاخر

كان بودي لو مررت ببيروت في عودتي الى الوطن ، لولا مشاغل جمة تستدعيني في هذين اليومين الى اجتماع المكتب الرئيسي للاتحاد النسائي الدولي ببرلين . ثم ابحر الى مصر في اول نوفمبر القادم، فلا اتمكن من المرور بك ، لازيدك ثناء على فضائلك ومواهبك !

حياك الله ايتها الآنسة الناهضة

هدى شعراوي

* * * *

كتاب الاديبة الناهضة الآنسة عزيزه الطيبي كريمة السيد محمد شاكر بك الطيبي صاحب جريدة الاخاء البيروتية

الى الفتاة الناهضة
الى الاديبة الجريئة
الى المتجددة المجدّده
الى مؤلفة « السفور والحجاب »
الى الآنسة نظيره زين الدين ابعث برسالتي هذه وروحي تحيي روحها

قالوا : اتيتِ امراً إدّاً
قلتُ : ماذا أتت
قالوا : امتهنت كرامةَ الدين

. . .

هاجوا ... واحدثوا ضجةً بعيدة الصدى ، بين محبذٍ ومسفه ، ومؤيدٍ وخاذل تلوثُ « السفور والحجاب » بروية وامعان ، وحللتُ موادَّه ، مبادئهُ ومقاصدَه ، فما وجدت فيه إلا ما هو موافق لروح الدين ، ومطابق لتعاليم الاسلام الحقة

اعطيتِ كل مادّةٍ حقها ، وأيدتِ الحق بالآيات الساطعة ، والبراهين الناصعة . جاهرتِ بحقوق المرأة التي وهبها لها الله واغتصبها الرجل جوراً واستبداداً . فاذا غضب الرجل الجائر المستبد فلأن الحقيقة تجرح

شعرت نفسكِ الحساسة الشريفة بتألم المرأة وعدم استطاعتها المدافعة عن حقوقها وباحتياجها الى من يشدّ ازرها ، فقمتِ تناضلين لها في سبيل الله غير هيابة ولا وجلةٍ من سهام المعارضين ونبالهم ، اولئك الذين يقاومون المرأة ، والحرية الصحيحة ، والصلاح ، والخير ، والتجدد في الاسلام ، باسم الدين

« يريدون أن يطفئوا نورَ الله بافواههم ويأبى الله إلا ان يتمَّ نورَهُ »

طالما بحثت الامة عن مصدر تأخرها وانحطاطها ، وما درت بان مصدر تأخرها وانحطاطها حطُّ شأن المرأة وبخسها حقوقها

وطالما نشدتِ المرأةُ المثلَ الاعلى في انقاذها ، حاملةً مصباح ديوجانس الحكيم ، فلم تجد

رجلاً او فتىً . ولكن ، وجدتك ابتها الفتاة

فانت وحيٌ سماويٌ ارسله الله كي ينير لنا سبل الحياة بما كشفت عنهُ من وجوه الحقائق ، و بما ارسلت من نور الآيات البينات

ظهرت ظهوراً عجيباً ، وجاهرت بحقوق المرأة المهضومة ، ودافعت عنها دفاع الابطال ، وما طلبت الا ان تكون في حياتها كما اراد الله وكما يقتضي ان تكون

يا رسولة الخير !

حوطك الله بارواح الملائكة ! فسيري ، سيري في سبيل الله مجاهدةً لانقاذ الام ، لانقاذ الامة . لا بد للحق ان يغلب الباطل ، ولا بدَّ للنور ان يبدد الظلام

ان النساء ينضوين تحت لوائك زرافات ، لانك ناشرة لواء الحق والنور الذي يقدسه من الرجال جيشٌ عظيم ، ولا غرو ان ترفع الامة لك غداً تمثالاً خالداً ، فان لك اليوم في قلوب امهاتها وبناتها مثل ذلك التمثال

بارك الله في ارادتك القوية ، وعزيمتك الصادقة ، واخلاصك في التضحية للمصلحة العامة ، ابتها الخالدة !

المعجبة بك

عزيزه الطيبي

* * * * *

كتاب الاميرة النبيلة الجليلة لوريس لطف الله

سراي الجزيرة — مصر

في ٢٣ ابريل سنة ٩٢٨

حضرة الاديبة الفاضلة الانسة نظيره زين الدين المحترمة

سلاماً واحتراماً . وبعد فاني قد تلقيت كتاب الكاتبة الاديبة الاجتماعية ، واستلمت كتابها « السفور والحجاب » الذي تكرمت باهدائه اليّ . فوجدته كتاباً طريفاً حوى اهم الابحاث الاجتماعية التي تناولتها الاقلام مؤخراً بشأن حقوق المرأة ولا سيما مسئلة الحجاب والسفور . ولا ريب ان نزول سيدة اديبة مثلك الى هذا المضمار العصري الحيوي سيكون له منتهى التأثير الحسن في الغاية التي يتوخاها كل من يحب النهوض والارتقاء من السيدات والرجال

حيا الله السيدات الشرقيات اللواتي ينهضن هذه النهضة المباركة لاخذ المكان اللائق بهن في الحياة . وهو ما يبشرنا بالفوز والنجاح في تحقيق اماني البلاد والامة في القريب العاجل

هذا واني من صميم فؤادي اشكر للانسة الادبية اهداءها الي هذه التحفة الادبية الاجتماعية ، واطلب الى الله ان يكثر من امثالها بين الاوانس والسيدات الشرقيات . وتفضلي بقبول فائق احترامي

لوريس لطف الله

* * * * *

كتاب الكاتبة الكبيرة السيدة روز حداد صاحبة مجلة السيدات والرجال

قرأتهُ في مجلتها الغراء الجزء الثامن من السنة التاسعة ، وقد أثبتتهُ فيها بعد ان أثبتت رسالة اهدائي « السفور والحجاب » اليها

السفور والحجاب

كلمة صاحبة المجلة

جواباً لخطاب الانسة نظيره زين الدين

لبيك ايتها الاديبة العزيزة

متى صارت المرأة العربية مثلك تجيد الدفاع عن بنات جنسها ، وترشدهن الى الحرية الحقيقية القويمة ، كانت ولا شك مبرهنة على ان المرأة العربية صارت جديرة بالحرية والاستقلال الفكري ، واهلة لان تكون قوة عاملة في نهضة الامة

قرأتُ كتابك كله . وكنت كلما عبرتُ فصلاً منه ازداد اعجاباً بواسع علمك ، وقوة حجتك ، وشدة عارضتك ، وجرأتك في الحق ، والحق سلاح ماض

ان عبودية المرأة عنوان الجهل ، والجهل والرقي لا يجتمعان . ونحن في عصر لا حياة فيه الا بالمعرفة . والجهل موت . فما دامت المرأة جاهلة وهي نصف الامة ، فالامة ميتة . وكيف نستطيع البقاء والغرب يسيطر علينا بالعلم ، ويستثمر اتعابنا بالمعرفة . لا حيلة لنا في

رد غزوات الغرب عنا الا بمثل سلاحه : العلم والمعرفة . العلم للجنسين . لانه ما دامت المرأة جاهلة فالنشء الذي تربيه المرأة يبقى ضعيفاً مهما تعلم

لا يهمنا النقاب والازار . لان السر ليس في المظهر بل في المضمر ، في النفس الحية ، الروح الطيبة ، العقل الراجح ، الفكر الثاقب . ومن أين لنا هذه اذا كانت المرأة عبدة ، أو سلعة ومتاعا ؟ !

فلتكن المرأة متعلمة متفقهة عارفة جميع مقتضيات الحياة ، وثم يقع النقاب من نفسه وينحل الازار عن مثال الفضيلة والادب والحشمة ، لان هذه من ثمار العلم الصحيح

ما رأينا حجاب المرأة الشرقية اصون للطهارة والعفة والحشمة من سفور المرأة الغربية. مضى عصر طويل على تحجب المرأة فما رأينا في غضونه سوى الانحطاط والخمول . ومضى مثل هذا العصر الطويل على سفور المرأة الغربية فوجدنا رقيا في الغرب لم يشاهد التاريخ مثله . أفلا نفهم بعد هذا الاختبار أن الحجاب ، ونعني به استعباد المرأة ، علة انحطاطنا ؟

كفانا عمى عن الصواب . كفانا تشبثاً بتقاليد نتنة كانت علة خمولنا وحطتنا . كفانا تخوفاً من الرجعيين ، فما بقي منهم الا القليلون

ان انصار الحرية النسوية اكثر من خصومها الآن . وكتابك ، يا آنسه ، شق الطريق الى الحقيقة الناصعة ، وهي ان للمرأة حقاً كحق الرجل في تلقن العلم والمعرفة ، وفي العمل العمومي ، وفي السياسة والادارة والرأي ، وهي لا تجهل وظيفتها متى علمت هذا الحق ، لان هذه المعرفة تشمل معرفة وظيفتها وواجباتها . فاذا كان الرجعيون لا يفهمون ، فلندعهم في غيهم يعمهون ، والقضية النسائية سائرة في طريق نجاحها كحد السيف في رقاب الجهل

ان تقريظي الوحيد لكتابك هو ان ادعو السيدات والسادة لقراءته . وثمة يعلمون ان علمك فخر لبنات جنسك ، وأن الامة التي تنجب فتاة لها هذه الباع الطولى في تفنيد الترهات ، وخزي الاباطيل والسخافات ، لجديرة بالحياة . فأبشر الامة بأن نهضتها اصبحت فعلية وانها سائرة في طريق النجاح . وأسأل الله ان يمتعك بلذة فوزك ، وان ينشط امثالك الى الجهاد في سبيل الحق والادب والفضيلة

روز حداد

* * * * *

مجلس نقابة المحامين
في بيروت

حضرة الاديبة الفاضلة والمفكرة الجريئة الانسة نظيره زين الدين المحترمة

لقد سرَّ جدًا اعضاء نقابة المحامين اطلاعهم على كتابك «السفور والحجاب». انهُ لكتاب جليل الشان قيم ، وقبسٌ من نور نهضة فكرية مباركة اشعلته اديبة ار يبةٌ غيور للقرن العشرين وحملتهُ عاليًا

وليس فيه الا عظاتٌ بالغات ، مرماها التجدد والحرية لنساء الشرق. ذلك ما تتوق اليه نفوس الاحرار في العالم

فلا غروَ أن المحامين الذين يناضلون عن الحق والحرية يحسرون الطرف عند بيان نظراتك ، ويرون فيها خطوات واسعة نبيلة ، هر بًا وانعتاقًا من عادات ٍوقيودٍ اوجدتها عصورٌ خالية

وان فضلاء القرن العشرين وادباءهُ ومفكريه – ولا يُنسب الادباء والمفكرون الى طائفة – يرون في الانعتاق من تلك القيود الخطوة الكبرى للانضواء تحت علم الوطنية الواحد ، وعاملاً قويًا لاستئصال ما كنا نراهُ من اعصى علل الاجتماع ، واكبر عوامل الضعف في مستوانا وقوميتنا ، وقد رأيناك ِ في علاجه الطبيب الحاذق

فمن اجل ذلك ان نقابة المحامين تسديك شكرًا جزيلاً لجهودك وجرأتك ، وقوة ارادتك ، تؤيدها فيك ِ مكارمُ الاخلاق ، ونبل العواطف ، وسعة الاطلاع ، وسعيك الحثيث في رفع وطننا وقومنا الى المقام الجدير بهما ، برفعك شأن المرأة الى المكان الاسمى الخليق بها . حفظك ِ الله فخرًا لبنات جنسك الكريمات

بيروت في ١٠ حزيران سنة ١٩٢٨

* * * *

كتاب الفيلسوف امين الريحاني

الفريكه · لبنان

حضرة الاديبة الحرة الفاضلة الانسة نظيره زين الدين حفظها الله

بعد التحية المقرونة بالاعجاب والاحترام . وصل تأليفك «السفور والحجاب» المحتوي بحراً من العلم والادب . ووصل كتابك الذي ينعكس فيه لطفك وفضلك . فاشكر لك الهدية ، واشكر لك حسن الظن والتقدير

اما رأيي في الموضوع فقد صرحتُ به لاول مرة منذ تسع عشرة سنة في خطبتي «المدنية العظمى» التي ألقيتها في المسرح الجديد ببيروت سنة ١٩٠٩ اذ قلت «الريحانيات الجزء الثاني صفحة ٦١»

ان المدينة العظمى هي التي تكثر فيها الامهات الحزيمات العزومات ، المدركات ما سما من مقاصد الحياة ، فلا يعلمنَ اولادهنَّ الخرافة والكذب والمراوغة ، ولا يعوّدنهم الطاعة العمياء والجبانة والخوف . . . المدينة العظمى هي التي تسير النساء في اسواقها سافرات ، ويحضرنَ الاجتماعات العمومية كالرجال ، ويشاركنَ الرجال في البحث والارشاد

فهل تسيرُ المرأة حزيمةً مدركةً ما سما من مقاصد الحياة ، فتعلم ابناءها العلم الصحيح ، وتربيهم التربية الحقة ، اذا لم تكن سافرةً ومهذبةً ومشاركةً للرجال في البحث والارشاد ؟

واذا كان رايي هذا منذ عشرين سنة ، فماذا عسى ان يكون اليوم ؟ هل الزمان ، ونحن منهُ ومعهُ ، في تقدم او في تأخر ؟

وبعد ان جال الفيلسوف جولةً بعيدة المرمى في «السفور والحجاب» خطأً من يعارضون التجدد حرصاً على انتفاعهم من التقاليد القديمة ثم قال ،

ولكننا ايتها الفاضلة النجيبة سائرون الى الامام ، اجل ، اننا سائرون الى الامام بالرغم عن كل ما ذكرتُ . كيف لا وفي البلاد الجمعيات النسائية الادبية والوطنية ؟ كيف لا وفي البلاد المعاهد الصناعية والتهذيبية التي تتولى شؤونها المسلمات والمسيحيات ؟ كيف لا

وفي بيروت اليوم مثلك من يشاركنَ الرجال في البحث والارشاد ، ويجاهدنَ في سبيل الحرية والتهذيب ، ويعملن جادّاتٍ في انارة الاذهان ، وفي فك قيود الظلم والهوان

اجل ، اننا سائرون الى الامام. وكتابك النفيس ، ايتها المفكرة الحرة الفاضلة هو البرهان الاكبر على ما اقول ، فاهنئك واهنئ هذا العصر بك وبامثالك . كثّر الله من امثالك ، وقوّاكِ وقوّاهنّ في الجهاد حتى تتم كلمة النبي محمد « اكثر الخير في النساء »

في ٢٥ نيسان سنة ١٩٢٨

امين ريحاني

*****

كتاب خليل بك مطران شاعر القطرين

النقابة الزراعية المصرية العامة

الى نابغة الادب ، وسليلة المجد ، السيدة نظيرة زين الدين

تشرفت بكتابك الكريم الذي تفضلتِ واهديتِ اليّ معهُ نسخة من كتابك « السفور والحجاب »

اني لمعجب اعظم الاعجاب بادبك الجمّ ، وذكائك المتوقد ، وبرهانك القاطع ، وجنانك القويّ ، ولا اجد في النساء كما لا اجد في الرجال من هو اولى بالتجلة ممن يعتدُّ بنفسه اعتدادَ حق ، ويمضي في يقينه الى التفدية الكبرى . وانما اعني بالتفدية الكبري ، تلك التي تبعثنا الى التعريض بما هو أغلى من الحياة قيمةً ، واعلى من كل نفائسها بغيةً . وهل يغلو فوق الحياة ، ويعلو نفائسها ، الا الكرامة ؟

عرضت ، يا سيدتي النابغة ، كرامتك لسواد من الدأماء يلمّ بها ، واستهدفت هذه المظلمة الجارحة في سبيل خدمة قومك من طريق رقي المرأة ، ودخولها ميدان الحياة ، معتزّةً بالعلم ، معتصمةً بالادب والخلق المتين . فهل لمفكر يقارن بين مركز المرأة في الامم التي تسود العالم اليوم من كل وجه وبين مركزها في الشرق ان يرى غير رأيك ، او ان يتردّد دون تحبيذ إقدامك وعملك ؟

على انني سفوري بطبيعة كوني مسيحياً . ولكنني بصفتي هذه تجنبتُ الى الساعة

ان ابدي افكاري في شأن المرأة غير المسيحية ، لانني اتوسم الخير كله في النتيجة القريبة التي ستنتج من تناقش السفوريين والحجابيين بين السادة المسلمين والسيدات المسلمات

لهذا استميحك عذراً في الاكتفاء بالاجابة عن كتابك ، شاكراً لك ما يسرت لي مطالعته من فصول شائقة الديباجة ، باهرة الحكمة ، جمعتها بين دفتي سفر لهُ ما بعده في المستقبل المجيد الذي ارجوه لقومك ، وارجوه للامة العربية كافةً ، بتضافر اقوامها رجالاً ونساء على اعادتها الى محل خلا منها دهراً طويلاً في ذروة الحضارة والمجد ·

وتفضلي بقبول خالص شكري وفائق احترامي

خليل مطران

* * * * *

كتاب السيد محمد جميل بك بيهم

نشرتهُ جريدة البرق في عددها ٣٠١١ تحت عنوان

بين الانسة نظيرة زين الدين وكبراء رجال الامة

قالت :

٢

وهذا هو الكتاب الوارد الى المولفة من حضرة الكاتب الاجتماعي المصلح محمد جميل بك بيهم

بيروت في ٥ نيسان سنة ١٩٢٨

سيدتي الاديبة النابهة الانسة نظيره زين الدين المحترمة

ليس اشهى على قلب من يحاول اقناع الجمهور بكفاءة المراة وتفوق افراد منها احياناً ، اجل ليس احب اليه من ظهور دليل راجح يدلي به ، وحجة واضحة يحتج بها لبلوغ امنيته

وقد جاء كتابك الثمين « السفور والحجاب » من هذا القبيل . وهو فضلا عن تبيانه حقوق النساء ، فقد عمل على تأييد الرجال انصارهنّ · ولذلك وجب عليَّ الشكر

لك لاخراجك هذا السفر النفيس نوراً وهدى ، ولاتحافي بنسخة منه ادباً وكرماً

وعلى رجاء وامل ان اتوفق للتنويه بشأنه علناً(١) اتقدم الآن يا سيدتي العاملة الادبية الناهضة لتقديم احترامي

محمد جميل بيهم

*****

كلمة المقتطف «الجزء السادس من المجلد الثاني والسبعين»

السفور والحجاب

ظاهرات الحياة ارقى ظاهرات الوجود

أرأيت الصخور تتزحزح عن مواضعها ، اذ يخترقها جذر دقيق كالخيط في مادته وليونته ؟ تلك فاعلية الحياة ، والحياة سرٌ من اعمق اسرار هذا الكون ، بل اعمقها واسماها. تجلت لي هذه الفكرة وانا اتصفح المؤلف الحديث « الحجاب والسفور » بقلم الآنسة نظيرة زين الدين ، كريمة الوجيه الفاضل سعيد بك زين الدين الرئيس الاول لمحكمة الاستئناف في بيروت. انهُ كتاب هزّ العالم العربي ، وزعزع ملكوت الحجاب ايّ زعزاع

تلقي نظرة على الكتاب ، وتتلو آي القرآن الكريم الوافرة ، والحكم والحقائق الناضجة التي ازدانت بها صفحاته فيخيّل اليك ان الكاتبة من شيخات الدهر اللائي بلغن من العمر عتياً · ولا تتصور انها صبية ترفل بمطارف الصبوة ونضارة الحياة ، وان امثالها يغشين المراقص ومغاني اللهو ، بينا هي تساجل العلماء وتناضل الفقهاء ، في موضوع جبن امامه كبار الزعماء ، وخشي مغبة خوض مباحثه ائمة العلماء · وقد انطلقت فتاتنا في ميدان البحث انطلاق السهم يشق كبد الفضاء ، او شعاع النور يمزق مهجة الظلماء ، او كسريع

(١) يظهر ان الضجة التي احدثها بعض الشيوخ المعارضين عند انتشار الكتاب وقفت حينئذٍ دون مجرى قلم السيد الاستاذ وامثاله من اعلام الأدب والاسلام في بيروت . على ان كتاب الاستاذ مما قلّ ودل ، ولا بد لتلك الوقفة من اجل

القطارات — الاكسبرس — ينهب الارض نهباً ، لا يشق له الفرسان غباراً وقد تصور ان الكاتبة من بنات اليوم اللائي خلعن العقيدة والعبادة ، وهمن في بيداء الجحود والزندقة ، وقد لا تصدق ان الاستمساك باهداب الدين وأواصر التقوى سدى كتابها ولحمتهُ ، والاستناد الى الكتاب والسنة حجر زاويته وامتن دعائمه

وضعتُ الكتاب بين يدي وجعلت اقلب صفحاته ، وامرح طرفي في رياض مباحثه وحدائق براهينه ، فكدت لا اصدق عينيَّ ان فتاة في شرخ الصبا تجلي في مضمار « الكلام » بين طرائف المعقول والمنقول ، وتجلو لباب الدين جلاءً ، وتفرق بين غث العقائد والعادات وبين سمينها ، فتثبت لك بالادلة « العقلية والنقلية » ان الحجاب آفة الشرق ، وآفة الاسلام ، وان السفور ادعى الى الفضيلة واضمن الى الصون والعفاف ، واعلاء كعب الامة في ميدان الارتقاء

رجال يتسلحون بالشتائم ، فترمي الجرائد بالحجارة وترش ثيابهنَّ بماء النار ، وينادون بوجوب احالة نصراء السفور الى المحاكم ويهدّدون حياتهم بالاغتيال . وفتاة تندفع في ميدان الدفاع عن السفور وعن حرية المرأة متسلحة بكتاب الله ، وبابلغ ما نظم الشعراء من الحكم ، وترمي الى بث الاقناع في النفس ، بالبق وابدع طرائق الاقناع وابلغها حكمة . مشهد كهذا اقنعني ان دولة الحجاب قد دالت ، رحم الله نصراءه رحمة واسعة

ان كتاب الآنسة نظيرة زين الدين ظاهرة حياة ونور لا تقوى ظلمات الجهالة والتقاليد على معارضة نفوذها . ولا يزعمن سادتنا الحجابيون انّا نصراء نظيرة . لا وربكم . انا نصراء قضية هي نصيرتها . وانا لنقف تحت لوائها لانها عززت في نفوسنا اليقين بالفوز النهائي . واضافت الى ظاهرات الحياة في الشرق ظاهرة جديدة . ومن علائم الفوز ان ينتشر كتابها قبيل الاحتفال بانقضاء عشرين سنة على ظهور كتاب قاسم امين على ما هو مبين في باب شؤون المرأة من هذا الجزء من المقتطف .

ويقع الكتاب في اربعمائة وعشرين صفحة حسن الطبع والتغليف وقد ختمتهُ المؤلفة بهذا البيت

لا ترتقي أمة حتى يكون لها   يوماً على سيء العادات عصيانُ

حنا خباز

حديقة النسر

كتاب السفور والحجاب

ما ظهر الى عالم الوجود كتاب « السفور والحجاب » وهو مدبج بيراعة فتاة هي للادب السامي مثال شريف ، وللخلق النبيل انموذج طاهر ، حتى حدثت في البلاد السورية ضجة فكرية استمرت شهوراً متوالية لم يكن من ورائها لمؤلفة الكتاب الا ما زاد همتها الشماء في الدفاع عن حقوق المرأة المسلمة في ذلك الوطن الذي كان في سالف الازمان مثالا للنهوض والرقي ، فاصبح بفضل المسيطرين على العقول مثالاً للخمول والتقهقر . وقد عزمت المؤلفة الاديبة النابغة على تأليف كتاب آخر عنوانه « الفتاة والشيوخ » وهل بعد ذلك من حاجة الى دليل على سمو نشاطها الادبي وعلو جهادها الوطني الانساني

وكما احدث ذلك الكتاب — كتاب السفور والحجاب — صدى سيئاً في نفوس بعض المتعممين المتعصبين والزعماء الرجعيين الذين يرون ام الارض تسير الى الامام بحريتها المشتركة بين الرجال والنساء ، كذلك احدث صدى استحسان عظيم في نفوس كبار رجال الامة السورية بل العربية وادبائها المفكرين . وسيذكر التاريخ الشرقي لهذه الفتاة الراقية فطرةً وتربيةً وتهذيباً ، اسماً طيباً مقروناً بالفخر والثناء لانها اقدمت على مشروع عظيم الاهمية في الشرق لم تسبقها اليه فتاة من بنات جنسها ولا استطاع ان يقدم على مثله غير ذلك الشاب الطيب الاثر المرحوم قاسم امين

تلك الفتاة هي الآنسة نظيره زين الدين كريمة حضرة المفضال سعيد بك زين الدين الرئيس الاول لمحكمة الاستئناف في الجمهورية اللبنانية . وما اجمل تقدمتها كتابها هذا الى حضرة والدها الجليل بعبارتها التالية — :

« اليك يا ابي »

« اليك اهدي في معرض شكري لآلائك باكورة اثاري (السفور والحجاب)

وما هي الا انعكاس لاشعة نور علمك ، وحرية ارادتك وفكرك . انارنا الله وانار الامة بالهدى ، ووفقنا ووفقها الى الطريق السوي ، والصراط المستقيم »

« ابنتك »

« نظيره »

هذه هي مقدمة تقدمة الكتاب وفيهـا ما فيها من روح الادب الحرة ، والتربية الشريفة ، والعواطف النبيلة

ولقد كنا نسمع بهذا الكتاب واطلعنا على مقالات مختلفة في موضوعه نشرتها صحف الوطن القديم ونقلنا بعضها الى النسر اعجاباً بتلك الفتاة النابغة وحريتها الفكرية المجيدة . ولكن منذ بضعة اشهر اهدت الينا حضرة المؤلفة الاديبة نسخة من كتابها مصحوبةً بكتاب سطرتهُ يد الوطنية الصحيحة والعاطفة الانسانية النبيلة . فازداد اعجابنا بنبالة اخلاقها وسمو همتها ، والقينا نظرة على الكتاب اصبحنا بعدها لا نستكثر اي ثناء ينشر او ينظم إجلالاً لذلك العمل الذي نعده مقدَّساً

وكنا في كل يوم بعد اخر نفكر بابداء راينا في الكتاب فتنطوي الايام ونحن بين تسويف وتأجيل لم يكونا عند حد رضانا ، حتى وردت علينا رسالة ثانية من فتاة لبنان تذكر فيها ابن لبنان بكتابها مستطلعة رايه فيه . فشعرنا اذ ذاك بقصورنا ، وللحال بادرنا الى تدوين كلمتنا هذه وهي كلمة حرية واخلاص في سبيل الوطنية والانسانية

اما الرسالة الاولى التي تناولناها من قلمها الحر فهي هذه ، ومن يطلع عليها يدرك لاول وهلة علو كعب كاتبتها في الادب والوفاء قالت — :

« حضرة الصحافي الفاضل صاحب جريدة النسر الغراء

« من سفح لبنان ، ذلك الشيخ الذي بعث من ابنائه المصلحين ، رسلاً يبثون دعوة الحق والخير والصلاح في العالمين ، تهدي ابنة لبنان الى ابنه اخيها في العالم الجديد نسخة من كتابها « السفور والحجاب » ، وهو محاضرات ونظرات ، مرماها تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي ، راجية من فضله وكرمه ان يشرفهَ بنظره

« فان كان من قلمي في الدفاع عن المرأة الشرقية سراج ضئيل يقصر نوره عن اظهار حقها ، وانارة حياتها ، وايضاح طريق الخير للامة ، فمثل قلمك اذا ارسل اليه اشعةً ساطعةً من بلادي ، بارك الله فيها ، جعلت حرية النساء لها منهاجاً ، يجعله ولا ريب

سراجاً منتشرَ النورِ وهاجا

« ان الامم باسرها تتبارى في حلبة التكمل والرقي . وليس اولى منك ايها الكاتب الشهير ، والصحافي الكبير ، بالمسارعة الى ايقاظ الامة العربية وانهاضها لمباراة الامم ، والمرأة نصف الامة

« فلا غرو ان استنجد نفسك الكبيرة ، وحكمتك السامية ، وحجتك القاطعة ، وعطفك على المصلحة العامة في بلادك ، واطلب اليك ان تتكرم بتحليل كتابيَ تحليلا . فما كان فيه خير للامة تظهره لها اظهاراً جميلا . وما كان غير موافق تشير اليه ليبدّل تبديلا . انه ينبغي ان لا يكون لارباب الاقلام هدف الا ما يجلب للامة خيرا جزيلا

« وتراني منتظرة ان اتشرف برؤية ذلك في الصحيفة الحرة الاجتماعية ، اذا تفضلتَ بارسالها وهي مزينة بكلماتك الدرية ، الى من تتشرَّف بان تقضي بعض ما حقَّ لمثلك ووجب من مقدم الشكر وفائق الاحترام »

« بيروت في ٥ آب سنة ١٩٢٨ »　　　　« نظيره زين الدين »

هذه هي رسالتها ، وهي مثال شريف لاخلاقها الراقية ، وشواعرها السامية ونحن بمل‌ء الحرية والاخلاص نلبي نداء فتاة لبنان تلبية من يقدس العمل المجيد ، متمنين ان نرى كتاب السفور والحجاب ذخيرةً ادبية في بيت كل لبناني وسوري بل كل ناطق بالضاد . لانهُ من انفس الكتب في تحرير المرأة ، والدفاع عن حقوقها ، واظهار فضائلها وافضالها في المجتمع الانساني

واليك بعض ما ورد في ذلك الكتاب — :

« اما بعض المسلمين اولئك الذين كانوا وما زالوا يراؤون في الدين ، ويكرهون الناس فيه ، ويماكرون الجهلة بانواع التمويه ، مستمدين منهم قوة مؤذيةً باطلةً للسيطرة على غيرهم من المسلمين ، او ما زالو يتوسلون بالسلطات العالمية ، مموهين عليها لتضغط العقل والحرية الشخصية ، وتُكرهَ الناس على البقاء تحت كابوسهم او سيطرتهم خاملين جامدين او مسيرين باقوالهم وارائهم واهوائهم كالانعام ، انَّ اولئك لم يفطنوا للحديث الشريف القائل — « ان اخوفَ ما اخافُ عليكم الشركُ الاصغر . » قالوا ما الشرك الاصغر يا رسول الله ؟ قال « الرياء » ، او لم يفقهو الحديث الشريف القائل « من ماكرَ مسلماً فليس بمسلم »

هذه هي لؤلؤة من لآلىء الكتاب . وهل اجمل من هذا التوبيخ لاولئك المتعصبين المخادعين الذين هم من اكبر اسباب التأخر الشرقي ؟ الا تعجبون بفتاة تقف هذا الموقف الحرّ الشريف تجاه ارباب التمويه والتضليل وهم كثيرون في سوريا ولبنان والبلاد العربية عموماً ؟ لم تخف نفوذهم ، لان حريتها المقدسة ابت عليها ان تجبن او تتوانى في انتقاد قوم ارجعوا البلاد مراحل الى الوراء . انها تريد نهوضاً ، والنهوض لا يتم الا بمحاربة الجهل والغرور ودعاتها . وهكذا عرّضت نفسها لاي افتراء من السائرين على ضلال وتمويه . ولكنها لم تعدم نصراء احراراً بينهم زعماء فضلاء ، وادباء اوفياء ، وحكام نزهاء

واليك لؤلؤة اخرى من لآلىء الكتاب — :

«شد ما موهوا علينا في الدور المظلم الماضي بان الدين يريد ستر وجوهنا . وكان التمويه مقروناً بالاكراه ، ليس باكراه قيم المرأة ، وقد يكون له حق في ذلك اذا ارتآه ، — وكم من قيم مستنير يدمى قلبه من رؤية محارمه مظلومات في ظلمات الحجاب على كره منه ومنهنّ ! وانما الاكراه كان من كل واحد له هوى ، حتى رأت المرأة المسلمة كل رجعيّ او كل ذي هوى مسيطراً ووليّاً ووكيلاً عليها . انه لم يفرق بين نسائه ونساء غيره لان النقاب مشترك مانع من تفريقهنّ ، فعد كل رجل نفسه قواماً على النساء جميعاً ، ورأت المرأة كلّ الرجال قوامين عليها »

فما تقدم يتضح لكل متأمل بصير تظلم المرأة من الرجل المستبد الجاهل الذي يريد ان يستخدمها كجارية ، حال كونها امه واخته وامرأته وابنته وشريكة حياته ومدبرة بيته ومربية اولاده

واليك اللؤلؤة التالية ، وحبذا ان يعرف الرجعيون قيمتها — :

« ان الرجال حرموا النساء ان يتعلمنّ ، ثم اتهموهنّ بنقص العقل والدين ، وتركوهن بعضهن مع البعض الآخر لا يرينّ الرجال ولا يسمعنّ اقوالهم ليتكملنّ باحاديثهم ونتائج اختباراتهم في العالم . فأنى لناقص العقل والدين ، كما يزعمون ، ان يتكمل من ناقص مثله عقلاً ودينا ان كانوا في تكمل نسائهم راغبين . فعوّدوا النساء منذ الصغر يا سادتي الرجال ان ينظرنّ اليكم نظرهن الى منبع عقل وادب ، عودوهنّ ان ينظرن اليكم من حيث الروح لا من حيث الجسد . وعودوا انفسكم الشرف والاباء والنبل عند مقابلتهنّ . انكم تعودتم مقابلة السيدات الشريفات غير المسلمات سافرات وتعودتم احترامهنّ ، وتعودت

اولئك السيدات مقابلتكم واحترامكم احتراماً روحياً نزيهاً شريفاً ، فيمكن والحالة هذه ان يكون امركم كذلك مع السيدات المسلمات الشريفات ، اذا تعودتم ان تروهنَّ سافرات. فالسافرات اليوم لسنَ اشرف فطرة منهنَّ »

لقد نطقتِ بالصواب يا فتاة لبنان. لقد اصبتِ كبد الحقيقة . فان الرجل يمكنه ان يكون اديباً تجاه المرأة فيساعدها على حفظ ادابها . وكما يقف باحترام تجاه الاجنبية السافرة هكذا يجب عليه ان يقف بالاحترام نفسه تجاه الوطنية السافرة . فعلام التحجب غير حفظ المرأة من ذلك الرجل الفاسد ؟ اليس الاشرف له ان يكون ابيَّ النفس عفيفاً ؟ فالفسادُ اذن صادر منه لا من المرأة كما يتهمها هو بذلك الفساد

ولقد أجادت وافادت بقولها — :

« يا سيدي الرجل ادخل الى ضميرك وحاسب نفسك . أفلا ترى انك الغادر اذا افتتنت بالمرأة وانها المغدورة . فلماذا تعاقب المغدور لا الغادر ؟ ولماذا تعاقب من ليس له يد في فتنتك ؟ أليس اهون عليك ان تشرف نفسك من ان تقتل بالحجاب قوى أمك وابنتك واختك وزوجتك ، وام غيرك وابنته وزوجته واخته »

فهل من ينكر عليها قولها هذا ؟ أليس الرجل هو الذي يظلم المرأة بتعديه على صونها وعفافها ؟ أليس هو الذي يفسد اخلاقها ؟ لو كان شريفاً لكانت هي اشرف منه

وقدَّمت برهاناً على صحة مبدإها الانساني الحرّ فقالت — :

« سألت احدى السيدات تلميذة لبست النقاب : أكان الرجال ينظرون اليكِ وانتِ سافرة اكثر مما ينظرون اليكِ اليوم وانتِ محجبة ام الامر بالعكس ؟ فقالت الفتاة : لا اعلم لاني لما كنت اذهب الى المدرسة سافرةً كانت افكاري مشتغلةً دائماً في دروسي . فلم الحظ نظرة ما من ناظر اليَّ . أما الآن فقد تغيرت الحال فاني لا أمر برجل الا حدَّجني ببصره »

ثم اردفت ذلك بقولها — :

« تصوروا يا سادتي سافرة تحادث احدكم فابدت حركة تشير الى استحيائها او خوفها منه ، او جهرت له بذلك . أفلا يدعو مثل هذا الحديث شياطين تحضره ؟ وهل تعني حركة سدل النقاب في وجه الرجل شيئاً غير مثل هذا الاستحياء ، وهذا الخوف ؟ فلا كان مثل هذا الحياء ومثل هذا الخوف ، ولا كان النقاب ، اذا كانا وكان مجلبةً للشياطين » !

اجل ان التظاهر بالحياء جالب لتمزيق ذلك الحياء. فالرجل الذي يرى المرأة سافرة وغير مهتمة بحجب « جمالها » عن نظره قلما يفكر بسوء بها . ولكنه عندما يراها مستحيية متخوفة يندفع بكليته الى حركاتهـــا وسكناتها، وكثيراً ما يفكر بها سوءا

واحسنت عملاً باستشهادها بفقرة من خطبة القاها الامير علي خان رئيس المؤتمر الاسلامي الكبير في المؤتمر المذكور الذي عقد في الهند قال في ما قال —

« اجل ايها السادة اني اعتقد ان تربية البنات يجب ان تسير يداً بيد مع تربية البنين، اذا كنا نود ان يأتي التعليم بالفائدة المطلوبة . ويجب ان نعلم اننا لا ننتظر خيراً ما لم تكن نسبة التربية بين الابناء والبنات متساوية لاننا اذا اهملنا نصفاً من الهيأة المكونة لحياتنا الاجتماعية واعتنينا بالنصف الآخر فان النتيجة تكون سيئة فاسدة . اذ من الامور المقررة انه اذا ترقت افكار نصف الامة وبقي النصف الآخر ملقىً في ظلمات الجهل وانحطاط الفكر فان الجزء المتعلم ينفر من الجزء الجاهل، ويبعد عن مصاحبته ومعاشرته ما استطاع الى ذلك سبيلاً ، ويحاول اما ان يسير في تيار لا يرضي الشرف والصالح، واما ان يخفض نفسهُ وينحط بفكرهِ ليعاشر ذلك الشريك المنحط في حياته »

هذا هو امير كبير ترأس المؤتمر الاسلامي الكبير في الهند وقال بوجوب تعليم البنات والبنين بنسبة واحدة، والا وجد التفاوت بين الفريقين وادى الى التنافر ثم الى الانحطاط

هذا قول حقيقي . ومن اجل ذلك اهتم الغرب بتعليم البنات والبنين على حد سواء، فكان التقارب وكان التعاون وكان الرقي والفلاح

وما ورد في براهينها على وجوب احترام منزلة المرأة قولها — :

« لما خطب عمر بن الخطاب على المنبر يوم الجمعة قائلاً : ان مهر فاطمة بنت رسول الله اربعمائة درهم فمن زاد منكم على ذلك المهر اخذت الزيادة منه ووضعتها في بيت مال المسلمين، قامت امرأة وقالت « من اين لكَ هذا يا امير المؤمنين والله تعالى قال في كتابه : « واذا آتيتم احداهنَّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » ؟ فقال : « يا ايها الناس، امرأةٌ اصابت، ورجلٌ أخطأ »

انها تريد ان تفهم المتعصبين الرجعيين ان امير المؤمنين نفسه احترم حرية المرأة وفضل رايها على رايه . ومن هذا دليل على ان للمرأة اراء قد تكون افضل من اراء الرجل

ومن لطيف ما قالتهُ ونجعله ختام اللآلىء التي اخذناها من كتابها النفيس ما يلي —

« قال السيد المسيح : « اتيت لالقيَ حرباً لا سلاماً » ولم تكن حرب السيد المسيح، وهو الواضع اساس التآلف والسلام والتآخي بين الناس، الا ضد ما ضرّ وما فسد من التقاليد والعادات والتعاليم والاقوال، انتصاراً للمبادىء القويمة والتعاليم الصحيحة في الكتب المنزلة . فان تحسب نهضة الفتاة المسلمة حرباً معلنةً ضد الفاسد والضار فليس ذلك الا جهاداً اكبر اتبعت فيه كلام الله وسنة سيديها محمدٍ والمسيح انتصاراً للصلاح والسلام »

فحياكِ الله يا ابنةَ لبنان وسوريا، حياكِ الله ابتها الفتاة الشريفة الناهضة نهوض اللبوءة بين قوم تولاهم الخمول والانحطاط من زعمائهم المتعصبين ومتنفذيهم المتلاعبين . حياكِ الله وَبياكِ، واكثر من فتيات الطهر والعفاف والحرية والنهوض والوطنية والانسانية اللواتي انتِ مثالهن الطاهر الشريف

* * * * *

كلمة الشمس « العدد الثاني عشر من سنتها الثالثة عشرة » قالت :

نظيرة زين الدين

في بيروت اليوم فتاة عربية تحمل فوق قلبها علم الوطنية الخافق، وفوق رأسها علم التجدد في العقل والرأي والقول والعمل، فتاة ناهضة لتحطم السلاسل التي كبلت نفوس بنات جنسها العربيات عن النهوض، فتاة هائجة كالبركان تقذف من فوهة عقلها حمماً حمراء وناراً متقدة تحرق بها الاغلال ولو كانت من حديد، تلك التي كبلت النفوس والعقول قروناً طويلة، فحرمت المرأة العربية حق الحياة كمخلوقة ذات حق في الحياة، وقامت تمزق بسهام العقل والعلم حجب الجهل عن النفوس التي اذلها الجهل، وحجب الذل عن الوجوه التي حرمها الذل رؤية النور . تلك الحجب، حجب النفوس وحجب الوجوه التي حاكها رجال الدين المتاجرون بالدين في القرون العريقة في الجهل، ولم يزل رجال الدين في القرن العشرين يحوكون حولها الستائر ويسدون المنافس والخلايا حذراً من شر مستطير تثور براكينه اذا كشفت المرأة العربية المسلمة عن وجهها لترى النور كما يراه الرجل واذا كشفت عن مطامح نفسها لتنهض الى القيام بما فرض عليها القيام به من كل ما تقدر ان تعين الرجل فيه في هذه الدنيا وفي كل شئون الحياة

هذه الفتاة الثائرة ، المتمردة ، العاقلة ، المجددة ، الذكيه ، هي الآنسة نظيره زين الدين كريمة القانوني المشهور والرجل المجدد الحر سعيد بك زين الدين النائب العام لدى محكمة الاستئناف. لقد اصدرت هذه الاديبة الحرة التي جمعت الى لطف الجنس اللطيف قساوة المبادئ الثورية ، ووفقت بين جمال الوجه وجمال النفس كتابها النفيس « السفور والحجاب » فكانت سباقة الى عمل كان يجب ان يسبقها اليه الرجال ذوو الابدان القوية والعقول التي يقولون انها كبيرة ناضجة ، فاذا بها مكبلة بقيود الخوف والذل والضعف

والشمس بكل فخر وسرور ترحب بكتاب الانسة نظيره زين الدين ، وتصافح اليد التي وضعت سطوره ، وتجل النفس التي اوحت مبادئه من حب الخير العام ، والعمل لانشاء وطنية صحيحة قائمة على اساس صخرة العقل والعلم ، بعيدة عن شوائب الاديان وخرافاتها التي مزقت شملنا وحطمت حياتنا تحطيماً

الى آخر ما قالت

* * * * *

كلمة البصير عدد ٩٣١٨ . قالت :

حول كتاب

السفور والحجاب

بين الرجل والمرأة قضية قديمة تعود الى الزمن الذي نظر فيه الرجل الى المرأة نظرة القوي الى الضعيف ، ونظرة المتعة في عين طالب اللذة ، ونظرة الشرف في عين الحريص . فهو في سبيل الدفاع عنها ، وبفكرة صيانتها ، اجرى عليها مراسيم ، وقيدها بقيود لا يزال بعضها قائماً الى اليوم . وكذلك لا تزال المرأة الى اليوم في حرب مستديمة مع الرجل

الى ان قالت

وهذا الصراع القديم العهد في الغرب لا يزال حديثه في الشرق . ولم يقم صوت

بالمطالبة بحقوق النساء في الشرق قبل قاسم امين صاحب كتابي « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة »، وقد وضع اولها منذ ثلاثين سنة تقريباً . ومن الغريب ان يكون اول مدافع عن حقوق المرأة في الشرق رجل . ذلك ان نفسية المصلح الكبير التي كانت تضطرم في قلبه رأت ان لا سبيل الى نهضة الشرق الا باصلاح احد شطريه وهو المرأة، وان لا اصلاح يرجى لها ما دام هذا الحجاب مضروباً بينها وبين العالم، وبينها وبين العلم . فقام يطالب برفع هذا الحجاب ويدعوها الى التعلم والى النظر الى الحياة نظرة اطمئنان وامل، لا نظرة ريب ووجل

ولقد قام قبل قاسم امين كتاب ومفكرون وقامت كاتبات ومفكرات لم يجدن الشجاعة الكافية لفك هذا القيد الذي ترسف فيه المرأة فيقعدها عن النهوض الى الدرجة اللائقة بها في الحياة

الى ان قالت

على ان الصيحة التي ارسلها قاسم امين وجدت مرتعاً خصباً في اذهان بعض المجددين . وبالرغم مما نال قاسم من اضطهاد، فان فكرتهُ سارت سيرها الطبيعي وكان لها الاثر الذي نشاهده اليوم في مصر، اذ نرى النساء يحضرن اجتماعات الرجال ويبارينهم في الخطابة والعمل . ولا شك ان النهضة المصرية الاخيرة كان لها اثرها الحسن في هذه النتيجة الباهرة

...

اما في سوريا فالحالة غير هذه . فلا تزال المرأة هناك تطالب بالسفور، ولا يزال الرجال يسومون النساء ذل الحجاب، ويرغمونهنَّ عليه بكل الوسائط المشروعة وغير المشروعة. لذلك لا تزال المرأة تطالب بالسفور، ولا نزال نسمع صوتها يرتفع عالياً للوصول اليه . ولقد كان لها في هذين الشهرين الاخيرين محاولات جمة منها المؤتمر النسائي الذي عقدته ببيروت ومنها كتاب « السفور والحجاب » الذي الفته الآنسة نظيره زين الدين — موضوع بحثنا — وهو مجموعة « محاضرات ونظرات مرماها تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي » . وهي محاضرات لم تلقَ مخافة ان يتأثر الحجابيون من قول قبل ان يسمعوه، وان يحكموا في امر قبل ان يفهموه ويعوه . لذلك آثرت الآنسة الاديبة طبعها لتقرأ بامعان وتدبر

وكانت الآنسة الفاضلة قد ابتدأت كتابها بجمع الادلة العقلية على ضرر الحجاب حين اعترض عليها احد الشيوخ العلماء المستنيرين الذي اطلع على عملها فقال لها بان دفاعها غير تام . لان الادلة الدينية لم تشترك مع الادلة العقلية ، في حين يجب ان يشترك العقل والدين في بحث مسألة هامة كهذه . حينئذ فتحت كتاب الله واكبت على كتب الحديث الشريف ، وكتب الفقه والتفسير ، فدرستها درساً وافياً مطلقة الحرية لعقلها في تفهمها حتى خرجت منها بهذا الكتاب

والحق ان نعم ما فعلت . ذلك ان اكثر ما يحارب به انصار الحجاب السفور ، انما يحاربونه باسم الدين . فارادت الآنسة الفاضلة ان تبين لهم ان الدين الاسلامي براء من الامر بالحجاب . لذلك جاء اكثر ابحاث الكتاب وادلته دينية تداخلها ادلة عقلية لان « العقل والدين متآزران متضامنان في الحق لا يفترقان »

ولقد قسمت كتابها الى اربعة اقسام . فالاول منها جولات عامة نظرت فيها الى الحرية في الدين والحياة ، وقررت ان « المرأة اصلح من الرجل في الفطرة والعقل. هو يرجحها بالقوة الجسدية وهي ترجحه بالنفس العاقلة المرضية » وان « البنات اصلح من البنين » وان « ترجيح الرجل في الارث وتعدد الزوجات واستبداده بالطلاق حجج عليه لا لهُ »

وحشدت في القسم الثاني « الادلة العقلية ويتخللها ادلة دينية » نظرت فيه « الى العالم السافر والى العالم المحجب » ورأت ان « النقاب اهانة للمرأة والرجل » وان المجتمع يصلح تحت تأثير النساء بقدر ظهورهنّ فيه فالخير والصلاح في حرية المرأة

وحشدت في القسم الثالث الادلة الدينية ويتخللها الادلة العقلية فرأت « ان اصول الدين الكتاب والسنة والاجماع ، ثم القياس على مذهب السنيين ، والعقل على مذهب الشيعيين »

الى ان قالت

اما الفصل الرابع من الكتاب فقد خصتهُ بالرد على بعض السادة العلماء الذين كتبوا ناهين عن السفور ، داعين الى استمرار الحجاب وانتهت من كتابها الى نتيجته المعقولة ، وهي ضرورة السفور ، مؤكدة انهُ « لو بعث اليوم ابو حنيفة حياً ، وبعث معهُ الفقهاء الثقاة الاعلام ، ولو رأوا مقتضيات الزمن الحاضر ... » لقالوا بالسفور من غير شك

...

هذا هو كتاب « السفور والحجاب » اجملناهُ ونحن عارفون ان هذا الاختصار يذهب

بكثير من قوة الكتاب ، وصدق تفكيره . ولكننا اردنا ان نعطي القارىء الكريم صورة منهُ ولو صغيرة ، وان نشارك صاحبتهُ الفاضلة الرأي في ضرورة النظر في حالة المرأة وتمكينها من مطاليبها الحقة من تعليم وحرية بذهبان بجهلها الماضي ، ويدعمان اسس العائلة على دعائم متينة . فليس اقتل لتهذيب الاولاد من امرأة جاهلة غير خبيرة في شؤون التربية من وجهتيها الجسدية والعقلية

الى ان قالت

ولقد آن للمرأة الشرقية ان تتبوأ مكانها اللائق بها في هذا المجتمع الناهض . فلقد علمتنا الحياة ان لا نهضة حقيقية للمجتمع الا بنهضه الجنسين معاً . فالمرأة اماً واختاً وحليلة هي رفيقة الرجل في كل اطوار حياته . ولاجل هذا وجدت ، لتربيه صغيراً ، وتساعدهُ كبيراً . ولا سبيل لها للقيام بمهمتها هذه ان لم تقف معهُ في الحياة مواقف الجد في حرية كاملة وعقلية مهذبة . ولم توجد المرأة لتظل في البيت متعة للرجل يحتفظ بها احتفاظه بصورة جميلة او دمية باهرة . كما انها لم توجد لمنازلة الرجل في عمله وتجارته منازلة القرين للقرين . ففي كلتي الحالتين اختلال نظم الاجتماع وفساد العائلة . وليس هذا ما تريده الانسة نظيرة زين الدين في طلبها السفور والحرية للمرأة

فكتاب « السفور والحجاب » محاولة جريئة قوية ، ودفاع باهر عن النساء وحقوقهن في الشرق . واذا ذكرت نهضة المرأة الشرقية ، واذا ذكرت جهودها في سبيل نيل حقوقها ، وجب ان يذكر هذا الكتاب ومؤلفته الكاتبة الحصيفة الانسة نظيره زين الدين . فلها على ذلك ثناء عاطر تردده اجيال النساء المقبلة التي ستنعم بالمبادىء القوية التي تدافع عنها ، والمطالب الحقة التي تنادي بها هي وامثالها من الناهضات المجددات

صاد شين

* * * * *

كلمة «الوطن» عدد ٢٧٤٢ قالت :

السفور والحجاب
الانسة نظيره زين الدين
كتاب جليل الشأن

الانسة نظيره زين الدين ، كريمة القانوني المفضال سعيد بك زين الدين ، ثائرة من الثوائر على آفات القديم والتقاليد الممقوتة . وقد نشرت اليوم كتاباً جليل الشأن واقعاً في ٤٢٠ صفحة عنوانهُ «السفور والحجاب» اثبتت فيه محاضرات ونظرات مرماها تحرير المراة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي

وبعد ان جالت في الموضوع جولة باهرة قالت :

اننا نشكر لمنشئة كتاب السفور والحجاب عنايتها بما يؤدي الى تحرير الامة ، وعتقها من ربقة التقاليد ، والامة قائمة بالمراة والرجل . فاذا سعي احدهما في خير نفسه كان ساعياً في خير الاثنين معاً

ونعجب بما اتت به المنشئة من الادلة على ان عادة الحجاب ليست من الشرعات الالهية ، ولا هي مما اوصى به الرسل والانبياء ، ولا هي مما يقضي به العقل ، ولا هي مما يؤدي الى رخاء الامة وفلاحها

واذا كان اجتهاد الرجل في التفسير والتأويل ادى الى اثبات الحجاب على محيا المراة ، فقد انتهينا اليوم الى عصر نرى فيه اجتهاد المرأة غازياً اجتهاد الرجل . وما كان كتاب الآنسة نظيره زين الدين الا ضرباً من ضروب هذا الاجتهاد

الى اخر ما قالت

****

كلمة «الف با» عدد ٢٢٢٣ قالت :

كتاب السفور والحجاب

كنت ارغب في ان اتجنب حراجة الموقف في نقد كتاب «السفور والحجاب» الذي احدث دوياً في العالم الاسلامي

الى ان قالت :

لا اريد ان اصدق ما يدعيه خصوم هذا الكتاب من ان واضعه نكرة . وتراني اسلم مع انصاره بانه وليد افكار الانسة المعرفة . ولهذا اقول للانسة نظيرة زين الدين ما قيل يوماً (لرودريك)، ان اولى ضرباتك بزت ضربات اساتذتك ... فقد ادهشني هذا الكتاب بما حواه بين دفتيه من اسانيد وعبر، وقوة حجة، وحسن أسلوب في الجدل، ومتانة في التاريخ، وتضلع في الادب. ناهيك عن ابحاث الفقه والدين التي لا يحسنها الا ارباب الحديث. وفوق كل ذلك ادب المناظرة وانتقاء الالفاظ التي تشرف الكاتب، وتحفظ كرامة المناظر.

الى ان قالت

ولا مناص لنا من التسليم بظهور هلال في العالم النسائي لا يلبث ان يصير بدراً يخفي بضيائه ما سبقه من نجوم . لان فتاة تخرج مثل هذا الاثر المدهش وهي دون العشرين لا تكثر عليها الكلمة التي قيلت في رودريك

وفي اعتقادي ان الذي اضر بهذا الكتاب هو عنوانه . لان ما يحواه لا يقتصر على السفور والحجاب، بل يجمع الشيء الكثير من اماني فتاة تحب ان تخلق ثورة فكرية وانقلاباً جديداً في عالم المرأة

الى ان قالت

وكتابها مكتظ بآراء ومباد سامية تتعلق بالعلم والحرية يقرها عليها جميع الناس وتجعل من المرأة خلقاً جديداً اذا اتبعت ما فيه

الى ان قالت

خلاصة القول انني اعجب بك اعجاباً شديداً ايتها الانسة الفاضلة . اعجب بجرأتك . اعجب بنار الغيرة التي تتقد في فؤادك على بني جنسك . اعجب بهذا الذكاء والنبوغ ومقدرة التوليد الادبية

الى آخر ما قالت

*****

كلمة المقطم عدد ١١٩٢٩ قالت :

السفور والحجاب

كثر المطالبون بالسفور في العهد الاخير . ومنذ ما قام المرحوم قاسم بك امين يدعو الى طرح الحجاب الى الان والكتاب يطرقون هذا الباب باساليب مختلفة ، وآراء متباينة . هذا يحبذ السفور وذلك يعده خروجاً على الدين ومروقاً منهُ . وآخر يقول بالحجاب فيقوم من يسفه رأيه مطالباً بحرية النساء . وظل الرجال هم حملة لواء ذلك البحث الى عهدنا القريب الذي ظهرت فيه كاتبات بارعات ، وباحثات مفكرات ، فتولين هنَّ البحث ومعظمهنَّ يميل الى السفور . وان وجد فيهنَّ من يقول بالحجاب فقليلات ومتهمات بان الذين يكتبون لهنَّ هم الرجال . ولقد ظلت الكتابات في هذا الباب كلها خيالية خطابية وغير منظمة الى ان ظهر كتاب « السفور والحجاب » الذي وضعته الباحثة المفكرة ، والكاتبة المدققة ، نظيره زين الدين . وهي سيدة مهذبة من اسرة كريمة من الاسر المعروفة في لبنان . وهو كتاب كبير اشتمل على محاضرات ونظرات في تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي

اجلنا الطرف في هذا الكتاب ، فالفيناه كتب بعد بحث واختبار يدل على رسوخ في علم الشريعة الاسلامية واصولها ، فضلاً عما جنته المؤلفة من العلوم والفنون العصرية . واعجبنا منها بحثها المدعم بالحجج والبراهين ومناقشتها آراء العلماء القدماء والعصريين ، واقدامها على

التفسير الذي تراه مناسبا لروح القرآن . وهي لم يكـفها ان تقصر بحثها على السفور والحجاب مجردين عما انطوت عليه روح الدين واصوله من حرية الفكر وكره السيطرة لاحد على احد حتى للرسول الكريم على الرعية. وبذلك اجتثت السيطرة التي يرى الرجال انها فرض واجب لهم ديناً ووراثة . ولقد حاربت الآنسة في كتابها ظلمات النقاب والجهل والرياء والجمود . ولم تشأ ان يكون بحثها بعيداً عن الدين واصوله . وانما هي تبحث في نور العلم والدين . فقد جمعت آيات الحجاب وفسرتها بما ذهب اليه المفسرون، ثم ناقشتهم مناقشة معززة بالبرهان والدليل، وردت على بعض اقوالهم بما رأته انسب لروح القرآن والتفسير

لم تنس المؤلفة الفاضلة ان تبين اغراض الفتاة المسلمة من السفور ، وانها لا تريد بذلك مجرد السفور وما يتبعهُ احياناً من التهتك . وانما هي تود القيام باعمال تعود بالخير على المجتمع مع تنسمها روح الحرية . ومما لا شك فيه ان الحجاب — سواء منه المهلهل والصفيق — سينهزم امام تيارات المدنية العصرية . وقد انهزم فعلاً في بلاد كثيرة . ولذلك فنحن نود ان يعنى انصار حركة السفور في وضع زي يناسب الحشمة الشرقيـة والاداب التي تنـاسب روح الاديان التي هبطت في الشرق . فاوربا ضجت من التهتك، وبعض كنائسها منع غير المحتشمات من دخولها ، والعقلاء جميعاً يكرهون الاسترسال في تيار السفور غير المحتشم ، يستوي في ذلك الشرقيون والغربيون

والكـتاب مشتمل على آراء سديدة وافكار قيمة ، ولقد اشتمل على نصائح ذات فائدة للمسلمين خصوصاً ، والشرقيين عموماً . واقترحت المؤلفة الفاضلة تأليف هيئة علمية راقية تتولى وضع تفسير للقرآن يكون فيها الاطبـاء وعلماء الشريعة والفلاسفـة وعلماء الاجتماع والاخلاق وغيرهم ليضعوا تفسيراً راقياً مشتملاً على مكنونات العلم التي ذكرها القرآن الكريم وهو اقتراح وجيه فحبذا لو عمل به . فنثني على المؤلفة التي جعلت اعتمادها على البحث ، وقرع الحجة بالحجة ، فذلك خير ما يستند اليه في هذا الباب ، وقد جعلت اعتمادها على الكـتاب والسنة واصول الدين المجمع عليها ، و بذلك اكتسب كتابها منزلة محترمة في اعين الجميع

* * * * *

السفور والحجاب

محاضرات ونظرات مرماها تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي . تأليف الانسة نظيره زين الدين

*

كثيرة هي القيود التي ترسف فيها الانسانية باسم الدين ، والدين براء منها . لان الدين في جوهره – ولا فرق بين مذهب ومذهب من هذا القبيل – يرمي الى تحرير الروح لا الى تقييدها . لانه يهدي الى المعرفة التي تقيم حداً بين العرَض والجوهر ، والدائم والزائل . فلا تجعل للعرَض قيمة الا بقدر ما يمكن الروح ان تتخذه وسيلة للوصول الى الجوهر . ولا تقيم للزائل وزناً الا بنسبة ما يساعدنا للتمكن من معرفة الدائم الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل . وهو الله

اذا قلتَ لي ان الدين يأمرني بالصوم لان في انقطاعي عن الاكل راحة لجسدي ورياضة لارادتي ومشحذة لفكري ومدعاة للتأمل والتقرب من الله قلتُ بارك الله في الصوم . واذا قلت انهُ يأمرني بالزكاة لاني بنكراني ذاتي من اجل غيري اجد ذاتي في غيري فاقترب من الذات الكبرى . قلت ما اجمل الزكاة

غير انك عندما تقول لي ان في لبس الطربوش ما يدنيني من الله وجنته ، وفي لبس البرنيطة ما يقصيني عنهما ، عندئذ احتم ان واحداً منا قد خولط في عقله . وانك ذلك الواحد . لاني اربأ بربي عن ان يكون رب ملابس ومآكل ومشارب ، وان يكون غطاء للرأس مستدير صنع في معمل نمساوي ، اقرب الى قلبه وادعى الى رضاه من قبعة من صوف او من قش صنعت في معمل ايتالي او اميركي . واجل ربي الذي خلق الناس ذكراً وانثى

سافرين عن ان يندم على ما فعل ، فيترك الرجل سافر الوجه ويقول للمرأة — « لقد خلقتُ لك الشمس والقمر والنجوم وما فيها والارض وما عليها لتكون لك كتاباً تقرإين فيه مشيئتي، ومرآةً ترين فيها وجهي ، ثم رأيتُ من الاصلح ان لا تقرإي ذلك الكتاب ولا تنظري في تلك المرآة الا من خلال ثقوب حجاب اسود ، لذاك تكونين ملعونة الى الابد اذا انتِ قرأتِ مشيئتي وابصرتِ وجهي الا وعلى وجهك حجاب »

لقد ارتفعت في العالم الاسلامي لا سيما في السنين الاخيرة اصوات كثيرة ضد الحجاب. وآخرها صوت فتاة سورية مسلمة هي مؤلفة الكتاب الجميل الذي نحدث عنه . وهو كتاب كبير الحجم متقن الطبع تربى صفحاته على الاربعمائة . فيه حملات عنيفة على الحجاب ودعاته يدهشك منها منطق قوي ، ولغة سهلة متينة ، واطلاع واسع ، وحماسة تفوق حماسة من يطلب الاستشهاد في سبيل مبدا او دين ، وحرقة تكاد تمس المها ، وان لم تشعر بها في قلبك لانك لم تحترق بها ، لا سيما اذا كنت من الذين ادركوا الجميل والحق في كل دين ، ونبذوا ما الصقهُ الجهل وجب الاثرة من سفاسف الطقوس وترهاتها باديان الارض كلها . مع ذلك لا يسعك الا ان تعجب ببسالة هذه الفتاة التي تحارب عدوّاً لدوداً جيوشه الاجيال ، وما ولدتهُ من جهلٍ قتال ، وتعصب اعمى ، وعاداتٍ تأصلت من النفس والحياة، بقوة الاستمرار وباسم ما يقدسه كل الناس ويجهله اكثر الناس — باسم الدين

لقد تحسب لاول وهلة ان لا ناقة لك في هذه الحرب ولا جمل . فلا العدو عدوك ولا الميدان ميدانك . غير انك لو فكرتَ قليلاً لرأيت ان غارة يشنها العقل على الجهل ، سواء في مشارق الارض ام في مغاربها ، وفي حضيرهـا ام في بدوها ، هي غارتك . فكيف بك اذا تناولت هذه الحرب جانباً كبيراً من امتك وابناء لغتك ؟

لعلك لو جئت تبحث عن حقيقة السبب الذي قاد بعض ائمة الاسلام الى ادخال الحجاب في الدين لوجدتهُ يعود الى نظرة حيوانية لا تنطبق على روح الدين ولا على روح الله. وهي اذا جردتها من تلافيفها الدينية وارجعتها الى خلاصتها العارية امكنك ان تفرغها في القالب الاتي : المرأة تثير شهوة الرجل ، والشهوات تقصي عن الله فتؤدي الى المهالك . لذلك كان حجب وجه المرأة ادعى الى سلامة الرجل واكفل لنجاته من التهلكة

هذه هي حقيقة الحجاب المجردة

وهي حقيقة شائنة شائبة ، واكبرها شيئاً على الرجل منها على المرأة . أفليس اكثر عدلاً واقل شراً ان تفقأ عيون الرجال الذين لا يرون في المرأة الا مبغثة ومطفأة للشهوات ؟ وان حسبنا ذلك فظاعة ، افليس الاحق ان نحجب عيون الرجال بدلاً من ان نحجب وجوه النساء ؟ بلى يا اخي الرجل . لو كنت شهماً كما تدعي ، لما حجبت وجه امرأتك ولا وجهك ، بل لوضعت حجاباً على قلبك ، فهو مصدر شرورك ومصائبك وتهالكك . اما وجه المرأة فلا شيطان تراه فيه الا الشيطان الذي في قلبك ، ولا ملاك الا الذي في داخلك . ونبيك ، كما تذكرك الآنسة زين الدين ، يعلمك « ان الله ينظر الى قلوبكم لا الى وجوهكم »

كذلك تذكرك صاحبة الكتاب بان النبي لم يكن وكيلاً على البشر (وما انا عليكم بوكيل . . . فما ارسلناك عليهم حفيظاً) ، وبحق تسألك : كيف تجعل من نفسك على العباد وكيلا وحفيظا ؟ . . .

ان الله جل جلاله لم يوكلك ، ورسوله صلى الله عليه وسلم لم يوكلك ، والقانون لم يوكلك ونحن لم نوكلك . فمن اين لك هذه الوكالة ؟ — فبماذا تجيب ؟

وما احسن ما تقوله هذه الفتاة في « ان الايمان الحق تصديق في القلب واطمئنان ، لا انقياد لاكراه أو رياء في اذعان » ، وفي مكان آخر : « لا يجوز لنا ان ندعي اننا نحن حماة الشرف ، وان غطاء الوجه حرزه المنيع . بل يجب ان نعرف مثلما عرف الناس ان الشرف متأصل في القلب ، وان العفة ادب في النفس ، لا في قطعة نسيج شفاف تسدل على الوجه »

لا شك ان مؤلفة الكتاب توجه خطابها الى المسلمين دون سواهم . لكن غير المسلم قد ينتفع بهذا الكتاب اكثر من المسلم . اذ لا يكون واقفاً على كل تعقدات هذه المسألة التي تبدو له بسيطة الى حد انه يعد البحث فيها نوعاً من قتل الوقت . فالآنسة زين الدين تطرق الموضوع من كل ابوابه — الدينية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والنفسية — وتتركك في دهشة ليس من المسلمين وحدهم ، بل من الانسانية كلها التي لا تفتأ تختلق لنفسها قيوداً لتعود بعد اجيال فتبدد قواها ، وتهرق دماءها ، وتحرق ادمغتها وقلوبها ، للتخلص من شر فعلتها !

* * * *

كتاب السفور والحجاب

ان كتاب السفور والحجاب الذي ارسلتهُ الى الامة اليوم الانسة نظيره زين الدين كريمة ذلك الرجل العصامي سعيد بك زين الدين مدعي الاستئناف العام في لبنان ، ان هذا الكتاب تحفةٌ من تحف الجيل العشرين ، واثر من آثار النبوغ والرقي العقلي وقوة الحجة ، وسديد الرأي ، بل هو امثولة عالية في الاخلاق ، امثولة في الانشاء ، امثولة في ادب النفس وقوة الدفاع ، بل هو درس لكل اديب ومفكر واديبة ومفكرة في مختلف انحاء الشرق .

حسب « السفور والحجاب » انه مشى بقدم ثابتة في سبيل السفور وتحرير المرأة ، والتجدد الاجتماعي في الاسلام ، وحسب بنت زين الدين انها اعتصمت بالكتاب والسنّة فاعلنت تعليمهما اعلاناً مطلقاً حرًّا لا رياء فيه ، واستندت الى هذين المرجعين في تطبيق نظريتها بعقل مطلق حر بعيد عن الهوى ، فوضعت كتاباً تنحني لقوة برهانه رؤوس المفكرين ، واصبحت نظيره زين الدين ، سيدة المصلحين ، في البلاد الشرقية التي تسودها العادة ويحكم فيها التقليد

الى آخر ما قالت

*****

حديث اليوم

السفور والحجاب

فتاة مسلمة تنادي بتحرير المرأة

وهل من حديث في لبنان اليوم — لا بل في سوريا ولبنان — غير حديث كتاب «السفور والحجاب»؟ هذا الكتاب الذي وضعتهُ زعيمة النهضة النسوية في لبنان الانسة نظيره زين الدين فاحدث انقلاباً عظيماً ، وثورة فكرية هائلة ، واعجاباً فائق التصور بشجاعة الفتاة التي قامت اليوم تحدث اصلاحاً هاماً في حياة المرأة الشرقية ، وتسير بها في معارج الرقي والفلاح

لقد وضعت نظيره زين الدين كتابها «السفور والحجاب» ، وقرنت قولها بالعمل ، اذ مزقت الحجاب بعد ايمانها الصحيح بأن السنة والكتاب لم يحرّما السفور ، وجاءت في كتابها النفيس ببراهين جلية ، وآيات كريمة تثبت دعواها وتعزز مبدأها القويم

أجل . لقد ذاقت نظيره زين الدين طعم الحرية والاعتماد على النفس ، وشعرت بثقل التقاليد التي تثقل كواهل بنات جنسها اللواتي طالما تذمرنَ من قضاء حياتهنَّ في سجن دائم وظلام حالك ، فهبت من عرينها للدفاع عنهنَّ ، وتحطيم القيود التي تكبل اعناقهنَّ

وكما يسير القائد الفاتح في طليعة جيوشه ، هكذا سارت نظيره زين الدين في طليعة النساء ، سافرة الوجه ، وهدفها الوحيد تحرير المرأة من العبودية والجور

فبمثل نظيره زين الدين يفتخر لبنان ، ولمثل هذه المصلحة الكبيرة يجب ان تقام التماثيل ، وان تضفر لها النساء المسلمات من شعورهنَّ الجميلة درعاً يردُّ عنها نبال بعض المتعصبين الذين يرون بالسفور كفراً ومروقاً من الدين.

* * * * *

السفور والحجاب

للانسة نظيره زين الدين

« هذا بعض من كل مما يحوي هذا الكتاب العظيم ، ونحث القراء على مطالعة اقوم كتاب اصدرته سيدة شرقيه »

ترحب هذه المجلة بنفثات يراع السيدات على وجه خاص . نقول هذا بالرغم من اننا نقسو دائما على المؤلفين ونفعل هذا ونحن مطمئنون بانهم يحملون قسوتنا على رغبتنا في اظهار مواقع الضعف فيما يكتبونهُ عسى انهم يتلافونها فيما بعد . وبما اني اتبع الرأي القائل بعدم وجود فارق بين افراد الجنسين ، يجب ان اشعر السيدات بان من الواجب عليهن تحمل النقد ، مثلهم في ذلك مثلُ الرجال . وقد بسطنا رأيًا عن كتاب لماري زياده حاولنا ان نتناسى فيه انه كتاب لسيدة . « فان المطالب بالحقوق مطالب بالواجبات ايضاً » . وانا آمل ان تكون هي قد حملتهُ على خير محمل . وهذا ما اطالب به الان ايضاً نظيره زين الدين[1]

السفور والحجاب ليس كتاباً علمياً بل صيحة ألم نتجت عن تهجم الحجابيين على السيدات السافرات في دمشق . واظن هذا هو الداعي لوضعه في صورة محاضرات . وبالطبع اهتمت المؤلفة قبل كل شيء ان تجذب القراء لصفها ، تارة عن طريق الاثبات ، وتارة عن طريق العواطف ، وتارة ...[2]

وفي الكتاب اسئلة اجابت عليها الآنسة اجابات استفهامية . اي بدلاً من ان تجيب

---

(١) ليس اسماعيل بك مظهر صاحب العصور الا استاذاً من اساتذة العصر ، وما نظيره زين الدين الا طالبة في مدرسة العصر الكبرى ، من طالبات الخير للامة . والاستاذ القائل : " مَثَلُ السيدات في الحقوق والواجبات مَثلُ الرجال " ، ليس له من كل طالبة خيرًا للامة الا الاحترام والاجلال

(٢) نعم ، يا سيدي الاستاذ ، الي سلكت في دفاعي عن نصف الامة المظلوم ، وحقه المهضوم ، ما يجب على اهل الدفاع ، ان يسلكوا من الطرق للوصول الى الاقناع

انقلبت سائلة. وقد تهربت في عدة مواقف عن الاجابة والتجأت الى مواقع الضعف في الرجل. كذلك لاحظت انها اذا واجهت حديثا مضاداً لرأيها (وما اكثر احاديثها) زاغت من طريقه واكثرت من التكلم عن الاحاديث المفتعلة ، واذا وجدت اية عقبة في سبيلها حولت وجهها صوب العلماء الاعلام وصبت على رؤوسهم جام غضب ، لانهم جامدون ولانهم ولانهم.

لا تغضبوا يا اصحاب الفضيلة ، فان مناظرتكم صاحبة فضيلة ايضاً ، والا لما ملأت ربع كتابها بايات قرآنية ، وربعه باحاديث ، واما الربع الثالث فباقتباسات اغلبها عن السلف الصالح. فهلا يحق لي والحالة هذه ان اخلع عليها حلة العلم مع لقب العالمة العلامة ، والبحر الفهامة ، صاحبة الفضيلة نظيره زين الدين [1]

وكأن هم نظيره قد اتجه قبل كل شيء الى اقناع رصفائها علماء الشرع فكالت لهم من بضاعتهم ، حتى انها لم تنس ان تتكلم عن ذي القرنين والسدين اللذين بناهما . وقد تذكرت وانا اقرأ هذا البحث كتاب « الكاف ، في اثبات وجود جبل قاف »

سأجتهد الآن ان اقدم للقارىء زبدة كتاب الآنسة : —

بني الدين الاسلامي على حرية الفكر والارادة والقول والعمل ، لا مسيطر على المسلم في امر دينه الا عقله وارادته ، ولا حجة بينه وبين الناس انما الحجة بينه وبين الله . — اذا لم يسمح الله لنبيه بان يكون وكيلاً او حفيظاً على عباده فكيف يجعل الانسان من نفسه على العباد وكيلاً وحفيظاً ؟ (٩)

بلي الشرق بظلمات اربع . ظلمة نقاب من نسيج ، وآخر من جهل ، وثالث من رياء والاخير من جمود . — المرأة المسلمة ، لا تطلب من السلطات تحريرها فهي حرة في كتاب الله (٤) رأت المرأة المسلمة كل رجعي او كل ذى هوى مسيطراً ووليا ووكيلاً عليها . الله لم يفرق بين نسائه ونساء غيره لأن النقاب مشترك مانع من تفريقهن ، فعد كل رجل نفسه قواماً على النساء جميعاً ورأت المرأة كل الرجال قوامين عليها . — يريد الدين كشف وجوهنا للهواء والنور مثلما يكشف سائر الناس وجوههم (١٥) ان ستر وجه المرأة ليس من شروط الاسلام ولا من اركانه وليس سفور الوجه من محرماته . فشروط الاسلام اربعة

---

(١) اشكر للاستاذ خلعة عليّ مثل هذه الحلة . ولكنها عتيقة . واضاعف شكري له اذا خلع عليّ في مقال آخر حلة جديدة . وان لم يتحفها الربع الباقي من الكتاب ، فارجو من الاستاذ ان يعيد النظر في تقسيمه ويصحح الحساب

العقل والبلوغ وعدم الاكراه والنطق بالشهادتين ، واركانه خمسة الشهادتان واقامة الصلاة وايفاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت . واهم المحرمات هي الفحشاء والخمر والربا (١٨) فلم يذكر بينها الحجاب والسفور .

يجب ان يوجه التأويل والاستحسان الى التيسير (١٩) وما الحكمة في اهتمامهم بالحجاب اكثر من اهتمامهم باصول الدين واركانه حتى انهم يهتمون بتحجيب النساء كافة ولا يقتصرون على حجب نسائهم ؟ — اذا كان دعاة السفور لا يعتدون على المحجبات ، فهلا يجب على دعاة الحجاب ان يوقفوا تهجمهم على السافرات ؟ (٢٢) لم تخرق الآنسة النظام وتفر من سجن الحجاب بل هو والدها الذي عد سجنها منافياً لعدل الله وعدل الانسانية (٢٨) تأخرنا نتج عن استعبادنا للام (٣٢) الامة المشلول نصف اعضائها لا تستطيع ان تباري وتستولي وتتفوق (٣٣) كلما تجد اقوالا لمفسرين تجد اخرى تخالفها وتناقضها (٣٧) اكثر علماء زماننا نقلوا كل ما فيه بدع من التعسير والتعقيد (٤٦) هل النساء ناقصات عقل ودين ؟ يا سادتي ليس من مصلحة الامة الاسلامية ولا من مقتضى شرفها ان يكون نصفها ناقص العقل والدين، وليس من مصلحة الرجل ان يقال ان امه ناقصة وابنتهُ ناقصة عقلاً وديناً الخ (٥٧)

الدين يحرّم الربا والرجل قد حلله، وحرّم المسكر وبيعه والرجل قد اباح ذلك في قوانينه، وحرّم لحم الخنزير والرجل يضرب عليه الضرائب ، واوجب الحدود الشرعية ، والقوانين قد الغتها ، وحرم الصور والتماثيل والمتاحف ممتلئة بها ، والدين اباح الاسترقاق فحرمناه . فيا لتدين الرجل ويا لغيرته على الدين ! انه كامل الدين . يا سيدي الرجل ، انك لا ترى ما فعلتَ وفعلتَ مروقاً والحاداً ولكنك ترى الالحاد ان تتكمل المرأة ادباً ونوراً وعقلاً (٦١) الله غطى وجه الرجل بالشعر الطويل والدين امر بابقاء ذلك الغطاء اما الرجل فقد ازاله ، وخلق الله وجه المرأة مكشوفاً نقياً والدين امر بابقائه مكشوفاً جلياً ، اما الرجل فقد غطاه بالنقاب ليجعله خفياً . — يجب ان يعترف الرجل بانه ليس اكمل من المرأة ديناً (٦٣) الا ترون ان المرأة مع حرمانها تجاري الرجل رقياً في امور الحياة كلها ؟ فكم من مكتشفات ومخترعات الخ يسابقن الرجال في ميدان العقول ! — على الرجل ان يعترف بان المرأة مثله عقلاً ومنزلة (٧٢) الذكر اقوى جسماً من الانثى ولكنها اصلح غريزة منه . ولولا ذلك لما كلف الله انثى الطير بناء العش وتربية الصغار وحفظها ، وكل ذلك من خصائص العقل ، في حين ان الله لم يكلف ذكر الطير الا جلب القش والتقاط القوت (٧٣) هل رأيتم يا سادتي

حيواناً في الدنيا يعامل اناثه كما يعامل الرجل اناثه ؟ هل رايتم حيواناً وأدَ اولاده كما فعل الرجل ؟ (٧٩) يفتخر الرجل بانه كالنسر والمرأة بين مخالبه كالحمامة . ولعمري ان الحمامة خير للانسان من النسر (٨٠) جعل شهادة المراة نصف شهادة الرجل ليس دليلاً على نقص عقلها . كما ان عدم قبول شهادة غير المسلم على المسلم ليس دليلاً على نقص عقله . — فالشهادة ليست اكثر من تكليف يتعب صاحبه ويحرجه ، فالله اراد ان يخفص عن المرأة ذلك التكليف(٩٤) انك خلقت والمرأة من روح واحدة فعلام تدعي انك اكمل منها في الفطرة عقلا ؟ — يكلف الله المرأة التكاليف الشرعية في السنة التاسعة من عمرها ، ولا يكلفها الرجل الا في السنة الثانية عشرة هذا اذا بلغ ، أفلا يدل ذلك على ان المرأة يكمل عقلها قبل ان يكمل عقل الرجل ؟ (١٠٥)

اهل الحجاب لا يجاوزون عدة ملايين من الاسلام ، ولكن العالم الاسلامي في القرى وكل الامم الاخرى اهل سفور . الامم السافرة ام راقية رقياً ليس للامم المتحجبة مثله(١٠٩) لا يجوز ان نسند التبذل الى اكثر من مليار ونصف من الناس اكثرهم ارقى منا ، ونحصر الشرف بنا ونحتكره لنفوسنا ، وما نحن الا عدة ملايين اكثرنا قاصر متأخر في رقيه (١١١) الامم كالاشجار يسقط من ثمارها ما كان خبيثاً فاسداً فتتناوله الحشرات. فلا تعرف الشجرة مما يرى تحتها من ثمرات ساقطة (١١٣) اذا كان في الحجاب اشارة الى عجز المرأة عن صون نفسها بدونه ، ففيه اشارة اخرى الى ان الرجل خائن سارق للاعراض (١١٧) كيف يستطيع الرجل ان يكون قواماً على المرأة وهو يحجب وجهها بحجاب يمنعه هو نفسه من معرفتها خارج بيتها ؟ كيف يكون قواماً عليها وقد حُرِّم عليه الدخول الى كل مكان تكون فيه اذا قيل له ان معها محجبات ، وقد تكون اولئك المحجبات رجالاً او حيات وافاعي تنفث سمها في قلب امرأته ؟ (١١٨) اي امرأة لها شرف ترتكب الدنيئة وهي معروفة بشخصها ؟ اذن لماذا نمهد لها سبيل التنكر ؟ — ان خوف العار والفضيحة سبب من الاسباب التي تعصم من السقوط في الرذيلة ، فلماذا يحرم الرجل المرأة هذا العاصم ؟ (١٢٥)

انهم اذا رأوا وجه امرأتك عرفوا اي امراة هي ، فلا يحدث التباس بينها وبين السافلات من المحجبات . — في اية الجماعتين يكمن الخطر ، أفي قضاة الشرع والاشراف والادباء الذين تحجب نساءك عنهم ، ام بين ظهراني الخدم وساقة المركبات وامثالهم ؟ (١٢٧) لقد طالما حرمك تحجب الزائرات لذة الاجتماع بعيالك في السهرات فتذهب لقتل الوقت الى

اما كن لا خير فيها – قال تعالى « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » (١٤٤) . والآنسة لا توافق على الرقص (١٤٩) هيئوا النساء منذ الصغر لاحتمال كوارث الدهر اذا نزلت بهن (١٥٤)

ثم نقول ان آيات الكتاب المتصلة بموضوع السفور والحجاب اربع ، اثنتان منهما خاصتان بنساء النبي والآخريان بنساء المسلمين . امر (قرن) مشتق من الوقار . ثم عرضت الانسة تفسير العلماء للآيات وقالت ان ما ذكر في الاولين لا ينطبق على غير نساء النبي مهما حاولنا تفسيرهما

*

هذا بعض من كل مما يحوي هذا الكتاب العظيم ، ونحث القراء على مطالعة القوم كتاب احدرته سيدة شرقية

*****

كلمة الكلية « الجزء الرابع من المجلد الرابع عشر »

السفور والحجاب

« مجموعة محاضرات ونظرات مرماها تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي »

قرأنا هذا الكتاب النفيس فوجدنا في قلم صاحبته البارعة الانسة نظيره زين الدين روحاً خطابية تتقد غيرة على المرأة ، وقد قرنت تلك الروح الخطابية بنزعة فكرية تدل على اطلاع ودرس ومنطق . قالت في وصف طريقتها في هذا الكتاب صفحة ٥٦

« رجحت يا سادتي وسيداتي تقديم البحث في الادلة العقلية ، على البحث في الادلة الدينية . فقد جاء في الحديث عن الامام علي رضي الله عنه (العقل شرع من داخل والشرع عقل من خارج) وفي الحديث (حجة الله على العباد النبي ، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل)

فقلت اذا كانت الحجة بين الله والعباد العقل ، فلا بدع ان يكون العقل أرجع حجة الناس

وقلت اذا كان العقل شرعاً من داخل فكيف لا اتمسك بهذا الشرع وفيه لروح الانسان حياة وقلت اذا كان الشرع عقلاً من خارج ، فليس الشرع الا عقلاً يزيد العقل جوهراً فيتكمل الشرع »

وفي الكتاب قطع غاية من البلاغة . في ذلك ، مقابلتها القوة الجسدية المدمرة بالقوة العقلية المفيدة . اسمعها تقول صفحة ٨٢

« ان سيدنا عيسى عليه السلام ، لم يرد ان يصف نفسه بالسبع القوي المختال ، بل وصف نفسهُ بالحمل الضعيف الوديع قائلاً :« تعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب ، فتجدوا الراحة لنفوسكم ». اذن الحمل خير من السبع . والله سبحانهُ وتعالى لم يصف نبينا صلى الله عليه وسلم بالبطش والقوة ، بل وصفهُ بمكارم الاخلاق قائلاً : « وانك لعلى خلق عظيم » . ونصح له بقوله تعالى : « لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك »

فلنأخذ من هذا الوصف وذاك الوصف عبرة . ولنترك الخيلاء لنغلب النفس الامارة .

أتيلا ، تيمورلنك ، جنكيزخان ، وامثالهم من الفاتحين المستبدين ، حكموا اقساماً واسعة من العالم ، وداسوها بخيلهم ورجلهم ، ودمروها بمجانيقهم ونيرانهم ، ويتموا بنيها ورملوا نساءها بسيوفهم وفظائعهم ، واستعبدوها بظلمهم واعتسافهم . انهم لم يتمكنوا من ذلك كله الا بعقول كبيرة

وباستور ، ذلك الرجل الصامت الهادىء ، لم يفتتح بلاداً ، ولم يحكم نفساً ، ولم يستعبد نفساً ، ولم يستبد بنفس . وكل ما فعل ، انه وقف نفسه لخدمة الانسان ، فانزوى في غرفة عمله الجليل ، مع رهط من معاونيه وتلامذته الفتيان والفتيات ، واخذوا ، ومكبراتهم في ايديهم ، يتحرون اسباب الاوبئة القتالة التي تفتك بالالوف من البشر ، حتى اكتشف الميكروب وانواعه واسباب نمائه ووسائل افنائه ، فوقى البشرية بعقله وجهوده وصبره ، شر الامراض القتالة والاوبئة الفتاكة »

ومما يذكر في الكتاب وفرة الشواهد التي دعمت بها قضيتها من القرآن والحديث ، وجولاتها في القسم الرابع من الكتاب في معارضة بعض الحجابيين . فان كل ذلك يشهد لها بطول الباع في هذا الموضوع . وعندنا ان هذا الكتاب من افضل الكتب التي نشرت في مسألة السفور والحجاب . والذي يدقق النظر يرى فيه صورة تعكس ما وصلت اليه المرأة المسلمة الحديثة من التطور الفكري

كلمة السيدات والرجال لمحررها المسئول (الجزء السادس من السنة السابعة)

مصارعة السفور والحجاب

على سنة تنازع البقاء وبقاء الاصلح

بمناسبة كتاب السفور والحجاب للانسة نظيره زين الدين

إن نعارض سنة التطور كأن نقف في تيار النهر لتعكس مجراه ، او كأن نقاوم مجرى القضاء والقدر

كفى بانتشار الصور المتحركة (السينماتوغراف) في جميع نواحي الكرة الارضية ان يصوغ تصورات الناس من كل ملة ونحلة ولون واقليم صياغة واحدة . وكفى به ان يكون ناشراً لاعلى مثل من مظاهر المدنية الحديثة واجمل اشكال الازياء واصلح العادات فيقتبسها الالف وستماية مليون من الناس اقتباساً واحداً

كفى باللاسلكي او بالاتصال الاثيري على اختلاف اصنافه ان يجمع ام الارض كلها في دائرة واحدة من التفاهم والتعامل كأنها في بقعة صغيرة من الارض . كفى بتقدم الطباعة ، والى جنبه تقدم الاتصال ، ان يجعل ام الارض كلها تسبح في جو واحد من التفكير المنطقي ومن الانفعال النفساني ومن التموج العاطفي . وكفى بانتشار العلم العملي الحديث ان يسبك عقلية الامم جمعاء في تمثال واحد هو اقرب الى المثل الاعلى المضمر في كنه الخليقة

فنحن اليوم في زوبعة من التطور تشمل الكرة الارضية كلها كأنها زوبعة الزوابع — زوبعة شاعلة سريعة عاملة على توحيد نفسانية ام الارض وعاطفتها وذوقيتها . فمن يقف في سبيل هذه الزوبعة معانداً لها تنفضه بين الارض والسماء ، وتنثره نثر الهباء

كل شيء في الكون متطور على الدوام ، وكل ظاهرة من ظواهر الاجتماع متطورة منذ القدم الى آخر الازمان . وكلما تقدم الزمان اسرع التطور واتسع انتشار امواجه العظمى . واذا كانت الاديان التي هي اكثر التقاليد استعصاء على التطور تتطور ، فاحر بالعادات الاجتماعية ان تتقلب على لجج التطور تقلب «السين» على مضطرب امواج المحيط

اذاً لا يستلزم تمزيق حجاب المرأة الشرقية اكثر من عصفة واحدة من زوبعة التطور ،

فيتمزق خرقاً ، ثم عصافةً ، ثم ذرات ، ويستتب السفور مكانه . وهذا ما هو حادث اليوم

فالحجاب منقض حتماً لا بارادة ناسه ، ولا باختيار محجّباته ، ولا باذن اسيادهن ، بل بحكم سنة التطور التي لا تبديل لها ولا في طوق قوة ان تقاومها . هي سنة اقتباس الاضعف من قوة الاقوى ، وسنة تشبّه المتأخر بسلوك المتقدم . وسنة تمثّل الجاهل بحكمة العالم . وسنة احتذاء المتمدن حذو من هو اكثر تمدناً منه . هي سنة تنازع البقاء وبقاء الاصلح . فالعادة والعرف والزي الاقل صلاحية تنهزم امام العادة والزي الاصلح ، فتضيق دائرة تلك امام اتساع دائرة هذه ، ونور هذه يقلص ظل تلك

فالامة التي تقاوم هذه السنة انما هي تجرد نفسها من السلاح اللازم لتنازع البقاء ، وتحكم على نفسها بالفناء . والامة التي تطاوع هذه السنة انما هي تضم نفسها الى الجانب الاقوى من المتنازعين لتضمن البقاء لنفسها

فبحكم هذه السنة ينهزم الحجاب امام السفور ، لا لان للسفور قوة سحرية تمزق الحجاب ، بل لان الشرق ناهض يبتغي ان ينازع الغرب البقاء . ولذلك يتسلح بسلاح عوامل البيئة الاجتماعية الجديدة التي تضمن له الفوز بالبقاء . بهذه البغية يمحق السفور الحجاب و يبيده حتماً

ما للسفور ولا للحجاب من تأثير في تطور الشرق . ما هما الا رمزان للحرية والعبودية وللعلم والجهل . فاذا شرع الرمزان يتنازعان البقاء علمنا ان المرموزين يتنازعان ايضاً . واذا فاز السفور على الحجاب ، استبشرنا بفوز الحرية على العبودية ، وبفوز العلم على الجهل ، وشعرنا باننا استوفينا عدتنا للتنازع ، وضمنا لانفسنا البقاء

فنحن لا نشجب الحجاب ونؤيد السفور لان الدين يأمر او ينهي ، ولا لان السفور موضة جديدة والحجاب موضة قديمة ، حتى ولا لان في السفور حرية المرأة وفي الحجاب عبوديتها . وانما نؤيد السفور ونشجب الحجاب لان زوبعة التطور الهابة على الكرة الارضية الآن قاضية به حتماً وتؤيده ، ولان التأييد والشجب اصبحا من جملة اسباب بقائنا . فربما كان الحجاب في العصور الماضية من ضوامن البقاء واما الان فلم يبقَ كذلك

لسنا في موقف مصلحي الاديان او مصححي الاداب بل نحن في ميدان نزاع ، وفوزنا بالبقاء يتوقف على قبول هذا التطور

لذلك نقول للذين يعترضون على شجبنا للحجاب ودعوتنا للسفور من المسلمين بقولهم : «هذه مسألة اسلامية فلا شأن فيها للطوائف الاخرى ولا تعنيهم» — نقول لهؤلاء الاغبياء المغرورين الذين يظنون ان الحياة الاجتماعية احتكار لهم — نقول لهم : «بل هذه المسألة تعنينا كما تعنيكم . لان حياتنا الاجتماعية مرتبطة بحياتكم ، وبقاءنا متصل ببقائكم . ولو كانت المسألة دينية بحتة لربما سكتنا احتراماً للشعائر الدينية لا لانها لا تعنينا ، ولكن اساطين العلماء المسلمين يخرجون مسألة الحجاب من دائرة الدين . ولا يتمسك به من وجه ديني الا زمره من المتعصبين الاغبياء الذين يقولون « لا وطنية في الاسلام » . واما المتنورون الذين ادركوا سنن التطور وفهموا تأثير سلطانه في الحياة الاجتماعية فيقولون : « الدين لله والوطن للجميع » . ونحن اعتماداً على هذه النظرية واستناداً على هذه الأولية نقول ان مسألة الحجاب تعنينا ، وتعنينا ، وتعنينا

نحن لا نكترث كثيراً في مسألة الحجاب من جهة القناع والخمار والنقاب والفوال والخضاب والحمرة وتزجج الحواجب وكحل العيون الخ . فهذه امور شخصية لا اجتماعية . وانما يهمنا من السفور ان تساوى المرأة بالرجل في الحرية والعلم والحق السياسي ، لان بقاءنا في ميدان التنازع يستلزم ذلك . بهذا المعنى نشجب الحجاب ونؤيد السفور

هذه كلمة محرر هذه المجلة المسؤول بمناسبه ظهور كتاب السفور والحجاب للانسة الجريئة نظيره زين الدين . وهذا فأله يؤذن انهزام الحجاب لدى نفوذ السفور . فالحجاب كان منقضياً تدريجياً قبل كتابي قاسم امين ونظيره زين الدين . ولكن الكتاب الاول قربهُ الى حافة الهاوية والثاني دفعهُ فيها . فمرحى يا نظيرة . وفي العدد القادم كلمة صاحبة المجلة

اما كتاب السفور والحجاب الذي نحن بصدده فهو مجموعة محاضرات ونظرات مرماها تحرير المرأة والتجديد الاجتماعي في العالم الاسلامي . والنصف الاول منه في ٣ اقسام يبحث في السفور والحجاب من الوجهات الدينية والعقلية والاجتماعية في نحو ٢٠٠ صفحة وقد أتت المؤلفة على كل ما يمكن ان يقال في هذا الموضوع ولم تبق زيادة لمستزيد . والنصف الثاني في نحو ٢٠٠ صفحة ونيف يشتمل على معارضات وردود على اهم كتابات المعارضين للسفور كالشيخ سعيد البغدادي والشيخ ابراهيم القاياتي الازهري والشيخ محمد رحيم والشيخ مصطفى الغلاييني . وقد ردت المؤلفة على اقوال هؤلاء المشايخ بجرأة غريبة ، وقرعت اباطيلهم بحجج ماضية كالسيف المرهف . ولو صدر هذا الكتاب من قلم رجل او من قلم اجنبي لكان ضعيف

التأثير . اما وانهُ قد صدر من قلم فتاة تناضل عن حرية المرأة وهي كريمة علم من اعلام العلم والفقه السيد سعيد بك زين الدين الرئيس الاول لمحكمة الاستئناف في الجمهورية اللبنانية فقد نفخ روح الحق والحرية بأشد من عصف العاصفة . واذا قرأتهُ رأيت غيهب الحجاب ينهزم ممزقاً امام نور السفور

* * * * *

كلمة الاتحاد اللبناني العدد ١٣١٠

كتاب السفور والحجاب

للانسة الراقية

نظيره زين الدين

لاول مرة في حياة سوريا ولبنان تنهض فتاة راقية فتضرب بمعول عزيمتها وجرأتها اساس عادة قديمة في الشرق اكل الدهر عليها وشرب فتزعزع بنيانها ، وتقوض اركانها

نعني بها الانسة المهذبة نظيره زين الدين كريمة الوجيه سعيد بك زين الدين الرئيس الاول لمحكمة الاستئناف في الجمهورية اللبنانية ، التي اتحفت الامة العربية بكتابها الجزيل الفائدة، والكثير النفع: «السفور والحجاب»، وتفضلت باهدائنا نسخة منه لنبدي راينا فيه

ولقد قبلنا هذا الكتاب الذي دافعت فيه مؤلفتهُ دفاعاً مجيداً عن عادة السفور ، وقصدت من ورائه تقبيح عادة الحجاب واظهار مضارها ونتائجها – قبلناه بمزيد الارتياح وتصفحناه بجمله فما كانت نفسنا الا لتطلب الاستزادة من مناهل حكمه وبراهينه وحججه المتدفقة تدفق السيل ، والتي تركت الرجعيين وطلاب الحجاب مبكمين امامه ، وما كانت روحنا الا لتحيي من وراء البحار تلك الروح الشريفة ، روح الفتاة الثائرة ، التي تجسمت فيها كل معاني الجرأة والاقدام ، وتشخصت في قلبها النبيل كل الاباءة العربية والحماسة القومية

· وفي الحقيقة ان هذا الكتاب ليس الا بثورة شريفة مقتبسة من انوار العلوم والمعارف ، جاءت تضرم نيرانها فتاة لبنان ، وسلاحها فيها العقل والتهذيب ، والفكر والحجة ، والمنطق والبرهان

لذلك فكتابها الجليل الذي اتحفت العرب به ، يختلف عما سبقه من الكتب الجريئة ، لانه يحارب الاخصام بسلاحهم ويستمد اكثر قوته من المصادر الدينية ذاتها التي يتسلح بها طلاب الحجاب ومسفهو السفور ، فجاء كتاباً قوياً ، لحمته البرهان ، وسدته الحجة ، اشبه بسيف ذي حدين كيفما ضرب قطع

وقد اظهرت فيه المؤلفة ان الحجاب لم ينص عنه القرآن الشريف ، وان كل ما ورد في هذا المعنى انما هو مختص بنساء النبي محمد فقط ، ولا يعمّ نساء المسلمين حسبما ورد في الاية الثانية والثلاثين والاية الثالثة والخمسين من سورة الاحزاب ، ولذلك فليس للمشايخ حجة من القرآن يتذرعون بها · وبعد ان اشبعت هذا الموضوع اشباعاً وابانت اضاليل المشايخ الذين يتخذون القرآن آية يتسلحون بها لتعزيز رايهم ، عادت وحللت الموضوع عقلياً وادبياً ، فاظهرت فساد اراء الذين يعتقدون ان رفع الحجاب مما يضر بالهيئة الاجتماعية ، واستشهدت بتقدم ام السفور وتأخر الشعوب الخاضعة للحجاب وضربت لذلك الامثلة والشواهد ، ثم حامت حومة اجمالية حول مركز المرأة في الكون وحللت الموضوع تحليلاً جيلاً وابانت بأن تأخر المرأة ينتج عن تأخر المجموع ، وان المرأة ليست احط عقلا من الرجل ولكن استعباده لها طيلة العصور الماضية جعل قوة عقلها ضعيفة ، اما في الواقع فهي تملك من الغريزة العقلية ما يملكه الرجل ولا ينقصها لمعادلته ومساواته الا التمرين والممارسة

وقد اعجبنا ما رأيناه منها في مخاطبتها للرجل ، فهي طوراً تتهكم عليه تهكماً باظهار ارائه الفاسدة ، وحججه التي يعول عليها ، وتارة تستثير نفسه وتؤنبه كيف يسمح لذاته بان يشكك بوالدته التي هي سبب وجوده ، فيسدل الحجاب على عينيها ويسجنها بين جدران بيتها ، وهي التي قد حملته على ذراعيها ، وربته بدموع عينيها ، وهذبته واعتنت به الى ان صار رجلاً · فالمؤلفة تسمي هذا العمل من نوع العقوق بالام · ثم تتعجب منه كيف يحجب والدته وزوجته واخواته ، وبناته ، عن عيون العلماء والمشايخ والفقهاء ويسمح لهنّ بكشف وجوههنّ امام باعة اللحم والخضر ، والخبازين ، والسواقين ، والخدم وخلافهما ، اليس ذلك من فساد الرأي

ولقد حملت حملة شعواء على بعض العلماء والفقهاء الذين عارضوا السفور، كالشيخ سعيد البغدادي، والشيخ الازهري، والشيخ محمد رحيم، والشيخ الغلاييني، فافسدت اراءهم بحججها المتينه، بهيئة لا تترك زيادة لمستزيد

وبكلمة مختصرة ان الكتاب المذكور قد احاط بالموضوع من كافة اطرافه، فجاء بالادلة العقلية، وبالادلة الدينية المسندة جميعها الى الآيات القرآنية، وبالادلة التاريخية، وبالادلة الاجتماعية، و بحث في الحرية وفي الشرائع، وفي العوائد، وفي الازمان والظروف، وفي معتقدات الفلكيين والتاريخيين وخلاف ذلك، واتخذ منها جميعها شواهد وبراهين اثبتت اثباتاً قاطعاً بان الحجاب ليس الا عادة قديمة اوجدتها الظروف في العصور الاولى واحتفظ بها الرجال استئثاراً وظلماً، شأن استئثار القوي بالضعيف، ولكنه وجب الان ان تزول نظراً لاختلاف الظروف، بل وفي مصلحة الامة ذاتها ان تزول لكي يعلو شأنها ويرتفع مقامها

هذا هو بكلمة مختصرة موجز كتاب السفور والحجاب، وهو كما سبق وقلنا كتاب لم ينشر في اللغة العربية اصلح منه ولا اعمّ منه فائدة، وتستحق مؤلفته عليه شكر الامة باجمعها، وثناء كل ناطق بالضاد، لانها قد ادّت للمجموع خدمةً تفوق بثمنها كل خدمة

ولذلك فنحن من وراء البحار نحيي روحها الناهضة، ونفسها النبيلة، ونطلب من الجالية السورية واللبنانية في المهجر ان تقبل على مشترى كتابها واقتنائه تقديراً لادب مؤلفته حق قدره، وتعزيزاً للعلم المتجلي في صدرها الكريم

*****

كلمة من كلمات جريدة الاهرام عنوانها « دمشق تحت الحصار » عدد ١٥٦١١ قالت :

دمشق تحت الحصار

دمشق عاصمة سوريا تحت الحصار الشديد الذي يضيق عليها كل يوم الخناق . فكلما احست بالشدة والتضييق ازدادت شدة في الدفاع والمقاومة . ولكن هذا الدفاع مهما عدّه

المدافعون شريفاً مجيداً ، فانه لن ينجلي غداً الا عن زيادة غنم المهاجمين ، وزيادة فخرهم ، وابهة نصرهم . لان دمشق لا تدفع عنها المهاجمين من القره وبغداد وايران فقط ، بل هي تدفع عنها المهاجمين من الغرب عامة والشرق عامة ، وتغالب فوق هذه القوات جميعاً قوة اشد بطشاً واشد عملاً واصرم حكماً وهي الطبيعة

و بعد ان وضعت الجريدة المحترمة خطط ذلك الدفاع الذي قضى به الهجوم على دمشق من كل جانب قالت :

ان لبنان قلعة المرأة يهاجم دمشق ايضاً

الى ان قالت

و يتوج ذلك كله الان ذلك المؤلف النفيس في السفور والحجاب للانسة نظيره زين الدين كريمة سعيد بك زين الدين المدعي العام امام محكمة الاستئناف بلبنان . ولم تكتب هذه الانسة بنت العشرين بنزع الحجاب فقط ، بل نزعت هي ذاتها حجابها بيدها نزولاً على ارادة والدها ، وقالت « انَّ من حلل حراماً او حرَّم حلالاً فقد كفر ».وليس كتابها الا مباحث في تحرير المرأة وفي التجديد الاجتماعي في العالم الاسلامي وسنعود اليه[1] وقد ارسلتهُ هدية الى نقابة الصحافة المصرية

الى ان قالت

وننظر الى دمشق المضروب عليها الحصار من كل جانب وهي لا تزال تقاوم ولا تزال مقاومتها تشتد باشتداد الهجوم عليها من كل جانب . فهي الان وحدها منفردة في دفاعها . فلا الاسلام في البوسنة والهرسك والبانيا والبلقان وتركيا يؤيدها ، ولا المرأة اللبنانية تساعدها ، ولا مصر تؤازرها ، ولا الصحراء ذاتها تساعدها . ويهاجم دمشق مع تلك القوة الهائلة الجائحة كلها التاريخ ذاته

الى ان قالت

فالى متى تظل دمشق المنفردة الان وحدها في العالم عن كل نصير ومدد على الدفاع بل على المقاومة ؟؟

---

(1) اتصل بي ان الاهرام قالت كلمتها الثانية غير انها لم تتصل بي

انا لا ننتظر لها الفوز . والحربيون يقولون ان كل محصور مكسور . وهي محصورة ، ولا سبيل الى الفرج الا اذا انحسر تيار المدنية والحضارة الحديثة عن العالم كله . وهذا ما لا ينتظره احد ولا يقول به احد ولا نظنهُ يكون في مصلحة احد حتى دمشق ذاتها

الى ان قالت

فالشام المحصورة الآن من كل جانب سوف تسلم غداً وتتوّج فيها رؤوس المجاهدين باكليل النصر

اقول هذا ونكاد نخلص الى زعقة دمشق الغاضبة لاعتقادها انها مجاهدة . ولكني اقول لها ، وانا احبها ، انه جهاد في الضلالة

داود بركات

* * * * *

كلمة « الراية » عدد ٢٣٥ قالت :

الكتب والكتّاب

ثورة فكرية نسوية في كتاب فتاة تنادي بتحرير المرأة والتجدد في الاسلام

اصبحت النهضة النسوية في لبنان امراً واقعاً والقائمات بها سائرات في طريقهن غير مباليات بقيل وقال . وعبثاً يحاول الرجعيون مقاومتهن او الحؤول دونهن ومتابعة العمل بلوغاً الى الهدف الاسمى . فان العوامل النفسية والادبية التي تدفع بالمرأة الى الامام كثيرة وقوية لن تقف بها عند حد الاستسلام الاعمى لقوة غاشمة قضت الظروف في الامس باحترامها ، فاحترمت

ما تحدثت الى زعيمة من زعيمات هذه النهضة النسوية عندنا الا شعرت فيها باندفاع متحمس لا حد له ، وقوة ايمان راسخة تزحزح الجبال الراسية . ومتى كان المجاهد مؤمناً

فلا تسل عما يأتيه من التضحيات في سبيل قضية حق ، بل كل الحق . والانسة نظيره زين الدين كريمة سعيد بك زين الدين مدعي عام محكمة الاستئناف ، هي احدى زعيمات تلك النهضة النسوية ، وهي من اشد المؤمنات بها . ولعلها أجرأ اقداماً من زميلاتها على قرن القول بالعمل . وليس أدل على جرأتها من خروجها سافرة في الناس يوم كان وما زال الرجعيون يرمون السفور بالكفر والمروق . ويرجع الفضل في سفورها لتكون قدوة لاخواتها المحجبات فيقتفين اثرها — اليها اولاً ، والى والدها الكريم ثانياً ؛ ذلك الوالد الذي ادرك جوهر الدين فوجد الحجاب « زخرفاً » فقال لابنته : اطلقي وجهك للنور ، للحيـاة ! فاطلقتهُ مخيرة ، وكانت لم تحجبه من قبل · ولو ارادت حجابه لما كانت ارادة الوالد لترغمها على ما تأباه

ذاقت الآنسة نظيره طعم الحرية ، والاعتماد على النفس . وشعرت بثقل التقـاليد على اخواتها ، وكم سمعتهنَّ متذمرات يشكين ظلمة النفس ! فبادرت الى اسعافهنَّ بعامل حب الانسانية الخالص . فوضعت كتابها الاجتماعي الخطير في « السفور والحجـاب » ، وكل قصدها ان تهدي الناس الى الدين الحق الذي لا يامر بالحجـاب ، والذي يحترم المرأة ويحافظ على كرامتها ومقامها في المجتمع احتراماً ومحافظة لم يدركهما الاولون ، او انهم ادركوهما ، ولم يشاؤوا ان يخضعوا لهما بعامل الاثرة وحب السلطان . فأمروا بالحجاب ، فصح فيهم قول الرسول : « من حلل حراماً ومن حرَّم حلالاً فقد كفر » .

*

اما « السفور والحجاب » ، فمحاضرات ونظرات مرماها تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي » . بل هو ثورة واسعة النطاق بعيدة المرمى ، عميقة الاثر ؛ ثورة على التقاليد الفاسدة والعادات العقيمة ، تتناول كل ما من شأنه تعزيز مقام المرأة ، ورفعها الى مستوى الرجل ، وكل ذلك معزز بالبرهان العقلي والديني · بل هو انقلاب سيقيم حداً فاصلاً بين قديم بال ، وجديد زاهر ، بل هو فتح في الاسلام

ويقع الكتاب في اكثر من اربعمئة صفحة . معتدل القطع ، صقيل الورق ، حسن الترتيب ، متقن الطبع بليغ العبارة فصيحها

وقد قسمت المؤلفة موضوعها الى اربعة اقسام : فجالت في القسم الاول جولات عامة في الحرية ، والحق ، والشرع ، والعقل ، والدين ، ودرست في القسم الثاني والثالث الادلة العقلية والدينية على وجوب السفور والتحرر ، والتطور ، وتناولت في القسم الرابع معارضات اعداء المرأة

القائلين بضرورة التمسك بالحجاب ونبذ السفور . فردت عليها ردوداً مفحمة لم يبق معها مجال للانخداع باقوال القائلين ان السفور كفر ومروق من الدين

وقد حذقت المؤلفة اختيار الابحاث ، والاستشهاد باقوال نبي الاسلام ، كما حذقت تفسير الايات القرآنية ، واستكناه الجوهر ، وتفهم المعنى . فجمعت كل ما بلغ اليه اجتهادها من الادلة الدينية والعقلية ، وعززت بها نظريتها ، مما دل على سعة اطلاع ، وتوقد ذهن ، وشعور قوي بضرورة الانعتاق من نير التقاليد . وما التقاليد الا عبد خاضع لتطورات الازمنة والعصور

* * * * *

كلمة فتى لبنان عدد ٩١٤٤

السفور والحجاب

الآنسة نظيرة سعيد بك زين الدين من الفتيات اللواتي تحلين بعقود البلاغة والبيان ، واعتصمن بمعظم النهى وطلاقة اللسان ، وهي أولى الناهضات اللواتي تمردن على التقاليد القديمة القائلة بالحجاب والنهي عن السفور ، فقطعت تلك القيود التي تجعل الفكر بعيداً عن الرقي ، راسفاً في اغلال التأخر والانحطاط ، وبرزت سافرةً ولها من ادبها الرائع حجاب يخفض عنها الانظار ، ومن علمها الناضج قناع تخشع امامهُ الابصار

اخذت هذه الاديبة المهذبة جرأة الجنان عن والدها القانوني النزيه الذي طارت شهرتهُ حينما عهدت اليه الحكومة في اكتشاف اختلاسات الجرك فاظهر من الدهاء والحنكة ما حمل اولي الامر على انتدابه للمراكز العالية التي تحتاج الى مثله من القانونيين النزهاء القديرين ، وارتشفت العلوم من اعذب مناهلها الفياضة ، فبرزت كالماسة نقية من كل شائبة ، ورأت ما تتحمله بنات جنسها من العسف مما لا ينطبق على مبادىء القرن العشرين وهو العصر الذي سطعت فيه اشعة العلم فمزقت غشاوة الجهل وبددت غيوم التعصب ، وساءها ان لا يكون للمرأة حظ من الجهاد وهي رفيقة الرجل ، ولها من حنانها ورقة شعورها ما يخفف اعباء

الحياة على رفيق حياتها . رأت كل هذا فالفت كتابها « السفور والحجاب » مطـالبة بحق المرأة المهضوم ، وقد عززتهُ بآيات من القرآن الكريم ، وبالادلة المنطيقية ، التي لا تقبل جدلاً لو انصف المنصفون

وقد كان لهذا السفر الجليل صدى بعيد، فتناولتهُ اقلام العلماء والادباء وهم بين مستحسن ومؤيد ومسفه ومقرظ ومنتقد . ولا غرو فالموضوع واسع المدى متفرق الشعاب ، ولو لم يكن للكتاب وزنه الغالي ، وقيمتهُ العلمية ، لما اثار اهتمام الرأي العام ، واضرم حفيظة بعض المتعصبين حتى جاهروا امام الحكومة بسوء العواقب اذا ظلت الجرائد تخوض بحار المنـاقشة بهذا الكتاب

فاذا لم يكن لهذه الآنسة المهذبة من مفخره سوى ابرازها تحفتها الثمينة هذه لعالم العلم والادب فحسبها وكفى . واذا كان ابناء هذا الجيل لم يوفوها حقها من الاطراء والمديح ، فان التاريخ والمستقبل كفيلان بقدرِ جهدها وخدمتها الوطنية ، والثناء على فضلها وعلمها ، وعدِّها في طليعة الكاتبات اللواتي خدمنَ العلم والانسانية بقلمها البليغ ، وادبها الغزير ، ووطنيتها الصادقة . وفقها الله

* * * * *

كلمة فتى لبنان الثانية عدد ٤١٦١

السفور والحجاب

« ما انزلنا عليك القرآن لتشقى »

« السفور والحجاب » كتاب نفيس ثمين، الفته النابغة المجددة الآنسة نظيره زين الدين، وقدمتهُ الى والدها الوجيه سعيد بك زين الدين الرئيس الاول لمحكمة الاستئناف في الجمهورية اللبنانية . وهو كناية عن محاضرات ونظرات مرماها تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي ، وان شئت فقل في الشرق

رأت الآنسة النابغة ان المرأة الاسلامية — خصوصاً — والشرقية عموماً لا تزال اسيرة التقاليد والعوائد والجهل يتصرف بها الرجل تصرفهُ بسلعة ما ، فيذيقهـــا من الاستعباد والاستبداد الوانًا ، تارةً باسم الدين وطوراً باسم العرض والشرف. وكلا الدين والعرض بريءٌ من هذا الاستبداد وهذه العبودية

لذلك لا غرابة في ان تنبري الآنسة زين الدين مدافعة عن المرأة مطالبة باطلاق سراحها ، منددة بمن خفضوا المرأة الى مستوى الحيوانات ، ثائرةً على تعاليم ما انزل الله بها من سلطان ، متمردةً على فقهاء لم يفقهوا من معاني الكتاب والسنة شيئًا ، اولئك الذين وضعوا المرأة تحت رحمة الرجل يفعل بها ما يشاء فكانوا ضالين ومضللين

استندت نابغتنا الحسناء في اطلاق حرية المرأة والتجدد الاجتماعي الى ما جاء في الكتاب الكريم من الآيات البينات ، وردت آراءها واقوالها الى الحديث الشريف والسنة ، وحاربت خصوم المرأة الذين استعبدوها بالسلاح الذي شهروه في وجه المرأة ولسان حالهـــا يقول : هوذا الكتاب ، فاين فيه ما تدعون ؟

وقد وجهت الانسة نظيره الى هؤلاء سهماً اصاب منهم النحور. اذ قالت : « اما بعض المسلمين اولئك الذين كانوا وما زالوا يراؤون في الدين ويكرهون الناس فيه ، ويماكرون الجهلة بانواع التمويه ، مستمدين منهم قوة مؤذية باطلة للسيطرة على غيرهم من المسلمين ، او ما زالوا يتوسلون بالسلطات العالية مموهين عليها لتضغط العقل والحرية الشخصية ، وتكره الناس على البقاء تحت كابوسهم او سيطرتهم خاملين جامدين او مسيرين باقوالهم وارائهم واهوائهم كالانعام ، ان اولئك لم يفطنوا للحديث الشريف القائل « ان اخوفَ ما اخاف عليكم الشرك الاصغر » قالوا ما الشرك الاصغر يا رسول الله ؟ قال : « الرياء » او لم يفقهوا الحديث الشريف القائل « من ماكرَ مسلماً فليس بمسلم »

فحياكِ الله يا زينةَ الدين والدنيا . اذا كان الشرق قد اكبر ما فعله قاسم بك امين في سبيل تحرير المرأة ، فما عساه ان يصنع تجاه كتابك الذي جاء آية من آيات البلاغة والبيان ، بل قمراً نيراً يهدي الساري في بيداء الحياة

ولكي يكون القارىء على بينة من فوائد « كتاب السفور والحجاب » ومقـــامه الرفيع ننقل له بعض الفقرات

قال رسول الله (صلم): « اكثر الخير في النساء ». ولا يعني ذلك الخير الا الخير الروحي

وقال ايضاً : « العبد كلما ازداد للنساء حباً ازداد في الايمان فضلاً » – وما الحب الذي يعني رسول الله « صلعم » الا تقارب روحه من ارواحهن ، ذلك ما يؤثر في تغليب النفس المرضية على النفس الامارة بالسوء فيزيد في الايمان فضلاً . فحيث تقاربت ارواح النساء وارواح الرجال تم لهؤلاء الظفر في الجهاد الاكبر

وقالت ايضاً – « اني لا استطيع القول مع القائلين بأن البشرية ترجع في مدنيتها الى الوراء لان هذا الاعتقاد يشير خلافاً للواقع الى ان ارقى عصور البشرية وافضلها آداباً العصر الحجري الماثل امامنا في بطون التاريخ مع ما فيه من الهمجية »

« ان كان هذا اعتقادنا فيا لتعس البشرية ، انا سنلبث خاملين او نعود القهقرى بدلاً من ان نسير الى الامام مع الامم الناهضة في طريق التجدد والتطور »

« ويا لتعسنا اذا لم نر امهاتنا وزوجاتنا وبناتنا واخواتنا يمشين معنا بجبهات وضاحة في طريق الحرية والشرف والمجد ، والتكمل العقلي والادبي · قال الله تعالى – ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم – فلنغير ما بانفسنا الى اصلح منهُ تتغير حالتنا الى اصلح منها

« ربي ! قبل ان تتوفى الروح مني ، متع عيني ان تشهدا ، واذني ان تسمعا ان فتيان المسلمين وفتياتهم ، الاخوة والاخوات ، كلا الفريقين المثال الاعلى في الاخلاق والاداب ، كلاهما سافر يبادل الاخر الاحترام فكراً وقولاً وفعلاً ، وكل آخذ بيد الآخر ، يسيران في طريق المجد بوجوه طافحة بماء المروءة والحياء ، لامعة بنور الفضيلة والعفاف »

وقالت ايضاً وقد اجادت – « اذا كان الحجاب دليل الحب فلماذا لا يسمح للمرأة ان تبرز الدليل على حبها رجلها بتحجيبه كما ابرزهُ هو بتحجيبها ؟ أوَ لا تفهم المرأة من تحجيبها عدا الرغبة فيها من اجل الجمال ضعف الثقة بها ، كأنما رجلها يراها عارية من فضائل النفس التي تصونها عن الزلل »

والكتاب مملوء بالفوائد ، متين العبارة ، غزير المادة ، يجدر بكل فتاة شرقية مطالعتهُ ودرسه · فنثني على مؤلفته الانسة نظيره زين الدين ، ونرجو ان تتحقق امال المصلحين الداعين الى التجدد الاجتماعي وتحرير المرأة ، وان تنال المؤلفة النابغة ثمرة اجتهادها وعبقريتها ، ونحث قراءنا على اقتنائه تعمياً لفوائده

* * * * *

والسابع لسنتها الرابعة عشرة

كتاب السفور والحجاب

اقرأت كتاب السفور والحجاب لحاملة لواء التجدد في دولة المرأة الانسة الروحانية نظيره زين الدين ؟

ان في قلبه ناراً ونوراً : نار الثورة على القديم ، ونور الامل برجوع الشرق الى ما كان في صدر الاسلام ، من خير ومجد تشهد بهما الايام . بل هو اليد البيضاء ترفع الحجاب عن وجوه النساء ليرين آيات الله في خلقه ، و ينتشقن في عبير الحدائق اريج الجنة التي اراها النبي العظيم تحت اقدامهن . قرأته مئة مرة ، وفي كل مرة هللت لكريمة زين الدين ، وحييت فيها الفتاة التي يشتعل جنانها بنيران مقدسة ، تصاعد لهيبها الى عينيها الوهاجتين ، واندلعت السنتها المطهرة في ما خطته من السطور

سمت تربيتها الروحية الى ذلك المستوى الرفيع ، ثم اطلت من شرفة القصر الذهبي الشائق الذي اقامته يدها العاملة لنفسها الشريفة ، على بنات جنسها فرأت على وجوه بعضهن حجاباً لم ينسج على منوال للعقل او للدين ، انما نسجته العادة العمياء ، وهي بنت الظلام وعدوة الضياء . فراع الامر تلك الفتاة النبيلة ، المولعة بفضيلة الحرية وحرية الفضيلة ، واهتز ضميرها الحساس فارسلت قلمها الناطق ينادي بالسفور ، وقد نالت من مواهب السماء القسط الموفور ، فجاءتنا بتلك الآيات تفيض بالنور . قال الرسول العظيم على ما ذكرت الفتاة في كتابها « اتقوا فراسة المؤمن فانهُ ينظر بنور الله » وحقاً اقول انك لم تكوني في كتابك ، يا ايتها المؤمنة ، الا ناظرة بنور الله

وكما وضع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يده على سيفه ، وضعت يدك على قلمك المرهف ، وصحت مثله بالملايين من الحجابيين « هاتوا الدليل من الكتاب او من السنة » . واين دليلهم الذي جاءوك به من الكتاب او من السنة او من العقل ؟

ناديت بالسفور ونادوا بالحجاب ، واين نداؤهم الشاذ عن اصول المناظرة ومحجة

البرهان ، من نداءك الحر الروحاني المنبثق من الحق والعقل والدين ، والادب المتين ؟

واأسفاه انهم ما زالوا يغالطون ويخلطون معنى السفور، بمعنى التهتك والفجور . كانت الخليقة محجوبة بالعدم ، فكشف الله عن وجهها النقاب ، وامر بالنور فكان وبها فكانت . ومشت القرون يحجب بعضها بعضاً لجاء التاريخ ومزق بيده حجبها ، فرأى الاحفاد ما فعل الاجداد . وخلقت النفوس وفي ثناياها الغرائز المختلفة فلم تشأ السماء ان تظل تلك الغرائز محجوبة فاطلقتها . وكان المجد محجوباً في خزانة الله ، فكشف الله عنهُ الحجاب ، ووهب منهُ للمخترعين والعبقريين ، ولمن استحقهُ من العالمين . وكانت الفضيلة محجوبة بين اجنحة الملائكة فجعلها الخالق شرعاً بين البشر وزينة للمحسنين . وكان للعلم امراره المحجوبة ، فاستخرجها الدماغ البشري من اعماق مناجمها البعيدة الاغوار . وكان الدر محجوباً ، فاهتدى اليه الغواصون واخرجوه من اعماق البحار . وكانت الخيرات محجوبة في احشاء الارض فاعمل فيها الانسان مبضع الجراح الحكيم وكشف عنها الستار . وكان شطر من وجه الارض محجوباً فقام رجل واحد ومزّق حجابهُ ، فكان العالم الجديد وفاض بالخيرات . ولما كان نور الحرية محجوباً في قبضة المستبدين قام الاحرار واطلقوه يبعث في القلوب والعقول روح الحياة . وكانت امرار الطبيعة محجوبة ، ففتح الانسان بابها ، وكشف حجابها . وكان الحق محجوباً بالباطل فمزّق الانسان ما مزّق عنهُ من ذلك الحائل . وكانت الاخرة محجوبة عن عشاق الخلود ، فلمحها الايمان من شرفة الدين . وكانت حجب الفضاء ومجاهل القطبين متكاثفة مرعبة تخفي وراءها كثيراً مما كانت تخفي ، فطار اليها الانسان ومزّق ثناياها ، وكشف خفاياها . وكان حجاب الظلمة مسدولاً فشقته الكهرباء . كل شيء كان محجوباً او معظم الاشياء ، ثم رفع عنه الحجاب بارادة الله ويد الانسان

كشف الانسان ما في الارض ، وما في الافق ، وما في البحار ، وما في الطبيعة ، ولم يبق امام وجهه حجاباً ، ويريدون ان يظل الحجاب على نصف وجهه الافضل ، على وجه المرأة التي تلد العبقري ، وتنسج بيدها اعلام الاوطان ، ويطأ قدماها الجنة

الجنة تحت قدميها ، والحجاب على وجهها وعينيها ، ويعاتبون ابنة زين الدين اي عتاب ، على اصدارها كتابها الثمين لرفع ذلك الحجاب . الجنة تحت قدميها ، والارض كرة تهزها بيديها ، والعالم بامره مكشوف الوجه طلق المحيا لديها ، والحجاب على وجهها وعينيها !

فكيف يجب ان لا تنادي يا ابنة زين الدين، يا فتاة النهضة والتجدد ، بوجوب سفورها

وفي صدرك النقي ، قلب نابض حي ، وفي عينيكِ شعلة يجلي نورها الليل على كثافة ظلمته ؟

ان للامة العربية مجداً قديماً حال بينها وبينه في الزمن الاخير حجاب المرأة ، فلكي يعود ذلك المجد الى الظهور ، يجب ان يعود وجه المرأة الى السفور ، ويملأ قلبها النور . فكم من عبقرية ضاعت تحت ذلك الحجاب ، وكم من نور غرق في ظلمة النقاب ! فلتحرر النساء ، ولتحرر عقول الرجال ، لتتألف من الجنسين امة حرّة بمثلها تتحرر الاوطان ، ويرفع ظلم الانسان عن الانسان

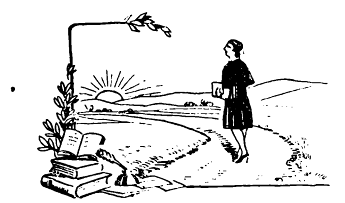
الام المأسورة في ظلمة الحجاب ، لا تستطيع ان تلد امة تسابق امماً تلدها امهات حرائر مستنيرات ، ولا تستنير الامة ما لم تنعكس عليها اشعة المرأة المستنيرة ، والمرأة التي لا يأخذ وجهها قسطهُ من النور تحمل وراء حجابها قطعة من الليل فلا يهتدي المجد والخير في طريقهما اليها .

الى الامام ايتها الفتاة المستنيرة ، يا بنت الحرية واخت الفضيلة . ان كتابك القيم المفيد ، قد كللك بالغار وادخلك التاريخ المجيد . فاكثري اكثري من امثاله ، ولتنسج الاقلام ما تنسج على منواله ، حتى لا يبقى على مستقبل الاجيال ، الا حلل من خالص الهدى وصافي الحرية وضافي الكمال

صارعي الظلمة ما استطعتِ ولا تيأسي يا ابنة الرجاء والنور ، فالله هو الرجاء والنور ، وانتِ بقوة الرجاء تصارعين للنور

ان جريدة معليش الفكاهية عدد ٦٤ قد استغنى، صاحبها السيد منيب افندي سنو عن الكلام في الكتاب بنقلها مقدمة تقريظ الشيخ عبد القادر المغربي وبرمزها الصوري ونقل كلمة وجيزة من حديث لاحد كبار المفكرين السوريين فاستحسنت نقل صفحتها الرمزية لقراء هذا الكتاب :

بين السفور والحجاب





دعاة السفور — انصار الحجاب

بين ضجيج الاولين وصياح الاخرين تسير الفتاة المسلمة في طريقها سيراً حثيثاً طيباً

« من حديث لاحد كبار المفكرين السوريين »

كلمة مرآة الغرب في ٢٠ حزيران سنة ١٩٢٨

وللمرأة حقوق تساوي التي للرجل فاعطوها اياها

« بقلم الكاتب الرشيق شوقي نجيب الريس »

جاء بريد الوطن يحمل الينا صوتاً اقوى من الريح ، يطلب بحزمٍ واخلاص تحطيم قيود الجهل ، والهبوب من الغفلة الدائمة ، وينادي باخلاص فائق بالحرية المفقودة

وتطلعنا فاذا به صوت فتاة مسلمة سورية تنادي اخواتها وتدعوهنّ للسفور ، ثم تمزّق الحجاب وتطرح به بين ثنايا امواج البحر الكبير

مرحى ايتها الآنسة الثائرة على الجهل والعبودية . مرحى مرحى يا رسول المدنية والمساواة والديموقراطية !

*

لقد قرأنا نفسكِ من خلال سطور كتابكِ الذي قدمته للمندوب السامي ، وفهمنا روحكِ من صدى صوتكِ الصارخ في قومكِ ، والذي سيسجله لكِ التاريخ بمدادهِ الذهبي . .

لقد افتخر الاحرار الصادقون بافكارك السامية . واعجب الوطنيون الحقيقيون بوقفتك تطلبين حقوقكِ التي يجب ان تعطى . .

قد طلبتِ حقوق المرأة وللمرأة حقوق كما للرجل . وهذا ما لا تنكرهُ الامم الراقية ، وهو اكبر دعائم المدنية الحاضرة وامتن أُسس العمران

هنيئاً لروحك الناهضة الحاملة بشائر الحرية والمساواة لاختكِ المرأة السورية . .

ان المرأة ساعدُ الرجل الايمن وبدونها لا يقطع شوطاً واحداً في هذه الحياة ، ولو كانت الاجيال الغابرة قد ساعدتهُ بما امتاز به من القوى عليها فكان سيدها . اما اليوم فقد دالت تلك الدولة . .

قد اوجدتنا المدنية الحديثة في عصر وجب علينا فيه ان نفهمَ المرأة ، ونجلّها ، ونحترمها ، ونمنحها كل حقوقها المقدسة

المرأة هي المربي والمعلم والمرشد لاولادنا رجال المستقبل ، والذين عليهم يلقي الوطن كل مشكلاته . فاذا لم يكن المهذِّب صالحاً قادراً على التهذيب فماذا ننتظر ان يكون الولد . .

اذاً فتهذيب المرأة واكرامها واعطاؤها حقوقها ، يعني تهذيب الرجل واكرامهُ واعطاءه حقوقهُ . .

ما اعظم الفرق بين الاديبة نظيره زين الدين التي رفعت صوتها فانبعثت منه انفاسُ الالهة وكان رسول الحرية يحطم خرافات القديم وينير دياجير ظلامه ، وذلك الشيخ الدمشقي الذي ، في جلّق الجميلة وتحت سمائها وعلى مرأى الالوف من سكانها ، رفع يده ليضرب بها تلك السيدة السافرة

ألم يكن بين الوف المتفرجين روح ديموقراطية تقترب من تلك اليد وتردها الى صدر صاحبها

ان تلك اليد لم تكن الا غصناً يابساً في شجرة الوطنية الصحيحة فلتقطَع . .
وما الانسة زين الدين الا غصن يانع فلنرقبه لنرى اثمارهُ

* * * * *

من كلمة للاستاذ عبدالله بك خير في «الوطن» عدد ٢٧٦٥

كتاب السفور والحجاب

طالعت «السفور والحجاب» بامعان وروية ، فوجدته سفراً جليلاً نفيساً معنىً ومبنىً ، ينمّ عن دماغ فعال ، وفكر جوال ، وقلم سيال ، ونفس كبيرة ، وعاطفة طيبة ، ونظرات صائبة ، وجرأة محمودة ، وشعور لطيف ، وادب جم ، وعلم غزير

وحاولت — امتثالاً لارادة مؤلفته الفاضلة — تحليله وغربلته فلم اجد فيه الا كل

مطلب سام، وقصد شريف، وغاية نبيلة، وسعي مشكور في تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في امتها
وكلما امعنت في التنقيب والتحليل زدت اجلالاً لخدمتها ، واعجاباً بفضلها وهمتها . فقد احاطت بموضوع بحثها احاطة السوار بالمعصم ، وبلغت بدرسه وتمحيصه غاية ليس وراءها مطلع لناظر ، ولا زيادة لمستزيد . فلم تترك واردة ولا شاردة الا دونتها ونقدت منها موضع الانتقاد وجالت فيها جولات باهرات . فجدير بحملة الاقلام ان يقدروا هذه الخدمة الجليلة حق قدرها وان يساعدوها في تحقيق آمالها وامانيها ، وحري بكل الناطقين بالضاد ، نساء ورجالاً ، ان يقرأوا هذا الكتاب المفيد الثمين ويزينوا به مكتباتهم ومكاتبهم
وكنت اود لو ان حضرتها زينت كتابها النفيس برسمها الكريم كما يفعل كبار المؤلفين والمؤلفات في آثارهم الخطيرة فعساها تفعل في طبعته الثانية

. . .

قال الكاتب القدير هذا ، وجال جولةً باهرة في ايثار السفور على الحجاب ، واثبات ان لغير المسلمين حقاً في دخول هذا الباب .

*****

كلمة للسيد السروجي في « الاحرار » عدد ٩٤٤

قال بعد المقدمة :

ومما يزيد هذه الصعوبة في الامتزاج بين مختلف عناصر البلاد عادات موروثة قديمة في الملابس والاخلاق تزول رويداً رويداً ، وكان الاجدر بنا ان نساعد على ازالتها بنشاط اوفر ودربة اكبر ، لاننا نعذب بها ، وتدمي اكباد المتنورين منا . ولا بد لذلك من جرأة عظيمة وتعرض للانتقاد ، وبعض الاحيان للمهاترة والمقاطعة . ولكن اذا كان الطريق منهلاً سالكاً قريب التناول فلا يبقى ثمة من جرأة يعجب بها ويحمد عليها . يجب ان يرتدي هذه الجرأة القوم المتنورون يساعدهم في ذلك رؤساء الاديان حتى لا يعترض الجهال بالدين ، ويقفوا عقبة كؤوداً في سبيل التقدم والامتزاج الوطني

جالت فيَّ هذه الخواطر عند تصفحي كتاب « السفور والحجاب » للانسة نظيره زين الدين وقد اخذ مني كل مأخذ لما فيه من العظة ، والعبرة ، والحجة القوية ، والاتساع في التاريخ والدين والادب ، وأكبرت من فتاة حديثة جرأتها ونشاطها وتضلعها من المسائل الفقهية والادبية وحسن تبويبها لكتابها وتلاعبها في الجدل

انا لا انظر الى هذا الكتاب من الوجهة الدينية ولكن لا ينفي ذلك ان الكتاب مستند الى القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وان من يطالعهُ يقتنع بصحة مبدئه وقرب تفهمه ، حتى انهُ ليعجب كيف ان الامور لم تنقلب فجأةً بعد قراءته ولم يصبح الحجاب نسياً منسياً في الشرق ، او تحفة في خزائن المتاحف تذكرنا بعادة قديمة

الى ان قال :

وخير ما يعظ به المرء هو المثل . فان اكبر خطوة في السفور هي الخطوة التي خطتها جلالة ملكة الافغان في اوروبا ، والكاتبة الادبية عنبره سلام في القائها محاضرتها الاخيرة ، والانسة زين الدين في كتابها الثمين الذي نأمل ان يكون له الاثر الذي يستأهله في عالم الاخلاق والادب

* * * * *

من كلمة « للراي العام » عدد ٤٣٣ قالت :

صفحة العلم والادب

ساعة

بين

الكتب والاسفار

السفور والحجاب

لا انكر اننا قد جئنا متأخرين في تقريظ كتاب الآنسة الفاضلة نظيرهِ زين الدين

«السفور والحجاب». ولكننا بعد التعطيل الذي دهمنا به من قبل الحكومة ودام ٤٥ يوماً، وبين العيد وايام العطلة ، ثم وبين وفرة المواد التي تراكمت علينا بسبب افتتاح المجلس التأسيسي لم نتمكن بسبب هذه الظروف القاهرة كلها ان نقول كلمة حول كتابها الذي اشتهر امره، وطار ذكره

الى ان قالت :

انا يا عزيزتي قد أكون سفوري النزعة ولكن تحت شرطين اولين لا ارى بداً من الحصول عليهما قبل السفور

فالشرط الاول : هو ان تترك يوم السفور للمرأة نفسها تقرره بذاتها حيث تشعر بانها قد استكملت شروط الحياة المدنية الكاملة فتنفر من خبثها فيكون شأنها بذلك كشأن المريض الذي يعافى ويشعر بضرورة ترك الفراش حيث لا يعود يستطيع ان يتحمل البقاء فيه يوماً واحداً

والشرط الثاني : ان يكون الرجل غير عامل للسفور بطريق مباشر . الا انهُ يراقب عن كثب حالة المرأة المتحجبة ويشارف امر ثقافتها دون ان يتخطى هذه الحدود ويبقى امر السفور متعلقاً بالمرأة وحدها كما قلنا آنفاً

هذا هو رأيي في السفور والحجاب ، ولم اشأ ان اتعرض لمحتويات كتابك الجامعة لانضج الآراء واجل التتبعات الدينية والعلمية في صدد المرأة المسلمة ، وما ذلك الا لانه قيل في هذا الكتاب الشيء الكثير

وانتِ تعلمين بأن القليل المفيد يغني عن الكثير الممل . ومني الاعجاب بنبوغكِ الزاهر وذكائكِ النادر . كما انني اشكر لكِ جداً كتابكِ الثمين ، واقبلي تحياتي سيدتي

(ظه)

ورد على ادارة الرفيق كتاب «السفور والحجاب» وهو عبارة عن محاضرات ونظرات مرماها تحرير المراة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي بقلم الكاتبة اللبنانية البارعة الانسة نظيره زين الدين

يدور موضوع الكتاب حول مقاتلة الحجاب على وجه المرأة المسلمة ، وقد استعملت الكاتبة النابغة جميع انواع السلاح في مقاتلته وخصوصاً كلام القرآن الكريم وحديث رسول المسلمين مثبتة بالادلة القاطعة ان الحجاب طارىء جاءت به العادات ، لا قرار قضى به القرآن والرسول

وفي الكتاب جولات يرقص لها قلب القارىء ، وتترنح لها نفسه . او هي جولات اشبه بالنزهة في بستان طافح بالورود ، والزنابق ، والرياحين الفوّاحة ، والاعشاب الجميلة

الآنسة نظيره زين الدين بركان من الحماسة والرغبة في تحرير المرأة المسلمة من الحجاب على وجهها ومن حبسها في عقر دارها كأنها قنية . ولولا تهمة غلاة المتعصبين ايانا بالتعصب – وهم مصدره – لعالجنا الموضوع بتبسط واسع غير مراعين عادة او عاطفة

ان المرأة نصف المجموع البشري وهي تحمل على عاتقيها قسماً كبيراً من اثقـــال الواجبات العائلية . فمن الواجب ان تكون قوية — قوية بالروح — ولا تستطيع ان تكون قوية بالروح وهي في بيت الرجل اشبه شيء بالدجاجة المسجونة في قفص

العالم الاسلامي اليوم هو في حالة انحطاط وتأخر ، والاسباب كثيرة . منها : الموت الادبي الباسط اجنحته السوداء في النساء المسلمات

وان اكثر نبهاء المسلمين على رأي سفور النساء وازاحة الحجاب عنهن . منهم المرحوم قاسم امين ، ومنهم احمد بك شوقي الشاعر المصري القائل

اذا لم يستر الادب الغواني فلا يغني الحرير ولا الدمقس

ان كتاب «السفور والحجاب» للآنسة نظيره زين الدين قنبلة مدفع على جيش الظلمة ، جيش التأخر ، وسيكون لها تأثير عظيم في قيادة ذلك الجيش

ويهمنا نحن النصارى تحرير المرأة المسلمة ، لان في ذلك خطوة كبرى لنزع العصبية الدينية من البلاد ، ولفصل الدين عن السياسة وشؤون العالم ، وفي ذلك ما فيه من بسط الامن وزوال الاضطهاد وتصافح سكان بلادنا العزيزة نابذين عداء الدين ونفور الطائفية

الى ان قالت

نحيي من وراء البحار الآنسة الكاتبة النابغة ونثني عليها اطيب الثناء ، وليس من ثناء واقع في محله مثل ثنائنا عليها

*****

كلمة للاستاذ فيلكس فارس في «الاحوال» عدد ٩٣٦٨ :

السفور والحجاب

حول كتاب الانسة نظيرة زين الدين

للاستاذ المفكر القدير صاحب التوقيع

ما اعجب ان يثير كتاب الانسة نظيرة زين الدين مثل هذه الاعاصير تتمشى متخالفة متصادمة من مهب الافكار والاهواء : فان قلماً تدفعه يد فتاة ، تتفهم الحياة تحت انوار الوحي والعقل وعبر التاريخ ، لقلم تتعلق عليه البصائر من كل فئة من الناس .. ومثل هذا القلم الجريء الوثاب ، لا يمكنه الا ان يصيب عقيدة او مبدأ او هوى في النفوس من كل ملة ومن كل ابة . فهو مندق انواراً ، وقاذف حمماً ، شأن كل قوة تتخذ الخلود لها مسرحاً فلا عجب ان ساورتها النغمات وتعالت اليها البركات

الانسة نظيرة زين الدين تستوحي الكتاب والسنة وتسبر فلسفة الاجتماع الى اقصاها لتهتف امام الشرق بصوتها المرعد في لطفه : «ان الحجاب بدعة يجور بها الرجل على المرأة جائراً على نفسه ، وان السجن ليس صيانة ، والارغام ليس عفافا»

وهذا الهتاف ليس كلمة مطلقة عفواً يقررها الذوق او يدفع بها الهوى ، بل هو كلمة

كالزهرة المنثورة على دوحة تصلب جذعها ، وامتدت اصولها الى قلب الارض ، كلمة هي خلاصة ما في الاديان كلها ، والفلسفات القديمة والحديثة اجمعها، من روح الله ونور الوجدان

ومثل هذه الكلمة المعدة لتحوير عقلية الشعب المتمسك بما يضيره لا ترضي الا الفئة المنسلخة عن الاهواء الطالبة الاصلاح في كل الشعوب

الى ان قال

اذا كان كتاب نظيره زين الدين يطمح الى تكسير القيود الجائرة من جهة ، فهو طامح ايضاً الى وضع الشرف السامي حداً للحريات المتطرفة . وما احوجنا الى مثل هذا الكتاب في امة يموت نصفها في خبل العبودية ، ويتلاشى نصفها الاخر في جنون الانعتاق الشائن

*

طالعت كتاب السفور والحجاب فاذا به معكس صاف لشخصية النبي الهادي ، وقد تجلت بكل ما اوحت اليه السماء من نظم الاجتماع الحر الشريف . وتمنيت ان ينقل هذا الكتاب برمته الى لغات الغرب ليفهم شعوبه القرآن الكريم على غير ما فهموه حتى اليوم

وتمنيتُ ان تقوم من بنات المسيحية مفكرة كبيرة تنسج على منوال نظيرة زين الدين ، فتكتب داعية قومها الى الحد الذي دعت اليه نظيرة زين الدين

*

ان هذه البلاد الشقية بما كن فيها من دواعي الضلال والتفريق محتاجة الى قوة روحية سامية في مصلحيها ليستأصلوا ما افسدته دخيلات العادات على مبادىء اديانها لتستقيم امور العيال اولاً ، ويخلق منها الشعب الموحد الحر

الى ان قال

ونحن القائلين بالحرية المحصنة نرى ان لا حياة لهذه البلاد ما لم تقف المرأة المسلمة قرب المرأة المسيحية في مقام واحد يليق باحتشام الشرق ، وينطبق على الوحي الذي تجلى تحت سمائه ، وعلى العواطف الكامنة في نفوس ابنائه

*

هذه كلمة حول الموضوع الذي تناوله قلم الانسة النابغة نوردها دون توغل في مجاهل ابحاثه اذ لم تبقِ المؤلفة جهة غارقة في الظل يثيرها مفكرٌ بعدها

من كلمة للصحافي السيد احمد منيمنه في «الحرية» عدد ١٧٦٣

السفور والحجاب

رأي صحافي مسلم

في البلدة اليوم ضجة عظيمة تذكرنا بضجات صدر الاسلام ، وغزوة تعيد بنا الذكرى الى غزوات أُحد ووقعة الجمل . وذلك بين طائفتين متبادلتين في ملة واحدة !

هنالك — اي في صدر الاسلام — غزوة ومديرها واحد ، وهنا — اليوم — غزوة وما اكثر من يدير شؤونها . وياليت غزوتنا الحاضرة فيها رائحة من تلك الغزوات الشريفة النزيهة الحرة

ما كادت الانسة زين الدين تنشر كتابها المعروف حتى غزاها الغزاة ، وبينهم من يعرف ومن لا يعرف اصول الشرع الاسلامي . فطعنوا بالشخصيات وتطرفوا بالردود . وبعرفي انهم لو عمدوا الى تفنيد اقوال السفوريين بالبرهان وقرنوا الحجة بالحجة واستندوا فيما يقولون الى الكتاب الكريم والعقل الصحيح لكان النفع اعمّ ، والفائدة اعظم

الى ان قال

وانا الوم رؤساء الدين في طائفتنا كيف انهم لا يضعون حدًّا لمثل هذه الغزوات المنافية لروح شريعتنا ، وكيف لا يؤلفون لجنة منهم ويوقفون الكتبة عند حدهم ويكسرون اكثر تلك الاقلام المجردة للطعن بالاشخاص لا حبًا بالدين ولا لهفًا على الشريعة ، بل بروزاً الى عالم الفخفخة والظهور . وان اكثر الذين كتبوا بهذا الموضوع حتى الساعة من شبان ومشايخ على صفحات الجرائد والنشرات كانوا كالفراشات الحائمة حول المصباح تريد ان تصل الى النور ولكنها لا تلبث ان تحترق فتموت لضعف اجنحتها وعدم احتمالها تلك النار المحرقة . وان اصحابنا اصحاب الردود على كتاب السفور والحجاب كتلك الفراشات . فان ادمغتهم لا تحتمل ما فيه من نور . فهم يهجمون ويهجمون ، فتفرغ جعبتهم وينزوون ، فيخرج سواهم الى الميدان . . .

الى آخر ما قال

كتاب السيد م. سعاده

يا اميرة السفور ، يا نار النهضة النسائية الشرقية ونورها ، رعتك عين الله

كما تشرق الغزالة بهودجها الذهبي الفتان ، من اعالي القمة الزرقاء تنير المسكونة بنورها ، ويستنير به ذوو الابصار السليمة والالباب النيرة ، لينجوا من كل عثرة تعترض سبيلهم ، هكذا أشرقتِ انتِ ، يا اميرة ، بابرازكِ كتابك النفيس « السفور والحجاب » الى حيز الوجود من على ذروة النهضة النسائية الشرقية التي دبّ دبيبها كالكهرباء في اعصاب ابنة الشرق المظلومة لتستنير به ، وتسلك السبيل التي انت تسلكين

اي يا ابنة زين الدين ، يا نظيرة الملائكة ! ان فكرتك الصالحة التي ابرزتها للملأ ، والامثولة الحية الخالدة التي علمتها بنات الحجاب ، بخلعك النقاب ، لهي آيات جليلة من اجل الآيات الحقة التابعة لآيات الله

يمينًا ، يا نظيره ، انك لموسى النساء المبرقعات ، فكما خلص موسى شعبه من ظلم الفراعنة واستبدادهم ، هكذا تخلصين المرأة المحجبة المظلومة

الى ان قال

فليرض الآمرون بوضع النقاب على وجوه النساء ، بوضعه على وجوههم . هل هم فاعلون؟ لا والله ! اذن انهم لظالمون

الى ان قال

انكِ يا نظيرة في نظر العالم الراقي زعيمة الثورة الفكرية الحرة التي تضطرم نيرانها في جوارح بنات القرن العشرين وبنيه . ولا اغالي اذا قلت ما اقول ، لان الزعماء والزعيمات والانبياء لم يأتوا قبلك الا لتحسين انظمة الهيئة الاجتماعية واعداد قوانينها العادلة ، لتسير عليها البشرية متآلفة ، متحابة ، متساوية ، متشابهة ، دون فوارق او علامات رمزية تفصل كلاً منا عن الآخر ، كما هي الحالة اليوم في بعض انحاء الشرق

الى ان قال

لا شك ان العراقيل في سبيلكِ ، يا اميرة السفور ، جمة ، وان الحملات عليك عنيفة .

اما انت فسيري في طريقك المستقيم الواضح غير هيابة ولا وجلة . فان يد الله وايدي ابنائه وايدي ملائكته كلها معك

ايه ، اميرة السفور ، وابنة النور ، ونصيرة الضعيفات ، وفاكة قيود الاسيرات ! سيري في سبيلك ، وكبري ابنة الشرق في عين الغرب . نعم ان ابنة الشرق تكبر في عين الغرب اذا رأينا منها بعض ما رأينا في كتابك الجليل وسفرك النفيس ، فثمّ الادب الجمّ اللامع ، ونور الفضل الراجح الساطع ، والذكاء الوقاد ، والنظر النقاد ، والحكمة الفائقة ، والارادة الحديدية الشريفة ، والنفس الطيبة الرائقة

ايد الله اعمالك ، وارانا الوفا والوفا في صفوفك امثالك ، وابقاك قائدة المرأة الشرقية الى الحياة والنور

افريقيا كولك سنغال بوسنه ١٧٢ م. سعاده

في ٢٨ ايار سنة ٩٢٨

* * * * *

من كلمة الاستاذ مجد الدين بك حفني ناصف

. . . . . .

الحق يقال : ان تصدي فتاة شرقية مسلمة لوضع كتاب بروح كروح الآنسة نظيره زين الدين ، ولغاية كغايتها ، يعدُّ فوزاً لقضية المرأة ، ولانصار المرأة ، وللانسانية ، وللحق

اعجبني من الانسة قولها : ان العلم منفصلٌ عن الدين ، والفائدة تتمُّ بانفصالها . لانهُ مهما يغلُ خصوم هذا المذهب ، فان ديناً الهياً لا يجوز ان يُوقف دون المساواة ، فيقف دون ما يقرره العلم والعقل لمصلحة الجنسين

واعجبني قولها « ان القانون والمرأة لم يوكلا الرجل » . اذ انهُ لم يبقَ خفياً ان « الناس انقسموا الى فرق يعملون الواحدة ضد الاخرى » ، كما قالت الانسة بمناسبة اخرى . واذا كان صاحب رأس المال يستعبد العمال اثرةً منهُ واستمتاعاً بشتى الشهوات ، فان الرجل بدوره يسخر قوته لاستعباد المرأة . وهو في هذه الحالة ككل مغتصب لا يعدم سفسطةً

يوم بها انهُ يعمل لصالح المرأة . ومع ذلك فهو لا يحتفظ بالمرأة الا بتذليلها على حد قول المؤلفة

انا من انصار المساواة التي تنشدتها الآنسة مطلقةً بين الجنسين، وأرى ان تكون الكفاءةُ وبعض الظروف الاخرى فيصلاً بين الرجل والمرأة كما انهما فيصل بين الرجل والرجل

ولا افهم كيف يحتمل سفور المرأة جدلاً في القرن العشرين ، وقد اصبحت الضروريات الاقتصادية بل الحيوية تحتم علينا نحن الشرقيين ان نتشبه بالاحياء

وكثرَ ما افرغت الآنسة نظيره زين الدين في كتابها من النظريات المعجبة . فلا غروَ ان انصار المرأة المعجبين بها ، والشرقيين المحتاجين لجهودها ينتظرون منها في كتاب مقبل ان تستمرّ في جهادها حتى تسمو بالمرأة الى مكانها الحقيقي حيث يتكامل الجنسان ولا يتفاضلان

* * * * *

كلمة « فتاة الشرق » الجزء الثامن من سنتها الثانية والعشرين

ان كتاب « السفور والحجاب » هو مجموعة محاضرات ذات قيمة ادبية كبيرة الفتها حضرة الاديبة السورية الانسة نظيره كريمة سعيد بك زين الدين الرئيس الاول لمحكمة الاستئناف في الجمهورية اللبنانية . رَمت بها الى تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي . سكبت خواطرها في قالب شائق عذب ، ودعمتها ببراهين ناصعة دينية وادبية واجتماعية لا تدع سبيلاً لناقد ، الا من أسبلَ الله على عيونهم حجاب التشبث بالتقاليد ، على ما فيها من مفيد وغير مفيد

وبعد ان نقلت شيئاً من الكتاب قالت :

والكتاب على هذا النمط من الاسلوب الرائق ، والمنهج السديد ، وقد طوي على اربعة اقسام في كل منها فصول مشبعة جامعة لاطراف الموضوع وتشعب اغراضه

فنحن مع عظيم اعجابنا بحضرة الكاتبة النابغة نشكرها على تحفتها السنية ونتمنى ان تكثر مثيلاتها الاديبات تعزيزاً لمقام المرأة الشرقية

كلمة السيد عبد القادر السياب البغدادي

في «الشمس» ، العدد ٦ و ٧ لسنتها الرابعة عشرة

صوت من العراق

حول كتاب

السفور والحجاب

قام في الايام الاخيرة جدال عظيم على كتاب (السفور والحجاب) . فمنهم من حبذ هذا الكتاب واثنى على غيرة مؤلفتهِ الفاضلة ، ومنهم من رماها بالكفر والالحاد. وما كاد يقع نظري على هذا الكتاب الا تصفحتهُ صحيفة بعد اخرى فلم اجد فيهِ ما يستدعي اتهام مؤلفتهِ بالكفر والالحاد . بل بالعكس وجدت فيهِ ادلة قاطعة تردُّ بها مكر الماكرين من روساء الاديان الذين يريدون ان يصموا المرأة الاسلامية بوصمة سوداء . وفيهِ من الاحكام الشرعية والادلة المنطقية ما يخرس كل متفيهق ومتشدق ، ويجعلهُ ان يقر بضرورة السفور في هذه البلاد. وقد فسحت المؤلفة الكريمة المجال للنقدة من علماء الاديان ان يدحضوا حججها ليظهر نور الحقيقة الساطعة بادلة تكفي القارئ الكريم مؤونة البحث عما اذا استندت ادلتها على نصوص الكتاب والسنة ، وارتبطت بالعقل ، واقترنت بالنقد النزيه .

اذن بعد كل ذلك يبطل داعي الصياح والضجة ، واذن يجب على كل حكيم متدبر ان يمعن النظر فيهِ ويكتب عنهُ ما شاء . اما اذا اتّهم المؤلفة بالكفر والالحاد بغير دليل ، فتلك حجة الجاهل . و للجاهل ما شاء ان يحكم

اما هذا الكتاب النفيس فهو خير الكتب التي تهدي العقول الشاذة عن الطريق المستقيم. ونحن نكبر بالمؤلفة الفاضلة والفتاة الناهضة الآنسة « نظيره زين الدين » همتها التي يفتخر بها شرقنا العربي . فانها والحق يقال لقد اقدمت على عمل لم يسبقها اليهِ الرجال الذين يقولون « ان عقل المرأة ناقص عن عقولهم »

فالمؤلفة الابية تأبى ان ترى اختها محجبة بنقاب من بقايا الادوار الحجرية ، ويعز عليها ان تراها منزوية داخل جدران بيتها ، تاركة واجباتها الوطنية العامة

فلعمري هذه هي العلة التي اخرت امتنا وجعلتها بالدرك الاسفل من الانحطاط . فالمرأة ما خلقت لتكون عضواً اشل في المجتمع بل هي ذات نفس حساسة تشارك الرجل باعماله ولا فرق بينه وبينها . ولننظر الى عظمة الغربيين اليوم وما هم عليه من الرقي والاستعداد المدهشين. وما ذلك الا بنتيجة اشتغال المرأة بالاعمال، وازاحة النقاب المظلم عن وجهها . على ان شرقنـا لما تمسك بالعادات السقيمة، والخرافات الذميمة، اصبح فريسة للمستعمرين وبقرة حلوباً للغربيين. اما كفى هذا الذل والانقياد يا رجال الدين ؟

الى متى تحيكون لكم نسيجاً أوهى من بيت العنكبوت، وتسدون المنافس والخلايا حذراً من شر مستطير تثور براكينه اذا كشفت المرأة العربية عن وجهها لترى نور الحياة ؟ والى متى تصيدون النفوس باسم الدين ؟ فمن اين انتكم هذه السلطة ، او لستم بشراً مثلنا ؟ او لا تخجلون ان تغضوا النظر عما ياتي به الرجال من المحرمات ، وتحصروا الاهمية الكبرى بسفور المرأة المسلمة وتشميرها عن ساعديها ، قائمةً بما فرض عليها من الواجبات العيلية والوطنية ... الخ . الم تعلموا انكم بعملكم هذا تسعون لتاخر بلادكم واذلال ابنائها لمنافعكم الشخصية ليس الا ؟ أهذا هو الدين ؟

ان الدين يحرم الفحشاء والربا وشرب الخمور والكذب والخيانة وغيرها من الامور غير الصالحة للحياة الاجتماعية . فلماذا لم تزجروا الناس عن ارتكاب هذه المعاصي وترشدوهم الى عمل الخير؟ فتلك اعمال ما انزل الله بها من سلطان . إذن انتم لا تريدون خدمة الاديان، بل تريدون ان تقضوا على جواهرها. وصح لكم ذلك . ولكن يا سادتي كفتكم تلك الالاعيب وهذه الشعوذات . الم تخجلوا امام التاريخ الذي سيخلد لكم صفحة سوداء من اعمالكم الشاذة التي تمثلونها في بلادكم ؟

فالسفور حق من حقوق البشر، وواجب المرأة ان تزيل عنها ذلك الستر المظلم ، وتخرج الى الحياة سافرةً ، ليمكنها مشاركة الرجل باعماله بكل ما تقدر ان تعينه في هذه الدنيـا وفي كل شؤون الحياة

فكيف يجوز لكم ان تغصبوا هذه الحقوق المقدسة . تلك جناية منكم على الوطنية وعلى الدين نفسه . لانكم خلقتم له اشياء ليست منه، فجعلتم الدين سلعة تجارية تربحون بها باسم الله . فنحن بريئون من اعمالكم المخالفة لاوامر الدين ونواميس الطبيعة . فافقهوا وعوا . فقد آن الوقت الذي به تنبه الشرق وعرف مكامن مقاصدكم وشعوذاتكم . فكونوا دعاة متساهلين ، وارحموا هذه الامة البائسة التي اكل الدهر عليها وشرب من جراء اعمالكم ، ودعوا هذه الفتاة

ان تعمل لخير الامة والوطن ، وافسحوا هنا المجال لتجري على اعمالها وعلى نهضتها ، لتكونوا من ابناء البلاد البررة ، ولتكتسبوا رضى الشعب عليكم ، وليخلد لكم التاريخ بين صفحاته ذكراً جميلاً . واختم قولي بشكري الخالص لهذه الفتاة الوثابة العزوم . فحيتها الوطنية ، واخذ الله بيدها الى ما فيه خير للامة العربية جمعاء ، واحثُّ اخواتها على الاقتداء بها كي يتسنى لنا الحصول على غايتنا المنشودة

بغداد — العراق عبد القادر السياب

* * * * *

من كلمتين للسيد محمد بك البرازي قرأتهما في جريدة « الحرية » عدد ١٧٦٠ و١٨٧٢ قال :

السفور والحجاب

الى دعاة الحجاب

ما ارسل الله من نبي الا قامت جماعةٌ من الضالين تحاول احباط مسعاه ، ومقاومة ما جاء يزجي به من آياتٍ بينات وعظاتٍ لقومٍ يعقلون

وما قام مصلح يريد تهذيب عوائد مخطة وتطهير النفوس من الادران والاوهام ، الا ثار عليه اعداء الاصلاح يشاغبون ويولونهُ من الهين الوانًا

وما ابتكر عالم مجهولاً ، او مبتكرٌ شيئًا مكنونًا ، الا هبت ابابيل الجهلة وانصار الجمود يتهمونهُ بالضلال ، وينعتونهُ بالجهل وكذب الادعاء

ظهر كتاب « السفور والحجاب » لصاحبته ، زعيمة الشابات ، الكاتبة الكبيرة ، والمصلحة العظيمة ، قديسة السلام ، ومحررة المرأة ، الآنسة نظيره زين الدين ، تلك التي وعت تعاليم القرآن العظيم ، وتفهمت الحديث الشريف ؛ فقامت شرذمةٌ من المرائين باسم الدين ، تزمّر وتطبل ، وتصخب وتكفّر تلك التي هداها الله فنهجت سواء السبيل . ذلك قبل ان يُشَرِفوا انفسهم بمعرفة كنهِ حقيقة ما كنّ بهِ من كنوزٍ توجتها آيات الله جل جلاله ، وزينتها احاديثُ نبيه صلى عليهِ الخالق وسلم

عصابات « القباضايات » اخذت تهاجم الاحرار ، والمراؤون باسم الدين اخذوا

يتهجمون على رجال الدين الابرار. هذا، وما هو اعظم من هذا ، يحدث في بيروت بلد العلم والنور

الى ان قال خطاباً الى دعاة الحجاب :

ما كنا لنعتب عليكم لو دحضتم حجتنا بالبرهان. بل لو ظللتم داخل نطاق الادب والحشمة، وجئتمونا بقول وجيه ، واثبات قاطع ، وحقائق صحيحة . ولو عارضتم اقوالنا باقوال صادقة تؤدي الى الفلاح والصلاح لاتبعناكم رافعين الوية الثناء عليكم والشكر لكم . ولكنكم ابيتم ان تفهموا ما حوى كتاب الآنسة زين الدين ، ورفضتم ان تحكموا كلام الله بينها وبينكم ، فكنتم من الظالمين

كيف تجاهرون ان ثقتكم بامهاتكم ، واخواتكم ، وبناتكم ، وزوجاتكم ، واهية ، وان لا مانع يحول دون تهتكهن وسقوطهن غير الحجاب ؟

اذا كانت مدعياتكم صحيحة ، فما عليكم اذن الا الرجوع لعادة وأد النساء كي يُقيَّض لكم صون شرفكم

كيف لا تراعون شعور الجار والغريب ، فقام احدكم ينادي جهاراً « ان المرأة السافرة هي على سبيل البغي لامحالة سائرة » ؟ الا يخشى ذلك القائل الغاشم ان تصفعه يد الانسانية والشرف العالي ؟

الى ان قال :

انا لا اتحامل على دعاة الحجاب لمجرد شذوذهم وعدم مناصرتهم في مسألة اجتماعية كهذه . وكم بينهم من ذوي الخصال الحميدة والشيم الكريمة ، ولكن المحيط اثر فيهم ، فلم ينظروا الى قضية السفور بامعان وحكمة . ولا انكر ايضاً ان بينهم من يحبذ السفور ، ولكنه لا يناصره جهراً ، وان ناصره سراً . وهذا التاريخ يقص لنا مصداق القول . فان عم النبي العربي « صلعم » ابا طالب كان من اعظم انصار النبي والاسلام. ولكنه لم يسلم ، وما أعرضَ عن الايمان الا محافظة على كرامته لدى شيوخ قريش. غير اني اعتب من يحبذ السفور ولا يجاهر بذلك؛ بل ازدري من زوجته سافرة ، ويكتب ضد السفور ليعرقل مساعي الاحرار . اجل انا احتقر من زوجته واخواته سافرات وهو من محبذي السفور ، ومع ذلك يكتب في الجرائد مرائياً باسم الدين، يلفق الاحاديث ويتلاعب بتفسير آيات القرآن الكريم ، ليعلن انه مسلم مبروك ، وتقي ورع

الى آخر ما قال :

كلمة البشير عدد ٣٧٧٦ :

كتاب السفور والحجاب

عنوان لسفر نفيس دبجته براعة كاتبة برزت حديثًا الى مضمار الكتابة ، فاذا هي من المبرزات على الكثيرين والكثيرات من اصحاب هذه الصناعة الشاقة ، في ررعة انشائها ، وانسجام عباراتها ، وسحر بيانها ، وحسن ذوقها في انتقاء الالفاظ وتنظيمها على اسلوب جهابذة الكتّاب . عنينا بها الآنسة نظيرة ، كريمة القانوني الفاضل سعيد بك زين الدين ، ضمنته محاضرات ونظرات مرماها تحرير المرأة وسفورها والتجدد في العالم الاسلامي . وقد اودعته ما دل على جرأة ، ورقي خلقي ، واطلاع واسع في امور الدين والشرع واحكام السنة ، وأيدت اقوالها بادلة دينية وعقلية يرى فيها المطالع كثيرًا من السداد ، والروية ، والاعتدال ، والتعقل

فنحن بينا نثني على واضعة هذا الكتاب الجميل النافع ، ونكبر عملها الدال على ما في نفسها من حرية ورقي وقوة ، نسأل من يهمهم هذا الامر ان يتدبروه بحسن نية وتجرد وابتعاد عن المؤثرات التقليدية ، حتى اذا لم يكن هناك ما يضاد العقائد وروح الشرع بادروا الى وضع ما توختهُ هذه الفتاة موضع العمل ، جريًا وراء ما فيهِ صلاح الاسرة ورفاه العباد

*****

من كلمات العدل في اعدادها ٢٠٩٦ ، و٢١٠٢ ، و٢١١٥ قالت

كتاب السفور والحجاب

من صاحبة كتاب السفور والحجاب ، حضرة الكاتبة المصلحة الآنسة نظيره زين الدين ، جاءني مكتوب وجاءني كتاب . الاول في كل سطر منهُ كتاب ، والثاني كانهُ أُنزل مع الكتاب ، لانّ فيهِ المعنى السامي ، والوحي العالي

انهُ صوت الحق والحرية ، والنداء الثائر للنفس من ظلم يُرتكَب ، والى الكتب الشريفة والعياذ بالله يُنتسَب

الكاتبة البليغة المستنيرة بنور الحق والحرية ، والمتخذة آيات القرآن واحاديث النبي « صلعم » نبراساً تستضيء به ، هي الموفقة بعون الله الى تقرير السفور ، والسير مع بنات جنسها في النور . انهُ حرام الحط من مقام المرأة وقد قال النبي (صلعم) « ساووا بين اولادكم في العطية فلو كنت مفضلاً احداً لفضّلت النساء » . وحرام سجن المرأة وفي سورة النساء الآية : « يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة »

الكاتبة تريد تحرير المرأة وهي فائزة ، لان كتابها هو الحجة وهو البرهان ولا قِبلَ لاحد بردها

الى ان قالت

مسكينة الكاتبة كم شحذت الفكر لابراز هذا الكتاب النفيس المفيد ، ولكن في غير سوريا ولبنان . لقد ظهر ذلك الكتاب وما زال شبانٌ يرشقون السافرات في الشام بماء الفضه وما زال شيوخ يقولون بان السفور كفر والحاد ، ورجالٌ يقولون : ان النساء في الوطن مهذبات عفيفات وخيرٌ لهن وللامة ان يظهرن سافرات ، ولكن يُخشى عليهنّ من قلة ادب تصدر من بعض الشبان . لذلك قصاصاً لهؤلاء ، يجب تحجيبهن

انها لفلسفةٌ مقلوبة ، ليتهم يحجّون هذه الفلسفة بقولهم : يجب ان ترى النساء النور ، وتتنشق الهواء النقي ، وان يُلقى في ظلمة السجون كل شاب غير مهذب تصدر عنهُ قلة حياء ، نحو النساء

الى ان قالت

ان نفس المرأة الشرقية لم تتدنّس بنقيصة الظلم ، لذلك قولها يصدر عن قلبٍ تحمل كل مغرَم بالصبر والتسليم ، وهما فضيلتان تجعلان للقول رنةً تأخذ بمجامع القلوب السليمة من اوبئة الانحطاط الادبي . لذلك سيكون لصوت الفتاة الفاضلة واللبنانية الكريمة النابغة الآنسة نظيره زين الدين صدًى في النفوس الكريمة يترجّع . انهُ صوت الحق الذي سيظل يرتفع ويرتفع عالياً حتى ينال المطلب الاعلى ، والغاية المثلى : تحرير المرأة . ان فيهِ نغمة المطالبة بالعدل ، انهُ لحن موسيقى ملكية . انها تطالب بعدم التعدي على حق الخالق وعدم الظلم لارواح الهيّه

* * * *

كلمة السيد سلمان يوسف عزام في
مجلة الشمس العدد العاشر لسنتها الرابعة عشرة

صوت من وراء البحار
حول كتاب السفور والحجاب

انا شرقي قلبًا وقالبًا . يلذ لي كل نافع للشرق ، ويحزنني كل ما يضره ويؤخره . في هذا المساء اخذت من البريد شمس المعارف ومرآة العقول المثقفة او دائرة معارف لبنان (مجلة الشمس) ، فوجدت فيها ابحاثًا ثمينة ذات مغازٍ جليلة ، وثمرات عقول ثاقبة ، وافكار ناضجة : منها بحث افتتاحي عنوانه (بيني وبين الله) من قلم صاحب الشمس ردًا على اعتقادات واوهام وخيالات . لقد هزّ هذا البحث اوتار قلبي كما تهز العواصف اغصان الاشجار

الى ان قال

تقدمت في المطالعة فوصلت الى بحث المحامي النبيل الاستاذ راجي الراعي . وبالحق انه موضع الرجاء ، وراعي الاعمال الصالحة ، ومحامي الحقيقة ، وعدوّ المبادئ الطالحة ، مما قاله عن الآنسة الناهضة نظيرة زين الدين صاحبة كتاب «السفور والحجاب» . ان الامة العربية تفتخر بالاستاذ المذكور ، والوطن يتهلل بمثل الآنسة نظيرة زين الدين . وما قاله عن هذه الفتاة هو روح الحقيقة . وانا بدوري اثني واثلث على ما تفضل به واشكره على افكاره الحرة . وحقيقةً ان الآنسة نظيره زين الدين قد لطمت الخرافات لطمات عنيفة قوية ، والسيف كلما ضرب صقل حده

بعد صدور الكتاب المذكور ورد اليّ كتاب ضده من شاب اديب صديق لي فخور فيما كتبه ضد الآنسة نظيره . وحزنتُ جدًا على وقته وعلمهِ وثقافته ان يستعملها في طرق الجهل والظلام ، وحررتُ اليهِ مظهرًا افكاري واسفي لضياع وقته . ووردت اليّ رسائل كثيرة من سادة وسيدات بعضهم يشكو ويشك في الآنسة نظيره زين الدين قائلين ان كتابها مضر في الدين والاداب والمصلحة . وبعضهم قال ان هذا الكتاب حسن ومفيد ونحن مسرورون به لكنه جاء قبل اوانه ، ومع ان الاعتقاد بوجوب نشر الكتب في اوانها خطأ لانه متى جاء اوانها لم يبق من لزوم لها . فالكتب التي تحمل مبادئ جديدة يجب ان تنشر في كل عصر

وكل جيل، لتقرب اوانها ، بما تنشره من المبادىء الصحيحة المعاكسة للمبادىء القديمة التي اظهرت التجارب ضررها . وقد كتبت اليهم لائماً ومنتقداً . وربما قالوا عني اني اشد كفراً من مؤلفة الكتاب. وقال بعضهم ان المؤلفة لا تحسن الانشاء والتأليف الى هذه الدرجة وانها ليست متضلعة بعلوم وابحاث كالتي في كتابها، وان كتابها وضع في طرابلس[1] وظهر في بيروت . وقد دهشتُ من اقوالهم كأنهم يجهلون ان الدين هو مبدأ لا يؤثر فيه السفور والحجاب الذي هو عقال ، وظلم ، وسوء ظن ، واقنوم العصور الغابرة ، ورمز الجهل. لان المرأة الفاضلة المهذبة لا يفيدها الحجاب ولا يضرها السفور .واما الرجل الحيواني الذي لا يمكن رده عن النساء الا بحجبهن عن انظاره، فهو رجل تخجل به الامة ، وتخجل من نفسها لكونه منها ولانها لا تقدر ان تصون عفاف نسائها منه الا بستائر شفافة من القماش النحيف. وهل صان الحجاب العفاف؟ ان المرأة الضعيفة لا يهمها الحجاب ، ولا يمنعها عن الوقوع في اشراك الهوى . وهل كل امرأة سافرة غير طاهرة وغير شريفة ؟ وهل كل امرأة محجبة طاهرة وشريفة ؟ فيا للعار من هذه العقائد والافكار! ان الامة العربية في مقدمة امم العالم طهارةً . فكيف نقول اننا نخاف على نسائنا اذا سمحنا لهن بالظهور؟

ان كانت الآنسة نظيره زين الدين غير عالمة بدرجة تستطيع معها ان تؤلف مثل هذا الكتاب النفيس، او ان كان البعض ساعدها على اظهار افكارها الثاقبة ، ومبادئها السامية ، فشجاعتها، ونفسها الطموحة ، كافيتان للافتخار بها . فكم من معدنٍ في قعر الارض لم نستفد منهُ لولا تدبير العقول « المهندسة » المنظمة ، ونشاط الايدي العاملة!

كم من مستنبطين آلاتٍ نافعةً لخير البشر لم يعرفوا مسك الشاكوش ؟ فهل عدم معرفة الانسان اسرار الصنعة كافٍ لحرمانه الفخر والنفع الادبي من اختراعاته ومبادئه ؟

وتقدمت قليلاً في المطالعة فوجدت بحثاً آخر في الموضوع نفسه عنوانهُ (صوت من العراق) لحضرة السيد عبد القادر السياب يؤيد فيه الآنسة زين الدين في نهضتها . فطالعت كلماته باعجاب وسرور ايضاً ، وتفاءلت خيراً من هذه النهضة العظيمة ، ورأيت ان الامة

---

(١) حبذا الزمان الذي نرى فيه شيوخ طرابلس او غيرها من البلاد العربية يضعون مثل (السفور والحجاب) ، لتحرير العقل من اغلال التقليد وفك المرأة من قيود العذاب ، ان اليوم الذي يصدع فيه الشيوخ الثقات ، بمثل ما صدعت الفتاة ، من حقائق في الدين ، تبهر العالمين ، ان ذلك اليوم الذي يصدعون فيه دون مجمجةٍ وتقيّة ، هو فجر الحياة المثلى للامة العربية

العربية المجيدة سوف لاتبقى طويلاً مقيّدة بقيود الجهل والعادات العقيمة ، سائرة تحت بيارق الرعونة والخساسة ، موشحة باثواب الجهل ، وكل آت قريب . فاهنئ الاخوين الراعي والسهاب بافكارهما الراقية وارجومنهما ان يتحفانا دائمًا بنفثات قلميهما النافعة في المواضيع الاصلاحية . وعلى الامة ان تجتنب انتقاد نوابغها ونابغاتها مثل الآنسة نظيره زين الدين ، وتدخلها في امر السفور والحجاب ، وتحرير المرأة والتجدد الاجتماعي ، والآنسة عنيته صعب لدخولها في الصحافة وتعليم الموسيقى والعلوم العالية وتأليف لجنة كشافة في معهدها العلمي ، وكذلك اميرة الشوفين الناهضة السيدة نظيره جنبلاط لتدخلها في السياسة . فالرجل العاقل يعرف ان للمرأة حقًّا في الحياة، والسيادة القومية، والامور الحيوية الاجتماعية، من دينية وسياسية، وعلمية، ورياضية، كما للرجال وربما اكثر . لان استئثار الرجل في كل زمان ومكان بالسيادة حارمًا المرأة حقوقها لم يثمر النفع او الخير المنتظر ، بل كان منهُ شرٌّ وضرر . فلتشترك المرأة معهُ اليوم في ادارة امور الحياة لكي تصلح الخلل الذي اوجده بظلمهِ وطغيانهِ في الدين ، والسياسة ، والحياة الاجتماعية . فاهلاً بالمستقبل القريب الذي سيرفع فوق النفوس والعقول اعلام الحرية . وحيّا الجد كل عامل وعاملة في حقل الوطنية

الولايات المتحدة سلمان يوسف عزام

* * * * *

كلمة مجلة المورد الصافي الجزء الثالث من المجلد الثالث عشر

السفور والحجاب

محاضرات ونظرات تأليف الاديبة الآنسة نظيره زين الدين يتضمن ٤٢٠ صفحة كبيرة، وقد اهدتهُ الى والدها سعيد بك زين الدين الرئيس الاول لمحكمة الاستئناف في الجمهورية اللبنانية. اما ابحاث الكتاب فخطيرة . منها : حرية الاديان والمذاهب ، وحرية العلم واستقلاله ، وحرية الارادة ، والادلة العقلية والدينية في السفور ، وتحرير المرأة والتجدد الاجتماعي، وغير ذلك من امثال هذه المباحث الاجتماعية الحيوية . والذي يطالع الكتاب يرى ان صاحبتهُ تقصد بالسفور

فك قيود المرأة واطلاق حرية العلم والتهذيب لها لانها تعتقد ان لا تقدم حقيقي لامة الا بتساوي الجنسين فيها بالثقافة . وقد ايدت اقوالها بالادلة القرآنية والاحاديث النبوية

ان كتاب (السفور والحجاب) احدث ضجة كبيرة في لبنان وسورية وسائر البلاد العربية ، فقاومه فريق وانتصر له فريق آخر . ومسئلة السفور قد تنبهت اليها المرأة المسلمة منذ مدة، واول من ألف فيها التآليف المعقولة المرحوم قاسم بك امين المصري فكان لكتاباته تاثير عظيم . على ان فتح ابواب التهذيب للمرأة في هذه الايام اكثر من الكاتبات فشرعن ينتصرن لانفسهن (والحر من انتصر لنفسه) فكان لمدافعاتهن تأثير اشد على النفوس

الى ان قال

وعندنا ان العقول قد تنبهت في الشرق الى طرح النقاب، واخذت هذه الحركة في السير الى الامام فلا يمكن صدها

الى ان قال

ولا يخفى ان المرأة المسيحية كانت منذ ثلاثين سنة متحجبة في المدن السورية مثل اختها المسلمة ، فانفتح امامها باب التعلم فرفعت النقاب تدرجاً ثم رفعت الازار . والمرأة المسلمة اليوم سائرة على نفس هذا الاسلوب وقد كثر انصارها وسوف لا يمضي زمن طويل حتى يرفع عنها التضييق بتامه . واني اتوقع من المسلمة السافرة ان تحافظ على ملابس الكمال والحشمة فتكون قدوة حسنة لبعض المسيحيات اللواتي تمادين في الازياء من ضيق وقصير

وهنا نكرر الثناء على صاحبة (السفور والحجاب) لما اوردته في معارضاتها وردودها على بعض ائمة العلم والدين من الادلة التي استندت فيها الى القرآن والسنة مما يدل على سعة اطلاع . ومن امثال ذلك الحديث الذي اوردته عن بنت حاتم طي

* * * * *

السفور والحجاب

كتاب ضخم في اربعمائة صفحة ونيف ؛ وضعتهُ الاديبة الجريئة الآنسة نظيره زين الدين، بحثت فيهِ باسهاب طويل قضية «السفور والحجاب» ونصيب المرأة المسلمة من هذه القضية، ومركزها من هذا التطور الاجتماعي الذي دهم العالم الاسلامي وقلب الكثير من عاداتهِ. وقد بحثت الى جانب ذلك، الحرية الواسعة التي كفلها الشرع الحنيف للمرأة المسلمة والحقوق التي تتمتع بها وغير ذلك مما لهُ اتصال وثيق بكيانها الاجتماعي والادبي في ماضيها وحاضرهـــا وما ينتظر لها في المستقبل. وقد استندت في اكثر بحوثها الى ما في القرآن الكريم من آيات، وما في الحديث النبوي من سنن، هذا رغم ما استندت اليهِ من الوقائع الاجتماعية والحوادث التاريخية عند مختلف الامم

والقراء يذكرون جيداً ان كتابها هذا اثار ضجة كبرى يوم ظهوره، وقد رد عليها غير واحد من الكتاب باساليب جافة خرجت عن حدود المناظرات الادبية التي ترمي — في مثل هذه المواقف — الى اظهار الحق الابلج، ومحو ظلام الباطل. فنحن نعلم ان نقض نظرية من النظريات او وقوع خلاف في الرأي بين فئة وفئة لا يستوجب الخروج على حدود الادب. فما احوجنا الى الادب البريء في كل ما نكتبهُ ؟ وما احوج الادباء الذين ينهجون مثل هذه المناهج ان يقلعوا عن الاساليب الرعناء ؟ ثم ما احوج نهضتنا الى التسامح في قبول كل فكرة اولاً، ثم غربلتها وتنقيحها بمجهر النقد النزيه ؟

هذه كلمة نقولها باخلاص. ونحن نرجو ان يكف الادباء في كل مناظراتهم عن المهاترات الجدلية التي تبعد الرأي العام عن الهدف الاسمى الذي ينشدهُ المصلحون

****

كلمة النشرة الاسبوعية «العدد الرابع عشر من سنتها التاسعة والخمسين»

السفور والحجاب

وهو مجموعة محاضرات ونظرات دبجتها براعة الكاتبة الاديبة الآنسة نظيره زين الدين في موضوع المرأة وتحريرها ومقامهـا في رقي الامة ، مسندة آراءها الى الكتب المنزلة والى اقوال العلماء الاعلام في الدين والاجتماع . وقد اجادت الكاتبة ايما اجادة في الباس افكارها قالباً لغويا ، متين التركيب ، جزل الكلام . كما وانها قد برهنت في المجاهرة بافكارها عن جرأة ادبية تستدعي الاعجاب . فنحن نكبر مقدرة حضرة الكاتبة ونعجب بجرأتها ونفسها الحرة . والى القارئ نبذة من احدى هذه المحاضرات : —

وقد نقلت من الكتاب قدراً له ما اختارت من الصفحات [١]

* * *

كتاب السيد رؤوف عبد الصمد

حضرة الآنسة الناهضة نظيره زين الدين المحترمة

لم يترك الادباء بعد صدور سفرك الجليل «السفور والحجاب» نعتاً من النعوت الحسنة تصفك به . فحسبك وصفاً انك حاملة لواء نهضة المرأة «المسلمة» تضيفين الى تاريخ اسلافك اللامع صفحة تزيده سؤدداً ومجداً

لستِ ايتها الآنسة اول من طرق هذا الموضوع ، فقد حطم من قبلُ كثيرٌ ، اسنة اقلامهم على صفحات صخوره الجامدة ، وعادوا يتعثرون باذيال الفشل والخذلان . ولكنك الاولى بادراك الغاية وبلوغ المحجة ، والتطاف الثمرة اليانعة

(١) ظهر لي انه لو جمعت القطع التي اخترتها من "السفور والحجاب" المجلات والجرائد والكتب في العالمين القديم والحديث ، ناشرة اياها كمثال على بلاغته وحسن اسلوبه وسمو مبادئه ، لكاد لا يكون في الكتاب قطعة غير مختارة

انت ما اتيتِ اصحاب الحجاب بسلاح جديد ، وانما بسلاحهم حاربتهم ، وتوصلت بقوة ذكائك الحاد الى دحض آرائهم بآرائهم ؛ ففزت بما تريدين

كان بعض الناس يوهم الناس بان الله امر بالحجاب وانزل في كتابه الكريم آية شريفة تمشي عليها الرسول والصحابة . فامسى الحجاب عادة لا يقبل اتباعها مناقشة فيها ، ودامت الى يومنا هذا . وما زال الحجابيون يتوسلون بالايهام والتمويه لتبقى هذه العادة مقدسة لا تسمع فيها دعوى كأنها قضية يريدون ربحها بمرور الزمان . وقد فاتهم ان المرأة اليوم تنادي في كل مقام للعدل باستبداد الرجل وتغلبه عليها طيلة هذه المدة ، ولا حق يضيعه مرور الزمان مع تغلب الخصم وجوره . فالمرأة اليوم تريد الاستمتاع بحقوقها الشرعية المغتصبة لتعيش حرة مطلقة من كل قيد شائن قيدتها به العادات والتقاليد . وما كان القرآن الكريم يوماً ليوجب الحجاب او يحرّم السفور . وها ان استاذنا العلامة المغربي قد صرّح بذلك جهاراً في خطابه « محمد والمرأة »

اراني بعدت عن الموضوع الذي قصدت له ، الا وهو بيان اعجابي بنبوغك واقدامك . فحقاً ايتها الآنسة انك قد انرتِ بمصباح الهداية والعرفان ذلك الطريق المظلم الذي كان يتعثر فيه قسم كبير من ادبائنا واديباتنا . وقد جاء كتابك اوضح دليل على جدارة المرأة وكفاءتها لتستمتع بحريتها المغتصبة ، في صورة ترضي الله والناس

لا تيأسي ايتها الآنسة الناهضة ، اذا لقيت في طريقك عقبات وعثرات . فان السائر بامة في طريق التجديد والاصلاح لا بد له من ذلك . على ان الفوز كما لا يخفى عليك يتم مع الصبر والثبات

لا تيأسي وسيري في سبيلك القويم ، واعلمي ان لك من الامة نصراء ومؤيدين[1]

فرجى مرحى لك يا ابنة زين الدين ، وسلام على روحك الطيب ونبوغك العظيم

دمشق — معهد الحقوق رؤوف عبد الصمد

* * * * *

(١) اجل الى اسير في سبيلي كما سار الشاعر الانكليزي وورد سوورث القائل : ان العدول عن السير في مشروع قام في سبيله خطر صغير ، لو خطر على الاخلاق كبير

من كلمة للسيد عمر نجا اخي سماحة المفتي الجليل قرأتها في جريدة الاحرار عدد ٩٤٨ تحت عنوان «النضال بين السفور والحجاب»

النضال بين السفور والحجاب

السيد محمد عمر نجا يرد على كتاب الآنسة نظيره زين الدين

قال السيد المشار اليه مع ما قال في رده مما شاء :

فلقد انصفت الآنسة وحرمة الادب . ومن اهدت الى والدها الرئيس الفاضل باكورة آثار قلمها مثل ذلك الكتاب البعيد المدى ، الذي لا ننكر متانة مبانيه وفصاحة بيانه ، لا تعجز عن تأليف امثاله اعلى بيانًا وابلغ تبيانًا

الى ان قال :

لكن لا ضير على الجبهة اللامعة اذا استمدت الانوار ، من ذلك الكوكب المنير [1] الذي احتجب عن الانظار !

اما انا فان كنت قادرًا على مجاراة الكاتبة الفاضلة في ميدان البيان فلا تساعدني مشاغل الحياة على التأليف الكثير

الى ان قال :

ولكن مرحبًا بالفتاة المسلمة التي اوتيت من علمٍ ومعارفٍ يجهل اكثرها كثير من الرجال

الى اخر ما قال :

*****

(١) يعني ابي

كتاب السيد فؤاد حداد وكيل المقتطف في الارجنتين

حضرة الآنسة الراقية والكاتبة النابغة نظيرة زين الدين المحترمة

بعد السلام والاحترام ، بعد الاخلاص للوطن والقومية اكتب لحضرتك مهنئاً الامة الاسلامية خصوصاً والامة العربية عموماً بكتابك العظيم الاهمية «السفور والحجاب» الذي اسميه بحق كتاب الجيل العشرين

ولو كنت عضواً في لجنة «نوبل» لاقترحت اعطاءك جائزة «نوبل» لهذا العام . لانك اكثر استحقاقاً لها من كل من كتب

ان الموضوع الذي وضعت عليه كتابك هو دعامة الحياة في عمران البلاد العربية ، ومتوقف عليه الرقي الحقيقي الادبي ، والمادي ، والاجتماعي . ولا سيما ان المرأة نصف الامة ، بل هي المحرّك العظيم الذي يدير دفة سفينة العائلة ، وهي المربية للرجل لانها امه

لقد قرأت ما كتبته المجلات والجرائد عن كتابك واستنتجت ما يحوي من الدرر الغوالي . فاكبرت عملك وبادرت لتهنئتك ، لان الشكر لك واجب على كل انسان ينظر الى مستقبل وطنه بعين البصيرة ويحرك دمه ويهتز اعصابه وتطرب تلافيف دماغه لكل ما يؤول الى الاصلاح الاجتماعي ، والوطني ، والقومي . فكتابك سيحرك اوتار النفس العربية ، وهو كالنور الزاهر ينير طريق الامة الى ما به نفعها ، وينير طريق المرأة لتسير مع الرجل في سبيل النفع العام ، وتقوم وإياه لبناء العمران العظيم ، ووضع أساس حديثة لمدنية راقية طاهرة نقية من كل الشوائب ، مدنية يجتمع فيها نقاء النفس وقوّة الدماغ ورقة العواطف ، مدنية تجمع احسن ما قال ابناء وطننا الثلاثة الانبياء موسى وعيسى ومحمد في اصلاح العمران ، فتكون تعاليمهم روحاً نقية لجسد نشيط ، جسد يجمع ما نفع وافاد من مدنية الغرب المادية القائمة اليوم على أساس العلوم العملية الحديثة . فأهنئك يا سيدتي المصونة بكتابك النفيس وارجو ان يكون أساساً لبناء عظيم ومشجعاً لكثيرات من فاضلات الكاتبات الراقيات للمجاهرة بآرائهن ، وكسر النير الفاسد ، ورمي القيود الفولاذية التي رماها البعض على رقبة المرأة باسم الشرع والدين ، والشرع والدين بريئان من ذلك . واقبلي ياسيدتي النابغة فائق اعتباري ودمت فخراً للوطن

بونس ايرس : في ٥ حزيران سنة ٩٢٨ فؤاد حداد

وكيل المقتطف في الارجنتين

كلمة الاستاذ يوسف احمد نجم البقاعي في جريدة مرآة الغرب بتاريخ ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٢٩

عشرون مقالاً في مقال

ولكل مقال مثقال

« بقلم الاستاذ يوسف احمد نجم »

(١٠)

ايتها الآنسة الاديبة نظيره زين الدين . ايتها البطلة المجاهدة « وما اقل المجاهدين فينا » انت تجاهدين في سبيل الحجاب الشفاف المسدول فوق بصر المرأة العربية المسلمة، وانا استغيث من الحجاب الكثيف المسدول فوق بصيرة الرجل العربي المسلم الجاهل . اذن كلانا مستغيث والشرع يقول : اذا اعترض امران احدها راجح والاخر مرجوح قدّم الراجح على المرجوح شرعاً وعقلاً. فلا اخال بصيرتك النيرة الأ مدركة ان استغاثتي راجحة . فتفضلي واعلي غير مأمورة جهدك في رفع حجاب الجهل عن عقل بعض النشء العربي الجديد والبقية الباقية من العهد القديم ، وانا اكفل لك سقوط الحجاب عن وجوه المسلمات العربيات في القريب العاجل . وتأكدي ان هذا لا يعني انه لا لزوم لجهودك ، ولا داعي لندائك ، لاني ممن يعترفون بفضلك على اخواتك المسلمات جميعاً بما تحت يو في سبيلهنّ من تضحية ، وما احتملتِه دونهن من ألم واضطهاد من المتعصبين للقديم من مسلمي سوريا وغيرها من الاقطار

سيدتي نظيرة ، لاشك انك كلفت نفسك بذل الجهد كله في ايراد الآيات القرآنية لتثبيت نظرك وتصحيح دعواك في جواز السفور . فتفضلي واعتبري ان الاستناد الى الآيات الكريمة لا يرهب الجيش الذي اخذت على عاتقك مصادمته . لان فهو كل بطل ممن صرفوا خمس عشرة سنة في رواق المغاربة او رواق الشوام في الازهر « وبقيت مداركة كما هي او ازدادت ضعفاً » يستطيع ان يفغر جرابه فيغرقك بالرغم من علمك الغزير ويغرق الف ضعيف مثلي بسيل المكي والمدني والناسخ والمنسوخ من آي القرآن الشريف ، ويستطيع ان يورد

من الآيات ما يصوّر ظاهر المستنيرين زنادقة كفرة في نظر بعض المسلمين

ان الطبقة التي تحاربينها يا سيدتي نظيره تحاجك بالقرآن دون ان تعمل بحرف واحد مما جاء في القرآن . فهي انما تدعو الى الاقتداء بالسلف الصالح ، وتجتهد في تقليد ، لان لاعمال هذا السلف الكريم واقواله – بكل حذافيرها – منزلةً في نفوس هذه الطبقة الرجعية اسمى من منزلة الوصايا العشر في نفوس الاسرائيليين، والآية الذهبية او خطبة الجبل في نفوس المسيحيين ، والقرآن كله في نفوس المسلمين

وبعد ان انتقد الاستاذ اقوالاً واعمالاً للسلف يرى انهُ لا يجوز العمل والاقتداء بها في زماننا قال :

خصومك يا سيدتي نظيره هم قوم لا يعرفون لماذا يقاومون الفكرة الجديدة ويقدسون كل قديم . فكل ما يعرفونهُ ، ان هذا قديم . وكل قديم مقدس في نظرهم . فهم لا يستطيعون التعمق بالامور . ولذلك لا يرجئون عقاب الفكر الجديد ، لانهم أضعف من وزراء فرعون الذين ارجأُوا عقاب موسى لينظروا في امره

خصومك يا سيدتي قوم قد بليت الانسانية بهم في كل جيل ، كما ابتلي بهم اليهو بن برخئيل في حضرة ايوب الصديق ، كبلدد الشوحي وصوفر النعاني وأليفاز التيماني . فخاطبهم قائلاً – « خفت ان ابدي لكم رأيي لاني انا صغير في الايام وانتم شيوخ . فقلت الايام تتكلم وكثرة السنين تظهر حكمة . ولكن ليس كل الكثيري الايام حكماء ولا كل الشيوخ يفهمون الحق »

خصومك منهم تسعون بالمائة يحاملون عليك قبل ان يقرأُوا كتابك . ومن ثم يعجبون كيف ان دولة اوربية واحدة تستطيع بعشرة الاف ضابط ان تستعبد ٤٠٠ مليون شرقي نصفهم من المسلمين المؤمنين بالحجاب

خصومك يرفضون فعلاً تقليد اعمال السلف الصالح الآنفة الذكر لانها لا تتفق وروح العصر الحاضر، فيجهلون انهم بعملهم هذا يخرجون انفسهم على القديم دون ان يدروا ، ويهملون سنة السلف الصالح التي اليها يدعون . ولكنهم يريدون منك ومن اخواتك المسلمات البقاء ضمن دائرة الحجاب ابد الدهر لان فئة من رجال القديم حبّذت الحجاب وافتت به بعامل ورعهم

واجتهادهم بالدين . فاصبحت هذه العادة بحكم قدميتها مقدسة عندهم يجب ان تُبنى لها المزارات وتنار في زواياها السرج

فسبحان يا سيدتي من خلق كل شيء واعطاه خلقه وهداه

* * * *

من كلمة للصحافي التائه عدد ٦٠٠ تحت عنوان « مذكرات عن زيارة الرئيس لبيروت » . قالت :

وكانت حفلة مدام ثابت في بهجة شائقة حضرها كل ما في بيروت من عظيمات، وحضرها بعض العظام ، وازدانت ايضاً بالرئيس الجليل الشيخ تاج الدين الذي بينه وبين آل ثابت علائق ودية شديدة منذ القديم

ولم تستطع مادموازل كاندبافي ان تعطي رسمها بالفوتوغراف مع فخامة الرئيس لان الغروب كان قد اقبل ساعة استطاع الشيخ تاج الدين المجيء الى الحفلة

ولكن غياب شمس السماء لم يكسف انوار الشموس اللماعة التي كانت تملأ القاعات الفخيمة في قصر آل ثابت

فقد جمعت الدار مجموعة من الشموس نادرة المثال بجمالها وادبها ورقيها

وبين الحضور كانت الآنسة نظيره زين الدين، صاحبة « كتاب السفور والحجاب » وامرأة اليوم اذا جاز التعبير La femme du jour

وكأن هذه الفتاة الادبية تحمل بكل جرأة مسؤولية كتابها الثوروي الاجتماعي — فانها كانت تجابه محدثيها بشجاعة نادرة حاسمة كل جدال بجمل متقطعة ملؤها الحكمة والتعقل

وقد قرنت عقيدتها بالعمل . فهي بسفورها التام ونظرياتها الجريئة ، وفلسفتها الصريحة ، تمثل تماماً نموذج المرأة المحررة التي نشدتها في كتابها المخيف

فتكون هكذا قد خالفت اغلب الكتاب والكاتبات الذين لا يفعلون الاّ نادراً ما يكتبون

* * * * *

كتاب سيدة لبنانية في «ونزويلا» من جمعية الاتحاد اللبناني

حضرة السيدة الاديبة نظيرة زين الدين المحترمة

ايتها السيدة الفاضلة ، اني اقدم الاحترام لاكبر آنسة عربية وجدت في عالم العرب . ثم افيد ان مقدرة عقلك ، وعظمة فكرك الراقي ، جعلت ضجة عظيمة بين الجالية اللبنانية والسورية في هذه البلاد لانك قطعت حقيقة اكبر مرحلة في طريق الحياة ، وامامك مقاومة قوية للغاية من رجال الدين. ولكن ثقي ان التاريخ سيحفظ لك اكبر مجد ، واسمك الآن هو المحترم . وقد سررنا جدًا لما نظرنا رسمك في جريدة الراية اللبنانية التي يقدسها اربعمائة الف لبناني و يعتبرونها مثل جريدة التيمس في لوندره والفيغارو في باريس . وقد قرأنا في عدد ٢٢٥ من الراية الحادثة التي جرت بينك و بين مراسلها ما برهن حقًا لنا على ما انت عليه من العلم والمقدرة . فالآن الجالية اللبنانية تمجدك كآنسة لبنانية تفتخر الامة اللبنانية بعلمها الذي سيجعل المرأة المسلمة اللبنانية حرة مطالقة فتكون هي واخواتها اللبنانيات يدًا واحدة في تقوية روح القومية ، وترقية الامة العربية . فجمعية الاتحاد اللبناني اخذت تباحث الان في طلب رسم حضرتك لتتزين به وتعلقه بين رسوم عظماء الامة اللبنانية . وسنطلب من الصحافة اللبنانية مساعدة جنابك في رفع الظلم عن المرأة ، وازالة السبب المانع من ائتلاف الشعوب اللبنانية وامتزاجها واتحادها

كوني على ثقة ، ايتها السيدة، ان كل لبناني سيذكر في مستقبل الاجيال ما لك على رقي المرأة الشقيقة المسلمة من الفضل . ففي الحقيقة ان الشقيقة المسلمة هي في ظلم لا تقبل به امرأة على وجه الارض . ومتى انعقدت الجلسات بين نساء الجالية اللبنانية في هذه العاصمة نرسل اليك ما يتقرّر بهذا الخصوص

واني اصافحك بكل فخر وسرور عن نفسي وعن كل امرأة لبنانية في اميركا، وان سرورهم كلهم بك عظيم للغاية . فارجو من حضرتك ان تقبلي فائق الاحترام ، واطيب السلام من شقيقتك في الوطنية اللبنانية

قاراقاس ونزويلا في ايار سنة ٨٢٨ سيدة

مؤخرًا قد تقرّر بيننا ان كل سيدة لبنانية تضع على صدرها رسم حضرة الكاتبة اللبنانية نظيره زين الدين وعلى الرسم هذه العبارة : «الكاتبة اللبنانية»

«ذكرى» سيدة

*****

وهنا اثبت كتاباً من امين داري الكتب والآثار، في الجمهورية اللبنانية نموذجاً لما لديّ من رسائل غرف القراءة والمطالعة ودور الكتب في لبنان وسوريه وفلسطين ، ودليلاً على ما كان لكتاب السفور والحجاب من الوقع في نظر الامة

الجمهورية اللبنانية

دار الكتب والآثار

حضرة الاديبة الآنسة نظيره زين الدين المحترمة

تحية احترام . وبعد فقد كان الاقبال على مطالعة مؤلفك النفيس « السفور والحجاب » عظيماً للغاية . حتى ان كثيراً من الزوار كانوا يرجعون من وقت الى آخر دون ان يتمكنوا من مطالعتهِ لكثرة ما تتناوله الايدي . فباسم الادب ارجو ان تتكرمي بنسخة ثانية من هذا السفر القيم تسدّ الفراغ في معهدنا الكتابي ، ويستفيد من مطالعتهِ رواد العلم وذووا البحث في هذه الامصار

واني لاقدم لحضرتك الشكر الجزيل على هذه الهدية النفيسة تكراراً راجياً في الختام قبول الاحترام الفائق . حفظك الله وابقاك

امين داري الكتب والآثار

* * * *

وقد رأيت مجلات وجرائد كثيرة من العالم العربي وغيره في العالمين القديم والجديد قد نقلت قدراً لكتاب « السفور والحجاب » صورة المؤلفة فوق كلمة ثناء لها عليه

منها اكثر الجرائد والمجلات التي نقلت في ما سبق كلماتهم

ومنها مجلة العروسة بتاريخ ٢ مايو حيث قالت :

هذا رسم الكاتبة الاديبة الجائة نظيره زين الدين كريمة حضرة سعيد بك زين الدين الرئيس الاول لمحكمة الاستئناف في الجمهورية اللبنانية. وقد اشتهرت هذه الآنسة النابغة بذكائها ودفاعها عن حقوق المرأة، ومساجلتها العلماء . والادباء واول آثارها القلمية كتاب قيم عنوانهُ : « السفور

والحجاب » وهو مجموعة محاضرات ونظرات مرماها تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي. وقد بحثت فيه مشكلات الحجاب بحثاً مستفيضاً ، وادعمت اقوالها بحجج قوية تدل على سعة اطلاع ورجاحة رأي . والكتاب من خير ما يُقتنى ويطالع . واننا نهنىء الآنسة النابغة على مجهودها الثمين

* * * *

ومنها جريدة « ابو الهول » بتاريخ ٤ تشرين الاول حيث قالت :

نظيرة زين الدين

هي صاحبة كتاب « السفور والحجاب » الذي جئنا على ذكره فيما سبق ، وامتدحنا من نهوض هذه الفتاة الجميلة الخلق والخلق التي كانت اقوالها كشعلة انارت دياجير الجهل ، ومزّقت بعض تلك التقاليد البالية القاتلة بل الساحقة لبنات جنسها

اننا بكل اعتبار نحيي الآنسة الناهضة ونضع رسمها في صدر « ابو الهول » زيادة في اكرامها وتأييدها

وقالت فيما قالت :

وهو الكتاب الذي ضجت له الاندية الدينية والادبية في الوطن ، وقامت عليه قيامة الشيوخ الذين لا يرون رأي الآنسة في اطلاق حرية المرأة المسلمة وتمزيق السجوف الحاجبة عنها النور

ونعتقد ان كتابها هذا سيقضي على كل قديم بالٍ من الاعتقادات والخرافات . فلترفع الآنسة رأسها نظيرة مشعالها في دياجي الشرق ولا تخف ، لان هناك دولة تؤيدها وتمنع الاذى والاضطهاد

حيا الله النهوض النسائي الذي حملت علمه الآنسة نظيرة زين الدين . وحيا الصراحة والجرأة

* * * *

و يقلنَ قولها . ولكنها وحدها جرأت ان تكتب ما افتكرت به، وان تعلن للناس رأيها صريحًا لا مسحة عليه للتزويق والتمويه . فهي قد دخلت الى ميدان الحياة الادبية دخول جبار قوي يريد ان يؤيد عقيدته بالقول والفعل

وعلى حداثة العهد بظهور كتابها فقد احدث ضجة قوية في عالم الادب تردد صداها حتى في اقصى الانحاء اللبنانية والسورية

ولا اتردد في القول ان الآنسة نظيره زين الدين بسفورها – اوجدت في نفسي احترامًا بليغًا قلما كنت اشعر به لو تعرفت اليها محجبة

***

ومنها مجلة الحارس (بيروت) حيث قالت فيما قالت في الجزء الثامن من سنتها الخامسة :

هذه هي الفتاة الادبية نظيره زين الدين، وقد ارسلها والدها الفاضل سعيد بك زين الدين المشهور في عدلية لبنان سافرة منذ نعومة اظفارها مغالبًا في ذلك الرأي السائد عند المسلمين . وهي لم تكتفِ بسفورها بل برزت الى ميدان الكفاح لمقاومة الحجاب مقاومة منظمة ، فنشرت كتابًا بعنوانِ « السفور والحجاب » اثبتت فيه الآيات الكريمة من القرآن والحديث دفاعًا عن رأيها وتأييدًا للسفور

وختمت المجلة كلمتها بقولها :

اما الكتاب فيعد من اجل الاسفار التي ظهرت حتى الآن في هذا الموضوع الجليل

*****

هذا ما اكتفي بعرضه لدى قضاة الاجتماع الان، وسأكمل الكتاب الذهبي ، اذا اقتضت الحال ، في الآتي من الزمان . واني لأُقابل من أرجأت نقل اقوالهم ، كما اقابل من نقلت اقوالهم ، بالشكر والامتنان . انهُ بمثل هؤُلاء الاعلام ينتشر النور ، وينهض الشرق والعرب والاسلام

بُعيد ان تمّ طبعُ الكتاب الذهبيّ أهدى اليّ خطاط جلالة ملك مصر – حيّا الله مصرا – من خطهِ لؤلؤاً ومن نظمهِ درّاً، ولكي أقدرَ تلك الهديةَ قدرا، رصّعتُ بها الكتاب الذهبيّ، مُحِجّةً بما وهب الله للقوم العربي: إن في ما وهب الله للخطاط النجيب سحرا

صوت الحق

الى جندارك الشرق مؤلفة «السفور والحجاب» الآنسة نظيرة زين الدين

يا غادةً حملت لواءَ جهادها لتزيلَ ما قد ألصقوا بالدّينِ

انّ الحقائقَ في دفاعكِ عُزّزت وازدانتِ الدنيا بزين الدينِ

اصبحتِ جندارك المشارق بل على جندارك فقتِ بعزمةٍ ويقينِ

جنداركهم دكّت ذرى البستيل وهو من الحجارةِ والحصى والطينِ

وهدمتِ انتِ من الرؤوس خرافةً مثل الجبال الشمّ في التمكينِ

ستقدسُ الأجيالُ شخصكِ عندما تهدى النهى في المشرقِ المسكينِ

خطاط جلالة الملك

المحامي نجيب هواويني

١٩٢٩

هو باستيل (تورنل) Bastille des Tournelles الذي استولت عليه جاندارك بقوة علوية في اورليان بتاريخ ٧ ايار سنة ١٤٢٩


الجزء الثالث



الباب الرابع

ما بيني وبين المعارضين ، في ميدان الحق المبين

تمهيد

فيه بيانٌ لرسائل وكتب معارضين من الشيوخ ، وسبب حصري الجدل

في هذا الجزء الثالث بالشيخ الغلاييني زعيمهم

ان امامي من المُعارضات للسفور وتحرير العقل ، وتحرير المرأة ، والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي كتاب « نظرات في كتاب السفور والحجاب » لزعيم المعارضين الشيخ مصطفى الغلاييني ؛ وكتاب « المدنية والحجاب » للشيخ سليم حمدان ؛ وكتاب « القول الصواب في مسئلة الحجاب » للشيخ سعيد اياس ؛ ورسالة « القول الصواب في الردّ على اعداء الحجاب » للشيخ محمود الشبطِلِّي ؛ ورسالة « الادلة الجليّة في الحجاب والمدنيّة » للشيخ احمد محيي الدين الازهري ؛ ورسالة « فصل الخطاب في الحجاب » للشيخ صلاح الدين الزعيم ؛ وكتاب « كشف النقاب عن اسرار كتاب السفور والحجاب » للشيخ سعيد الجابي ؛ ورسالة « المرأة في نظر الاسلام » للشيخ عبد القادر الكرماني ؛ ورسالة للشيخ عبد الله علايلي ؛ وغير ذلك لغيرهم . وذلك عدا النشرات ، « والفراديات » ، والاراجيز والقصائد ، ومقالات شتّى في الجرائد ؛

وعدا رسالة « السيف البارق في عنق المارق » للشيخ سعيد البغدادي ؛ وكتاب « السنّة والكتاب في حكم التربية والحجاب » للشيخ ابراهيم القاياتي الازهري ؛ ورسالة « رفع الشبهات عن بعض المشتبهات » للشيخ محمد رحيم الطرابلسي ؛ وكتاب « الدين الاسلامي واللورد كرومر » للشيخ الغلاييني المشار اليهِ . وقد رددت في كتابي « السفور والحجاب » على المطبوعات الاربعة الاخيرة واول ما طالعت بعد نشر ذلك الكتاب ، نظرات الغلاييني ، فكتاب الشيخ سليم ، ذاك الكتاب العقيم ، الذي لم أرَ فيهِ ما يستحقُّ اهتمامًا او ردًّا ، ورأيتُ ان لا اقابل بعض ما فيهِ الاَّ بالصفح عنهُ والاستغفار لهُ . ثم طالعت غيرها من الكتب والرسائل والنشرات والمقالات فرأيتها ، وان اختلفت عن كتاب الشيخ سليم حجما ، وفاقها هذا شذوذًا وذمًّا ، او شالا ككتاب الشيخ سليم ، ترشحت من حوض الشيخ الغلاييني الزعيم . لذلك لم اجعل لها نصيبًا في هذا الجزء من كتابي الاَّ نصيب ذاك الكتاب ، ورأيت ان احصر مناظراتي هنا بالشيخ الغلاييني ، لان الزعيم هو المصدر والمورد للخطاب والجواب

الفصل الاول

ورود الشيخ الغلاييني بين اشواكهِ ، يعرضها سفوريًا لدى دعاة السفور او متجددًا كأبناء النور ، وشكواي الى الامة لخنقهِ اياها بالاشواك

رأيت الشيخ ، وهو صاحب غاضب لردّي عليهِ في « السفور والحجاب » ، أنهُ بين اشواك المغالطات والمفتريات التي غرسها في نظراتهِ انتقامًا ، لم يرَ لهُ غنًى عن غرس ورود اقوال عليها صبغةٌ من ورود كتابي . وكأني اراهُ بذلك يحاول ان يحتفظ بمنزلةٍ لهُ بين المستنيرين والمستنيرات . واني لأرى انهُ من الواجب عليَّ مثلهِ ان يسعى الى ذلك . وقد استخلصتُ من

تلك الاشواك المتكاثفة . ا امكنني استخلاصه من تلك الورود لقرّاء هذا الكتاب . ولا غرو ان أعني بذلك فان بي ولعًا بجمع الورود الطيّبة اين كانت ، واهدائها الى الامة

قال الشيخ فيما يتعلق بالحجاب والسفور :

«ان طلاب[1] السفور من المسلمات في هذه الديار عدد معلوم الاسماء ، ومن يتقيّدن بالحجاب فانما قيّدهنّ به العادة المستأصلة . وليس هناك ما يُقيّد حرية المسلمات غيرها . ص ٢٩ . واما العقل السليم فلا يبيح ان تكشف المرأة غير وجهها وكفيها ص٥٣ . واما العادة فهل ضرّ الامّة الاّ العادات السيئات ص٥٧ . ألا ترين انكِ سافرة وان هناك بعض السافرات فمن تعرّض لكِ او لهنّ ؟ ص٢٩ . وقد اعتادَ نساؤنا النقاب ، فان كان على رأيكِ من النساء من ترغب في السفور فلتفعل ما شاءتْ . اما القرويات والبدويات فقد تعوّدنَ كشف الوجوه والاكفّ والاقدام ولم نسمع فتيها ، واحدًا انكر عليهنّ ذلك ص٥٣

« نحن لا ننكر ولا يستطيع احدٌ ان ينكر ان الاسلام اباحَ كشف الوجه والكفين ص٤٤ . على انه اذا اباح كشفها فهل معنى الاباحة انه اوجب ذلك ايجابًا ؟ غاية الأمر انه جعله مباحًا ، من شاء فعله ، ومن شاء تركهُ . اذ لا يخفى عليكِ ايتها الآنسةَ ان المباحَ ما كان فعلهُ وتركهُ سواء . فلا يُثاب الانسان على فعلهِ ولا يعاقب على تركهِ ص ٤٥

« ان الفاسقة منتقبة كانت او غير منتقبة لا يحول دون اهوائها حائل ص٧٢ وإن مَن شذّت من المحجبات فليس نقابها سبب شذوذها . وكذلك من شذّت من السافرات لم يكن سفورها سبب شذوذها ص٧٠ . ليس النقاب او عدمهُ هو الذي يحول دون السافلات ، ودون ما يردنَ الإقدام عليهِ . فسفالة الخلق لا تمنع المرأة ، منتقبةً كانت او غير منتقبة ، من عمل يشينها ، لان الإقدام على المنكر لا يكون في الشوارع والأسواق والمنتزّهات العامة ، وانما يكون حيث يأمن الفسّاق والفاسقات ان تراهم عيون الرُقباء . فاي دخل للنقاب في ذلك ؟ » ص ١٢٦

« وهل الوجه مما يُدني عليهِ الجلباب ' ليس في الآية ما يدل على ذلك » ص ١٧٨

« اما الحجاب بمعنى ستر البدن فهو لغير نساء النبي صلّى الله عليهِ وسلّم ، ستر جميع البدن الاّ الوجه والكفين . اما الوجه والكفّان فلم يَقُلْ احدٌ ممن يعتدّ بقولهِ ان سترها واجبٌ » ص ١٨٢

« قالت الآنسة نظيرة زين الدين (ألا ترون وتعلمون انه ليس في هذا الزمان إماء ، ولكنْ

(١) يريد الشيخ ان يقول طالبات السفور من المسلمات

فهو سافلات لمنّ الحريةّ في ان يلبسْنَ ملبس الحرائر، فلم يبقَ لنا والحالة هذه معرّف الاّ وجوهنا، وما فيها من سمت الحياء والشرف، فكيف لا يؤْذَن في السفور لتلك الوجوه ؟) ؛ ويشهد اللهُ ان شطر الكلام الاول من قول الآنسة حقّ. وان بين من تعنيهم[1] المسلمة وغير المسلمة وان هؤلاء ينتسبن الى غير آبائهنّ مدعين[2] انهنّ من الأسر المعروفة بمركزها الاجتماعي والعائلي، ص ١٨٠

«ان الحجاب بشكله الحاضر لا دليل عليه من القرآن ولا من السُنّة الصحيحة، بل ان المسلمين اقتبسوهُ من مجاوريهم ومخالطيهم من الامم. على ان الحجاب بهذه الحالة المألوفة اليوم هو ما ينهى عنه الشرع الاسلامي. ان الحجاب الشرعي هو ستر جميع اجزاء المرأة ما عدا وجهها ويديها. (الاسلام روح المدنية ص٢٥٨). هذا هو الحجاب الذي فرضه الاسلام. واما ما نشأ بعد الصدر الاول من ستر الوجه واليدين فليس ممّا تأمر به الشريعة ص٢٥٩. انّ في التحجّب المطلق الذي هو غير شرعي ضررًا لا ينكر، ص٢٦٠

«ومن تأمّل في الحجاب المضروب اليوم على وجوه بعض النساء يرى انه ادعى للميل والشهوة، ما لو كنّ متحجّبات، بل إنه يُغرّرُ الاغرار، ويستميل الاشرار. لانه كثيرًا ما يشفّ عن جمال باهر، ووجه حسن، وقد يكون الامر بالعكس ص ٢٥٨»

وقال الشيخ فيما يتعلق بعقل المرأة وعقل الرجل، وبالحقوق المتبادلة بينهما من ولاية وقيام وطاعة:

«الحق ايتها الآنسة ان عقل الرجل وعقل المرأة واحدٌ من حيث الجبلّة ولا فضل لاحدهما على الآخر في ذلك، ص١٠٥. ان الرجل والمرأة في اصل الفطرة سواء، ص ١٠٤

«وانه كما للرجل ولاية على المرأة، ان للمرأة ايضًا ولايةً على الرجل، ص١٢٧. وان الصالحات من النساء يقمنَ بهذه الولاية حق القيام فيرعينَ رجالهنّ ويقمنَ بحقوقهم كما قام الرجال بحقوقهنّ، ص١١٨. وان بين الرجل والامرأة بمقتضى قواعد الاسلام حقوقًا متبادلة، ص١٢٧. وان طاعة المرأة للرجل، تقابلها طاعة الرجل للمرأة، ضمن النظام العائلي ص ١١٨»

* * * * *

وقال في خطاب له «بين القديم والحديث» في حفلة الكلية الاسلامية لسنة ١٩٢٨، وكان مرمى الشيخ، إذ خلُصَ من الهوى في ذلك الخطاب، مرمى كتابي «السفور والحجاب». قال:

(١) يريد الشيخ استاذ اللغة ان يقول تعنيهنّ (٢) يريد الشيخ استاذ اللغة ان يقول مدّعيات

ورود الشيخ العلايلي بين اشواكه، يعرضها سنوراً لدى دعاة السنور،
او تجدداً كأبناء النور. وشكواي الى الامة لختنوا اياما بالاشواك

«الامة اليوم بين قوتين تتجاذبانها: قوة الماضي الغابر، وقوة الحال الحاضر. والنزاع بينهما، وان لم يبلغ اشدهُ فسيبلغهُ عما قريب. ذلك لان التجدد من سنن الحياة أَبينا أَم رضينا. فتلك سنةُ الله في خلقهِ، ولن تجدَ لسنةِ الله تبديلاً

«لنا ماضٍ مجيد لا نريد ان ننساهُ. ولنا اخلاق فاضلة موروثة، من الانتحار ان نمحقها.

واماننا حاضر يهيب لنا ان ننهض اليهِ. وتدعونا الحوائج الاجتماعية ان نستبقَ الى رياضهِ ومناهلهِ، ويحملنا الاباء على قطع اشواطهِ ومراحلهِ، واجتياب معالمهِ ومجاهلهِ، واكتناه خوالدهِ واوائلهِ، ومعرفة مخاصبهِ ومواحلهِ، للتربع في دسوت منازلهِ.

«والناس عندنا رجلان: رجل ينكر علينا حق الحياة في التجدُّد، فيقف عقبةً كؤوداً بين الامة و«بين» ما نريد من التقدم، غير مكترث لما يطلبهُ الزمان المتجدّد للحاجات المتجددة. وفيما يريدهُ الجمود. وماذا بعــد الجمود الاّ الضعف، فالاضمحلال، فالموت؟ ويا ليت هذا الصنف من الناس تمسّك بالماضي تمسكاً صحيحاً، ودعا اليهِ دعوة صالحة! ورجل يأْبى علينا النظر الى الماضي، والاعتصام بعرى لهُ وثيقة، والتجمل بحللٍ منهُ لم يبلِها القِدَم، ولن يُخلِقَها كرُّ الجديدين»

وقال:

«لا نكرانَ ان الاقتصار على الماضي وان بلغ من المجادةِ الافق الاعلى، لا يُبلغ الامة ما تفتقر اليهِ من مقوّمات العمران. ولكلّ زمانٍ دولةٌ ورجال، ولكل عصرٍ حاجةٌ وآمال. فمن لم يهيّئ لكل زمانٍ عتادهُ، داستهُ اقدام التطوّر، ووطئت اشلاءهُ سنابك التجدّد. فكان وهوَ حيّ، في الاموات، وصار وهو جسم نامٍ، رفاتاً باليًا، او عظاماً نخرات

«ان التطوّر سلطانٌ قاهر لا يعرف الرحمة، ولا تُداخلهُ الشفقة، وحاكم قاسي الخلق لا يُراعي خليلاً، ولا يشفق على كبير او صغير، ولا عاجز او عجوز. وهو نهار جارف، من لم يستطع التحمُّل لهُ غرق فيهِ، ونارٌ ملتهبةٌ لا يقوى على السلامة من أَذاها، الاّ من عرَف كيف يتقي بلظاها

«وان التجدد سرّ الحياة، وكل ما لا يتجدّد يبلَى. ولولا التجدد في كل ذرة من ذرات هذا الكون لَأَتى عليهِ العدَم. وما موت الاحياء الاّ فقد التجدُّد فيها. فكذلك معنويات الامة يجب ان تجدَّد بتجدُّد حاجاتها، وتتطوّر بتطوّر ازمانها وبيئاتها. والامّة التي تضعفُ روح التجدُّد

فيها، يضعف شعورها بالواجب، فتهي عزائمها، وتهن قواها، و يستولي عليها اليأس؛ واليأس هو الموت في الحياة. فما استولى على امةٍ الاّ هدم امالها، وقوّض اركان اعمالها». وقال:

«لكلّ زمانٍ حاجات تختلف باختلاف الاوقات، ولكل عصر اخلاق وعادات تتطوّر بتطوُّر الدواعي والبيئات. فهي كالملبوس تنزَعُ منه ما بلي، ونستبدل به لبوساً جديداً. وما دام الثوب صالحاً للانتفاع به وجب الاحتفاظ به، ومتى صار خلقاً جدّدناهُ. فكذلك اخلاق الاخلاق، يجب ان تُصرَم فيها حرية الجِدّة بعد ان تؤهّل الامة لاخلاقٍ امثل منها وافضل. وقد قال عمر بن الخطاب، او علي بن ابي طالب رضي الله عنهما: (لا تقسروا اولادكم على اخلاقكم فانهم مخلوقون لزمانٍ غير زمانكم) وقد جاء في الحديث: (ليبعثُ اللهُ على راس كل مئة عام من يُجَدِّد لهذه الامة أمرَ دينها) ان الحياة لا تعرف التقييد ولا التقليد. فلندع العقل الصحيح حرًّا غير مقيَّدٍ الاّ بالمصلحة العامة»

ايها السادة والسيدات

هذه هي ورود الشيخ، وكأنها من حديقة كتابي «السفور والحجاب». وكل ما جاء من غير ذلك في كتابه (نظرات)، فهو اشواك غضّة خنقت هذه الورود الجميلات. فجاءت ازهارها ضعيفات ذابلات. وما فادى الشيخ بازدهار تلك الازهار الاّ انتقاماً من هذه الفتاة، فيه أذى للسلمات

اني الحظ يا سيدي الشيخ أنّ حرّ الانتقام فيك، ورغبتك في ماشاة او تضليل بعض ذويك، جعلا نفسك في نطاقٍ ضيقٍ خنقتَ فيه الورود بالاشواك. ولولا ذاك لصدع الشيخ كما صدَعتِ الفتاة، دون جمجمةٍ وتقيةٍ وفي اوضح الاصوات، بحقوق المرأة الثابتة بالعقل و بالسنّة و بالآيات البيّنات

وهنا اشكو الشيخ الى الامة. اني كنت محاولةً تأليف ضمّةٍ من الازهار الطيّبة الجميلة أضمّها الى ازهار «السفور والحجاب»، وارسلها اليها هديةً ثانيةً فيها أرَج الجنّة، من الكتاب والسنّة. فشغلني الشيخ، سامحه الله، بقلع اشواكهُ من طريقي. ولكني اواثق الامة على اني أزرعُ وردة، في كل مكانٍ اقلع منه شوكةُ. واملي ان تزهر تلك الوردات، فأنسى ألمي من تلك الشوكات. واذا ساءنا ما مضى، فحسبنا أن نُسَرّ بما هو آت

عسى الشيخ، وقد جنى وروداً من كتابي الاول فكان له جنة، ان يجني وروداً جديدةً من كتابي الثاني هذا، فيصبح من الكتابين، بين جنّتين، ويقول جنا الجنّتين دان. فلا يعود الى زرعِ الأشواك في حينٍ من الاحيان

الفصل الثاني

حديثٌ لسيدة فيهِ عبرٌ بين ورود الشيخ واشواكهِ

القسم الاول

حديثها عن كتاب الشيخ الغلاييني وحكاية عمود التنوير ، ونقدها الخطة التي دفعة الانتقام الى سلوكها مستمسكًا بالاختلاق والتزوير والتغرير ، او بما حبلهُ قصير

لما قرأتُ نظرات الشيخ ، وكتابهُ «الاسلام روح المدنية» ، وخطابهُ «بين القديم والحديث» ، كان عندي ، بين من كان عندي ، من اخواتي المسلمات المستنيرات اديبةٌ فاضلةٌ يحقُ لنا الافتخارُ بها ، وبأقوالها ، واعمالها ، وبامثالها . فحكَت حكايةً قالت :

مرّ رجلٌ بساحةٍ عموميةٍ واسعة الارجـــاء ، فوجد أنَّ فيها عمودًا اسطوانيًا عاليًا مُحْدَثًا بشكلٍ جديدٍ للتنوير . وكان نصفهُ العموديُّ مصبوغًا بلونٍ جميل ، والنصف الثاني بلونٍ اجملَ منهُ . وفي الطرف العالي من كل نصفٍ ورقة مكتوبة . فحملَ الرجلَ حبُّ الاطلاع ، على تسلقِ العمود ، ليقرأَ الورقة . فتسلّق العمود زحفًا حتى وصل اليها . واذا فيها هذه الحقيقة (هذا العمود مصبوغ حديثًا يلصق صباغهُ بمن يقرب منهُ) . فنزل الرجل صاخبًا ، شاتمًا ، ناقمًا ، ولكنهُ رأى نفسهُ مصبوغًا بصبغة العمود من حيث طلع .

ثم قالت :

وما العمود الاَّ رمزٌ لكتابكِ . انَّ لهُ صبغتين .. احداهما صبغة علم ، والاخرى صبغةُ اخلاق .

حديثها عن كتاب الشيخ الغلاييني وحكاية عمود الغنوبر، ونقدها الخطة التي دفعه الانتقام الى سلوكها مستمسكاً بالاختلاق والتزوير والتغرير، او بما حيلة قصير

منها : النزاهة في القول، والصدق والادب فيه، والاخلاص للجموع، والترفّع عن السباب والشتائم، واحترام الناس وآرائهم، والإستمساك بالحق، والابتعاد عن الباطل، وعن المغالطة والافتراء، والجفاء، وعدم الانقياد الى الهوى والى الغضب والانتقام

وقد طلع الشيخ على العمود فانصبغ بالصبغة الاولى. عسى ان يطلع مرةً ثانية من الجهة الاخرى فينصبغ ايضاً بها . وعسى ان يقتفي اثرهُ غيرهُ من معارضي نهضة النساء، فتصبح صبغةُ الأمة واحدة، ونعمل جميعاً رجالاً ونساء تحت لواء الصلاح الواحد بايدٍ متحدة لخيرها واعلاء شأنها. فما المرأة الا، كما قلتِ في كتابكِ، نصيرة الرجل في الجهاد الاكبر

صدقتِ، صدقتِ وهي التي كانت ممرّضةَ الغربِ في امراضه الاجتماعية، وقد حان ان تكون ممرّضةَ الشرق في مثل تلك الامراض

ومن امراضنا الاجتماعية تعلّق بعضنا بالقشور دون اللباب، واستبدال النزاهة بالسباب

ثم صرحت باستيائها لقيام معارضيّ في المناظرة على غير اصولها، ولاظهارهم امام العالم، الحذِق الينا، هذا المرض الاجتماعي كداء عضال، عزّ فيه الدواء او عزّت شأفته على الاستئصال. وأثنتْ على ما قلتُ في كتابي بهذا الشان، وفتحت منه الصفحة ٢٦ وقرأت ما يأتي:

(أما اذا اكتفى مناظري في جوابه بالبحث عن المروق والالحاد، وبما ينافي اداب المناظرة، فانّي سأترفّع عن سماع كلامه، مكتفيةً برجائي من الله سبحانه وتعالى ان يصلحهُ، ويرسلَ الى نفسه شعاعاً من نور الحرية والهدى. اذ أنّ ذلك النور لا يطلع على نفسٍ الاّ زينها بالعقل والأدب، واحترام الناس، وبدّل فيها حجة المجادلة بالتي هي احسن، من حجة المجادلة بالاساءة التي يعتصم بها المرائي العاجز عن بيان الدليل والبرهان)

وبعد ذلك أثنتْ على ما قلتُ فيه تحت عنوان « الاجتماعات العيلية مراقي العقل والأخلاق »، وقرأت في الصفحة ١٤٥ ما يأتي :

(واني اصارح سادتي الرجال انه لو عرض لي مناظر لا يراعي آداب المناظرة، ولا يدفع صدمة البرهان الاّ بالسباب والشتائم، لما ترددت في القول أن ذلك انما هو نتيجة جفاء خلقٍ لا يُدمِّثُهُ الاّ الأدبُ المكتسب من اجتماع الجنسين)

حديثها عن كتاب الشيخ الغلاييني وحكاية عمود التنوير، ونقدها الخطة التي دفعة الانتقام الى سلوكها مستمسكًا بالاختلاق والتزوير والتغرير، او بما حبلة قصير

وقالت :

ان تنبيهك لم يكف لحمل الشيخ وغيره من معارضيك على مراعاة آداب المناظرة او على احترام الناس

وبعد ان تأملت قليلاً قالت : حقًا يا اختي ان الاجتماعات العيلية مراقي الاخلاق . فلا غنى عنها ، ولا بد لنا منها

ثم فتحت الصفحة ١٢ وقرأت :

« واعلم كما علمنا اعاظم أيمتنا ان النفس نفسان ، حيوانية وناطقة ، وأنّ للنفس مراتب عالية ، ومراتب سافلة . فعلى المراتب العالية تستوي النفسُ المرضيّة ، وفي المرتبة السفلى تزحفُ النفسُ الأمّارةُ بالسوء ، ولكن على وجهها تتبع الهوى . فاخترْ لنفسك احدى المرتبتين »

« انك اذا اخترتَ العليا ، فالدليل منك النزاهةُ والحكمة ، وان اخترت السفلى فالدليل الغضبُ والاذى

« قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، لما رجع من بعض غزواته : (رَجِعْنا من الجهاد الأصغر ، الى الجهاد الأكبر) اي الجهاد مع النفس الأمّارة بالسوء لجذبها ، وخلوصها عن شوائب الرياء والهوى ، والشهوة والغضب والاذى ، ولنُصرةِ النفس العاقلة المطمئنةِ المرضيّةِ عليها »

ثم فتحت الصفحة ٧٩ من الكتاب وقرأت :

« اوَلا ترون الرجل محتاجًا الى استصحاب المرأة ، واحترامها ، واشراكها في اعماله ، لتنصر بما لها من فضلِ ربّها من قوّةِ الحكمة ، النفسَ الناطقة المرضيّةَ منه ، على النفس الأمّارةِ بالسوء ؟ » .

ثم كرّرت قولها : انه يجب على المرأة المسلمة ان تقضي وظيفتها بكل ما اعطاها الله من قوة لنصرة الرجل في الجهاد الاكبر ضد النفس الأمّارة ، لتصبحَ الفضائلُ الخلقيّةُ في النسا ، فضائلَ خلقيّةً في الرجال ، وبهي جنس البشر كلّه لطيفًا بعيدًا عن الاذى ، لا خشنَ ولا فظّ فيه

وبعد ذلك أثنتْ على ما قلتُ تحت عنوان (المفتري المزوّر على الناس انما جنة لم عليه)

وفتحت الصفحة ١١٥ من كتابي وقرأتْ :

« ألا يجب علينا ايها السادة ان ننبذ فروع الاقناع بالافك والكذب والتزوير والافتراء .

حديثها عن كتاب الشيخ الغلاييني وحكاية عمود التنوير ونقدها الخطة التي دفعه الانتقام الى سلوكها مستمسكًا بالاختلاق والتزوير والتغرير، او بها حيلة قصير

وهي امور تدمى لها مهجة الادب، ولا تعود على قائلها الا بالخيبة والخسران، وهي شاذة عن اصول المناظرة؟ بلى، ولهذه مقامها الاقناع الحق عن طريق الصدق والعقل السليم، والعلم المنزه، والادب الصحيح، وفقًا لارادته تعالى وارادة نبيه صلى الله عليه وسلم

« قال الله تعالى (إنما يفتري الكذبَ الذين لا يؤمنون بآيات الله ولهم عذابٌ عظيمٌ بما كانوا يكذبون)

« وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تحرّوا الصدقَ وإن رأيتم فيه الهلكة، فإنّ فيه النجاة. وتجنّبوا الكذبَ وإنْ رأيتم فيه النجاة، فإنّ فيه الهلكةَ)

« وقال صلى الله عليه وسلم (كَبُرت خيانةً أن تُحدِّثَ اخاك حديثًا هو لك به مصدِق، وانتَ له به كاذب)

« وقال صلى الله عليه وسلم (ويلٌ للذي يُحدّث فيكذب، ويلٌ له، ويلٌ له، ويلٌ له) »

وبعد ان قرأت ذلك قالت: انما حجج الشيخ الغلاييني الك عليه وقالت:

اذا زوّرَ الشيخُ وبعضُ رفقائه على كتابكِ ما زوّروا، وهو في الايدي امام الابصار، فكيف يُصدَّقون بما يَروون من أخبار، وبما يقولون عن بلاد السفور وهي وراء البحار؟!

وقالت:

اني متعجبةٌ جدًا من اضاعة الشيخ لاوقاته، في وضعه نظراته

الانسان العاقل لا يعمل عملًا ما لم يقصد فيه نفعًا خاصًا او عامًا، اما الشيخ فمن يقرأ كتابه يرَ أنه لم يقصد في وضعه نفعًا ما. وانما قصدَ به الانتقام، لردّكِ الجميل على تنقيصه المرأةَ في الاسلام. فكانَ انتقامه انتحارًا أسجلُهُ الايامُ على مثله عارًا

وقالت:

ماذا يريد الشيخ من تفسير الآيات، وحشو تفسيره بالمغالطات، بعد ان قال ان الحجاب ليس من الشرع والدين بل من العادات، وقد اقتبسها المسلمون من الامم المجاورات، وان الحجاب الحاضر يغرّر الاغرار ويستميل الاشرار اكثر ما يغرّر السفور ويستميل؟

ماذا يريد الشيخ في تسويد الصفحات، بعد اعترافه بان عقل الرجل وعقل المرأة سواء، وان لا فضلَ لاحدهما على الآخر، وانه كما للرجل ولايةٌ على المرأة، ان للمرأة ايضًا ولايةً على الرجل،

وان بين الرجل والمرأة، بمقتضى قواعد الاسلام، حقوقاً متبادلة، وان التجدد سرّ الحياة، وكل ما لا يتجدّد يبلى، وانه يجب ان نجدّد بتجدّد حاجاتنا، ونتطوّر بتطوّر ازماننا وبيئاتنا، وانه ليس بعد الجمود الاّ الضعف فالاغلال فالموت، وانّ من لم يأبَهْ لكلّ زمان عتادهُ داسته اقدام التطوُّر، ووطئت اشلاءهُ سنابكُ التجدد، فكان وهو حيٌّ في الاموات، وصار وهو جسمٌ تامٌ رفاتاً باليًا، او عظاماً نخرات؟

ماذا يريد الشيخ بعد ان قال بذلك كلّه؟

ان ذلك كلّه من مقاصدك الجليلة الجليّة في تأليفك كتابك. فبعد قبول الشيخ ما اثبتّ من قصد، واقتطافه ما غرستِ من ورد، ما له وحشوُ النظرات، بما حشاها من تلك الشوكات؟

وقالت:

مسكين الشيخ. لم تمالك نفسه الغاضبة من الانتقام، وقد عجز عن ان يجد في كتابكِ الاّ ما يوافق الدين، والعقل السليم، ومصلحة المسلمين؛ فأخذَ يختلق ويكتب اموراً كتابكِ منزّهٌ عنها، وشرَعَ ينفثُ منه الغضب، بالنقد والرد على ما اختلقَ وكتب. انه بذلك استنسك، ليغرّ الامة ويغريها، ولكن بما حيلة قصير. لذلك سيذهب ما بذل من الجهد في الاغراء والتغرير، دون جدوى ودون تأثير، الاّ تثبيتَ الفتاة المسلمة في مقامها الخطير. ذلك درسٌ سيتلقّاهُ امثال الشيخ وفيه عبرةٌ، لم فيها نفعٌ كثير

القسم الثاني

تفكهات السيدة بما في كتاب الشيخ سليم حمدان

ثم قالت: أملّتنا نظرات الغلاييني الزعيم، فلنتفكّهْ بكتاب الشيخ سليم. وطلبت مني ذاك الكتاب وبعد ان تصفحته هنيهةً قالت:

ان الشيخ في الصفحة «ع» يرى النقاب على وجوه المسلمات امراً مستحباً، ذلك – وذلك في

نظر الشيخ حجة دامغة — لان حرم رشيد بك نخله المصونة ما زالت ترتديه
ان الشيخ يرى حجاب السيدة المشار اليها ارجح وزناً من سفور الملايين ، من سيدات العالمين

ثم قالت :

والشيخ يعلن في الصفحة الثامنة ، انه يعالج موضوع السفور والحجاب ، ليس في سبيل الدين ، لان الدين مانع حوزة نفسه بفضل ما فيه من الآيات الباهرة والاحاديث الشريفة ، وانما يعالجه خدمة للمصلحة القومية المستوجبة اهتمام المسيحي والمسلم على السواء . فكل ناخر يتحيف المسلمين في الشرق يتحيف ابناء الملل جمعاء وما يضرهم هو بالواقع ضرر يشمل جميع الاهلين . غير انه مع تصريحاته هذه يقول في الصفحة (د) واما قولهم ان النقاب قضية اجتماعية ، ومعاناتها حق مشترك ، فغير سديد . وليست كل قضية اجتماعية حقاً مشتركاً بين الملل . فالوقف المسيحي امر اجتماعي ، ولكنه في نفس الوقت خاص لا يعني غير المسيحيين ولا يتدخل فيه سواهم

وقالت لله در الشيخ كيف احسن التشبيه بين النقاب والوقف المسيحي ، وكيف جعل الوقف المسيحي قضية اجتماعية ، وكيف خدم المصلحة القومية ، وكيف استخرج النتيجة !

ثم قالت : قلت في كتابك ص ١١٢ :

«يجب ان نعرف مثل ما عرف الناس ان الشرف متأصل في القلب ، وان العفة ادب في النفس ، لا في قطعة نسيج شفاف تُسدَل على الوجـــه» اما الشيخ فاعترض على قولك هذا وقال ص ١٢٧ :

ان العَلَم قطعة من نسيج . ولكن الملوك قد اصطلحت على اتخاذها شعاراً لممالكهم . وان المسلمين انما يتخذون الحجاب شعاراً كما تتخذ الملوك لهم الالوية شعاراً . وقالت :

وهذا ايضاً من تشبيه الشيخ الباهر ! فالرجل في نظره ملك ، والمرأة مُلْكٌ له ! اما النقاب فهو اللواء الخافق على ذلك الملك !

ثم قالت :

والشيخ يقول في الصفحة ٦ : وسيظل الحجاب لنساء المسلمين كما كان شعار الدين

وقالت :

إذن إنّ الشيخ يعدّ النقاب شعار الملك للرجل وشعار الدين للمرأة . غير ان الشيخ

لم يفطن الى انهُ إنْ كان النقاب على وجوه نساء المسلمين، شعار الدين، وجب على رجال المسلمات ايضًا ان يجعلوا على وجوههم هـذا الشعار، فليس المسلمات احرى من المسلمين، بحمل شعار الدين

وقالت :

غرُب عن فطنة الشيخ ان غير المسلمات قد غطّين وجوههنّ بالنقاب اجيالاً، وما زلنا نرى منهنّ في بعض البلاد منتقبات، وليس بينهنّ من قالت او من تقول كما يقول الشيخ الفطين، ان النقاب شعار الدين . وانْ كان النقاب شعار الدين، وجب ان يكون غير المسلمات المنتقبات بعض نساء المسلمين، ولكن اذا حسبهنّ الشيخ كذلك أيحسبهُنّ راضيات ويحسب رجالهنّ بالامر راضين ؟ وقالت : لله درّ الشيخ من شيخٍ فطين

ثم قالت :

ان الشيخ ليس قديرًا فقط في التشابيه المبتكرة، واستخراج الحجج الدامغة منها، فهو قدير ايضًا في فنَّي الاجتماع والطب . انهُ سَبَرَ منهما غورًا، واستخرج درًّا ! حيث قال في الصفحة ٥٢ و٥٣ ما ملخصهُ : ان سفور وجوه النساء وتكمُّلهنّ كالرجال رقيًا، ترجُّل منهنّ، وان ترجلهنّ يجني على النسل والامة جناية فظيعة، لكثرة ما يخلق حينئذٍ من الصبيان والرجال الضعفاء الجسم والعصب . لان مخالفة المرأة السنن الطبيعية، تضرّ بابنائها اكثر من بناتها . فيقوم التفاوت بين تراكيب اجسام الصبيان واجسام البنات، و بين معدّل موت الذكور ومعدّل موت الاناث . اذ ان انحطاط قوى الذكور يبدأ حينئذٍ قبل الولادة، فيموت الصبيان لدى الولادة لاعتلال صحتهم، بخلاف الإناث، ويُمسي بعد الولادة ايضًا موت الاطفال الذكور زائدًا زيادةً كبيرةً عن موت الاناث . وان هذه المحن كلها يجرُّها على الامة سفور المرأة

وقالت :

ارأيتِ يا عزيزتي ما اطولَ باعَ الشيخ او ما اقصرهُ في الاحتجاج والاستنتاج ؟ !
اذا اردتِ مثلاً حيًا فما عليكِ يا اختي الا ان تنظري بعين الشيخ الوقّادة الى العالم السافر الراقي في اوروبا واميركا واليابان، فتري صحة ما قالهُ من انحطاط قوى الرجال واعتلال صحتهم هناك، ومن موت الصبيان اثناء الولادة و بعدها بخلاف الاناث ! وحينئذٍ تجزمين جزمةً بضار

السفور علة العلل لهذه المحن العظمى في تلك البلدان ! وهل تخشين يا اختي ، مثلما يخشى الشيخ ، ان ذلك العالم ، اذا قرأ كتاب الشيخ ورأى ما فيه من الحِكَم والحقائق الراهنة ، يُبدِّل عادة الحجاب من عادة السفور ، ليصحّ رجاله وتعمر بلاده ، ويتخلص من مثل ما يرى الشيخ فيه من الويل والهوان والمحن ، فيضاهي هذه البلاد سؤددًا ومجدًا وحولاً وطولاً وعمرانًا ، وتخسر هذه البلاد امتيازها عليه خسرانًا ؟

ولما رأتني متبسمة صامتة لدى حكمة الشيخ ، لم تنتظر مني جوابًا وقالت : لا تنسي ان الشيخ زائد البراعة ايضًا في فنّ البيان ، لذلك عطفَ خلق الرجال على خلق الصبيان

ثم قالت :

ان الشيخ في الصفحة ١١ يسلم بشراسة الذكر ولكنه يرى في تلك الشراسة حكمةً عظيمةً لبقاء المخلوقات ، فيقول ان شراسة الذكر من اجل حماية الانثى ، ولولا تلك القوى لما استطاعت المخلوقات البقاء

ثم انتقلت من دور المزل الى الجدّ وقالت : علينا ايتها العزيزة شغل شاغل في الجهاد الاكبر ، حتى لا يبقى بين الرجال من يفتكر مثل هذه الافكار ، و يقول مثل هذه الاقوال

ثم عادت الى طورها الاول وقالت : ان الشيخ في اثبات ان الرجل اصلح من المرأة في الفطرة عقلاً خلافًا لما قلتِ في كتابكِ قد نثرَ ايضًا دررًا . فقال في الصفحة ١٠٧ : ان الله تعالى خلق الانثى لتدبير شؤون المنزل ، وتدبيره لا يحتاج الى مدارك سامية . وخلق الذكر لفتح العالم ، وافتتاحه يحتاج الى عقل ارجح من عقل الانثى . وليست عناية المرأة بالصغار ، اصعب مطلبًا من اختراع الرجل بين وضع الخطط الحربية ، واختراع آلات الحرب ، الغازات السامة ، وقالت : ارأيتِ يا ايتها العزيزة كيف يثبت الشيخ الصلاح في عقل الرجال ؟ انه يثبته باختراعهم الغازات السامة لاتلاف ما تربّي النساء منهم

ولم تنل السيدة هذا ، الا عادت الى طورها الجدّي وكررت قولها : ان للنساء في الجهاد الاكبر ، كي ينصُرْنَ النفوس المرضية من الرجال على النفوس الامارة بالسوء ، شغلاً شاغلاً . كان الله عونهنّ

ثم فتحت الصفحة ٢١ من كتاب الشيخ وقالت بطورها الاول : ولله درّ الشيخ ما ابعد نظره !

حيث قال ولنقرأ ما قال : لا ادري لِمَ تتطلب النساء التضلّع من العلم ? ألتسد[1] فراغًا في السياسة تركهُ الزعيمان سعد باشا زغلول ومصطفى كامل باشا ? ام ليدهشنَ العالم بآيات غرُبت عن بال الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين الافغاني ? ام لإعزاز دولة القريض وبذ الشعراء الجهابذة البارودي وشوقي وابن بلك ناصر الدين ? ام لاكتشاف معجزات في الكيميا قصُر عن ادراكها باستور وابرلك ? ام للقيام بخدمات للادب العربي فاتت الشنقيطي واليازجي والمويلحي وارسلان ? ? ? ! ! !

وقالت واحرباه ! ان الشيخ يعتقد ان مَن ذُكر من الرجال ، قد اوصلوا البشرية الى ذروة الكمال ، فلم يبقَ للعلم والعمل مجال !

ثم فتحت الصفحة ١٠١ وقالت : قلتِ في كتابكِ ص ٦١ تحت عنوان (المسلم ليس اكمل من المسلمة دينًا وايمانًا ، فالرجل يخرق احكام الدين وبرأيي فيه) : «وقد لا يغيظ بعض الرجال ، على ما اسمع ، أن يرى مقنعةً ما داخلةً بيوت الفجور ، او خارجةً منها ، تجلب على الاسلام عارًا ، بقدر ما يغيظهُ أن يرى سيدةً سافرةً تسعى للكسب الحلال ، او للتكمّل العقلي والادبي في دور العلم والادب ، والفنّ والصناعة ، تُعدُّ نفسها بذلك لِضمان نفعها ونفعِ عائلتها وامّتها »

اما الشيخ فللّهِ درهُ ما اسمى مداركهُ واخلاقهُ ، اذ قال ص ١٠١ ردًا على قولكِ هذا قال : واما الكسب الحلال الذي تعنينهُ فان المسلمين في غنًى عنهُ ، فموارد الرزق ضاقت دون الرجال ، فكيف بالنساء ? !

ثم قالت : ان الشيخ لم يظهر براعةً واقتدارًا في الاحتجاج والاستنتاج فحسب بل اظهر في تتبعاتهِ وحكاياتهِ من الصدق والتدقيق ما يستوجب الثقة باقوالهِ والغبطة عليها !

فبينما حضرة الاستاذ الكبير الشيخ محمد بدر الدين النعساني يلقي دروس الآداب العربية في حلب نعتهُ الشيخ ص٩٣و٩٤ بالمرحوم

ثم قالت : ان الشيخ حكى في الصفحة ١٢ حكاية ذكر انهُ نقلها عن جريدة الفتح فقال : ومن اذناب الاستعمار هناك (فلسطين) امرأة اسمها جوليا (هي السيدة جوليا طعمه دمشقيه

---

(١) يريد الشيخ ان يقول لِيسددنَ ، وقد ذهل عن قواعد اللغو لانهُ غارق في قواعد الاجماع

صاحبة مجلة المرأة الجديدة في بيروت) القت خطبةً اظهرت فيها شفقتهـا على المرأة المسلمة ، فتأثرت من ذلك قرينة السيد زهدي ابي الجبين (هي السيدة سامية كريمة السيد بدر افندي دمشقيه) ولبِسَت قبعة فلما رآها زوجها بذلك الزيّ ذهب بها الى بيت ابيها وقال له خذ ابنتك الفرنجية فانها طالق ثلاثًا . فحيّا الله السيّد زهدي ابا الجبين

وقالت : حكى الشيخ ذلك حينما كانت السيدة سامية تسوح متنزّهةً مع زوجها في اوروبا والقبعة على رأسها

ثم قالت ان اخبـــار الشيخ سليم الصادقة اشبه بالخبر المعلن عنك يوم فوزك الباهر « بالبكالوريا » الفرنسية ، بالعلوم العالية والاداب اللغوية ، ذلك الخبر الذي نشرهُ بعض رفقائهِ المعارضين في نشرةٍ وزعوها في الجوامع والشوارع تحت عنوان « فوزٌ باهر للحجابيين انصار الفضيلة ، اندحارٌ مخجلٌ للسفوريين انصار الرزيلة . نظيرهُ زين الدين تسقط في الامتحان سقوطًا شنيعًا جدًا »

قالت السيدة هلاء فتبسّمتُ وتبسّمتْ ، وتحدّثتُ وتحدّثتْ ، حتى افترّت لنا ثغور الاماني والآمال ، بمستقبلٍ قريب ترَى فيهِ النساء ما ينشدنَ من صلاح لمن يحتاج الى الصلاح من الرجال

الفصل الثالث

اشواك الشيخ بين ورودهِ
يعرضها حجابيًا لدى اتباع الحجاب

وفيهِ

ثمانية عشر بحثًا

البحث الاول

في معالي دين الاسلام، واتهام الشيخ الفتاة بمرمَى طعنٍ فيهِ . انهُ استعمل كلمة مَرمَى لما مرَّ في نفسهِ من خاطر التضليل

قلتَ ، يا سيدي الشيخ ، في نظراتك ص ٢١و٢٢و٦٢ : ان مَرْمَى كتابي الطعن في دين الاسلام ، وحشر كثيرٍ من الآيات والاحاديث فيهِ جمعها بعض المشايخ المعمَّمين ، وانهُ ليس عليهِ مسحةٌ من حسن النيَّة . فيالكَ من صادقٍ للحقِّ ناقل ، ومخلص نيَّة !

انك يا شيخ لو وجدتَ في كتابي عبارةً يتسنى لك ان تعدها مظهرةً او مضمرةً سوء نيَّة ، او طعنًا في دين الاسلام ، لسارعتَ الى ذكرها للناس اشتفاءً من اوام الانتقام . ولكن اذ انهُ ما تسنَّى ، للشيخ ما تمنَّى ، مرَّ ما مرَّ في نفسهِ من خاطر التضليل ، فعمد الى استعمال كلمة مرمَى ، والى الرمي بسوء النيه ، ظانًّا ان مرمى الكتاب ، يخفى على اولي الالباب . وما كانت النيه

المضمرة في الجنان ، الا لتظهرَ بما يكتب القلم ، وينطق اللسان . وقد جاء في الحديث الشريف (ألا انّ الله تعالى لم يدلّ على الباطنِ الخفيِّ الا بظاهرٍ منه ، وناطقٍ عنه)

أوَالشيوخ المعمَّمون، ايها الشيخ غير المعمم، يجمعون الآيات والاحاديث للطعن في دينهم ؟!

اوَالآيات الكريمة والاحاديث الشريفة اداة للطعنِ في ذلكم الدين ؟!

اوَمرمى كتابي الطعن في ديني دين الاسلام ، ام اني أثبتُّ فيه للعالم أنّ القرآن مصباحُ الهدى ، ومنارُ الحكمة ، ودليلُ المعرفة ، وان التفكُّرَ فيه ، حياةُ قلبِ البصير ، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور ؟ ص ٣٠٩

أوَلستُ أنا من قالت ، ما قالت ، في كتابها :

« ان شمس الحرية لم تطلع من انحاء الغرب، ولا من اقصاء الشرق ، انما فينا طلَعت ، وعلينا بزَغت . وهذا كتابنا يرسل كالشمس فيما يرسل من انوار الهدى ، اشعةَ الحرية ساطعةً تملأ العالمين نوراً ، وهذهِ سنّة الرسول العربيّ ، صلّى الله عليه وسلم المخاطب في قوله تعالى (وإنّكَ لَعَلى خلقٍ عظيم) . انها لم تكن الا اشعةً من ذلك النور الالهي نالت المرأة المسلمة منها حظًّا موفوراً » . الى ان قالت :

« ولم يكن حجب الحرية عنا الا كما تحجب قطعةُ غيم نور الشمس . وهو أمرٌ عارض نشأ فينا عن تمويه عقول على عقول ، واجماد عقول لعقول ، حتى أثّر ذلك في العقول المموّهة والمجمدَة نفسها ، كما أثّر في العقول المموّه عليها والمُجمدَة . وانما التمويه والاجماد ، وكابوس الرمي بالالحاد ، ذلك ما أُلقي على البصائر والابصار ، حجبًا من الظلمات تحجب الانوار ، فكان فجر الحرية عندنا ، ورأدُ ضحاها عند غيرنا . غير اننا لا نكاد نرفع الحجب عن ابصارنا وبصائرنا ، حتى نرى الحرية في سمائنا ساطعة ، ومن كتابنا طالعة ، وما كانت هذه السماء للكتب المنزلة الا مهبطًا ، وما كانت لها هذه الارض الا مسقطًا ، وما من كتاب منزل بخس المرأة حقًّا ، وسام الحرة رقًّا ، فاتقوا الله في ان تجعلوا مطلع الهدى مظلماً ، ونصف الامةِ فيه مظلوماً . » ص ١٢١

أوَلست انا من اهابت بمعارضي الاسلام قائلةً : «ايها القائلون ان الاسلام مانع الترقي ، ارجعوا عن اقوالكم » ، وأثبتُ فسادَ زعمهم لانفيهُ اثباتًا ؟ ص ٣٠٩

أولستُ انا الفتاة التي قالت : « اني أُطلُّ على الاسلام من اعالي آيات الله واحاديث رسوله،

فاراهُ مستويًا على عرش العظمة ، والحرية ، والمساواة ، والعدل ، والخير ، والكمال . فينتعش قلبي ، وتكبر روحي حتى تكاد تخرج من صدري ، فعسى ان يطلّ من يدعون انهم حماة الاسلام ، وحملة لوائه الشريف من حيث اطللت ، فيرون ما قد رأيت ، ولا يُطلّوا عليه من خروق تفاسير ، وثقوب تآويل ، تريهم الاسلام في المكان الذي وضعته فيه تفاسيرهم وتآويلهم ، وهو يجلّ عن مثل ذلك المكان اجلالاً عظيمًا » ص ٩٠

امن مثل هذه الاقوال اقوالي في كتابي استدللتَ يا سيدي الشيخ على ان مرمى كتابي الطعن في ديني ، دين الاسلام ؟

*

أَوَلستُ تلك الفتاة التي قالت قول نبيها (دينُ المرء عقلُهُ . ومن لا عقلَ له لا دينَ له) ؟ وقالت : « ان العقل والدين متآزران متضامنان في الحق والخير لا يفترقان . لا امر في الدين القويم ، الاّ قبلهُ العقل السليم ، اذا أُفلتَ من القيود ، وتجرّد عن الاهواء ، وما استحسن مثل ذلك العقل امرًا الاّ كان منطبقًا على اصول الدين » ثم قالت

« فاسمعني الشيخ درسًا وجيزًا بدا لي شعاعًا من الهدى ساطعًا ، ثم شرع ابي يلقي عليّ دروسًا تلو دروس آنستُ فيها هدى كثيرًا ، ونورًا يلي نورًا . ففهمت كتاب الله ، وكتب الحديث الشريف ، وكتب الفقه والتفسير ، واطلقتُ للعقل حريتهُ في تعقلها ، فكان لي من كتاب الله وسنن رسوله انوارُ هدى في الحريّة وحرية المرأة وحقوقها تستخفي منها الشمس اذا طلعت » ص ٥٦

امن مثل هذه الاقوال اقوالي في كتابي استدللتَ ، يا استاذ التفسير ، على ان مرمى كتابي الطعن في ديني دين الاسلام ؟

*

اولست انا من ناجت ربها قائلة : « الهي جللتَ وتقدستَ . فالحكمة ، والنور ، والهدى في كتابك . وقد قدستَ الحرية تقديسًا . ولم يكن من ضلّ منّا الاّ ضعيف البصر ، او سالكًا طريق الشرك الاصغر ، وان عنوكَ لاكبر » ص ١٢

اولستُ تلك الفتاة التي قالت : « لم انسَ قط واجبي في استحسان ما حسّن الشرع ، واستقباح ما قبّح . ولكني اقول بصوتٍ عالٍ ، ان الشرع في عرف الفقهاء ليس كل ما قاله هذا وذاك منهم ، في احوال يعلم الله بها ، ولكن الشرع ما شرعهُ الله لعباده ، وإنْ هو الاّ

الكتاب والسنّة . فهما نبعتا الخير الخالص ، والحقيقة الصرفة ، وهما مصدر الانوار . فكل ما حسّناه حسن وكل ما قبحاه قبيح

« غير اننا اذا حسبنا كل قول من فقيه شرعاً صالحاً دون ان نردّ ذلك الى الكتاب والسنة ، ودون ان نرى دليلاً على ذلك القول ، فقد اشركنا الشارع في شرعه ايّ اشراك ، واختلط الحسن بالقبيح ايّ اختلاط. بل رجّحنا في كثير من الاحيان خطأ الناس ، على الصواب عينه ، وبِدَعهم ، على كتاب الله وسنة رسوله ، ودخلنا في فوضى لا يجوز ان نسلّم لانفسنا بالدخول فيها ، واتبعنا من لم يكن احق ان يتّبع خلافاً لقوله تعالى (أَفَمن يهدي الى الحقّ احقّ ان يُتّبع ام من لا يهدي الاّ ان يُهدَى . فما لكم كيف تحكمون) » ص ٢٦ و ٢٩

أَولستُ انا تلك التي قالت :

« لا أَلومك وحدك يا سيدي الرجل بل الوم الشرق كله ما دام محتفظاً بآفتين في قلبه : هما التقليد والجمود ، مسمّمتا الضمائر ومعميتا البصائر. هما التقليد والجمود المضحّيتان بقوى الارواح وجواهر السرائر ، في سبيل اشكال الملابس واعراض الظواهر. وارى ان اقدس واجب على كل ذي علم ونور ، واخي نخوة وحمية في الاسلام غيور ، ان يجاهد بكل ما اعطاهُ الله من قوة ، لمحق هاتين الآفتين ، حتى اذا تخلصنا منها انكشفت لنا تلك اللآلى والدرر المكنونة في شرعنا . انها لدرر ولآلئ تجعل الزمان مزداناً ، مرصعاً ، متلألئاً ، مستنيراً بها ، اكثر مما تزدان السماء بالشمس والقمر والنجوم ، مرصعةً ، متلالئةً ، مُنارةً بها » ص ٢٢١

أَمِن مثل هذه الاقوال اقوالي في كتابي استدللت يا سيدي الشيخ ، يا حسن النية ، ويا استاذ التفسير والآداب العربية ، على ان مرمى كتابي الطعن في ديني دين الاسلام ؟

*

وكيف تلومني يا سيدي الشيخ على تزييني كتابي بآيات الله واحاديث رسوله وتقول اني حشرت فيه منها كثيراً ؟ كيف تستكثرها يا سيدي الشيخ في كتاب الفتاة بعد ان قالت فيه « اني اسردها واعذروني ان اكثرت منها فهي درر ولآلئ من كتاب الله وسنة رسوله . وهل تُستكثرُ اللآلئ والدرر »

كيف تقول يا سيدي الشيخ ان مرمى كتابي الطعن في ديني دين الاسلام ؟

أَولست انا الفتاة التي قالت : « ان الامم باسرها تمرّ سراعاً الى الرقي والتكمل . فلا يصح

والحالة هذه ان نبقى في جمودنا القاتل ، او يبقى فينا هذا الجمود . ان ضرورة الحياة ، وتنازع البقاء يحكمان علينا بالسفور ، وترك التخدّر في الخدور ، لننال نصيبنا من الرقي والكمال . ومن يقف امام تيّار الانسانية الجارف الجاري متسارعًا الى اكتساب الحقائق والتكمل العقليّ والأدبيّ ، تدسه اقدام الطامحين الى نيل ذلك الهدف السامي . فلنشفق على انفسنا ، ولنترك الاباطيل والاوهام والتأويلات الضارة التي تعسّر علينا اسباب الحياة والسعادة فيها ، ولنعتمد مع تحكيم العقل النصّ الالهي ، والنصّ النبوي ، فهما كفيلان باسعادنا ، وباصلاح ديننا ودنيانا ، وبادراك ذلك المقام الخليق بالامة الاسلامية ، وبالمرأة في الاسلام »

أولست انا الفتاة التي قالت وقالت في كتابها ما جعل معارضي الاسلام يرون في آياته وسنته الحقّة ، باقة ازهار من العلم والخير ومكارم الاخلاق ، تبهر الناظرين وتسحر الالباب ، وتجمع القلوب والنفوس في الاعجاب ؟

اولست انا من قال في كتابها احد كبار المفكرين : لو بُعثَ اليوم غلادستون حيًّا ، ورأى كتاب السفور والحجاب ، لندم على قوله ذلك الذي ذكرهُ السيد عمر نجا في مقاله بالعهد الجديد عدد ٤٧٥ : « لا تستقيم حالة الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة المسلمة و يغطَّ به وجه القرآن » . ولقال بدلاً من قوله ذلك : « لا تستقيم حالة الشرق ما لم يرفع فيه كل حجاب سدل على وجوه معاني القرآن ، حتى لا يبقى في الشرق حجابٌ على عقلٍ ، ولا حجاب على وجه انسان ! »

كيف حللت يا سيدي الشيخ لقلمك ان يكتب ما كتب أنّ مرمى كتابي الطعن في دين الاسلام ، كأنما الاسلام ليس بديني ؟

انّى حللت ذلك وانا التي ختمت فاتحة كتابها بقولها : « اشهد انّ لا اله الاّ الله ، وبكتابه اعتصم ، وعليه اتكل ، وهو حسبي ونعم الوكيل ،

« واشهدُ ان محمدًا عبدهُ ورسولهُ ، ولسنته السمحة اتبع ، انها دليلي الى الخير والهدى ، ونعم الدليل »

فهل هذا يدل يا استاذ التفسير والآداب العربية ، على ان مرمى كتابي الطعن في دين الاسلام ؟

اتق الله ، اتق الله ايها الشيخ ! ان الاسلام ديني

*

يا حقّ !

اظهر يا حقّ من حجابك وتجلّ . أفِضْ على البصائر والابصار ، ما فيك من انوار .
أرِ الاسلام أن الفتاةَ مسلمة تراك بنور العلم ونور العقل والايمان ، ونور السنّة والقرآن .
ظهرتَ يا حقّ ، فاظهرْ على الباطل واحجب البهتان

البحث الثاني

في شرف المرأة ، وتنقيص بعض الشيوخ اياها ، واتهام الشيخ الفتاة بسهام سامة هو الذي رماها

يا سيدي الشيخ

ذكرتَ في كتابك ان من مرمى كتابي تنقيص المرأة المسلمة ، ووصمها بكل عار وشنار وجهالةٍ ودعارة ص ٥ ، وانه لم يكفني ان اغتنمت فرصة الدفاع عن المرأة المسلمة فقمت اشتمها وأصِمُها بكل خلقٍ سافل ص ٣٤ ، وأني قد طعنتُ المرأة المسلمة طعنًا دلّ على خبث وسوء طوية وقلة ادب ص ٦٩ ، وأني اسندتُ الى المسلمات فساد الاخلاق ، وارتكبت بذلك بهتانًا عظيمًا ، وان المسلمين يبرأون الى الله من التهم التي اصمهم بها او يصمهم بها مؤلفو كتابي كما تزعم ، ويردّون في وجهي ووجوههم المطالب الدنيئة ص١٢٤ ، وان من دسائس الكتاب زعم مؤلفيه ان المرأة المسلمة مظلومة ، مهضومة الحقوق ، محبوسة في قفص ، محجوبة عن النور والهواء في ظلمات البيوت ، لا تخرج منها الاّ الى القبور ؛ حتى حكموا بان المرأة المسلمة رقيقة يُجارُ عليها ، او حيوانٌ اعجم تُتخذ للقنية ، الى غير ذلك من الالفاظ السمجة القبيحة التي تقشعرّ منها الجلود ص ٤٣و٦٨

* * * * *

فيا سيدي الشيخ ، يا زعيم المعارضين ، ويا استاذ الآداب ، اتقِ الله اتقِ الله في ما تقول !
كيف تقول اني نقّصت المرأة المسلمة ، ووصمتها بكل عارٍ وشنارٍ وجهالةٍ ودعارة ؟

كيف انقِّص نفسي، وانقِّص اختي ، وهي عزيزة عليّ كنفسي ؛ تلك التي عرَّضتُ كرامتي لمثل سهامك السامة ، رفعًا للظلم عنها ، وضمانًا لحقها ، واعلاء لشأنها ، وفقًا لشرع الله وقواعد الاجتماع ؟

قلتَ يا سيدي الشيخ انك تردّ في وجهي كل ما قلتهُ انا في امر اختي . إني راضيةٌ بذلك . فكن راضيًا بان يُردّ في وجه حضرتك كل ما قلتَهُ انت في امرها

وقد تلوتَ يا سيدي الشيخ في كتابك ص ١٦٤ (أُنظر كيف يَفترُون على الله الكَذِبَ وكَفَى بهِ اثمًا مبينًا . إنّما يَفتَرِي الكَذِبَ الذين لا يؤْمنُون بآيات الله واولئك هُمُ الكاذبون . انّ الذين يَفتَرُون على الله الكذب لا يفلحون) . واني راضيةٌ بحكمِهِ تعالى ان لا يُفلح من افترى منا الكذب . فكن راضيًا انت ايضًا بحكمِهِ سبحانهُ تعالى

اوَلستَ انت القائل في كتابك : الاسلام روح المدنيــة :

« اما وقد فسدت الاخلاق ، واختلت الاعراق ، واعتلت النفوس ، فمن الضروري المحافظة على الحجاب على غلوّ فيهِ ، الى ان يقضي الله امرًا كان مفعولاً ص ٢٧٢ . — اننا مع هذا الحجاب الغليظ لا نأمن ما هو مخالف للدين والادب فكيف لو . . . . ؟ نعم ان المرأة المسلمة اليوم منحطّة جدًا من حيث العلم والادب عن درجة الرجل . ولا يُماري في ذلك الأ كل مكابر لم يرَ بصيصًا من نور الحق . ص ٢٧٤ . — اهل القرى والبادية لا يحجبون نساءهم لانهم لا ضرورة تدعوهم الى ذلك لصحة ادابهم ، وسلامة اخلاقهم . فهل اهل الحضر والمدنية ، وشبان العصر وكهولهم وشيوخهم وشاباتهم وسائر نسائهم مثل من ذكرنا ؟ كلاّ . — ان اكثر من يطالب برفع الحجاب واختلاط الجنسين يتوهمون امرأة كاملة في وسط كامل عارٍ عن النقائص . وانما هي امرأة جاهلة في محيط فاسد . » ص ٢٧٣

أوَليس ردّي في كتابي ، يا حضرة الاستاذ ، على مثل تحقيراتك هذه لاخواتي ، هو السبب الذي حرّك في نفسك الغضب ، فاتحفتنا بما أتحفتَ من مثل هذه الدروس في علم الادب ؟ !

اوَليس رفيقك في المعارضة السيد كامل النقي هو الذي قال في جريدة الاحوال عدد ٩٢٧١ : ما حالة المرأة المسلمة ، فلم يزل الجهل مخيماً عليها ، فان مُنحت الحرية والسفور ، وهي جاهلة ، خاملة ، خانعة ، لأساءت تلك الحرية ، ولأدّت بها حتماً الى التهتك ، والدعارة ، والفساد ، والاخلال بالشرف » ؟

اوليس زميلك الشيخ سعيد البغدادي هو الذي قال في رسالتهِ (السيف البارق في عنق المارق) : « ان سبب الطلاق هو من سوء اخلاق النساء ، وان المانع لهنَّ عما يرديهنَّ هو الزوج . فلو عَلِمَت النساء ان عقدة الطلاق موقوفة عليهنَّ ، لباشرنَ كلَّ رديئةٍ ، وفعلنَ كلَّ خزيهٍ » ؟

اتأملت في ما قلتم يا سيدي الشيخ ؟ اني استغفر الله لكم ما وصمتم بهِ اختي المرأة المسلمة ، راجية منهُ تعالى ، ان يطهِّر قلوبكم والسنتكم واقلامكم ويتزهها عن المثالب ، فلا يُرَدّ في وجوهكم الاَّ ما كان طاهرًا ونقيًّا *

يا سيدي الشيخ

اوليس مرمى كتابي كلهُ هو دحض مثل هذه المزاعم ، والرد على مثل هذه المثالب ؟

أَولستُ انا من قالت فيما قالت ص ٤١١ في ردها عليك : « عفوًا يا سيدي ، اني قروية ساكنة في المدن ، نظرتُ في اهل القرى ، ونظرتُ في اهل المدينة ، فلم أَرَ اخواتك المدنيات واخواتك المدنيين ، دون اخواتي القرويات واخواني القرويين ، في صحة الاداب وسلامة الاخلاق »

اولست انا من قالت فيما قالت ص٢٩٧ للشيخ سعيد البغدادي لما وصم النساء بسوء الاخلاق والخصال ، وقال انهُ لم يرَ مزيةً لهنَّ تحببهنَّ الى الرجال وترغبهم فيهن الا الجمال ، وانهُ لم يرَ دليلاً يبرزه الرجل على الحب لهنَّ الا الحجاب وجعلهنَّ في الخدور والحجال . اوَ لستُ انا من قالت لهُ :

« والفضيلة يا سيدي المرشد : الشرف ، الناموس ، كرم الخلق ، العفاف ، الحياء ، الاباء ، الوفاء ، الخلوص ، عزة النفس ، ادب القلب ، ادب اللسان ، خوف الله ، الامانة ، النزاهة ، الاستقامة ، الرأفة ، الحلم ، الرصانة ، البر ، التقوى ، الطاعة ، حسن التدبير ، محبة الاهل ، محبة الوطن ، محبة الامة ، حب الخير العام ؟ اوكل هذه الفضائل في النساء لا شيء ؟ اوَلا تستحق النساء من اجلها شيئًا من الحب الخالص لهنَّ ، ومن الرغبة فيهنَّ ؟ أَم ان تلكِ الفضائل كلها من خصائص الروح لا يهمُّك ، بل انما الذي يهمُّك في النساء جمال الجسد وحدهُ ؟

« وإن كان الحجاب دليل الحب فلماذا لا تسمح للمرأة ان تبرز الدليل على حبها رجلها بحجبهِ كما ابرزهُ هو بحجبها ؟

« اولا نفهم المرأة من تحجيبها ، عدا الرغبة فيها من اجل الجمال ، ضعف الثقة بها كأنما رجلها يراها عارية عن فضائل النفس التي تصونها من الزلل ؟ » الى ان قالت :

« وبعد سنين عدة عندما ترى يا سيدي المرشد ، المسلمات سوافر ، مستغنيات وفقًا لارادته تعالى عن نقابهنّ ، بشرفهنّ ، وحيائهنّ ، وعفافهنّ ، وعزّتهنّ ، ماذا تقول ؟ هل تعدّهنّ كلهنّ ملحدات ؟ ان هذه الفكرة الصالحة زُرعت في قلوب الامة فلا بد لها من ان تثمر ويعمّ زرعُها وانتاجها . ان مرماها سعادة الامة ، والبقاء في التنازع . وانما البقاء للاصلح . »

يا سيدي الشيخ الغلاييني

هذا بعض ما قالته الفتاة المسلمة في المسلمات . فتأمل ، وليتأمل من يتأمل ، في ما ذكرته لهنّ من المحامد والصفات . واخرج ، بعد ان تبين الحق ، من صف الرماة ، وامحُ السيئات بالحسنات ، ولنلبس الماضي ونلتفت جميعًا الى ما هو آت

*

يا سيدي الشيخ الغلاييني

كيف حلّلت لنفسك الافتراء عليّ فقلت اني نقّصتُ ، في كتابي ، المرأة ؟

أوَلست انا من قالت ما قالت في الصفحة ٢٩٧ وما يليها في ردها عليك تحت عنوان (ليس النساء مصدر الشرّ اكثر الخير فيهنّ)

« يا ويحَ الرجل ، ويا لقلة عدله . ليت شعري ، أكان اتيلا ، تيمورلنك ، جنكيزخان ، نيرون ، يزيد ، وامثالهم من الاشرار الظلمة نساء ام رجالاً ؟

« ليت شعري ، أكانت الملايين من قتلى الحروب ، واشكال الويلات والخراب والدمار والآلام والشرور في البلدان والشعوب ، من ضحايا المرأة الرؤوف الحنون ومن آثار اعمالها ، أم من ضحايا نفس الرجل القاسية ومن آثار اعماله ؟ ذاك الرجل القاسي الغاوي الذي داس الحقوق حتى حقوق امهِ التي ولدته وربته ، وحبسها وستر وجهها ومنع النور عن عينها ، والهواء عن صدرها ، وكسَرَ قلبها ، مسندًا اليها نقص العقل ونقص الدين ، وانها مصدر الشرّ للانسان . ان المرأة يا سيدي . لم تشتغل في تلك الشرور والحروب ، ولم تشترك فيها الاّ بتضميد الجراح ، وتخفيف الآلام ، وحقن الدماء ، بما وهب لها الله من صفات النفس المرضية . ولكن لا بد لروح المرأة – وقد اخذت تتحرر في العالم السافر الراقي ، وستنال حريتها كاملةً مع الزمان – في

كل مكان – لا بد لها ان تنصر روح الرجل في الجهاد الاكبر ، ضد النفس الامارة بالسوء والشرّ ، فيتحد الروحان ، حاملين لواء السلام والحرية ، ثائرين على ما بقي في الارضين من آثار الهمجية ، فيسبك العالم كله مدافعهُ ، وقنابله ، وسيوفهُ ، وحرابهُ ، وبنادقهُ ، وآلاتِ تدميرهِ ، آلاتٍ زراعيةً ، و(ماكنات) صناعية ، وطرقًا حديدية ؛ وتُصبح الدائرةُ الارضية ، ولكل امةٍ او نفس فيها دائرةٌ من الاستقلال والحرية ،حدودها أمنع بقوّةِ القانون من الحصون القوية . حينئذٍ يعلو صوت الانسان صارخًا أنا أنا، أنت أنت لا مستعبِد ولا مستعبَد ؛ ويبطل ذاك القول الظالم (من لا يَظلِمُ يُظلَم) ؛ ويبطل التغلُّب والتسلُّط والتحكُّم ؛ ويبطل ان يكون الحق للغالب ، والويل للمغلوب ، والقول للسيف والمدفع ؛ ويبطل ان يكون هتافُ الناس للقاهر ، والسجود للمتكبّر ، والعبادة للشرّ ؛ وتُرفع غاية السلم العام الكبرى ، فوق مصلحة النفس ، والاسرة ، والدين ، والامة ، والجنس ، وفوق كل مصلحة خاصة ، تفرِّقُ الانسان عن اخيهِ الانسان ؛ ويرتبط الافراد والامم بعرى الآخاء والمساواة ، وبقانون عامٍّ واحد ، وحكمٍ مشتركٍ واحد يَسُودُ في الشرق والغرب كل امةٍ وكلَّ نفسٍ رجلاً وامرأة على السواء ؛ وتُحَلُّ الاختلافاتُ بالشرائع لا بالمدافع ؛ وتنيرُ الحرية العالم ، ويسودُ الخيرُ والصلاح فيهِ ؛ ويبطل ان يكون الحياء والخجل من العار والعيب مختصين بالنساء ؛ ويستوي الرجل والمرأة بالرأفة والحنان ، على بني الانسان ؛ وتُخزَى النزعات الى الحروب ؛ وتُكرَه البطولة والسياسة الساكرتان بالدماء ، السائرتان بالخلق نحو الفناء ، كما يُكرَهُ الوباء ؛ ولا يتذكر الناس اذ ذاك حكايات الآكلين حقوق الانسان،الاّ كما يتذكرون – على قول الشاعر التركي – حكايات العفاريت والغيلان

«ان ذلك الخير كله ستلدهُ للعالم حرية المرأة ، والانتصار في الجهاد الاكبر . انها الام والبنت والاخت الحنون الرؤُوف لابناء البشر

« إنّا لقّبنا العصر الماضي بعصر الكهرباء ، فلا ريب ان احفادنا يلقبون عصرنا المقبل بعصر النساء . وكل من يستقري ويرى ، ولا سيما بعد الحرب الكبرى ، يقظة النساء ونهضتهنّ في العالم السافر الراقي ، ومساعيهنّ واعمالهنّ في سبيل الخير والصلاح والسلام ، يستشرف الزمن الآتي فيقضي بان ما اقول ليس من الرُؤَى والاحلام ، انما تلك اماني النفوس الخالصة رضية ، تحققها الايام

« يا سيدي الشيخ ، انما السجون وضعت للاشرار ، يعاقبون فيها بسلب حريتهم ، فأيّ من الجنسين كَثُرَ عددُهُ فيها ، يُحكَم عليه بانه الاكثرُ شرًّا . أفلا ترى نسبةَ النساء للرجال في السجون تقلُّ عن نسبة واحد للمائة . فعلام تستحسن الحرية للرجال ، وتستقبحها للنساء ؟

« يا سيدي الشيخ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رزَقَهُ الله امرأةً صالحةً فقد أعانَهُ على شطرِ دينه . فليتقِ اللهَ في الشَّطرِ الآخر » فكيف تعد المرأة مصدر الشرّ ؟

« يا سيدي الشيخ كيف تقول : « ان النساء مصدر الشر على الانسان ؟ أنسيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجنّةُ تحتَ أقدامِ الامّهات » ؟

« أنسيتَ خديجةَ أمَّ المؤمنين ، اول من آمن بنبيّنا صلى الله عليه وسلم ، وانارت فجر دعوته النبوية ، وكانت له في اول رسالته العضدَ المتين ، والنصوح الامين ؟

« كيف تقول ان النساء مصدر الشرّ على الانسان ؟ أنسيتَ ان النساء آمنّ بالنبي صلى الله عليه وسلم ، قبل ان آمَنَ به الرجال ؟ أنسيتَ أنّ الرجال كانوا يضعون في طريق النبي صلى الله عليه وسلم حَطبًا وشوكًا ويرمونه بالرماد ، وكانت النساء نساؤهم يحطنَ به كالملائكة الحافظين ، فمنهنّ من رفعنَ الحطب والشوك من طريقه ، ومنهنّ من نفضنَ الرماد عن رأسه ، ومنهنّ من ربطنَ جراح رجليه ؟

« أنسيت انه يوم كان سيدنا عمر رضي الله عنه ، متقلدًا سيفه مفتشًا عن الرسول ليقتله كانت اخته فاطمة بنت الخطّاب مصلّيةً تترنّم بآيات الله ، وهي التي كانت سبب اسلامه ، فصار سيف الاسلام القاطع ؟

« ومن خلّص موسى عليه السلام من الموت ؟ اوليس امرأة هي ابنةُ فرعون ؟

« ومن كان اول من آمن بموسى عليه السلام ؟ اوليس امرأة هي آسية بنت مزاحم ، وهي التي أصرّت على ايمانها بالله فارتدّ رجلها فرعون يديها ورجليها الى اربعة اوتاد ، ثم امر ان تُلقى عليها صخرة عظيمة وهي تقول (ربِّ ابنِ لي عندَكَ بيتًا في الجنة) ؟

« وكيف تقول ان النساء مصدر الشرّ على الانسان ، ومنهنّ مريم العذراء وفاطمة الزهراء ، وام المؤمنين خديجة ، وعائشة الحميراء ؟

« كيف تقول ما تقول والنساء قد ولدنَ الانبياء ؟ واذا قلت للانبياء والدون كما لم والدات ، فلا تنسَ سيدنا المسيح عيسى عليه السلام ، وقد امتثلت به امّه مريم العذراء تلك المطهرة

المصطفاة ، سيدة النساء وخير الامهات »

فيا سيدي الشيخ ، يا زعيم المعارضين ، كيف يسَّرتَ لنفسك ان تفهم من مثل ما نقلتُ عن (السفور والحجاب) لمن لم يقرأوا ذلك الكتاب ، ما فهمتَ ، فزعمتَ ما زعمتَ ، وقلتَ اني نقَّصتَ المرأة ؟

كيف حللت لنفسك ان تقول اني طعنتُ في كتابي المرأة المسلمة طعنًا دلَّ على خبثٍ وسوء طويَّةٍ ، وقلة ادب ؟

امكذا تكون المجادلة بالتي هي احسن وفقًا لارادتو تعالى ؟ قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم (ما أكرَمَ النساء الاَّ كريم ، وما أهانهُنَّ الاَّ لئيم) . أبمثل هذا تثبت انك كريم تابع سنّة الرسول ، وقد بعثهُ الله تعالى لتتميم مكارم الاخلاق ؟

* * * * *

لنتابع الآن يا سيدي الشيخ عرضَ ما قالت الفتاة او ما الفتاة روت ، وما قال الشيوخ المعارضون الرماة او ما رووا من اقوالٍ واحاديث في المرأة . اعرضها لدى قضاة الاجتماع في العالم من سادةٍ وسيدات . ولهم ان يقابلوا بين اقوال الفريقين ، ليُعرف صديق المرأة من عدوها ، ونصيرها من خصمها ، ومكرِمُها من محقِّرها ، وأن يقابلوا بين الخطتين ، خطة هذهِ الفتاة ، وخطة معارضيها الشيخ الغلاييني ورفقائهِ الرماة ، ليحكموا لها او لهم بحسن القصد والنية ، وسلامة الطوية ، وشرف المبدإ والمطلب ، واختيار الخير ووفرة الادب

فيا ايها السادة والسيدات *

انا من قالت ص ٨٩ في بحث (المرأة اصلح من الرجل في الفطرة عقلاً . هو يرجحها بالقوة الجسديَّة وهي ترجحهُ بالنفس العاقلة المرضيَّة) انا من قالت :

«الى الامام يا سادتي الى الامام في الجهاد الاكبر ، حتى لا يبقى في النفوس من تلك العادات القديمة الظالمة المضرَّة اثر ، فيُعقَد للنفس المرضيَّة والعقل الصالح لواء الظفر ، فتكون ارواح الملائكة سائرةً بينكم تبثُّ الخيرَ والصلاح في البشر»

وانا من قالت ص ١٢٢ في بحث (تأثير النساء في المجتمع بقدر ظهورهنَّ فيهِ) :

«جرّبوا يا سادة جرّبوا . أدخلوا سيدةً سافرةً جليلةً على السكارى يصحوا ، ادخلوها على غوغاء الناس يصلحوا ، ادخلوها على مجلسٍ في فوضى يتنظم ، ادخلوها على لسانٍ بذيءٍ ينصرم ، اشركوها في اعمالكم ومجالسكم وأنديتكم يسُدْ فيها الصلاح ، والنظام ، والادب ، والوقار»

انا من قالت ذلك

اما هم فيما رووا فيها رووا من اقوالٍ غير صحيحة واحاديث موضوعة :

«المرأةُ عورةٌ يُستحيى منها كما يُستحيى من العورةِ إذا ظهرَت» . — و«اتّقوا الدنيا ، واتّقوا النساء ، فانّ ابليس طلاّعٌ رصّاد ، ومَا هو بشيءٍ من فخوخه بأوثقَ لصيدهِ في الاتقياء ، من النساء» . — و «اتّقوا فتنةَ النساء ، فان اولَ فتنةٍ بني اسرائيل كانت في النساء» . —

(القول الصواب في مسئلة الحجاب . ص٥ و٦ و٩) . وكشف النقاب عن اسرار كتاب السفور والحجاب . ص٤٦ .

ايها السادة والسيدات *

وانا من قالت فيما قالت تحت عنوان (نداء الى شباب المسلمين في الاقطار العربية) :

«الى الامام ، يا اخواني الى الامام ، وركب الامم المتدافعة تمرُّ في طرق التطوُّر والرقي سراعًا لا تنتظر . اذا كانت اخواتكم لم يجاهدنَ معكم بالسيف ، ايام كان السيف ، الجهادَ الاصغر ، فاحرِ بهنّ ان يجاهدن معكم بالعلم والادب ، والعفاف والشرف ، الجهاد الاكبر . أطلقوهنّ معكم . انهنّ في هذه الحلبات السبّاقات . أطلقوهنّ معكم . انهنّ ليمثّلنَ المثل الاعلى في هذا السباق ، بجياد العواطف وكرائم الاخلاق ، بالعلم والادب ، والعفاف والشرف»

انا من قالت ذلك

اما هم فقد رووا فيما رووا من تلك الاحاديث :

«إنَّ مِنَ النساء عيًّا وعورَة . فكفّوا عيّهنّ بالسكوت ، ووَاروا عورَتَهنّ بالبيُوت» . — و «استعينوا على النساء بالعري . فانّ احداهُنّ ان اكثرَت ثيابها ، واحسنت زينتها ، أعجبَهَا الخروج» . — و«المرأةُ عورةٌ فاذا خرَجَت استشرَفَهَا الشيطان» . — و«ليس للنساء نصيب في الخروج الاّ مضطرّات ، وليس لهنّ نصيبٌ في الطرق الاّ الحواشي» .

القول الصواب ص٩ و ١١ و ١٢ *

ايها السادة والسيدات

وانا من قالت ص ١٧٧ في بحث (مساوىء التقليد والعادة)

« ويا لتعسنا اذا لم نرَ امهاتنـــا ، وزوجاتنا ، وبناتنا ، واخواتنا ، يمشينَ معنا بجُبهاتٍ وضّاحة، في طريق الحرية والشرف والجد، والتكمُّل العقليّ والادبيّ » . — الى ان ناجت ربها قائلةً : — « ربّي ، قبل أن تتوفّى الروح مني ، متّع عيني ان تشهدا ، واذنيّ ان تسمعا، ان فتيانَ المسلمين وفتياتِهم ، الاخوة والاخوات ، كلا الفريقين المثل الاعلى في الاخلاق والاداب ، كلاهما سافر، يبادل الآخر الاحترام فكرًا وقولاً وفعلاً ، وكلٌ آخذٌ بيد الآخر ، يسيران في طريق المجد بوجوهٍ طافحةٍ بماء المروّة والحياء، لامعة بنور الفضيلة والعفاف »

وانا من روت الحديث الشريف « النساء شقائق الرجال »

اما هم فقد رووا فيما رووا من تلك الاحاديث :

« ما من صباحٍ الا وملكان يُناديان ويلٌ للرّجال مِنَ النساء ، وويلٌ للنساء من الرجال » . — و« الشّباب شعبةٌ من الجنون ، والنساء حبالةُ الشّيطان » . — و« لئن يزحَمْ رجلاً خنزيرٌ متلطخٌ بطين او حَمأة ، خيرٌ له من ان يزحَمَ منكبهُ ، منكبُ امرأةٍ لا تحل له » القول الصواب ص ٥ و ٩ و ١٧ *

ايها السادة والسيدات

وانا من روت الحديث الشريف الصحيح : « برّ أُمّك ، ثمّ أُمّك ، ثم أُمّك ، ثم أَباكَ . ثم الأقربَ فالأقرب . واذا دَعاكَ أَبواكَ فأَجب أُمّك . إنّ الجنّةَ تحتَ اقدامِ الامّهات »

وانا من تلت الآية الكريمة : « وبالوالدين احسانًا »

اما هم فقد رووا من تلك الاقوال والاحاديث :

« لولا أُمُّنا حوّاء لم تخن أُنثى زوجها » المدنية والحجاب ص ١١٨ . — و« المرأةُ تقبلُ بصورةِ شيطانٍ وتدبِرُ في صورة شيطان » القول الصواب ص ٩ . — و« رُوي عنهُ صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال : أُريتُ النارَ ، فاذا اكثرُ أهلها النساء يكفرنَ ، قيلَ يا رسولَ الله أَيكفرنَ بالله ؟ قال يكفرنَ العشير ، ويكفرنَ الاحسان . ولو احسنتَ لاحداهنّ الدّهرَ ، ثم رأت منك شيئًا قالت : ما رأيتُ منكَ خيرًا قطّ . وحيث انهنّ نشأنَ بالنسبة الى الرجال ضعيفات ،

فهنَّ يستعملنَ ما يستعملهُ كلُّ ضعيف، من المكر والخداع والحيلة ، لاجل الوصول الى اغراضهنّ»
رسالة الشيخ علايلي ص ٤

*

ايها السادة والسيدات

وانا من باركتْ شفتيها (ص ٢٠٥) وما يليها . بتلاوة عشر آيات بيّناتٍ من كتاب الله ، وخمسة وعشرين حديثًا شريفًا توجبُ تعليم المرأة مثل تعليم الرجل في المدرستين : المدرسة والعالم . وانا من أثبتت أن النساء اسنَ دونَ الرجال ، وأنهنّ مثلهم في العقل والدين والحق وطلب الكمال . وانا من انشدت ص ١٧٣ من تحية شوقي المسلمات او سلامه عليهنّ :

قم حيِّ هـذي النيراتِ حيِّ الحسانَ الخيراتِ
واخفِض جبينَك هيبةً للخُرَّد المتخفّراتِ
مصرٌ تجـدِّد مجدَها بنسائها المتجدِّداتِ
النافراتِ من الجمو دِ كأنّه شبحُ المماتِ
هل بينهنّ جوامدًا فرقٌ وبين المومياتِ

وانا من اخذت منها ص ٢٩٨ في ردِّها على الشيخ البغدادي

هـذا مقامُ الامهـا تِ فهل قدرتَ الامهاتِ
لا تلغُ فيه ولا تقل غـير الفواصل محكماتِ
واذا خطبتَ فلا تكن خطبًا على شرفِ الفتاةِ

وانا من رتّلت منها صفحة ٣٠٢ في ردِّها على الشيخ الازهريّ :

هـذا رسولُ اللهِ لم ينقصْ حقوقَ المؤمناتِ
العلمُ كانَ شريعةً لنسائهِ المتفقّهـاتِ
رضنَ التجـارة والسيا سة والشؤونَ الأخرياتِ
ولقد علتَ بناتـه لجج العلوم الزاخراتِ
كانت سكينة تملأ الدُّ نيا وتهزأ بالرواةِ

الرماة او ما رووا من اقوال واحاديث في المرأة ، معروضة لدى الامة للنابلة والحكم . — وفيها ما فيها من العبر لاولي النظر

روث الحديثَ وفسّرت آيَ الكتابِ البيّناتِ
وحضارةُ الاسلام تنطقُ عن مكان المسلماتِ
بغدادُ دار العالماتِ ومنزلُ المتأدباتِ
ودمشقُ تحت اميّةٍ امُّ النساء النابغاتِ
ورياض اندلسٍ نَمَيْنَ الكاتباتِ الشاعراتِ
اللهُ انبتهنَّ في طاعاته خيرَ النباتِ
يَبْعَثْنَ في الفتيانِ من روح الشجاعة والثباتِ
فاتينَ أطيبَ ما أتى زهرُ المناقب والصفاتِ
ووجوهُهنَّ وماؤُها سترٌ على المتجمّلاتِ

أما هم فقد رووا من تلك الاحاديث :

« لئن يمتلئْ جوفُ احدكم قيحًا ، خيرٌ من ان يمتلئَ شعرًا » (كشف النقاب عن اسرار كتاب السفور والحجاب ص ٢٧٤ . — و « ليس للنساء سلامٌ ، ولا عليهنّ سلامٌ » . القول الصواب ص ١٣ . — و « لا تعلّموهنّ الكتابةَ ، وعلّموهنّ الغزل » . — و « مرّ لقمانُ على جاريةٍ في الكُتّاب ، فقال : لمن يُصقَلُ هذا السيف ؟ وقالوا : أخرجَ الترمذيُ الحكيمُ من هذا الحديث أنّ فيه اشارةً الى علة النهي عن تعليم الكتابة . وهي ان المرأة اذا تعلمتها توصلت بها الى اغراضٍ فاسدة ، وامكن توصل الفسقة اليها على وجه اسرع وابلغ واخدع من توصلهم اليها بدون ذلك . لان الانسان يبلّغ في كتابته من اغراضه الى غيره ما لم يبلّغه رسوله ، ولأنّ الكتاب أخفَى من الرسول . فكانت أبلغَ في الحيلة ، وأسرعَ في الخداع والمكر . فلاجل ذلك صارت المرأة بعد الكتابة كالسيف الصقيل الذي لا يمرّ على شيء الاّ قطعه بسرعة . كذلك هي بعد الكتابة تصير لا يُطلب منها شيء الاّ كان فيها قابلية الى اجابته اليه على ابلغ وجه واسرعهُ » . (رسالة الشيخ ابراهيم القاياتي الازهري) . وقد رددت على ذلك في كتابي ردًّا مبينا . واثبتُّ ان الترمذيّ بمثل هذا القول ليس حكيماً ولا فطينا . ص ٢١٧

ايها السادة والسيدات

وانا من انشدت ص ١٥٦ ما قالهُ الفيلسوف الزهاوي

للمرأة الفضلُ في العمران نشهدهُ لولا تقدّمهـا ما تمّ عمرانُ
فانهـا هي للابنـاء مدرسةٌ وانمـا هي للآباء معوانُ
وانما هي للمفجوع تعزيةٌ وانمـا هي للمحزون سلوانُ
وانها الروض مطلولاً له أرج وانهـا لجنى الاثمارِ بستانُ
وانهـا تارةً نارٌ قد اتقدت وانهـا تارةً روح وريحانُ
وان اصلاحهـا اصلاح مملكةٍ وان اهمالها موت وخسرانُ
يأبى تأخرَهـا قوم لهم شمم وبالرقيِّ لهم دين وايمانُ
لا يرفع الشعب من اعماقٍ وهدتهِ الا رجالٌ اولو عزمٍ ونسوانُ
الخير في ان يعز المرء صنوتهُ والشرُّ ان يهضمَ الانسانَ انسانُ

اما هم فما انشدوا :

ان النساء شياطين خلقن لنا اعوذ بالله من شر الشياطين

*

ايها السادة والسيدات

وانا في ردّي على الشيخ الغلاييني في بحث (ان المرأة لا تطلب الا ما خوّلها شرع الله من الحرية والحقوق) قلتُ ما قلت :

« يا سيدي الشيخ . اظن ان ما ذكرتهُ كافٍ ليعرف السبب الذي من اجلهِ تطلب المرأة حريتها . انها تطاب حريتهـا استعداداً لايفـاء هذه الوظائف السامية ، وتوسلاً لقضائها كما تقضيها سيدةٌ حرّةٌ حقًا ؛ انهـا تطلب حريتها في فكرها وارادتها وقولها وعملها لتفتكر في الخير وتريده وتقولهُ وتعملهُ

« قال الشاعر المعروف الشيخ امين تقي الدين

« هذي البلاد ولن تقوم بنهضةٍ حتى تريدَ السيداتُ قيامهـا »

« اجل ان المرأة تريد حريتها ، لتظهر ارادتها في نهضة الامة وقيامها ، وأحسبني قد

أثبتُ تلك الارادة ، ارادة المرأة

«ان المرأة المسلمة ، تنهض وتستنهض الرجل ليسير واياها الى الحرية ، الى الامام ، والى النور ، حيث الخير والصلاح والرقي والسعادة . فعسى ان لايقف الرجل ويستوقف المرأة ، فيستوقف امته في الخمول والظلام

« المرأة المسلمة تحكمّ العقل وتدعو الامة الى النهوض في اتباع القرآن والسنة . فعسى ان لايدعوها الرجل الى الجمود في اتباع ما يخالفهما من اقوال بعض الفقهاء

«ان المرأة المسلمة ترمي الى توحيد الفرق الاسلامية ، ولا يضمنه الا الرجوع الى الكتاب والسنة ، مرجعي فرق الاسلام كلها . فعسى ان لايرمي الرجل الى ابقاء التفريق ، ولا يبغيه الا متابعة السير على اقوال بعض الفقهاء

«قال السيد المسيح (أتيتُ لأُلقيَ حربًا لا سلامًا) . ولم تكن حرب السيد المسيح – وهو الواضع اساس التآلف والسلام والتآخي بين الناس — الا ضدّ ما ضرّ وما فسد من التقاليد والعادات والتعاليم والاقوال ، انتصاراً للمبادىء القويمة والتعاليم الصحيحة في الكتب المنزلة . فان تُحسب نهضة الفتاة المسلمة حربًا معلنة ضدّ الفاسد والضار ، فليس ذلك الا جهادًا اكبر اتبعت فيه كلام الله ، وسنة سيديها محمد والمسيح انتصارًا للصلاح والسلام »

انا من قالت ذلك

اما هم فقد رووا ، فيما قالوا ، من تلك الاحاديث ما يأتي :

« اللهمّ اني أعوذُ بك من فتنة النساء ، واعوذُ بك من عذاب القبر » — و« النساء حبالة الشيطان » — و« إني أخاف من النساء اكثر مما أخاف من الشيطان »

القول الصواب ص٦ و ١١

*

ايها السادة والسيدات

وانا من روت ص ١٨٥ الحديث الشريف الصحيح

« العبدُ كلما ازداد للنساء حبًا ازداد في الإيمان فضلا »

اما هم فقد رووا من تلك الاحاديث :

« لولا النساء لعُبِد الله حقًا حقا » . — و « لولا النساء لعُبِدَ الله حقَّ عِبادته » القول الصواب ص ١١

وانا من روت ص ٨٦ الحديث الشريف الصحيح : « ان لله عمالاً في أرضهِ والمرأةُ من عمال الله »

اما هم فقد رووا من تلك الاحاديث « ما أخاف على أُمتي فتنةً أخوف عليها من النساء والخمر » القول الصواب ص ٩

*

ايها السادة والسيدات

وانا من روت ص ٢٨٨ في معارضتي الشيخ الغلاييني تحت عنوان (لا محل للخوف من حرية المرأة واستقلالها . انهما حقان حقيقان بها) الحديث الشريف الصحيح « إمرأةٌ صالحة خيرٌ من الفِ رَجل غيرِ صالح »

وانا من رَوَت ص ٧٥ في بحث (المرأة اصلح من الرجل في الفطرة عقلاً) الحديث الشريف الصحيح : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حُبوا أولادَكمُ الذُكور » قالوا : والاناثُ يا رسول الله قال : « لا حاجةَ الى أن يُوصيكم الله بالحُبِّ لهُنَّ ، فهنَّ يحبِّبن أنفسهن اليكم بصلاَحِهن وحنانهن »

وانا من استعارت ص ٨٧ لسانَ النبي الحكيم سليمان بن داود عليهِ السلام في مدح المرأة وروحهـا المرضية حيث قال عليهِ السلام في امثالهِ في التوراة : « المرأة الفاضلة فيمتها تفوق اللآلئَ . تصنعُ خيرًا لا شرًّا كلَّ ايام حياتها . تبسطُ كفيها للفقير ، وتمدُّ يديها الى المسكين ، سراجها لاينطفئُ في الليل ، وتشتغل بيدين راضيتين . زوجها معروف في الابواب بين مشائخ الارض . العزُّ والبهاء لباسها ، وتضحك على الزمن الآتي . تفتح فمها بالحكمة ، وفي لسانها سنن المعروف ، فلتمدحها أعمالها في الابواب »

اما هم فقد رووا من تلك الاحاديث « مثَل المرأة الصالحة في النساء كمَثَل الغراب الأعصم الذي إحدى رجليهِ بيضاء » القول الصواب ص ٢٨

ورووا : « وجدتُ بين الفِ من الرجال صالحًا اما بين النساء فلم اجد صالحة »

جريدة الاقبال تاريخ ٧ ايار سنة ١٩٢٨ . والمدنية والحجاب ص ١١٢

فقلتُ لهم : ان رجال الامة ليسوا الا ثمار امهاتها . وقد جاء في الانجيل « الشجرةُ الصالحةُ تثمر ثمارًا صالحة » . فعلام تنكرون الصلاح في امهاتكم ، وانتم ثمار تلك الامهات ؟

*

ايها السادة والسيدات

وانا من روت ص ٨٥ الحديث الشريف الصحيح « أكثرُ الخير في النساء » ، والحديث الشريف عن حجة الاسلام الامام الغزالي « السلامة فيهنَّ اكثر ، والثواب أجزل »

اما هم فقد رووا من تلك الاحاديث « ما تركتُ بعدي فتنةً اضرَّ على الرجال من النساء » رسالة الشيخ علايلي ص ٤ ، وكشف النقاب عن اسرار السفور والحجاب ص ٤٧

ورووا : « ان أطاع الرجل زوجتهُ حلَّ بالأمةِ البلاء » القاياتي الازهري ص ٦٧

اما الشيخ الغلاييني فقد قال في كتابهِ الاسلام روح المدنية ص ٢٥٧ ناظمًا

ان حادثٌ يومًا أهمك شأنهُ وجهلتَهُ فابحث عن النسوانِ
اني رأيتُ الشرَّ الا قلّهُ منهن مصدرهُ على الانسانِ

*

ايها السادة والسيدات

وانا من روت ص ٤٠٠ في معارضتها الشيخ الغلاييني تحت عنوان (ليس النساء مصدرَ الشر . اكثر الخير فيهن) : الحديث الشريف الصحيح : « مَن رزقهُ الله امرأةً صالحةً ، فقد اعانهُ على شطرِ دينهِ . فليتقِ الله في الشطر الآخر »

اما الشيخ الغلاييني فقال ص ١٠٨ لولا حواء لما نزل بنا البلاء ، ولما لاقينا الشقاء .

واما هم فقد رووا فيما رووا من تلك الاحاديث : « أعدَى عدوِّك زوجتُكَ التي تضاجعك » كشف النقاب عن اسرار السفور والحجاب ص ٢٩

ورووا : « ان المرأة خلقت من ضلعٍ لنْ تستقيمَ لك على طريقة . فان استمتعتَ بها استمتعتَ وبها عوج . وان ذهبتَ تقيمها كسرتها ، وكسرُها طلاقها » . وزادوا

تفسيراً لذلك ؛ « واما تشبيهها بالضلع فهو اشارة الى اعوجاج اخلاقهن وعدم امكان استقامتهن » . رسالة الشيخ علايلي ص ٣٢ ، وكشف النقـاب عن اسرار السفور والحجاب ص ٤١

ورووا « ان المرأة آنيةٌ او وعاء اذا قضيتَ حاجتك منهُ أهملتهُ ، واذا انسخ او تشعّثَ ، ألقيتَهُ واطّرَحتهُ » . (مما استشهد بو صاحب الاهرام في مقالهِ دمشق تحت الحصار عدد ١٥٦١١)

قالوا ذلك لانهم قرأوا في تفسير الزمخشري البيت القائل :

فانما امهات النـاس أوعيةٌ مستودعاتٌ ، وللابناء آباء

فقلت لهم : كيف تقولون ذلك يا سادتي المشايخ في الامهات ، من اكثر الخير فيهن ، وهن من روح الله ، والله سبحانهُ وتعالى قال : « إنهُ لا ييأَسُ من روحِ الله الاّ القوم الكافرون » ؟ اوَ هذا برّ الأمّ ، او هذا هو الاحسان اليها وقد امركم بهِ الله ورسولهُ ؟ قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم « آلتِ النفسُ الكريمةُ أن لا تفارقَ هذه الدنيا دونَ ان تُحسِنَ لمن أساء اليها ، وآلتِ النفسُ الخبيثةُ ان لا تفارقَ هذه الدنيا دونَ ان تُسيء لمن أحسنَ اليها » . اوَ بمثل ما تقولون في الامهات المحسنات اليكم ، يا سادتي المشايخ ، تكشفون عن نفوسٍ كريمةٍ لائقةٍ بالاسلام ؟ وقال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم « خيرُكم ، خيرُكم لنسائهِ » . أوَ بمثل ما تقولون في النساء تُثبتون أنكم خير الناس

*

ايها السادة والسيدات

وانا من روت ص ٨٦ تحت عنوان « روح المرأةِ نصير الرجل في الجهاد الاكبر » الاحاديث الشريفة الصحيحة : « ما من احدٍ يُدرِكُ ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتـاه ، الاّ أدخلتاهُ الجنة » . — و« من كان لهُ ابنتانِ او أُختانِ فأحسن اليهما ما صحبتاه ، كنتُ انا وهو في الجنة كهاتين » . — و« من كان لهُ ابنةٌ فأدّبها فأحسن تأديبها ، وغذّاها فأحسن غذاءها ، وأسبغَ عليها من النعمةِ التي أسبغَ الله عليهِ ، كانت لهُ ميمنةً وميسرةً من النار الى الجنة »

انا من روت ذلك فناجت رسول الله قائلة :

« صدقتَ يا رسول الله ، صدقتَ يا حبيب الله ، صدقتَ يا سيد الاولين والآخرين

« الا بارك الله في روح المرأة ، تلك الميمنة والميسرة في الجهاد الاكبر من النار الى الجنة

« نعم يا رسول الله ينبغي للرجل ان يستصحبَ المرأةَ وروحها دائمًا فهي الميمنة والميسرة وهي التي تنيل الظفر بالاخلاق والعواطف ، وتبعد عن الكبرياء والشر

« أوَ ليس من اجل هذا كان حب النساء من اخلاق الانبياء ، وكانت النساء أحب ما في الدنيا الى رسول الله ، صلى الله عليهِ وسلم ، وهو المخاطب بقولهِ تعالى (وإنّك لعَلى خُلُقٍ عظيم)

« هذا لايمكن لعقل تقيّ مسلم أن يتصور حبًا جسديًا يفاخر الانبياء بهِ دون ان ينقص من قدرهم . جلّوا عن ذلك . وانما ذلك بمعنى التقارب الروحي بين نفوس الانبياء ، ونفوس النساء . فليس أحدٌ أحرى من الانبياء بالنصر في الجهاد الاكبر »

وانا من روت ص ٩٨ الاحاديث الشريفة الصحيحة :

« من خرج الى سوقٍ من أسواق المسلمين فاشترى شيئًا فحملهُ الى بيتهِ فخصَّ بهِ الاناثَ دون الذكور ، نظر الله اليهِ ، ومن نظر الله اليهِ لم يعذِّبهُ »

و« مَنْ حمل طرفةً من السوق الى عيالهِ فكأنّما حمل اليهم صَدَقَةً حتى يضعهـا فيهم . وليبدأْ بالاناث قبل الذكور . فانّ من فرّح أنثى فكأنّما يبكي من خشية الله ، ومن يبكي من خشية الله حرّم اللهُ بدَنهُ على النار »

و« ساووا بين أولادِكم في العطيةِ ، فلو كنتُ مفضلاً أحدًا لفضلتُ النساء »

اما هم فقد رووا فيما رووا ما جاء في كتاب حسن الاسوه ص ٢٦٩ تحت عنوان (باب ما ورد في نهي المرأة عن الاكل مرتين في يوم واحد)

« عن عائشة رضي الله عنها قالت : « رآني رسول الله صلى الله عليهِ وسلم وقد أكلتُ في اليوم مرّتين ، فقال : يا عائشة أما تحبين أن يكونَ لك شُغلٌ الاجوفك . الأكل في اليوم مرتين من الاسراف ، والله لا يحبّ المسرفين » ، وعلى روايةٍ « فقال يا عائشة اتخذتِ

الدنيا لبطنك . اكثر من أكلةٍ كلّ يوم سَرَف . ان الله لا يحب المسرفين »

ورووا « أعروا النساء يلزمنَ الحجال » وزادوا « قال الغريزي : الحجال جمع حجلة وهي بيتٌ كالقبة تستر بالثياب وله ازرار كبار » القول الصواب ص ١٢

ورووا : « ومن الأفعالِ التي تلعن المرأةُ عليها لبسها عند خروجها إزار حرير . » كتاب القاياتي الازهري ص ٥٢

ورووا ايضًا من تلك الأقوالِ « اللهمّ ايما امرأةٍ تدخُلُ الحمام من غير علّةٍ ولا سقمٍ تريدُ البياضَ لوجهها فسوِّد وجهها يوم تبيضُّ الوجوه » (القول الصواب ص ٤٧) !

قلت : يا سبحان الله انّى يقولون مثل هذه الاقوال بعد ما قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم « النظافةُ من الإيمان »

وقلت ; واحسرتاه على النساء ! واحسرتاه على الامهات ! واحسرتاه على اولئك الملائكة ! « ان اكثرَ الخيرِ فيهن » ، ويحسبونهنّ شياطينَ فتنةٍ وتغرير ! واحسرتاه عليهنّ ؛ انهن يُلعنّ ان لم يختضبن ، ويُلعنّ اذا تطيّبنَ او تزينّ ، ويُلعنّ اذا لبسنَ الحرير ! واحسرتاه على أمّةٍ تُلعنُ الأم فيها ولا يقوم للأم فيها نصير !!

* * * * *

فيا ايتها الاخوات والامهات المسلمات ، ويا ايها الاخوان والاباء المسلمون . خطب رسول الله صلى الله عليهِ وسلم قال : (ايُها الناسُ كثُرَت عليّ الكذّابة فما جاءكم عني يوافقُ كتابَ الله فأنا قلتهُ ، وما جاءكم يخالف كتابَ الله فلم أقُلهُ . كلُّ شيءٍ مردودٌ الى الكتابِ والسنّة ، وكلُّ حديثٍ لا يوافقُ كتابَ الله فهو زُخرف » . فردوا الاحاديث المروية الى كتاب الله ترَوا ان ما أثبتُّ منها مما فيهِ اعلاء شأن المرأة واعلان شرف الاسلام وحكمتِهِ السامية ، موافقٌ لكتابِ الله فقالهُ نبيُّنا ، وأنَّ ما رواه معارضيّ مما يخفض شأن المرأةِ ولا يوافق شرف الاسلام وحكمتهُ السامية ، لا يوافق كتاب الله فلم يقلهُ نبيُّنا .

وانّي لا يسلم المعارضون لنا بانكار صحة الاقوال والاحاديث الموضوعة التي رووها تنقيصًا للمرأة بعد ان انكر الشيخ الغلاييني في نظراتهِ ص ١٦٨ الحديث الشريف المشهور

« خذوا شطرَ دينكم عن هذه الحميراء » و بعد ان انكر بعض رُفاقهِ مثلَ الحديث الشريف المشهور (اطلبوا العلمَ ولو في الصين) ومثلَ الحديث الشريف المشهور (لقد كثُرَت عليَّ الكذابة فمن كذِبَ عليَّ متعمدًا فليتبوأْ مقعده من النار)

ولاجل الايضاح اني انقل لمن لم يقرأْ « السفور والحجاب » ما قلتهُ فيهِ مما يتعلق ببعض الاحاديث الموضوعة والمرويّة ضد المرأة

قلتُ ص ٢١٤ : « لا بدعَ ان يكون هذا الحديث، حديث (لا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل) موضوعًا . ولا يخفى ان الاحاديث لم تُكتب في زمن النبي صلى الله عليهِ وسلم . فان الصحابة كانوا يجتنبون ذلك تبعًا لنهيهِ صلى الله عليهِ وسلم مخافة ان تختلط بآيات القرآن المكتوبة ، ودام الامساك عن كتابة الاحاديث اكثر من قرن ونصف . فان اول من صنَّف في الحديث كتابًا مدوَّنًا وصل الينا هو الامام مالك رضي الله عنهُ ، وقد اشار بهِ عليهِ الخليفة المنصور العباسي لما حجَّ سنة مئة وثلاث وستين اذ قال لهُ : (دوِّن لنا في الحديث كتابًا ، تجنَّبْ فيهِ شدائد ابن عمر ، ورخص ابن عباس ، وشواذ ابن مسعود ، والزم وسط الامور ، فنحمل الناس ان شاء الله على كتابك ونبثّهُ في الاقطار ونعهد اليهم ان لا يقضوا بسواه) . وعقبهُ الشيخان صاحبا الصحيحين ابو عبد الله البخاري المتوفّى سنة ٢٥٦ ، ومسلم بن الحجاج المتوفّى سنة ٢٦١ ، فقد صحّحا على ما بفهم من كتاب الاخلاق والواجبات للشيخ عبد القادر المغربي من ثلاثمائة وستين الف حديث نحواً من عشرة آلاف حديث فقط . ذلك ما يثبتُ بناءً على نظر الشيخين ان الاحاديث المزورة التي اتصلت بهما كانت نحواً من ثلاثمائة وخمسين الف حديث . ثم ان الامام الغزالي أرَى ابنهُ سبعين الف حديث وقال يا بني ان هذه الاحاديث كلها مزوَّرة، زورها الناس على النبيّ وهو براءٌ منها. وان ما صححهُ الشيخان مستند الى روايات غير مكتوبة تناقلتها الالسن نحواً من مايتين وخمسين سنة ، ولا يخفى ان الذاكرة تخون الانسان ، والنقل عرضةٌ للتغيير مع الزمان ، وقد رأينا كيف كان النقل عن ابن عباس متناقضًا على انواع مختلفة ، ورأينا كيف كانت الروايات في بحث الجغرافيا والتاريخ والفلك ملفّقة . فلا مندوحة لنا من رد الاحاديث ، لدى الحاجة ، الى كتاب الله تبعًا لامر رسولهِ صلى الله عليهِ وسلم . ولا بد لنا هنا من الذكر انهُ ظهر بعد الشيخين وفي منتهى القرن الثالث علماء في الحديث كثيرون . اشهرهم اربعة : ابو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه .

فهؤلاء قبلوا احاديث كثيرة لم يقبلها الشيخان في صحيحيهما، ومسانيدهم تسمى كتب السنن »

هذا ما قلته في كتابي ويجب ان لا ننسى ما قاله ابو عبد الله الصادق، رضي الله عنه وقد أثبته في كتابي ص ٣٢٢ « طلبة العلم ثلاثة : صنف يطلبه للجهل والمراء، فدقّ الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه، وصنف يطلبه للاستطالة والختل، فأعمى الله على هذا خبره ومحا من اثار العلماء أثره، وصنفٌ يطلبه للفقهِ والعقل، فشدّد الله من هذا اركانه واعطاه يوم القيامة امانه »

اذن من يكفل لنا ان ما رواه المعارضون متسلسل، قبل ان كتب عن الصنف الثالث الموثوق بهِ تسلسلاً مجرداً عن الخطإ والنسيان، او انه لم يتدخل فيهِ من الصنفين الآخرين او من خصوم المرأة انسان ؟

من يكفل للاسلام ذلك، حتى يجعل رجاله نصفه الآخرَ منقّصاً، ممتهناً، مهضوم الحقوق، مشلولاً، ذليلاً ؟

وبما ان السنة السنية تجلّ عن التناقض، وبما ان الاحاديث الشريفة، وقد نقلتها عن كتبنا الجليلة، تناقض الاحاديث او الاقوال التي رووها معارضيّ، وبما ان اهمال ما نقلتُ والاخذ بما رووا، او اهمال ما رووا، والاخذ بما نقلتُ، امر لا بدّ للامة منه، تنزيهاً للسنة السنية عن التناقض فلنحكم الامة، وامامها كتاب الله : أمن مصلحةِ الاسلام ان ينبذوا ما نقلتِ الفتاة، ويأخذوا بما روى معارضوها، ام ان من مصلحتهم ان يأخذوا بما نقلت الفتاة، وينبذوا تلك الاقوال والروايات

احرِ بالاسلام ان يتبعوا القاعدة التي وضعها لهم نبيهم صلى الله عليهِ وسلم، وهي ان يردّوا الاحاديث المروية الى كتاب الله فيقبلوا ما يوافقه، وينبذوا ما لا يوافقه

تلك هي الكفالة المعتبرة لصحة الاحاديث. وان تحكيم العقل، واتباع الصحيح، ونبذ الزخرف، كفيل بفلاح الاسلام، واستوائهِ على عرش العظمة والخير والكمال مدى الايام.

أجل ان تلك القاعدة التي وضعها النبي عامة يجدر بنا ان نقبس عليها ونعمل بها في تحقيق كل امر.

اذن ارجو من قراء نظرات الشيخ الغلاييني، ان يردوا الى كتابي كل ما عزا اليهِ فيروا ان كل ما قاله عن كتابي، غفر الله له، ليس فيهِ. اوَ ليس لنا في ذلك عبرة؟

اللهم الهمنا الصلاح حتى لا نرى بين اهل العلم والفقهِ الا الصنف الثالث الذي اشار اليهِ ابو عبد الله جعفر الصادق رضي الله عنهُ

يا سادتي وسيداتي المتنورين والمتنورات، من المسلمين والمسلمات، ويا قضاة الاجتماع في العالم. تأملوا في ما قلتُ بشأن المرأة وفي ما قالهُ الشيخ الغلاييني ورفقاؤُه واحكموا، احكموا، أمن الفتاة كان تنقيص المرأة ام من الشيوخ ؟

*****

يا سيدي الشيخ الغلاييني لا تكابر بالمحسوس. ان اقوالي وافعالي لتدلُّ على ما في قلبي لاختي من العطف والحب والثقة والاحترام، والتفاني في سبيل خيرها والدفاع عنها، تأميناً لنيلها حقوقها الشرعية. فهل اقوالك وافعالك تدل على مثل ذلك ام على عكسهِ؟

وهل تعتقد يا سيدي الشيخ، أن اختي ترضى بما وضعتَ في اقوالك من دسم، وقد دسستَ فيها ما دسست من سمٍّ ؟

ما الفائدة من قولك ان للمرأة في شرع الله حقوقاً جليلة، والرجال اكثرهم لم يسلموا الى نسائهم من تلك الحقوق الا اشياء قليلة ؟

ما الفائدة في قولك إن الحجاب ليس من الشرع الانور، ونراك ورفاقك تمعون بموانع مفعولة أن يظهرَ فعلاً من المرأةِ، ما حقهُ او حقها شرعاً ان يظهر ؟

ان اقوالك وافعالك يا سيدي الشيخ تذكّرني بمثلٍ مشهورٍ، او بيتٍ مأثور:

يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرماً   لكنها خطراتٌ من وساوسهِ

يا سيدي الشيخ، ما الفائدة في قولكم ان المرأة المسلمة في المدن مكرّمةٌ بالحجاب، بعد ان جعلتم سببَ حجابها ما اسندتم اليها من جهلٍ وخمولٍ وانحطاطٍ وخنوعٍ وفسادِ اخلاق وآداب؟ تلك صفاتٌ سيئات، وصمتم بها بنات المدن وخصصتم عكسها من الصفات الحسنات، ببنات القرى والاعراب السافرات، وكتبتم على اختي المدنية، في كتاب الاسلام روح المدنية ص ٢٧٣ انكم مع حجابها الغليظ لا تأمنون مما هو مخالف للدين والاداب فكيف لو . . . وقبل ان تكملوا خطَّ ما في ضميركم انكسر القلم برشِّ ما رشَّ من سود النقط، ذلك لانكم متبعون الباطل وعن الحق في شطط

يا سيدي الشيخ .

انك قلت في نظراتك ص ٩٣ : ان هذه البلاد قد طبعت فطرةُ اهلها على حب المرأة حبًّا صحيحًا

فبربك قل . أَنَظرُكم للمرأة مثلما تنظرون، ومعاملتكم اياها مثلما تعاملون، ما يقتضيهِ الحب الصحيح ؟

ان كان ذلك فليس على المرأة الا ان تناجي ربها قائلة : « رباهُ أَنقذني من اصدقائي، وانا أُنقذُ نفسي من اعدائي . »

يا سيدي الشيخ

لا تكابر بالمحسوس، ولا تقل ان القول بأَن اختي مهضومة الحقوق محجوبة عن النور والهواء محبوسة في قفص، من دسائس كتيابي، وليس حقيقة .

لا تكتفِ بالتفاتةِ الى حزب السفور الراقي فحسب . ان هؤلاء حقًّا، سواء سفروا فعلاً او كادوا لولا خوف الاعتداء يسفرون، قد ادخلوا في شؤُونهم العيلية، من مقتضيات العدل والمصلحة والزمان واحكام السنة والقرآن، ما تشكرهم عليهِ المرأة وما ينعش القلوب وتقرُّ بهِ العيون، ولا بد لهم من يوم قريبٍ فيهِ يسفرون، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

اجل لا تكتفِ بتلك الالتفاتة، بل اعطف النظر على خصوم السفور، ترَ ان المرأة المسلمة مهضومة الحقوق كثيرًا او قليلاً خلافًا لشرع الله . ذلك هو الامر الواقع المشهود، فلا سبيل الى المكابرة فيهِ او الى انكاره .

ان لم يكن الامر كما عرضتُ شاكيةً، فعلام تعارضون كتابي . سلِّموا الى نسائكم حقوقًا لهن، هي مثل ما لكم من الحقوق، واكشفوا وجوههن للهواء والنور، مثلما انتم كاشفون وجوهكم، تستغنوا عن مثل تآليفكم تلك الكتب، وعن مثل تدبيجكم تلك الرسائل والنشرات، وتخففوا عن نفوسكم ثقل المطاعن والمسبات، تلك التي يسوءُني جدًّا ان يكتبها الدهرُ علينا في صفحة السيئات .

يا سيدي الشيخ انت نفسك لقَّبت في كتابك ص ٨٧ السيد جميل بيهم بالفاضل النسائي، وهو فاضل ثقةٌ حريٌّ بالاحترام . فقد قال السيد المشار اليهِ في محاضرتهِ التي القاها اخيرًا في المجمع العلمي الدمشقي عن حالة المرأة في العراق ما ذكرتهُ في « السفور والحجاب » ص ٢٨١

واذكره الآن بنصهِ : (انها لاتزال من قبيل القنية يُتزوَّج بها للخدمة والتناسل ، واذا ماتت يهنأ الزوج بذلك ويسرّ ، لانهُ يحسب ان الله هيأ لهُ بوفاتها فراشًا جديدًا . ولهذا الاعتبار اوجبوا عليها ان تستقر في عقر دارها . فلا تخرج لزيارة ولا تسعى لمتنزه ، او لقضاء حاجة ، ويترفَّع الرجل سيدها عن مصاحبتها في سيارةٍ او قاربٍ ، ويتحاشى مواكلتها على مائدةٍ واحدة ، ويتجنب محادثتها الا لحاجة .) .

فيا سيدي الشيخ أهكذا يجب ان يكون شأن المرأة في الاسلام ؟ اهذا ما يأمر بهِ شرع الله؟

ان كان ان شطرًا من الاسلام اعطى المرأة بعض حقوقها الشرعية ، واباح لها الاستمتاع بنعمة العلم ، فالشطر الآخر ما زال يمنع البعض عنها ، ويعاملها على الوجهِ المبين ويحرمها تلك النعمة . وهذا ابن السقا واعوانهُ اولئك الثائرون في بلاد الافغان على الملك العظيم ، ينادون بقفل ما افتتح من مدارس للبنات ويحرمانهن التعلم والتعليم . افلا يجب علينا ان نهتم لمثل اولئك المظلومات من اخواتنا في العالم الاسلامي ، وقد قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم (من لايهتمُّ للمسلمينَ فليسَ بمسلمٍ) ؟

اذن لست انا من قال ان المرأة المسلمة في بعض انحاء البلاد الاسلامية لا تزال من قبيل القنية ، مظلومةً ، مهضومةَ الحقوق ، ومحبوسةً في البيوت ، يُتزوَّج بها للخدمة والتناسل ، واذا ماتت يهنأُ الزوج بذلك ويسرّ ، وأنَّ سيدَها يترفَّع عن مصاحبتها ومواكلتها ومجالستها . انما قال ذلك ممن قالوا السيد الفاضل المشار اليهِ . فاذا كان ذلك مما يغضبك ويقشعرُّ منهُ جلدك ، كما قلتَ في نظراتك ، فلتقشعرّ الجلود من هذه الحقيقة المؤلمة ومن ظلم الظالمين . لا من غيرة فتاةٍ قامت تدافع عن حقِّ أخواتها معتصمةً بالدين المبين .

إنَّ نقلي ذلك في كتابي ليس بدسيسة كما زعمتَ يا استاذ ، وليس تحقيرًا للمرأة . انما ذلك شرحٌ لاحتقار الرجل اياها ما بنيتُ عليهِ الدفاع عن حقها الشرعي في الكرامة

قال السيد جميل بيهم ما قال وقال الشيخ عبد القادر الكرماني استاذ اللغة العربية في مدرستي العلمانية والفرنسيسكان بحلب في رسالتهِ « المرأة في نظر الاسلام » : نعم اضطهدت المرأة المسلمة اضطهادًا مؤلمًا ، وأخنىَ عليها الدهر بكلاكلهِ ، ومزّق احشاءها بتطاولهِ ، حتى آضت مكان العطفِ والرحمة . وَاو منْ عدوها الالدّ !! نعم المرأة اليوم مظلومة

مضطهدة في جميع ادوار حياتها . ولكن اذا قلنا ان المرأة مظلومة مضطهدة ، لا نريد من نحو الدين . وانما هو من ترك المسلمين قواعد دينهم واركانه ، ومن تغافلهم عما جاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم »

قال ذلك ما قال وبعد ان سود صفحات في بيان اشكال اضطهادها وظلمها قال: « اي ازدراء وعبث بحقوقها اشد من ان نسمع كلمة يرددها جل الرجال : ان المرأة كواحد الاحذية يلفظها الرجل متى شاء وأنى اراد »

فيا سيدي الشيخ الغلاييني ، ان الشيخ الكرماني من رفاقك المعارضين لكتابي . ومع ذلك فلم يسعه الا ان يعترف بما حاق المرأة من الحيف وبحقوقها من الاعتداء ، فسلم بما قالت الفتاة وشهد به شيخ من خصومها هو لك من الرفقاء .

يا سيدي الشيخ

لا تعز الي مرة اخرى دسيسة لمثل قولي ان بعض المسلمين حجبوا نساءهم في ظلمات البيوت قائلين : خير النساء من لا تخرج من خدرها الا الى قبرها . او خيرهن من لا تخرج من باب حجرتها حتى تخرج بجنازتها . انما قولي ذاك حقيقة ذكرتها لأبني عليها دفاعي

ومن الادلة على صحة قولي ، ما جاء في كتاب « السنة والكتاب ، في حكم التربية والحجاب » للشيخ القاياتي الازهري ص٢٩ و٦٢ ، ترغيباً منه في حبس المرأة في ظلمات البيوت وعدم خروجها من حجرتها حتى تخرج بجنازتها . قال : « وعن محمد ابن سيرين قال : نُبّئتُ انه قيل لسودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : مالكِ لا تحجين ولا تعتمرين ، كما تفعل اخواتك ؟ قالت قد حججتُ واعتمرتُ وأمرني الله ان اقرّ في بيتي حتى اموت . فوالله ما خرجت من باب حجرتها ، حتى أُخرجت بجنازتها . » وقال : « وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدّون الكوى والثقب في الحيطان المشرفة على الاسواق وممر الناس لئلا تطلّع النسوان على الرجال . ورأى معاذ بن جبل امرأته تطلّع في الكوّة فضربها . »

قال القاياتي ذلك وليس القاياتي باول من قال مثل هذه الاقوال ترغيباً في التقليد او

في الاقتداء . فاعتقد من اعتقد من المسلمين صحة الرواية ، واقتدوا في معاملة نسائهم بما رُويَ عن زوج النبي وعن الصحابة .

ومن تلك الادلة قول الشيخ عبد القادر المغربي من مقال له تحت عنوان حجاب المرأة في الاسلام نشرتهُ جريدة المفيد في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩١١ قال ، بعد ان ذكر اختصاصَ الحجاب بنساء النبي : « ثم جرى المسلمون في حجاب نسائهم على طرائق اختلفت باختلاف بيئاتهم وأفكارهم ، وعمرانهم ، وامزجتهم ، وسائر المؤثرات التي تحيط بهم ، حتى بلغ الامر بابي مسلم الخرساني القائد الكبير مؤسس الدولة العباسية الى حبس زوجتهِ في بيت مخصوص بها لا منفذ له سوى كوَّة تعطى منها طعامها وشرابها . وبلغ الامر ببعض الصلحاء المتنطعين انهم كانوا لا يأذنون لنسوة بيوتهم في الخروج ابداً ، فلزمن البيت وكن لا يعرفن الدواب والانعام . وقد ارادت احدى الفلاحات المسيحيات الدخول عليهن فمنعنها بداعي ان دخولها لا يجوز شرعاً كما علمهن آباؤهن . وحتى بلغ الامر بالفقهاء او المتشدِّدين منهم ان يكلفوا المرأة وضعَ اصابعها في اقصى حلقها ثم تخاطب الرجل الاجنبي الذي جاء يسألها من وراء الباب عما اذا كان بعلها في الدار . »

يا سيدي الشيخ

اني نقلت لك ما يثبت صحة قولي الذي بنيت عليهِ دفاعي . واني لأسألك : أوَ ليست المرأة المحجبة في زماننا محجوبة عن نور الشمس ونقيّ الهواء بذلك النقاب الذي تقيمون القيامة لابقائهِ على وجهها ، ولمنعها من الحرية في رفعهِ استمتاعاً بالهواء والشمس ؟

ان كان ان النقاب الجديد الحاضر لا يمنع الهواء والنور ، فهو نقاب خلاب يناهضهُ كل منا لان فيهِ ما فيهِ من اسباب الفتنة والغرور

اما النقاب الحاجب للوجهِ او النقاب القديم الكثيف فهو حاجبٌ لبهيّ الضياء ، ومانعٌ لنقيّ الهواء ، ومدعاةٌ للضرر والعناء .

اذن ينبغي لنا تخلُّصاً من الفتنةِ في الجديد ومن الضرر والعناء في القديم ، ان نرجع الى كتاب الله وسنة رسولهِ ، ونقبل بسرور ، ما يَقْضيَانِ بهِ من السفور . قال الله تعالى : « وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ اذ قضىَ اللهُ ورسولهُ امراً أن يكونَ لهم الخيرةُ من أمرِهم . ومن يعصِ اللهَ ورسولهُ فقد ضل ضلالاً مبينا »

اما الاقفاص . اوَ ليست الاقفاص على نوافذ بيتها ، فلا يجوز لها ان تنظر الى الدنيا المكشوفة المحيا الامن قضبانها المحبوكة حبكًا محكمًا ؟ وشتان بين قفص يمنع النورَ للنساء ، وقفص للطيور ، يأذن النور . وعلى كل حال ليس من مصلحة الطير المحبوس ان يعيش في قفص مهما كانت العناية به عظيمة ، وشاء حابسه للذاذة والسرور تطييبه وتكريمه

يا سيدي الشيخ

أوَ تريد دليلاً مكتوبًا غير ما سبق ذكره من ادلة زماننا على أسر المرأة وسجنها وعدم رضاها بذلك ؟

اذا اردت فلا تنسَ تائية الرصافي وقد جاء ما جاء فيها :

أأمّ المؤمنين اليك نشكو — مصيبتنا بجهل المؤمنات

تخذنا بعدك العادات دينًا — فأشقى المسلمون المسلمات

فقد سلكوا بهن طريقَ خسر — وصدّوهن عن سبل الحياة

بحيث لزمن قعر البيت حتى — نزلن به بمنزلة الاداة

وقالوا شرعةُ الاسلام تقضي — بتفضيل اللذين على اللواتي

وقالوا الجاهلاتُ اعفُّ نفسًا — عن الفحشا من المتعلّمات

لقد كذبوا على الاسلام كذبًا — تزولُ الشمّ منهُ مزلزلات

نرى جهل الفتاة لها عفافًا — كأنَّ الجهلَ حصنٌ للفتاة

ونحتقر الحلائلَ لا بجرمٍ — فنؤذيهنَّ انواع الاذاة

ونلزمهن قعر البيت قهرًا — ونحسبهنَّ فيه من الهنات

لئن وأدوا البنات فقد وأدنا — جميع نسائنا قبل الممات

حجبناهن عن طلب المعالي — فعشن بجهلهن مهتّكات

واقرأ بائية الزهاوي حيثُ قال فيما قال :

قد اساء الشيوخُ في المرأة الظنَّ فسنّوا لها الحجابَ عقابا

انهم شدّدوا النكيرَ عليها — انهم ضيّقوا عليها الرحابا

حجبوا عنها الشمس فهي كزهر — قد ذوى في ربيعهِ ثم ذابا

لم تكن تبصرُ السعادةَ الا — مثلما تبصرُ العيونُ شهابا

ولها نظرةٌ من الغيظ تحكي ومَضَ برقٍ بدا يشقُّ السحابا
سجنوا غير منصفين العذارى في بيوتٍ وغلَّقوا الابوابا
زعموا ان في السفور سقوطًا في المهاوي وأَنَّ فيهِ خرابا
وإذا ما طالبتهم بدليلٍ يثبت الدعوى اوسعوكِ سبابا

الى آخر ما قال في وصف الحال ، مما ترجو النساء ان يوقظ عواطف الخير والعدل والصلاح في الرجال .

واقرأ اذا اردت ايضًا الشوقية الشائقة وقد انشدها امير الشعراء في الحفلة الاخيرة التي اقامتها مصر لذكرى قاسم امين ساكن الجنة قال فيها :

قل للرجال طغى الاسيرُ طيرُ الحِجال متى يطيرُ
ذهب الحجابُ بصبرهِ وأَطال حيرتَهُ السفورُ
وسما لمنزلهِ من الد نيـا ومنزلةٌ خطيرُ
ومتى تُساسُ بهِ الريا ض كما تُساسُ بهِ الوكور؟
اوَ كل ما عند الرجا لِ لهُ الخواطب والمهور؟
والسجن في الاكواخ او سجنٍ يُقالُ لهُ القصور ؟
تالله : لو ان الاديـم جميعهُ روضٌ ونور
في كل ظلٍّ ربوةٌ وبكل وارفةٍ غديرُ
وعليهِ من ذهبٍ سيا جٌ او من الياقوت سورُ
ما تمَّ من دون السما ء لهُ على الارض الحبورُ
ان السماء جديرة بالطير وهو بها جديرُ

الى ان قال:

حريةٌ خلق الانـا ث لها كما خلق الذكورُ

قال الامير هذا البيت ، فردَّده الخافقان ، وقابلاه بالتصفيق

في عظمة ايمة الاسلام وشرف المسلمين ، واتهام الشيخ الفتاة ، سامحة الله ، بطعن عليهم

يا سيدي الشيخ ، خرج الفيلسوف ديوجانس من برميله ، وجلس قدام بابه ليرى الشمس وتراه . فحضر عنده اسكندر ذو القرنين ووقف امامه حائلاً دونها وقال : اطلب ايها الفيلسوف ما شئتَ تنله . قال له الفيلسوف « لا تحجب عني الشمس ، انها اول حق لي في الحياة » . وان المرأة المسلمة تقول لكم « لا تحجبوا عني الشمس ، انها اول حق لي في الحياة » .

البحث الثالث

في عظمة ايمة الاسلام وشرف المسلمين ، واتهام الشيخ الفتاة

سامحه الله بطعن عليهم

يا سيدي الشيخ

قلت في كتابك ص ٢١ و ٥٩ و ١٢١ : ان من مرمى كتابي اثبات ان العلماء السابقين واللاحقين من المسلمين جهلاء اغبياء دساسون مراؤون مخادعون ، واني زعمت ان المسلمين وحوش ضوارٍ وغضضتُ منهم وجعلتهم يرعون مع الهمل

يا سيدي الشيخ

كيف تقول ، غفر الله لك ، ما تقول ؟ أين رأيت ذلك في كتابي وهو في النزاهة والادب ، وحسن الجدل ، واحترام الدين ، وايمّة الدين ، منهاج وضعته لبعض الرجال فتاة ؟ أرِني في الكتاب عبارةً ما افتريت . انك لعاجزٌ عن ذلك . واني لواثقة بان قراء كتابي لا يضللون باقوالك

ان تقابًا مثل هذا نسجته على منوال التضليل ، وألقيتَهُ على بعض العيون ، فتّش عليه بعد حين ، ترَ ان خيوطًا منه لا يكون

سامحه الله ، بطعنٍ عليهم . — اقوالي المعلنة علاء الائمة العظام والعلماء الاعلام في خطاب مني الى الشيخ

(١)

كيف تقول غفر الله لك ، ان مرمى كتابي اثبات ان العلماء السابقين واللاحقين من المسلمين جهلاء اغبياء دساسون مراؤون مخادعون ؟

أوَ لست انا التي قالت فيا قالت ص ٢٩٩ رادّةً على الشيخ سعيد البغدادي ، « اني لن اتبع قولك يا سيدي المرشد ، مها شتمتَ ، ومها سببتَ ، ومها رميت بالالحاد . اني سأطو واعلو حتى لااسمع ما تقول . بل اني لااتبع الاّ ما قاله الله جلّ جلاله ، وما قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ، والاحسن ما قالهُ الائمة العظام ، والامام الاعظم ابو حنيفة . ان قوله (وجه المرأة ليس بعورة) لايزال نصب عينيّ ، مكتوبًا على لوح الحق باحرفٍ من نور . فلا ترمِ بالكفر والالحاد من يعتصم بكتاب الله وسنة رسولهِ ، ومن يقول قول الامام الاعظم »

فيا سيدي الشيخ أوَ اذا عارضت الفتاة الشيخ سعيد البغدادي ، وقد خالف كتاب الله وسنة رسولهِ ، وخالف العقلَ واقوال الائمةِ العظام ، والامام الاعظم ابي حنيفة ، وقد قضى فيا قضى بمنطقهِ السقيم ان الحجاب ما امتاز بهِ الانسان عن سائر الحيوان ، اوَ اذا عارضتهُ الفتاة تكون بذلك رامية الى اثبات ان العلماء السابقين واللاحقين من المسلمين جهلاء اغبياء دساسون مراؤون مخادعون ؟ !

ما شأنُ الشيخ سعيد البغدادي في الاسلام ؟ اي شأن لهُ اي شان ، لدى الامام الاعظم ابي حنيفة والائمة العظام ؟

ثم اني عارضتك يا سيدي الشيخ في كتابي « السفور والحجاب » لمثل قولك في كتابك « الاسلام روح المدنية » ان النساء مصدر الشر على الانسان ، وان مسلمات المدن فاسدات ، جاهلات ، لا يشبهنَ القرويات والاعراب ، في سلامة الاخلاق وصحة الآداب ، ولتهديدك اياهنّ بالعود بهنّ الى حالة الهمجيه ، اذا هنّ طالبن بما لهنّ من الحق بالحرية . واعارضك الآن بهذا الكتاب ، في كل ما خرجت فيهِ من نظراتك عن الحقيقة وابتعدت عن الصواب

فاذا عارضتك يا سيدي الشيخ ذائدةً عن شرَفِ الاسلام وبنات المسلمين ، أفأكون بذلك رامية الى اثبات ان العلماء السابقين واللاحقين جهلاء اغبياء دساسون مراؤون مخادعون كما زعمتَ ؟

وها انتَ يا سيدي الشيخ قد عارضتني معارضة شديدة شاذّةً ، وانا لست دونك علماً . إن

آثارَ كلّ منا في ما كتب دالة على قدره . أفتكون في مثل معارضتك اياي ، يا حضرة الشيخ ، رامياً الى اثبات ان العلماء السابقين واللاحقين من المسلمين جهلاء اغبياء دساسون مراؤون ، مخادعون ؟

هنا ينبغي لنفسك ان تزدري المغالطة ولو كان منها الى ذلك دافع ، او كان لها بذلك ولعٌ لاذع . فلا انت تمثّل ، ولا انا أُمثّل ، ولا غيرنا من الافراد يمثل ايمة المسلمين العظام ، والعلماء السابقين واللاحقين الاعلام

واعلم انه ليس من امر العلماء ولا من شأنهم ، ان يسدوا طريقًا للمستنير بن برّ بجانب ذلك الوادي هناك ، بما يسددون من السهام ويكدّسون من الاشواك ، مانعين المسلمين والمسلمات ان يسيروا الى حيث هم سائرون من منازل الحرية الشرعية والرقي والكمال ، ليبلغوا من بعد ما بلغوا قبلاً من مجدٍ باذخ وسؤدد عال ؛ انما من امر العلماء ومن الواجب عليهم ، ان يجتهدوا ليمهدوا كل طريقٍ يؤدّي الى ذلكمُ الخير وتلكم الحياة ، حاملين بقلوبهم والسنتهم واقلامهم وايديهم ، من انوار كتاب الله وسنة رسوله ومن نور العقل الحر ، ما حملت هذه الفتاة

كيف تقول يا سيدي الشيخ ، غفر الله لك ، ان مرمى كتابي اثبات ان العلماء السابقين واللاحقين من المسلمين جهلاء اغبياء دساسون مراؤون مخادعون ؟

أنّى تقول ذلك وانا الفتاة القائلة في كتابها ص ٤١٧ :

« لو بعث اليوم ابو حنيفة حيًّا ،
« لو بعث الفقهاء الثقات الاعلام ،
« لو رأوا مقتضيات الزمن الحاضر
« لو رأوا ...
« لو رأوا ...
« لو رأوا ...
« لو رأوا ...
« لو رأوا ذلك كلّه لذابت قلوبهم لهفةً وحسرة ، ولرونا باشد ما في نفوسهم من

قوّةٍ فائقة ، وحكمة بالغة ، احكامًا توافق السنة والقرآن ، واحوال الزمان ، احكامًا فيها اليسرُ الذي نريك ، بدلاً من العسر الذي لا نريك ، وفيها المجال الحر الواسع لتأمين مكانتنا في التنازع الدائم للبقاء ، والطريق السويّ الواضح الذي يقودنا الى ذروة المجد في طليعة الامم حيث كنا في تلك الذروة العلياء ؟

أَمن مثل هذه الاقوال اقوالي في كتابي استنجبت فيما استنجبت يا استاذ التفسير أني قلت عن العلماء السابقين انهم دساسون مراؤون مخادعون جهلة اغبياء ؟

*

كيف حللت لنفسك ان تقول ان مرمى كتابي اثبات ان العلماء السابقين واللاحقين من المسلمين دساسون مراؤون مخادعون جهلة اغبياء ؟

كيف تقول ما تقول وانا التي قالت في كتابها ، ؟

« اطلقوا يا قضاة الاجماع حرية فكركم ، كما اطلقتُ حرية فكري اطلاقًا ، وتأملوا ما يوحي به اليّ فكري المنطلق ، ولكم علي عهد وميثاق ان لا اذكر قضيةً الاّ أثبتها ببرهان العقل ، و بالكتاب والسنة ، وسأستمد نورًا من اقوال الفقهاء . » ص ٢٥

فيا سيدي الشيخ ، أَوَ من اعدهم على زعمك – جهلة اغبياء مرائين دساسين مخادعين – احاول استمداد النور ؟

كيف تقول ما تقول وانا التي قالت : « وكم من عالمٍ في عالم الاسلام منكر ، ألقى علينا من مثل هذه التعاليم الشريفة دروسًا الخيرُ والحكمةُ وروح الدين فيها ؟ » ص ٦

كيف حللت لنفسك ان تقول ما تقول وانا الفتاة التي لم تذكر ايمة العلم الاّ وصفتهم بقولها : « العلماء الاعلام ، ذوو القدر والاحترام ؟ »

*

يا سيدي الشيخ ، كيف تقول ما تقول ؟

أَوَ مناهضتي بعض اقوال رايتُها تخالف الكتاب والسنّة ، واقوال الايمة ، وتجرّ علينا

الانتقاد ، من كل واد ، أوَ مناهضتي تلك ما يعدّ في نظرك خرقًا في الدين ، وتحقيرًا للائمة العظام اعلام الهدى للمسلمين ؟

اني ناهضت في كتابي يا سيدي الشيخ مثل قول من قال : انه يحرّم على المسلمة كل علم غير الغزل حتى الكتابة ، ويحرّمُ عليها ان تجتمع هي وغير المسلمات عادّين غير المسلمات معها كالرجال الاجانب ، فلا يجوز ان يرينَ وجهها ، او يسمعن صوتها ، او يرين منها شيئًا ولو قلامة ظفرها المرمية الا اذا كنَّ إماء وجواري عندها ، وانهٔ يجب عليها ان تستر حينما تتكلم فيها يدها تغليظًا لصوتها خوف الفتنة . وناهضت مثل قول من قال بالتفريق بين الناس ، وناهضت مثل قول من قال من المفسرين فيما قال ان السدّين اللذين بناهما ذو القرنين ، هما وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي موءخرهما البحر المحيط ، او هما وراء دربند وخراسان من ناحية ارمينيا واذربيجان ، وان وراء هذين السدّين ، اللذين شاهدهما من يوثق بهم ممن ارسلهم الواثق لمشاهدتهما ، امتين من ولد آدم ، وان ولد آدم كلهم جزء وهم عشرة اجزاء ، وانهم متصلون بنا من جهة الاب آدم دون الام حواء ، وان كل امة منهما اربعة الآف امة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الف ذكر من صلبه ، كلهم قد حمل السلاح . وهم ثلاثة اصناف : صنف منهم طوله مائة وعشرون ذراعًا ، وصنف منهم عرضه وطوله سواء مائة وعشرون ذراعًا ، وصنف منهم يفترش احدهم اذنه ويلتحف بالاخرى ، وان من امتي ياجوج وماجوج صنفًا قصيرًا جدًا طول الواحد منهم شبر واحد ، وان الشمس تغرب في ماء وطين اسود منتن ، وان عند مغربها مدينة لها اثنا عشر الف باب يقال لها الجاسوس واسمها بالسريانية (حربحصا) ، وأنّ القوم عند مطلع الشمس اذا طلعت الشمس يغورون في الماء ، فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم ، وهم قوم عراة يفترش احدهم احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى ، واسم مدينتهم (جابلق) واسمها بالسريانية (مرقيسيا) وان مجمع البحرين هو ملتقى بحر فارس وبحر الروم فيما يلي المشرق

وناهضت مثل قول من قال من الفقهاء فيما قال : ان الطلاق يقع بلفظ الاحرف الثلاثة ط. ل. ق. سواء قصد اللافظ طلاقًا او لم يقصد . حتى ان التركي اذا لفظ كلمة (طلاق) تطلق امرائة ، ولو ان معنى لفظه في التركية (طحال) وهو لا يعني غير ذلك

فيا سيدي الشيخ اني ناهضت مثل هذه الاقوال والاحوال لأن الدين منزّه عنها

فاذا أثبتُ للعالم ان مثل ذلك ليس من الدين ، وان دين الاسلام الحق في القرآن والسنة مصدري النور والحق والهدى ، وانّ الخطأ كان منا ، أوَ أكون بذلك مستحقةً افتراءك عليّ واسنادك اليّ طعنًا في دين الاسلام ، وفي الايمة الاعلام ؟

ايُّ عالم في الاسلام يقول ان مثل هذه الاقوال التي نزّه عنها الدين ، ليست باطلة او انها من الدين النزيه المبين ؟ !

*

انا من ذكرت ذلك يا سيدي تنزيهًا للدين ، في عيون العالمين ، طالبةً الرجوع الى الكتاب والسنة مصدري النور والهدى ، قيامًا ببعض الواجب علي . وقد اجتنبت في بيان ذلك ما لم يجتنبه غيري. هل تريد ان ترى كيف يذكر ذلك العلماء منا ؟ سأذكر لك من ذلك فقرة

قال الشيخ محمد بدر الدين النعساني في مقدمته لكتاب «الاسلام والرد على منتقديه بقلم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده» :

« جرّدت الكتب المؤلفة في الدين من اصول الدين وسننه ومحاسنه وادابه وقوانينه الاخروية والاجتماعية ، وحشيت من الخرافات والاكاذيب والاحاديث الموضوعة المفتراة على صاحب الشريعة، وقصر حملةُ العلم نظرهم عليها كانها ام الدين ، بل شدّد في امرها قوم منهم فقالوا انها الدين وان خالفت اصول الدين كتابًا وسنةً ، بلا بحثٍ فيها ولا تروٍّ في شأنها

« ألا ان محاربة البدع والاحداث ، وعلاج هذه الادواء الفتاكة ، يجب ان تكون من جهة النابتة الحديثة ، لا من جهة الشيوخ علماء او عامة . فان هذا الصنف من الناس قد استحكمت فيهم الامراض فليس الى شفائهم من سبيل . ان النابتة الحديثة لم تعرف قلوبهم هذه المفاسد ولا وضعوا زمام امرهم في يد احد يقودهم حيث شاء ، فهم احرار . فهؤلاء اذا ظهر لهم الحق لم يلبثوا ان يطيروا اليه »

فيا سيدي الشيخ ، أرأيت كيف يذكر ذلك العلماء الاعلام ، الغيُر على الاسلام ؟ وهل

ذكرَت ذلك الفتاة في كتابها تنزيهًا للدين ، في عيون العالمين ، لا تحنفًا ملطّفًا ؟ وهل أُلام اذا طرتُ الى الحق وقد ظهر لي ؟

* * * * *

يا سيدي الشيخ

لماذا تفتري عليّ وعلى كتابي قائلاً اني تنقّصتُ علماء المسلمين وفقهاءهم ، وتتهمني بسهام انت الذي رمى بها ؟

لا اذكر ما في نظراتك من تنقّصٍ لسيدتنا عائشة رضي الله عنها بل اسأل الله تعالى ان يغفر لك ذلك . غير اني اذكر لك ما قلت في كتابك (الاسلام روح المدنية) متنقّصًا علماء الدين، ليحكم العالم في سبب افترائك عليّ بعد ان قلتَ ما قلتَ عنهم مما يعيب ويشين

قلتَ يا سيدي الشيخ في كتابك المذكور :

« ان جهل بعض الفقهاء هو الذي جرّأ امثال كرومر (يريد الشيخ اللورد كرومر) على الطعن بالدين الاسلامي ووصفهِ بما لا ينطبق عليهِ بوجه من الوجوه . ومما زاد المسلمين بلاء على بلائهم ان هؤلاء المتأخرين اوصدوا الباب دون من يروم ان يأْخذ دينهُ من كتاب الله وسنة رسولهِ بحجة ان الفقهاء قبلهُ قد استخرجوا تلك الاحكام ولم يبقَ عليهِ الاّ ان يأْخذ بها ويتمسك باهدابها ويعتصم بعراها . ثم ادّعت هذه الطائفة انهُ لا يمكن ان ينبُغَ احد من العلماء لدرجة انهُ يمكنهُ الاستنباط من الكتاب والسنة . ولم يعلم هؤلاء القوم ان فضل الله يؤْتيهِ من يشاء في كل زمان ومكان، وان الاحكام تختلف باختلاف الازمان، وان حكم الله يدور مع المصالح العامة»[1]

---

(١) ارجو من الشيخ بل ارى من الواجب عليهِ ان يزن الكلام ويجري على طريق البيان الواضح ، او يفسر للناس كيف يدور حكم الله مع المصالح ، وان يفسر لهم ايضًا مثل اقوالهِ التي ذكرتها في كتابي هذا جزء (١) ص(٧٦) : (دين الله حيث تكون المصلحة) . — (النص يترك للمصلحة) .— و (الحاجة لا تعرف التقييد)

اجل يجب على الشيخ استاذ التفسير ان يفسر للناس اقوالهُ هذه كاشفًا عما قصد لهُ فيها من مغزًى ومرمى . فالاسلام لا يوافق على قول من يقول (الغاية تبرّر الواسطة) ، واقوال الشيخ ترمي الى مثل ذلك القول او الى ما يزيده شرًا . وكأني بالشيخ يطبق مقاومتهُ كتابي على قواعد اتخذها من اقوالهِ ، فرمى لما عدّه لهُ مصلحة ، بما رمى من سهامهِ ونبالهِ

ان مثل هذه الاقوال التي جعلها الشيخ الاستاذ قواعد — إنْ تُتبعْ والعياذ بالله — لا تترك اثرًا في الاسلام ، من الصدق ومكارم الخلق وفضائل الدين والايمان . فلا كانت مصلحةٌ تخالف روح الدين ، ولا كانت حاجة اذا وجدناها فقدنا جوهر الكنز الثمين

ان الحاجة والمصلحة متهدتان بما شرع الله من احكام ، وبما شرع العقل لخير العالمين ، من قواعد وقوانين

وانّ حكم الفقهاء الذي استندوا فيه على القياس والاجهاد البحت لا يناسب الا الزمان الذي كانوا فيه . وقد نسي اولئك المانعون ، ان العلماء المتقدمين اوجبوا ان يوجد في كل عصر مجتهدون يشرحون للناس ما يناسبهم من احكام الدين والدنيا ، وحرّموا ان يأخذ احدٌ باقوالهم ان لم تكن مستندة الى الدليل ». صفحة ٤٤

وقلتَ : « ان هجر العمل بالكتاب والسنة ووجوب التقليد والعمل بقواعد الفقهاء من اعظم الاسباب التي اودت ببقية الروح التي كانت مختلجة في جسم الاسلام ومرفرفة فوق عقول المسلمين.

ويا ليت الامر انتهى الى هذا الحد فقط بل بلغ الجهل والتعصب ببعض من ينسب للعلم الى حدّ حرّموا معهُ الاشتغال بغير علوم الدين . ص ٤٧ . ولو ان اللورد كرومر قال بتحوير الدين وتنقيحهِ[1] والرجوع الى السذاجة الاولى اي العمل بمقتضى القرآن الكريم لأصاب كبد الحقيقة وجرى مع المصلحين من العلماء في مجرى واحد؛ لانهم يبذلون جهدهم و يسعون طاقتهم لارجاع المسلمين الى طريقة القرآن. ص ٣٨ . ان الفيلسوف الشرقي والعالم الكبير الذي وصفهُ اللورد كرومر بانهُ كان غير متدين كان بالعكس متديناً بدين الحق وعلى وجه الحق . انهُ لم يخلطهُ باباطيل الخرافيين ، ولا ترّهات المزورين ، لان الدين الاسلامي دخلهُ كثير مما ليس منهُ[2]

(١) الشيخ لا يزن الكلام ، بل يقذفهُ قذفا ، او يرميه جزفا ، كما يرمي السهام . فيخلط الدين باقوال هذا وذاك من السلف ، كمن يخلط بين الدر والصدف . انهُ لم يفطن الى ان الدين ما شرع الله تعالى لعباده ، وانهُ ليس لاحد من عباد الله ان يجوز او يبغي ما شرع الله ، بل لكلّ ان ينبذ في معتقده منهُ ، كل ما ليس منه

(٢) ارجو من حضرة الشيخ الاستاذ الذي ازعم على المعارضين ان يكثر معهم من الدرس والتأمل ، ويعلن ما اذا كان مثل الاقوال التي نقلتها عن رسائلهم وكتبهم الى البحث السابق مثل ان المسلمات ناقصات العقل والدين — عورات عيات — حبالات لابليس — يقبلنَ ويدبرنَ بصورة شياطين — لا تعلموهنّ الكتابة — وويل للمسلمين منهنّ وويل لهن من المسلمين . — ارجو من الشيخ ان يعلن للناس بعد الدرس والتأمل ، دون جمجمة وتقية ، ما اذا كان مثل تلك الاقوال ، من الدين ، ام ان ذلك من اباطيل الخرافيين . وترهات المزوّرين التي يجلُّ عنها الدين المبين . يظهر ان الشيخ قائل مع الفتاة بعدم صحة ذلك الحديث : (ما رأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداكنّ) لانهُ قال في نظراتهِ ص١٠٥ ان عقل الرجل وعقل المرأة واحد من حيث الجبله ولا فضل لاحدها على الآخر في ذلك . ولكن ان يقل الشيخ ان الحديث وويل للمسلمات من المسلمين حديث صحيح فهل يرى تأويل بعضهم الآيات (قرنَ في بيوتكنِ — و يدنين عليهن من جلابيبهن — وليضربن بخمرهن على جيوبهن) بما يستوجب تحجيبهنّ وحبسهنّ من التأويلات المصيبة ؟ ام انهُ ويل لهنّ من الرجال ومصيبة.

وروّجه الجهلاء باسم الدين حتى عده كثير من عوام المسلمين بل من علمائهم، من الدين ، وناضلوا عنه كما يناضلون عن قواعده الاصلية ، حتى اضحى الاسلام ، كما قال ذلك الفيلسوف الشرقي والعالم الكبير ، محجوبًا بالمسلمين . ومعنى ذلك ان حقيقة الدين وجوهره صارت لاضمحلالها كلا شيء ، وغلبت عليها اعمال اهل الدين حتى سترتها عن اعين الناظرين ، فاصبحت محجوبة بتلك الاعمال التي يناهضها الدين وتناقضها قواعده ومبادئه . فمن رأى افعال المسلمين التي هي في الحقيقة مخالفة لشريعتهم ظنّ انها من الدين ، فوصمة بما يصمه به اللورد كرومر من مخالفته للمدنية ، وانه عقبة في سبيل رقي المسلمين ص ٣٢ ولعل اللورد كرومر يقصد بما وصف به ذلك العالم الكبير انه كان غير متدين بما يدين به اولئك البسطاء الذين تلقوا الدين على غير وجهه الصحيح ولبسوه كما يُلبس الفرو مقلوبًا» ص ٣٢

وقلتَ

« انه كان من وقت الحروب الصليبية المشؤومة مبدأ انحطاط المسلمين فهجروا العلم وتركوا التعلم ولم يبق بينهم من العلوم الا العلوم الدينية . بل لا ابالغ اذا قلت انه من ذلك الحين ضعف العلم الديني ايضًا عندهم . هذا عدا ما طرأ عليهم من الاهواء والاراء السخيفة في الدين التي اتاهم بها المقلدون و بعض من يزعمون التصوف وليسوا من اهله ، وروّجوها باسم الدين ، والدين منها براء ، بل ان مبادئه القويمة تناقضها كل التناقض . فخسر بذلك المسلمون الدنيا والدين . نعم انه لم يخلُ عصر من العصور بعد تلك الحروب من علماء حقيقيين وفلاسفة ناهضوا تلك البدع والخرافات التي الصقها بالدين اولئك الجهلاء الاغبياء لمقاصدهم الخبيثة ، وهي جذب العامة اليهم رجاء ان يتعلقوا بهم . ولكن كان صوت هؤلاء العلماء ضعيفًا لا يصل الى اعماق قلوب العامة بل ان كثيرًا منهم لم يكن يقدر على المجاهرة بالحق خوف التكفير والتفسيق » . ص ٣٤

يا سيدي الشيخ

انك لترى ويرى كل من قرأ كتابي وكتابك ان الطعن على اهل العلم والدين ، والقول المهين ، من كتابك لا من كتابي . فانك انت يا شيخُ قلت انهم جهلاء ، اغبياء ،

عليهم . — اقوال الشيخ في تنقص علماء المسلمين وفقهائهم في خطاب مني اليو . — الشيخ الذي ادعى في كتابه ذاك انه راغب في اقالة الامة من عثراتها ، رأيناه في كتابه هذا واقعًا يوقع الامة في تلك العثرات

متعصبون ، مقاصدهم خبيثة ، آراؤهم سخيفة ، خلطوا الدين باباطيل الخرافيين ، وترّهات المزوّرين ، ولبّسوا الدين كما يلبّس الفرو مقلوبًا فخسّروا الاسلام الدنيا والدين . وقلتَ ان العمل بقواعد الفقهاء من اعظم الاسباب التي اودت ببقية الروح التي كانت مختلجة في جسم الاسلام ومرفرفة فوق عقول المسلمين . ومثل ذلك كثير

ان مثل هذه الالفاظ من لغة الشيخ لا من لغة الفتاة . فما للشيخ يتهمني بها مموهًا على الساذجين ؟ — انه يرى نفسه عاجزًا عن مجادلة الفتاة في ميدان العلم والحق ، وان له من الغرض الشخصي وروح الانتقام دافعًا دفعه ، فرمى عن قسيّ الغضب بتلك السهام ، مضحّيًا في ذلك السبيل بما تنشد الفتاة من الخير للاسلام

*

يا سيدي الشيخ ، وقد شكوتَ في كتابك الذي نقلتُ منه ما نقلت ان بعض رجال الدين الذين وصفتَهم بما وصفتَ ، متنقصًا اياهم بما تنقّصتَ ، قد روّجوا باسم الدين ما ألصقَ به من بدعٍ وآراء سخيفة وخرافات ، روّجوها لمقاصد خبيثة هي جذب العامة اليهم رجاء ان يتعلقوا بهم . وقلتَ ان صوت العلماء الحقيقيين كان ضعيفًا لا يصل الى اعماق قلوب العامة ، بل ان كثيرًا منهم اجتنبوا المجاهرة بالحق ، ومناهضة البدع والخرافات الملصقة بالدين ، خوف التكفير والتفسيق

والآن يا سيدي الشيخ ، اوَلسنا واقعين فيما قلتَ من صوتٍ للعلم الحقيقي ضعيف لا يصل الى قلوب العامة ، ومن اجتنابٍ للمجاهرة بالحق في مبادىء « السفور والحجاب » ومقاصده الشريفة خوف التكفير والتفسيق ، ومن قعود عن مناهضة بدعٍ وخرافاتٍ وعاداتٍ ملصقة بالدين ، ومن مسايرة للعامة يؤثرها امثال الشيخ جذبًا للعامة اليهم ، وحرصًا على تعلقها بهم ، لخدمهم فيما لهم من مقاصد ، وما يعرض من احوال ؟

ان المتأمل يرى ان ما شكوته يا سيدي الشيخ في كتابك « الاسلام روح المدنية » قد فعله الشاكي نفسه في كتابه « نظرات » ، او ان الشيخ الذي ادّعى في كتابه ذاك انه راغب في اقالة الامة من عثراتها ، رأيناه في كتابه هذا واقعًا يوقع الامة في تلك العثرات

* * * * *

في عظمة ابة الاسلام وشرف المسلمين ، وإبهام الشيخ الفتاة ، بطعن عليهم . — اقوال الشيخ الغلاييني والشيخ سليم في تنقص الرجال المسلمين ، في خطاب مني اليهم ليحكموا بين الفتاة المدافعة والشيوخ اللاجئين الى الافتراء والتمويه هربًا من الجدال في ميدان الحق المبين . — وفيه ليت الطرس عند الشيخ اندثر ، والقلم بيده انكسر ، قبل ان يخط ما خط ، ويحط من الاسلام ما حط

---

(٣)

يا سيدي الشيخ ، يا زعيم المعارضين

وكيف تزعم اني زعمت في كتابي ان المسلمين وحوشٌ ضوارٍ ، واني غضضتُ منهم وجعلتهم يرعون مع الهمل ؟ أهذا ما فهمتهُ يا استاذ من كتابي ؟ أوَ بمثل هذا امرك الله ؟

سادتي الرجال المسلمين

انظروا الى ما زعم الشيخ واقرأوا كتاب الفتاة ، تروا انهُ خلافًا لما زعم يجلُّ عن المنات. بل اقرأوا ص ١٢٠ وما يليها منهُ ، تروا كيف اني لما سمعت قول امير الشعراء

ان السفور كرامةٌ وبسارةٌ — اولا وحوش في الرجال ضواري

تروا كيف اني دافعتُ عن شرف المسلمين ، كما دافعتُ عن شرف المسلمات . وانظروا الى ما قال معارضيَّ في كتبهم ورسائلهم ، وفائدهم الشيخ الغلاييني ، وانظروا الى الصفحات ٦ و ٢٦ و٢٧ و ٢٩ و ٣٠ و ٣٥ و ١٧١ من كتاب الشيخ سليم ، انظروا الى ما قال فيها عن المسلمين تروا هناك المنات والذوق السقيم . قال الشيخ :

« لما تحقق الغربيون ان لا سبيل لاخماد نور الاصلاح الذي طلع في العالم الاسلامي ، غزوه في طريق المرأة محاولين افساد معتقدها واخلاقها باسم الحرية والتقدم ، ليفسد الرجل بفساد المرأة[1] وتمهد للكائدين سبل اسنبقاء المسلمين مطيةَ الاستعمار ، وبقرةَ الحلوب»

«ان المرأة تطلب حريتها في كل شعب بعد استقلال بلادها ، اما عندنا فالمرأة تطلب حق الاختلاط وحرية الاجتماع ، وشعبنا لا يزال في عقر داره اذلُّ من ضبٍّ ، واضعف من بغاث ، خائرَ العزيمة ، فاتر الهمة ، مضعضع الرأي ، ضال المنهج ، لاظلَّ للحرية في ارجائهِ[2] ولا اثر

---

(١) ما اصلح امثال الشيخ من الرجال . انهم يخافون ان يفسدهم تحرير المرأة ، كما انهم يخافون ان يفتنهم ظهور وجهها . فلكي يكونوا رجالاً لا يخافون ، او من الرجال الصالحين الاحرار ، يجب ان لا تحرَّر المرأة ولا يظهر وجهها وتبقى من الذل في اسار ومن الظلم تحت ستار

(٢) الشيخ يشكو من ضغط الحرية . ومع ذلك فقد خدع نفرًا فطافوا معهُ على اسواق المدينة من باب الى باب ، يضغطون الحرية في نشر (السفور والحجاب) . ولكن يا حضرة الشيخ هيهات ان يتسنى اطفاء نورهِ وفيهِ ما فيهِ من نور الكتاب ، وهيهات ان تخمد انفاس الحرية وقد سرت في النفوس وتمكنت في الالباب

في عظمة ابة الاسلام وشرف المسلمين ، وابهام الشيخ الفتاة ، بطعن
عليهم .— اقوال الشيخ الغلاييني والشيخ سليم في تنقص الرجال المسلمين ، في خطاب
مني اليهم ليحكموا بين الفتاة المدافعة والشيوخ اللاجئين الى الافتراء والتمويه هربًا من
الجدال في ميدان الحق المبين . — وفيه ليت الطرس عند الشيخ اندثر ، والقلم
بيده انكسر ، قبل ان يخط ما خط ، ويحط من الاسلام ما حط

للتقدم في انحائه ، مواطن الدعارة فيه آهلة الربع زاهرة الرياض ، والبيئة فيه مشوبةٌ بالمفاسد ،

ولقد امست البلاد بشيوع الشوائب في اضيق من كفة حابل . وكيف يستحسن خلع النقاب
اليوم ، وبركان الفتن ثائر يقذف الحمم ، والاخلاق صرعى المفاسد ؟ »

يا شيخ سليم ! اين الذوق السليم ؟ ! ما هذا الكلام الشائن لشرف المسلمين ؟ !
أَوَ المسلمون من المطيّ والبقر ؟ !
أَوَ المسلمون اذل في عقر دارهم من ضبّ واضعف من بغاث ؟ !
أَوَ مواطن الدعارة في الاسلام آهلة ؟ ! أَوَ الاخلاق في الاسلام صرعى المفاسد ؟ !
ليت الطرس عندك اندثر ، والقلم بيدك انكسر ، قبل ان يخطّ ما خطّ ، ويحط من
الاسلام ما حطّ ! ! !

ولننظر الان الى ما قال الشيخ الغلاييني نفسه في الصفحة ٢٧٣ من كتابه (الدين الاسلامي واللورد
كرومر) قال : « ان اكثر من يطالب برفع الحجاب واختلاط الجنسين يتوهمون امرأة كاملة
في وسط كامل عارٍ عن النقائص . وانما هي امرأة جاهلة في محيط فاسد »

وقال في كتابه نظرات ص ٥٠ : « الناس لا يزالون ناسًا وكثير منهم لم يزالوا حيوانات .
اسقطي الحكومات وابطلي القوّامين على الرجال والنساء ترى عجبًا من الفوضى ومنكرًا من
الاضطراب »

سامحك الله ، يا شيخ مصطفى ، اهذا ما اصطفيت من مدحٍ للمسلمين ؟ اوَ محيط الاسلام فاسد ؟ !

يا سيدي الشيخ

ليس محيط الاسلام ، محصورًا حيث الظلام ، وحيث رماة السهام ، في ذلك الوادي
الضيّق ويا له من واد ! انما للاسلام ، على الجبال والآكام ، محيط شاسع واسع ، فهو شعاع
من الدين القويم ، والخلق الكريم ، مثل شعاع الشمس ساطع ، لا يفسح مجالاً للفساد . فاعلم
ذلك ، وقل لرفيقك الشيخ سليم : ليس المسلمون من الهمل وليست الاخلاق في الاسلام صرعى
المفاسد

في عظمة اية الاسلام وشرف المسلمين ، وابهام الشيخ الفتاة ، بطعن عليهم . — اقوال الشيخ الغلاييني والشيخ سليم في تنقص الرجال المسلمين ، في خطاب مني اليهم ليحكموا بين الفتاة المدافعة والشيوخ اللاجئين الى الافتراء والتمويه هرباً من الجدال في ميدان الحق المبين . — وفيه ليت الطرس عند الشيخ اندثر ، والقلم بيده انكسر ، قبل ان يخطّ ما خط ، ويحط من الاسلام ما حط

واعلم وقل لنفسك : ليس لاحد من الناس ان يسقط الحكومات ويبطل القوّامين على الرجال والنساء ؛ فلا فوضى اليوم تمنع الحرية ، والسير في طريق الحياة والمدنية

سادتي الرجال المسلمين

قد يكون أنّ الشيخ مصطفى جعل من اسباب ابهامه اياي بالغضّ من المسلمين ما قلته في فاتحة «السفور والحجاب» . فانقله اليكم . اني قلت هناك :

«ولا يخفى على الرجل الراقي ، نصير الحق والمرأة ، المدرك روح الاسلام وخير الامة ، ان ما سيقرأ من ملام وعتاب ، في معرض الدفاع او الخطاب ، لا يتناول امثاله ، انما ذلك يتناول رجاله . ان الملام والعتاب والحرج ، على من خالف كتاب الله وسنة رسوله ، وخالف حكم العقل ، ولم يعرف نفسه ، وضل عن معالم الخير ، وجهلَ مصلحة الامة ، وخفيت عليه طرق الصيانة والكرامة ، فبخسَ المرأة حقًا ، وسام الحرّة رقًا ؛ ذلك للمتهفر او الجامد ، او للمرائي بالورع البارد »

فيا سادتي الرجال المسلمين ، اوَ لا ترون اني لم اخاطب في معرض الدفاع بالعتاب ، الا مثل اولئك الراشقين بالسهام في الوادي ؟ كيف اعني بعتابي رجال المسلمين المستنيرين وأبي منهم ؟ وكيف انتقّص المسلمات وانا وامي منهنّ ؟ كيف اعني بعتابي ، اولئك الذين عنيتُهم في خطابي الى الاقوام ، في معالي الاسلام ؟

أمَن هم على الجبال والهضاب ، وما زالوا يضعون على وجوه نسائهم الحجاب ، اتقاء لسهام السباب ، أأولئك ومن هم في الوادي وفي الظلام ، يرمون اخوانهم واخواتهم بتلك السهام ، أأولئك وهؤلاء سواء ؟

يا اهلي اهل الاسلام أُجلكم عن ان تنخدعوا باباطيل الكلام . فانظروا الى كتابي تروا ان كل ما فيه لا يرمي الا الى اعلاء شرف المسلمين والمسلمات ، وانظروا الى ما قال المعارضون الرماة ، مما يغضّ من المسلمين في العالمين ، والى ما ذكرت في بحث سبق من اقوال لهم تغضّ من المسلمات ، واحكموا بعد ذلك إما لهم او لهذه الفتاة

البحث الرابع

في ما اسند الشيخ باطلاً الى الفتاة في ندائها الى السلطات من طلب تدخل في امور الدين، وانتقام للمسلمات من المسلمين، وتعرض لحرية، وتمزيق لنقب بالقوة، ودحض الفتاة ما اسند الشيخ.—
وفي انكار الشيخ ضغط السلطة المحلية وضغط الحجابيين، حرية السفور بين، واثبات الفتاة ما انكر الشيخ

(١)

يا سيدي الشيخ

لقد زمرتم وطبلتم كثيراً في كتبكم ورسائلكم وجرائدكم قائلين اني طلبت في كتابي وفي رسالتي الى المفوضية العليا من السلطة المنتدبة تدخلاً في امر الدين، ليتم لها الانتدابان السياسي والديني، ذلك للنيل من كيان الشرق والقضاء على كل نهضة قومية ترتفع تحت سمائه؛ واني طلبت ان تنتقم للمسلمات المظلومات من المسلمين الظالمين، وتتعرض للحرية، فتمزق النقب بالقوة؛ وان ما قد كتبتُ كان مملوءاً سماً ونفاقاً ومكراً ورياء وخداعاً وتزلفاً؛ وان استنجادي بالسلطة دسيسة ينشأ منها ما يرغب فيه الدساسون من فتح باب للخلاف بين الاهلين والسلطة المنتدبة يستفيد منه الكامنون وراء الاكمة؛ واني كنت كصاحب جرة العسل، علّقها فوق رأسه واستغرق في احلامه حتى هوّل على والده الموهوم بعصاه فكسر الجرة.. وقال الشيخ «وهكذا قد كسرتِ جرة آمالك ولكن لم يسل منها عليك العسل... !» (١)

(١) سيرى القارىء اني لم اكسر جرةً ما. انما انكسرت نفس الشيخ من تلقائها فيه، فسال ما فيها من فيه

فلدى حراس الحق والحرية والسلام، لدى قضاة الاجماع من العالم ومن اهلي اهل الاسلام، اعرض ما قلت وما قالوا، او ما كتبتُ وما كتبوا

قلتُ فيما قلتُ تحت عنوان، نداء الى السلطات ص ١٦

« ايتها السلطة الكريمة. انا لا نطلب منك تدخلاً في اعتقاد احد، فالله جل جلاله لم يسمح لنبيّه صلى الله عليه وسلم ان يكون مسيطرًا او وكيلاً او حفيظًا على عباده، وحذّره من الاكراه في الدين، وكاد يعتبه لو اكره الناس حتى يكونوا مؤمنين. فبعد هذا كيف نكلّفك ان تتدخلي في دين وايمان، وما انت الا سلطة عالمية؟ انا معشر النساء فطرنا على الطاعة لله ورسوله، فلا نعمل الاّ ما يرضيهما. ليت المرائين من الرجال يقفون حيث نقف من حدود الدين، فلا يطلبوا باسمه وقائدهم الهوى، تدخلاً منك لاكراه المسلمات على ستر وجوههن »

وقلت في الصفحة ١٤-٢١-٢٢

« يا ايتها السلطات الكريمة انا نخاطب فيك سلطة عالمية لا تدخل لها في امور الدين، ولا نطلب منك معونةً لنيل ما اناله الدين من حق او حرية كما يطلبون هم منك المعونة لسلبها منا. وانما نطلب منك، وانت سلطة عالمية، تطبيق القانون العالمي المسنون الذي قدّس الحرية الشخصية تقديسًا. ومنع تقييدها الاّ بحكم منه صريح

« انه لظلم أليم، ولا يخفى عليك ايتها السلطة المحترمة، ان يجعلنا القانون احرارًا، ويجعلنا الله وشرعه احرارًا، ثم يجرؤ بعضٌ من اعضائك المحليين، او من اعضاء المجتمع، على خرق القانون لتقييد حريات المسلمات في المدن كرهًا واستبدادًا تبعًا للهوى، في حين ان حرية اخواتهن غير المسلمات في المدن والقرى، واخواتهن المسلمات في القرى، مصونة بالقانون من كل تعرض ... فذري كلاً منا حرًا في معتقده يختار الطريقة التي يراها اوفق الطرائق لدينه، واحفظها لشرفه

« ان دعاة السفور لا يعتدُون على دعاة الحجاب، فيجب على دعاة الحجاب ان لا يعتدوا على دعاة السفور. ان الله لا يحب المعتدين، والله اعلم بمن كان اهدى سبيلا

« يا ايتها السلطات العالمية الكريمة، ان كل عيلة منا وكل امرأة منا لها رئيس او قيم، وليس الحكم الاجتماعي الا لذلك الرئيس او لذلك القيم، اذا رأى الخير في السفور اتبعه، واذا

رأى الخير في الحجاب اتبعهُ ، وإلا انقلب الامر الى فوضى . ان حرية كل فرد محدودة بحرية غيره ، فلا يجوز لاحدٍ ان يتجاوز حدود غيره، ومن تجاوز فالقانون يرجعهُ الى حدهِ

« ان القانون روح السلطة وروح الاجتماع الناطقة . فكما ان الروح آمرةٌ مطلقة على اعضاء الجسد ، كذلك القانون انما هو الآمر المطلق على اعضاء السلطة والاجتماع ، ولا يسوغ ان يجد الهوى والاستبداد الى عضوٍ من الاعضاء سبيلاً يؤدي الى اخلال او ابطال في العمل القانوني يؤذي نساء المسلمين

« اقول هذا ونفسي تقول قول زغلول (احب سلامة النية ، والصدق في القول ، وان تقوم المحبة بين الناس مقام القانون) . »

وقلت في رسالتي التي اهديت بها كتابي الى المفوض السامي وقد نشرتها لسان الحال واثبتُّها في الجزء الاول من كتابي هذا ص ١٠٢

« وها انا ذا رافعة نسخة من كتابي هذا الى مقام المفوضية السامي ، راجيةً ان تشملوه بنظركم العالي . ومن أولى من ممثل ام المدنية والحرية والنور ، بمد اليد القوية لانقاذ المرأة المستضعفة المسلمة من الوهدة المظلمة التي ألقيت فيها خلافاً لمقتضي كتاب الله وسنة نبيه وحكم العقل وقواعد الاجتماع . ذلك ، كما رجوت بندائي الى السلطات في كتابي ، بمنع كل سلطة في الانتداب الفرنسي ان تتدخل في امور الدين فتضغط حرية المسلمات في معتقدهن ، وبتأمين الحرية الشخصية تأميناً يقتضيه القانون العالي المسنون ، وبمظاهرة المتجددين في الاسلام لتأييد اسباب الخير والرقي ، وحماية الحريات ، وتعميم الصلاح ، وتهذيب الاخلاق ، وتوثيق عرى الاخوّة والتآلف والمساواة بين الناس . انما بمثل هذا تتعطف ويتعطف العالم الثمرات المنتظرة الطيبة من وجود فرنسا بين ظهرانينا منتدبةً علينا »

هذا ما قلت يا سادتي وسيداتي في كتابي ، وفي رسالتي الى المفوض السامي . واناشدكم الله ربي وربكم ، يا حراس الحق والحرية والسلام ، من قضاة الاجتماع في العالم ومن اهلي اهل الاسلام ، تأمّلوا في ما كتبت ، وتأملوا في ما استنتج منهُ الشيخ ورفاقهُ المعارضون، او في ما افتروا لاثارة الخواطر على كتابي ، واحكموا في اينا القومُ طريقاً وطريقة ، واحسن نيةً واشد استمساكاً بالحق والحقيقة

في معالجة مثل السفور والحجاب من الامور الاجتماعية، وفي بلاد السفور واهله .
ومشاهد من ضغط الحرية . — وفيهِ حديث منظوم بين سافرة ومحجبة

وقالت لها احدى رفيقاتي المعلمات المستنيرات ، لاتنظري يا اختنا الى اقوال هؤلاء المعارضين ، الذين يغمطون الناس ، ويخالفون الدين باسم الدين ، فيجعلونهُ وسيلة للتفرقة بين اهل الوطن الواحد ، او بين العالمين . فما النصارى اتباع المسيح عيسى ، وما المسلمون اتباع محمد عليهما الصلاة والسلام ، سواءٌ أكانوا من أتباعِ السفور ، او من اتباع الحجاب ، الاّ اخوان واخوات ، منهيون ومنهيات عن الفحشاء والمنكر والبغي ، ومأمورون ومأمورات بالعدل والاحسان ، والرفق والمعروف ، والحرية والاخاء ، والمروءة والحياء ، والمحبة والسلام ، ومكلّفون ومكلفات تبادل الاحترام ، وكل ما يبعث الهدى ، وينشر النور ، ويضمن الوئام ، في الانام !!

اجل لاتنظري يا اختنا الى قولِ شاذٍّ ، لاولئك الشذّاذ ، بل انظري الى ما يقول الاعلام ، او السواد الاعظم من الاسلام ، انظري الى كلام امير الشعراء وما اشرفَ الكلام

وُلدَ الرفقُ يومَ مولدِ عيسى والمروآت والهدى والحياء
وسَرَتْ آية المسيح كما يسـ ـري من الفجرِ في الوجود الضياء
تملأُ الارضَ والعوالمَ نوراً فالثرى مائجٌ بهـا وضّاء
لا وعيدٌ لا صولةٌ لا انتقامٌ لا حسامٌ لا غزوةٌ لا دماء

ولم يَقل السيدات ما قلنَ ، ولم اقل ما قلتُ لهن من الكلام ، الاّ سمعتُ نغماً من ألطف الانغام فالتفتُّ فرأيتُ على احدى الآكام ، فتاةً سافرةً نيّرةً مثل البدر في الظلام ، ورأيتها تخاطب عن بعد اختاً لها محجبة عن العيون كما يحجب الشمسَ الغمام

قالت بنغمها اللطيف :

يا فتاةَ الشرق قد فاض الضحى وعلت في الافق انوار الهدى
وعلى الآكام زهرٌ باسمٌ سرَق الالوان منها وأرتدى
وجلالُ الطودِ في اشراقِهِ يرفع النفسَ الى أعلى العلى
فانظري ما اجملَ الكونَ وما أبدعَ الخالقُ حبّاً للانام

 نظراتٌ الفتاة، عكس نظرات المعارضين الرماة، في اشتراك اخواننا بالوطنية في معالجة مثل السفور والحجاب من الامور الاجتماعية ، وفي بلاد السفور واهلهِ. ومشاهد من ضغط الحرية . – وفيهِ حديث منظوم بين سافرةٍ ومحجبة

اجابتها المحجبة بنغمها الشجي :

حرموني منظر الصبح وما | في فضاء الله من لونٍ ونورْ
وعلى عينيَّ لاستبدادهم | سدّلوا من ظلمة الجهل الستور
بتُّ لا يؤنسني الاَّ الأسى | أُرسلُ الدمعَ على قلبٍ كسير
فاذا ما طلعت شمس الضحى | كنتُ من قلبي وعقلي في ظلام

قالت السافرة :

نهض الناس الى العلم فكم | حولَ حوض العلم من مزدحمِ
ومَضَوا في سعيهم نحو العلى | كسهام في استباق الأمم
ترفع المرأة في نهضتهم | شرَفَ الاخلاق مثل العلم
فانهضي يا بهجةَ الشرق الى | عرشِكِ السامي فقد طال المنام

قالت المحجبة :

لا نهوض للتي قد رزحت | في قيود الجهل والظلم الغشوم
حرَّموا النور فتهنا مثلما | تاه من يُحرم انوارَ النجوم
نحن لا فائدةٌ منا ولا | أملٌ يرجّى ولا حبٌّ يدوم
مهملاتٌ في زوايا بيتنا | كأوانٍ للملاهي والمدام

قالت السافرة :

بهجةُ الدنيا فتاة سَفَرَت | وزهت بالدين والعلم الصحيح
يتحاشى القومُ في حضرتها | كلَّ فعل ساءَ او لفظ قبيح
اطَّلعت في الغرب من آدابهِ | فهي في التهذيب للاقوام روح
هي نور القلب مصباح الهدى | هي معوانٌ بحرب وسلام

قالت المحجبة :

نحن للشرق جناح اهله | كسروهُ فلذا الشرق التوى
ومشى منكسرًا بين الورى | حينما الغربُ الى الاوج سما
جعلونا مثقلاتٍ ظهره | كلما قام عن الارض هوَى

في معالجة مثل السفور والحجاب من الامور الاجتماعية ، وفي بلاد السفور واعله .
ومشاهد من ضغط الحرية . — وفيهِ خطابي الى المعارضين
لاتباع الصواب وطريق الخير والحق المبين

وعجيب أمر من لا يرعوي وعلى بؤس وخسران اقام

قالت السافرة :

جددي الآمال فاليأس انقضى ان نورًا في دجى الليل اضاء
أشعلتهُ بنتُ زين الدين في امّة قد بخست حق النساء
هاكها سافرةً ناشرةً سورة النور وآيات الرجاء
وحجاب الجهل قد مزقهُ سفرُها الغالي واخلاقٌ كرام

فالت المحجبة تناجي ربها :

يا اله الناس ألهم قومنا طرقَ الخير واسباب الحياة
واكشف الظلمةَ وارحم امّةً بضياء في طريق الامهات
واهدِ للحق رجالاً ظلموا بل رموا امنهم في الظلمات
وسهام الشرّ تترى منهمُ فاهدم يا ربنا كسر السهام

سمعت هذه الانغام اللطيفة الشجية ، ولكن المعارضين في ضجيجهم لم يسمعوها ، ودامت اسهام تترى

ثم رفعت صوتي عاليًا وقلت لهم :

واحسرتاه ! أوَيجوز ان نترك الحقيقة المستقاة من كتاب الله عنادًا ، ويُحرَم المسلمون هدًى بربه الله لهم ونورًا ورشادا ؟

واحسرتاه ! اوَ لسنا في الوطن الواحد اخوةً واخوات مصالحهم في الدنيا مشتركة، يقوى الواحد بقوة الآخر ، ويضعف بضعفهِ

اوَ ليس للاخ ان يهتمّ لمصلحة اخيهِ ، فيبحث عن خيرٍ له يراه ؟

أوَ لم يُعلن المسلمون ان الحجاب ليس الا عادة اجتماعية ظن الناس انها من الدين وهي ليست من الدين ؟

وهل يجوز ان يمنع احد من الامة العربية ، من البحث في عادة اجتماعية ، كانت عامة

لجميع افراد الامة ، ثم تركها فريق منها مسلمون وغير مسلمين ، وبقي مستمسكًا بها فريق آخر مسلمون ايضًا وغير مسلمين

أوَ ليس ذلك منافيًا لما نعلنه من الوحدة القومية العربية ، والاخوّة في الوطنية ؟

أوَ لا يؤخّر ذلك خطواتنا نحو ما ننشده من الاستقلال الناجز الكامل ؟

ألا يدرك اولئك الذين يدعون النخوة العربية ، انهم بمثل ما يعملون من منع الناس عن العمل بمقتضى الاخوّة ، ومن مقاومة الحرية الشخصية والفكرية والقلبية ، يخلقون ما تتخذه الامم دليلاً على اننا لم نبلغ الرشد وعلى وجوب الانتداب علينا ؟

وكيف ننشد الاستقلال والحرية و بعضنا يحرم بعضًا اياها ، ويأنف بعضنا من ان يأتيه نفع عن طريق البعض الآخر ؟

واذا اعتقد المسيحي المشترك في الوطنية معنا ، ولا يمكنه الانفراد عنا ، ان تحرير المرأة حجر الزاوية لرقي الامة العربية وبلوغها ذروة الحرية ، اوَ ليس له ان يطلق فكره وقلمه ، في سبيل اقناع الامة لتحرير المرأة توسلاً لنيل ما ينشد من استقلال وطنه ووحدة قومه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « حبُّ الوطنِ من الايمان » ؟

أوَلنا ان نمنع قلمه عن الجري في طريق يعتقد انهُ يفضي الى الحرية والوحدة والاستقلال ؟

أوَلنا ان نهدّده ، ونقيّده ، بمثل ما يريد السادة المعارضون ان يقيّدوه من اغلال ؟

أوَلنا ان نمنعهُ عن البحث في عادة الحجاب ، وكثير من نسائه في كثير من الانحاء العربية ما زلنَ يرسفنَ في اغلال تلك العادة ؟

قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم « من رأى الحقّ وسكتَ عنهُ فهو شيطانٌ أخرس » .

أوَلنا ان نسكت المسيحيّ عن الحق ، ونجعله بالرغم منه شيطانًا أخرس ؟

وقال صلى الله عليهِ وسلم « يا عليّ ، ذهبَتِ الجاهليّةُ بعصبيّتها ، فلا عَصَبيّةَ في الاسلام » ، وقال علي عليهِ السلام « إذَا كانَ لا بدَّ لكُم من العصبيّة فتعصّبوا لمكارمِ الأخلاق » . فهل يُحسب ما قلتم يا سادتي عن اخوانكم واخواتكم في الوطنية ، او في الانسانية ، من الاخلاق التي أُمرتم ان تتعصّبوا لها ، ام انهُ من العصبية التي ذهبت بها الجاهلية ؟

يقول بعض كتاب الغرب ان في هذه البلاد نزاعًا بين الحضارة النصرانية والحضارة

الاسلامية ، ويبذرون هذه البذور ليحصدوها شقاقًا وخلافًا . فلا تؤيدوا باعمالكم اقوال اولئك الكتاب . وليعلم العالم ، كما قال الاستاذ فوزي بك الغزي في خطبة له في الجامعة الوطنية، رحمة الله ، انه ليس في الشرق العربي سوى نزاع واحد ، هو نزاع بين العبودية والحرية ، نزاع بين الظلمات والنور، وانه ليس عندنا الا وطنية واحدة ، لا نصرانية ولا اسلامية ، وطنية عربية خالصة بريئة من كل شائبة من شوائب التعصب الذميم

وقال المرحوم المشار اليه كل شيء نصيبه التحول والتبدل الاَّ ثلاثة امور : حقيقة تُبحَث، وخيرٌ يُعمَل، ووطن يُخدَم ، فلا تمنعوا الحقيقة ان تُبحث ، والخير ان يُعمَل ، والوطن ان يُخدم

نعم انكم توفقتم ، يا ايها المعارضون، بتهديدكم، الى منع الصحف البيروتية، من البحث في قضية المرأة الاجتماعية ، مع ما في ذلك من عمل الخير والخدمة الوطنية . ولكن ذلك ليس من مصلحة العرب ولا من مصلحة الاسلام

اناشدكم الله ايها السادة لا تخفوا الادواء ، اذا اردتم للامة العربية الشفاء، ولا تنكروا المظالم اذا نشدتم العدل ، ولا تمنعوا العلماء والاطباء الاجتماعيين ان يعالجوا ما فيه خير للمجتمع . فليس علم الاجتماع وطبّه مختصين بالمسلمين . والا فنحن في وطن مجتمعه مشتّت ليسَ له من علوّ المقام ما يجب ان يكون له بين العالمين

فعلامَ يظهر غير المسلم ابعد منكم يا ايها المعارضون نظرًا ، واشدّ ازرًا، في نفع القومية ، وتعزيز الوطنية ؟

قال المرحوم جمال الدين الافغاني : « كأنّ غير المسلمين يعملون بما جاء في القرآن ، وكأن المسلمين لا يعملون » . وانا بعد قوله اقول : « ليعتبر المسلمون »

أوَليس من الظلم والاعتساف ، وقلة الانصاف ، ايها السادة المعارضون ، ان تطعنوا بنشراتكم ، وجرائدكم ، وقصائدكم ، في اخوتنا واخواتنا أتباع السفور ، تلك الطعنات الشنعاء ، منكرين عليهم حتى العرض والمروءة والاباء والحياء ، وصحة الانسال ومعرفة الآباء، وان تمنعوا في الوقت نفسه اقلامهم عن الجري في مضمار الدفاع عن مبدإهم ، مبدإ السفور القويم،

بالوطنية ، في معالجة مثل السفور والحجاب من الامور الاجتماعية ، وفي بلاد
السفور واهله . ومشاهد من ضغط الحرية . — وفيه كلمة للاستاذ
فارس بك الخوري في الشرائع السماوية ، وحيلولتها دون سير المدنية .
وكلمتي في كلمته ، وفي امور الدنيا وامور الدين

دفاعًا ادبيًا نزيهًا يبرّئون به انفسهم لديكم ما اسندتم اليهم جهلاً او عدوانًا ، وبه يتوصلون الى ما يكسبهم من احترامكم نصيبًا ومن قلوبكم مكانا ، والى ما يكسب القوم العربي ، بما يتمّ فيه من الحرية الحقة العامّة ، والمساواة الفعلية التامّة ، ومن خالص الاخوّة ومتبادل الاحترام ، مجدًا خليقًا به ووحدةً ليس لها انفصام ؟

قال السيد المسيح عليه الصلاة والسلام : (كل ما تريدون ان يفعل الناس بكم ، افعلوه انتم بهم . وكل ما لا تريدون ان يفعل الناس بكم لا تفعلوه بهم) . تلك هي القاعدة الذهبية التي تبنى عليها مبادىء الاديان المنزلة والاخلاق . أوَ تريدون ان يسند اهل السفور اليكم ، ما اسندتم اليهم او بعض ذلك ؟

اوَ تريدون ان تستبدوا بعقول الناس واخلاقهم كما استبددتم بنسائكم ، وتحجبوا وجوه الخير من حرية العقل والقلم كما حجبتم وجوههنّ ؟

ما هذا الكلام : رازق الدود ! الحجر الجلمود ! الدماء تفور ! الاجسام تغور ! منذر مستديم ! استعالة مشاع ! كلاب كلبة ! تنهش الاجساد ؟ !

ان على العقلاء منا ان يظهروا للسادة المعارضين ، واجب الاخاء وحق الوطنية ، واسباب الخير لتحرير الام والامة ، ويمثّلوا للعيون ، الضرر الذي ينتج مما يقولون ويعملون ، ليجتنبوا ما يجرّ علينا الانتقاد ، من كل واد

ولم اقل ما قلت من الكلام ، وانا من المعارضين بين الضجيج ورشق السهام ، الاّ رأيتُ الاستاذ فارس بك الخوري من الوزراء السابقين ، واعلام الوطنيين ، على منبر جريدة الاصلاح يُلقي خطابًا مهيبًا سمعت منه :

« وانت اذا عرفت ان سبب تقهقر الشرق محصور بالكابوس الديني الذي جعل قواعد الحياة مستمدة من السماء ، ادركتَ الضرر من تعظيم دعاة الدين المسؤولين عن خلق هذه القواعد ، واشرابها نفوس العامة قرونًا طويلة حتى جعلوها عقبةً كؤودًا في طريق كل تجدد

الشرائع السماوية ثابتة مستقرة ، والمدنية متحركة متحولة . والثابت لا يستطيع ان يرافق الماشي . ولا بد للماشي من ترك الواقف حتى يتمكن من بلوغ محجته . فان لم يفصل المسلمون شريعة محمد وصحبه واتباعه عن امور دنياهم ، لا يمكن ان يرافقوا مدنية العصر الحاضر ، ويؤيدوا لهم ولشركائهم في اوطانهم حقوق الحياة التي يتطلبها احرار هذا الزمان »

هذا ما قال الاستاذ . ولم يحمله على ذلك الا مثل اقوال معارضيّ ، واعمال امثالهم

فقلت للاستاذ : ليست الشرائع السماوية مانعة ما يتطلب من حقوق الحياة احرار هذا الزمان . انما المانع لذلك سوء فهمها وتأويلها . فبرّىء الشرائع السماوية مما اسندت ، واسنده الى مخالفيها من بني الانسان . فللدين من شرع الخالق سلطان ، وللدنيا من عقل المخلوق سلطان ، كلاهما بمقتضي تلكم الشرائع متآزران متضامنان في الحق والخير ، ولكنهما مستقلان

ان الشرائع السماوية ، لا تقيدنا تقييدًا ثابتًا الا في علاقاتنا مع خالقنا سبحانه وتعالى ؛ ذلك في اصول الدين والايمان . واما امور دنيانا ، وقواعد حياتنا ، والمعاملات والعلاقات بيننا ، فهي تابعة بمقتضى تلكم الشرائع لحكم العقل ، ومتحولة بمقتضى المصلحة والزمان . ذلك لقولهِ صلى الله عليهِ وسلم « أنتم أعلَمُ بامورِ دُنياكم » . ولقولهِ صلى الله عليهِ وسلم « يبعثُ اللهُ على رأسِ كلِّ مئةِ عامٍ من يُجدّدُ لهذهِ الأمّةِ أمرَ دينها » . وما امر الدين الذي يجدد في كل عصر بمقتضى الزمان ، الا المعاملة بين بني الانسان ، لقولهِ صلى الله عليهِ وسلم « الدينُ المعاملة » . وبما انه لا نبيّ بعد نبينا عليهِ الصلاة والسلام ، فهل من مجدد في امر المعاملة الا ذلك النور الروحاني ، العقل الانساني ، المفوض اليهِ من الله امر اشتراع الاحكام ؟

ان تلكم الاحاديث الشريفة ، من آساس الحكمة التي بنيت عليها القاعدة الجليلة الشرعية : « لا يُنكَر تغيُّرُ الاحكام بتغيُّرِ الازمان » . وان الحديث الشريف « العَقلُ شَرعٌ من دَاخِلٍ ، والشرعُ عقلٌ من خارج » ، والحديث الشريف « كُلُّ ما يراهُ المسلمونَ حَسَنًا ، فهوَ عندَ اللهِ حَسَن » والحديث المرفوع الى رسول الله صلى الله عليهِ وسلم « إنّ اللهَ خَلقَ العقلَ وهو اوّلُ خلقٍ من الرُوحانيين عن يمينِ العرشِ من نُورِه ، وجعل له الخير وزيرا » الى آخر الحديث ، ان تلكم الاحاديث الشريفة تدل ابهرَ دلالة على ان العقل لامور الدنيا شرعٌ يترقّى ، او سلطان له سلطة من الخالق ان يشرع احكام الدنيا ويُعدّلها ويبدّلها تبعًا للزمان ، وله الخير وزير

ولا بدع في ذلك فان عقل الانسان مظهر روحه، وما روحه الا من روح الله، الروح الاعظم . قال الله تعالى في كتابه العزيز. « وإذ قالَ ربكَ للملائكة إني خالقٌ بشرًا من طين، فاذا سوّيتهُ ونفختُ فيهِ من رُوحي فقعُوا له ساجدِين . » وقال تعالى «يا ايها الناس، اتقُوا ربكُمُ الذي خلقكمُ من نفسٍ واحِدَة » اي روحٍ واحدة.

اذن ليس حكم العقل الا مظهرًا من حكم الخالق . لان العقل من نور الله، جعلهُ الله نور الروح من الانسان، وروح الانسان من روح الخالق . ولولا ذلك لما أمر الخالق الملائكة أن يقعوا للانسان ساجدين ; ولولا ذلك لما جُعل الاجماع، من اصول الاحكام الاربعة مثل الكتاب والسنة، ولما جعل العقل واحدًا من تلك الاصول.

كيف يُحرم العقل الاشتراع تبعًا للمصلحة والزمان، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما حرّمَ اللهُ شيئًا الا اباحه للضَّرُورة » ؟ فاذا كان للعقل ان يبدّل عند الضرورة في المنهيات والمحرمات فيجعلها مباحةً، أما يجوز له عند الضرورة ان يبدِل بالاحرى في المأمورات ؟ ومَن ينكر الضرورة في الحياة الحاضرة لتبديل بعض الاحكام والمعاملات الدنيوية، بعد ان رأينا تلك الضرورة قد حملت المسلمين وخلفاءهم على تبديل ما بدّلوا منها ؟ انهم فصلوا امور الدين عن امور الدنيا، فشرعوا يبدّلون في قوانينهم الحديثة كل ما ارتأوا تبديلهُ من المعاملات الدنيوية، وقواعد الحياة . ولا غروَ ان يفعلوا ذلك، فسيدنا عمر رضي الله عنهُ قد بدّل من قبل ما بدّل ابتغاء الخير للاسلام . ولو كان للنساء اشتراك في الاشتراع والتبديل لتناول في كل مكان ما يتعلق بالمرأة المستضعفة، كما تناول ما يتعلق بالرجل، شيئًا غير قليل . واننا لمن اتباع الهوى المخطئين، او من الظلمة المستبدين، اذا حسبنا ما يتعلق بالرجال من امور الدنيا المتحوّلة، وبعض ما يتعلق بالنساء من امور الدين

ان خلفاء الاسلام والدول الاسلامية حرّروا القاعدة الجليلة الفقهية « لا يُنكَر تغيُّر الاحكام بتغير الازمان» ، حرّروها من قيدٍ اجتهاديّ يوهن قوّتها، مضيقًا دائرتها، منقصًا فائدتها. ذلك القيد هو جواز حصر التغيير في ما بني على العرف والعادة . فكانوا بتحرير تلك القاعدة آخذين بالحكمة المكنونة في آيات الله، مأوّلين اياها خير تأويل تبعًا للقصد الالهيّ في التنزيل . وليس القصد الالهي في احكام المعاملات الدنيوية، الا الخير لعباد الله في الدنيا . وطرائق الخير في الدنيا المتقلبة، تختلف بحسب الازمنة المتحوّلة، فلأهل الازمنة ان يذهبوا وفاقًا للحديث الشريف : « أنتمُ أعلمُ بأمورِ دُنياكم » ما شاؤوا من المذاهب في سبيل خيرهم

ونفعهم ، لا يعوقهم عن السير في ذلك السبيل ، نصٌ كان فيه لغير زمانهم خيرٌ كثير ونفعٌ جليل . وحيث يتم الخير والنفع للناس في الزمان الذي هم فيه ، يتم القصد الالهي . انهُ ينبوع الخير واليسر والرقي للعباد

أوَ ليس من اجل ذلك كانت آيات الله اثناء تنزيلها تُنسخ وتعمّ وتخصّص بحسب الزمان ؟ اجل انها كانت تنسخ وتعم وتخصص بحسب الزمان ، ذلك تأميناً لنفع الانسان ، وتعليماً لهُ ان يجدّد قواعد الحياة والمعاملات ، بحكم العقل ذلك النور الروحاني ، او بحكم ما فيهِ من روح الاله الحيّ مصدر النور ومنبع الحياة

اني استدللت فيما استدللت بالناسخ والمنسوخ . اما بعض علماء الاسلام فقالوا : ليس في القرآن ناسخ ومنسوخ انما فيهِ آيات شدّةٍ وآيات رخاء ، لنأخذَ بهذه او بتلك بحسب المصلحة والاقتضاء

ان خلفاء الاسلام والدول الاسلامية ، ذهبوا في قواعد الحياة ووضع القوانين الحديثة ، مذهب التجديد باشتراع العقل في امور الدنيا . وخير انّ نعد ونعتقد ان تجديدهم او تجددهم عن اجتهاد واعتقاد ، من ان نذهب الى ان ذلك نتيجة خرقٍ في الدين او الحاد

انهم بدلوا باشتراع العقل ما ارتأوا تبديلهُ من المعاملات . محافظين على الاحكام المختصة بالعبادات ، لانها علاقة البشر بالخالق ، وحق الخالق . فهذه ثابتةٌ ابدًا ، ليس للمخلوق ان يمدّ لتبديل شيء منها ، يدا . فكل ما حسّن الله ورسولهُ منها حسن ابدي ، وما قبحاه قبيح ابدي . غير ان ما يختص بمعاملات البشر وقواعد حياتهم ، فقد حسّن الله ورسولهُ التجدد فيه ، لان الحسن والقبيح من ذلك لا يمكن ان يكونا ابديين

لو لم يعط الله العقلَ سلطةَ الاشتراع في امور الدنيا ، لما قال نبيه سيدنا محمد عليهِ الصلاة والسلام « كلُّ ما يرَاه المسلمُونَ حسنًا فهو عِندَ الله حَسَن » ولما قال سيدنا عيسى عليهِ الصلاة والسلام « كلُّ ما تحلونهُ على الارضِ فهو محلولٌ في السماء ، وكلُّ ما تربِطُونهُ على الارض فهو مربوط في السماء »

اذن ان الشرائع السماوية يا حضرة الاستاذ منبع الخير ، وما كانت عقبةً كؤُودًا في طريق كل تجدد ، وما كانت لتمنع العقل ان يشترع قواعد الحياة تبعًا للمصلحة ، وما كانت لتمنعنا ان نرافق مدنية العصر الحاضر ، وان نويّد حقوق الحياة المشتركة التي يتطلبها الاحرار لاعتزاز الوطن المحبوب ، وبلوغ المحجة من الخير المطلوب . على انهُ اذا جُعلت عقبة كؤُودا ، نستوجب

قهقرةً او جمودا ، او اذا جعلت كابوسًا يضغط نفوسًا ، فالتبعة على عقل الانسان ، لانهُ بمقتضى تلكم الشرائع هو المشترع لقواعد الحياة تبعًا للزمان ، وعليهِ ان يستشير الخير ، لانهُ الوزير، وهو السلطان

*****

نعم ان التبعة على بعض الرجال ، اذ انهم قد اكتفوا بفصلهم عن امور الدين الثابتة ، امور الدنيا المتحولة المتعلقة بهم ، من معاملات وعقوبات وقواعدَ حياة . فبدّلوا في قوانينهم ، ونُظُمِ حياتهم ، ما رأوا مصلحةً لهم في تبديلهِ ، وما زالوا يعدّون بعض ما يُفضّلهم على النساء في قواعد الحياة والاحوال الشخصية، من امور الدين الثابتة . فكانوا في ذلك الاكتفاء وفي استئثارهم بالنور والهواء ، جائرين على النساء ، ومانعين الارتقاء ، والسير في طريق التجدد والعلاء . ولا تمّحي تلك التبعة ، حتى يُمحي تبعًا للحكمة المكنونة في شرع الله وتبعًا لشرع العقل ومقتضى الزمان ، كلُّ فرقٍ في امور الدنيا والدين ، بين المسلمات والمسلمين ، كما محيت تبعًا للحكمة المكنونة في ذلكم الشرع الانور كل الفروق في المعاملات والحقوق الاساسية والسياسية بين الاحرار والارقاء و بين الاسلام وغيرهم من العالمين

وحينما ارى ما ارى من الاجحاف ، او قلّة الانصاف ، في اجتهاد الرجال واشتراعهم فيما يتعلق بامور النساء ، لا اتمالك من قول صريحٍ مبين : ان الخير لا يتم للمسلمين، حتى تحرر المرأة المسلمة ، وتشترك من اكثر الخير فيهن – النساء – في الاجتهاد الشرعيّ ، وفي الحكم الشعبيّ ، واشتراع القوانين

اجل ان حرمان المرأة الاشتراك في الحكم الشعبي ، منافٍ لامره تعالى ان يشترك الرجال والنساء في المبايعة والانتخاب ، كما بيّنت ذلك في « السفور والحجاب » ; ومناف لمقتضى العدل ، وحكم العقل ، ومصلحة الامة ؛ وفيهِ اوضح دليل واجلى برهان على استبداد الرجل استبدادًا أعمى بصيرتهُ عن رؤية الحكمة ومعرفة الصلاح والخير

قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم « إمرأةٌ صالِحَةٌ خير من ألفِ رَجُلٍ غير صالح » فكيف يجوز ان يشترك في الانتخاب للحكم الشعبي الفُ رجلٍ غير صالح ، ولا تشترك فيهِ صالحة ؟

وقال صلى الله عليهِ وسلم « أكثرُ الخيرِ في النساء » . وما قال في المرأة النبي الحكيم سليمان ابن داود عليهِ السلام : « تَفتَحُ فَمَها بالحكمة ، وفي لسانها سننُ المعروف ، تَصْنعُ خيرًا

لا شرًا كلّ ايام حياتها » . فكيف يجوز ان تحرم الامة تلك الحكمة ، وذلك الخير ؟

أنّى يجوّز العدل والعقل ومصلحة الامة ، ان يشترك في انتخاب مدبري شؤونها ، ومنظفي بلدياتها ، ومراقبي اداراتها ، الكناسون ، والزبّالون ، والمعزّلون ، والسكيرون، والحشاشون، وسوّاس الخيل ، ومن هم على شاكلتهم من الرجال ، اولئك الذين لم يتيسر لهم التكمل العقلي والادبيّ والنفسي ، ولم يألف ذوقهم الانتظام والجمال ؛ وتحرم الاشتراك في ذلك العالماتُ الفاضلات ، والاديباتُ المهذّبات ، من السيدات او ملكات البيوت ، اولئك اللواتي تكمّلنَ عقلاً وادبًا ونفسًا ، واصبح الجمال والانتظام جزءًا من ذوقهنّ ، او صورةً من نفسهنّ ؟

أنّى يجوّزُ العقل السليم المنزّه ، ان تُحرَم الاشتراك في الانتخاب حائزات الشهادات العلمية والفنية ، ومُديراتُ المدارس ودور التربيــة ومعاهد العلم والادب ومعلماتُها ، ورئيساتُ المؤسسات الخيرية والجمعيات التهذيبية واعضاؤها ، ويشترك فيه اولئك الجهلة من خدامهنّ، وممن لم تنل انفسهم مكانةً علميةً وادبيةً تمكنهم من الطموح الى الجلوس في حضرتهنّ ؟

ان الحكم الشعبيّ المبني على آساس فاسد لفاسد ، ولهذا نرى النور فيه ضئيلاً ، والخير قليلاً . سقى الله اليوم الذي تُحرَّر فيه المرأة تحريرا ، ونشترك اشتراعًا وتأويلا وتفسيرا ، فيفيض الحكم الشعبي على الشرق والوطن ما يرجو لها الشعبيون الغُيُر والوطنيون الاحرار ، عدلاً وخيرًا ونورا

* * * * *

اجل انه كما للمرأة ان تشترك في الحكم الشعبي،ان لها الحق الصراح ان تشترك في الاجتهاد الشرعيّ تفسيرًا وتأويلا . بل انها أولى من الرجل بتفسير الآيات القائم فيهــا واجبها وحقها ، لان صاحب الحق والواجب أهدَى اليهما من غيره سبيلا .

لايخفى على كل عاقل وعاقلة ان اوامر الله جلت حكمته ، منها ما خُصَّ بالرجال ومنها ما خصّ بالنساء ، ومنها ما يعم الجنسين . فكما أنّ على الرجال ان يتعقّلوا ما خُصَّ بهم ويتفكروا فيه ليعملوا بمقتضاه ، كذلك على النساء ان يتعقلن ما خُصَّ بهن ويتفكّرنَ فيه ليعملن بمقتضاه . اما الاوامر الالهية التي تعم الجنسين، فتعقّلها والتفكر فيها للعمل بمقتضاها حقٌ لله واجبٌ على الفريقين

اعني ان كلاً من المسلمين والمسلمات، مكلف ان يعمل عقله فيما امر به، ليقضي امر ربه . لأن الحجة بين الله والانسان ، كما قال صلى الله عليه وسلم ، انما هي العقل ، والعقل هو المخاطَب ، والمعاقب ، والمثاب

فاذا كلف الرجالُ النساء ان يعملنَ بتعقلهم لا بتعقلهنَ في ما أُمِرنَ ، فقد جعلوا انفسهم حجةً او وسطاء بين الله والنساء . واذا انكروا عليهن نعمة العقل ، فهل لهم ان ينكروا من كتاب الله آيات بيّنات ، هنّ فيها مخاطبات ؟

واذا اخطأوا في التعقل والتفسير واتبعت النساء اقوالهم ، فهل تنجو النساء من التبعات ؟

ان النساء لمأمورات ان يعقلنَ ويتّبعنَ ما انزل الله من تلكم الآيات ، وليس عليهنّ ان يتبعنَ ما جاء به ، من ينكر عليهن العقل ، من التفاسير والتأويلات

واني لاكتفي الآن بما ذكرت ما ارى فيه الخير للمسلمين ، وغيرهم من العالمين ، ويُظهِرُ ما يظهر من الحكم المكنونة في الدين ، على ان اعودَ الى هذا البحث الجليل بعد حين

* * * * *

قلت هذا الخطاب للاستاذ فارس بك الخوري ، ورأيت الشبان المسلمين ، والشابّات المسلمات ، من المستنيرين والمستنيرات ، قد اجتمعوا زرافات زرافات ، مستمعين بامعان وتروٍّ عميق الى ما قالت الفتاة . فلما شهد الشيخ الغلاييني ذلك الاجتماع ، وذاك الاستماع ، تحركت عاطفته . وغلبته موحيات عقله ، تلك التي اخفاها في نظراته حس انتقامه ، فوقف على منبر « اتحاد الشبيبة الاسلامية » وقال لهم ما يأتي بحروفه :

« امضوا في سبيل التقدم الاجتماعي بخطوات واسعة ، على شرط ان يكون العقل رائدكم ، والاخلاق الفاضلة منارکم ، وتقوى الله في السر والعلانية شعاركم . واعلموا ان الاسلام لا يكون عثرة في طريق تقدمكم ونهوضكم . فما كان الدين ، ولا يكون ، ولن يكون عقبة في طريق التمدن الصحيح . لانه لم يكن الاّ لاصلاح الانسان في معاشه ومعاده ، واسعاده في دنياه وآخرته . وان زعم زاعم ان الدين حجرٌ يعثر به من يريد المضي في سبيل التمدن الحديث ، فهو إمّا جاهل لا يدري معنى الدين ، وإما متعصب لغير الحق تعصبًا لا يسير به على هدًى ولا علم ولا كتاب منير . فدين الله حيث تكون المصلحة . وان المصلحة ركن من اركان قبة الاسلام . حتى صرّح العلماء ، عليهم الرحمة ، ان يترك النصّ الصريح للمصلحة لان الدين انما كان للمصالح

العامة التي يسميها علماء الاصول « المصالح المرسلة ». وقد اطالوا في الكلام عليها اطالة لم تدع حاجة في نفس طالب الحق .(١) وابذلوا الجهد في سبيل اصلاح العائلة وذلك لا يكون الا بتعليم المرأة ، ونشر ما يتعلق بها من تعاليم الاسلام الصحيحة . فالحياة المنزلية اليوم سيئة في كثير من المدن والقرى لانها منافية لدين الله »

الى ان قال :

« فالاهتمام باصلاح نظام البيت من آكد الواجبات التي يُفرَض على الشاب المسلم المتعلم المتخلق باخلاق الاسلام القيام بها . وخاصة السعي في تنظيم قانون الاحوال الشخصية يعتمد فيه على الكتاب والسنة وهدي ائمة الاسلام والسلف الصالح ، وتراعى فيه المصالح التي يقتضيها الزمان والمكان ، فلا يجمد فيه على مذهب واحد كما هي الحالة اليوم . »

الى ان قال :

« فانكم ترون باعينكم ، وتسمعون باذانكم ما يجري من الاعمال الشائنة التي يحمرّ لها وجه الدين خجلاً من جرّاء فوضى الزواج والطلاق ، تلك الفوضى التي يستثمرها بعض المتلبّسين بلباس الدين ، والدين منها ومن اهلها الذين جعلوها قطبًا لمعايشهم ومنافعهم ، براء »

قال الشيخ هذا وقبل ان يعود الى صفوف المعارضين أسديته ما استحق بكلمته من شكر له ، وقد حذا حذوَ الفتاة المسلمة في اجتهادها . غير اني لفتُّ نظر الشيخ الى افراطه في ما قال ، حيث حصر الدين بالمصالح العامة . وذكر تصريح العلماء ان النص الصريح يترك للمصلحة . وحيث قال ببيانٍ آخر انه يجب على الاسلام ان يتركوا العقل الصحيح حرًّا غير مقيّدٍ الا بالمصلحة العامة . لفتُّ نظر الشيخ الى افراطه . ذلك لانه ذَكَرَ ما ذَكَرَ ، ولم يذكر ان ذلك يكون في امور الدنيا والمعاملات ، ولا يكون في العبادات . لانها حق الخالق ، ثابتةٌ ابدا ، ليس للمخلوق وليس للعقل ان يمدّا اليها يدا

(١) لا غرو ان يقول الشيخ ذلك في جمعية الشبيبة الاسلامية ، فقد قال ايضًا في خطاب له " بين القديم والحديث " في الكلية الاسلامية ما نصه : " جاء في الحديث الشريف ويبعث الله على راس كل مئة عام من يجدّد لهذه الامة امر دينها " ان الحاجة لا تعرف التقييد ولا التقليد . فلندع العقل الصحيح حرًا غير مقيد الا بالمصلحة العامة "

(تابع) نظرات للفتاة، عكس نظرات المعارضين الرماة، في اشتراك اخواننا بالوطنية في معالجة مثل السفور والحجاب من الامور الاجتماعية، وفي بلاد السفور واهله. ومشاهد من ضغط الحرية. — وفيه المعارضون لا يزنون الكلام، ولا يتأملون في من يصيبون من حيث لا يدرون، بما يرشقون من السهام.

قلتُ ما قلتُ للشيخ ثم عدت الى السادة المعارضين وقلت :

ان السوافر اليوم يملأنَ الدنيا . ألا ترون الوفًا من الفتيات والسيدات السافرات اللواتي يشبهنَ البدور يضربنَ مجتمعاتٍ ومنفردات في مشارق الارض ومغاربها ويطفنَ العالم على اتمّ ما يكون من الثقة والطمأنينة، ويمرحن في الطرقات والمتنزهات ساعيات الى علمهنّ او كسب رزقهنّ الحلال او لتنزيه قلوبهنّ ؟ فمن من الناس يتعرض لهنّ، او ينهش عرضهنّ ؟

وقلت أنّى يقول شاعر العلماء والمشايخ المعارضون ان السفور هو الفحش والفجور، وان حكمة النقاب معرفة الانساب، وانّ الحجاب هو الذي يعرّف الغلام اباه ؟

أنسَوا ما في العرب وما في قريش، من شريف الانسال وصحيح الانساب، وامهاتهم وجدّاتهم ما كنّ في حجاب ؟

أنسوا ان نبينا محمدًا، أشرف الناس امًا وابا، والانبياء العظام، عليهم الصلاة والسلام، والخلفاء الراشدين والصحابة الكرام، اولئك الذين علوا نسبًا، أنسوا انهم كلهم كانوا من ابناء السفور ؟

أنسوا حوّاء ام العالمين، وخديجة ام المؤمنين، ومريم العذراء تلك المطهرة المصطفاة، اي خير الامهات، أنسوا انهن كنّ سافرات ؟

وقلت ؟ أنّى يقولون ان النساء اللواتي لا يلبسن النقاب هنّ الشياطين ؟

ايجهلون الى هذا الحد، الفضيلة في جداتهم وفي نساء العالمين ؟

ألا يؤلم العرب والاسلام ان يظهر فيهم من يقول مثل هذا القول الشائن الذي يمجه العقل والسمع، ويستكرهه الطبع، وينبذه الدين المبين ؟

وصرختُ عاليًا : ايها السادة، لا تتركوا الروية وابعدوا النظر وزنوا الكلام، وتأملوا في من تصيبون، من حيث لا تدرون، بما ترشقون، من السهام

وقلت : ليس من الحقيقة والواقع ان غير المسلمين في هذه البلاد قد تدهوروا بنبذ الحجاب من الشرّ في واد، انما الحقيقة والواقع، ان ذلك قد رفعهم من الاودية الى الآكام، وبدّل فيهم النور من الظلام، أوَ هم لذلك كارهون ؟ !

وقلت : أوَ يقبل من لهُ لبٌ ما لفّق الشيخ من الاحصاء ، في خيانة النساء ؟ أوَ النساء الخائنات ، سافراتٍ كنّ او محجبات ، يسجلنَ خيانتهنّ ليحصيها مثل الشيخ ؟
ان احصاء الشيخ من الترّهات ، ولا يليقُ بالشيخ مثل هذه الاحصاآت

* * * * *

وقلت : ايها السادة ، لو ان اعتقادي في اهل السفور ما اعتقد شاعر العلماء ، لبعدت عن السفور بعد الارض عن السماء . ولكني قلت ما قلت في كتابي ص ٢٧٩ في معارضة القاضي الشاعر ، ما تطمئن اليهِ النفوس وتنعم بهِ الشواعر . قلت :

« لو أجاز مولانا القاضي لنفسهِ ، التعرُّف الى البيوت الشريفة السافرة ، لا الى غيرهــا من السوافر

« لو رأى مجالس تلك العيلات ، وفيها الانسُ والعلمُ والادبُ والوقار

« لو رأى كيف يكمل هناك الرجالُ ادب النساء ، وكيف تكملُ النساء ادب الرجال

« لو رأى كيف تجري المناظرات هناك على قواعد الادب ، يقودها العلم والعقل ، ولا يُحرّى فيها الا الحقيقة

« لو تأمل فرأى أن النساء المسلمات لسنَ دون غيرهنّ شرفًا وعفافًا ، وانهُ يمكنهنّ ، كما امكن غيرهنّ ، ان يتبادلن هنّ والرجال احاديث العلم والادب اذا سفرنَ

« لو تأمل في ان طالبي السفور من الرجال ليسوا بالذئاب يرومون الخنا كما قال ، بل هم اولو الشرف ، اولو الالباب الملتهبة قلوبهم حميةً لخير امتهم

« لو سافر الى بلدان العالم السافر الراقي ، حيث يختلط الرجال والنساء ، بالمعنى الذي يقصده اهل الادب ، ورأى ما في بيوت النبل هناك من العرض المصون ، والمروءة الخالصة ، والادب الصحيح ، وحفظ الانساب ، وما في تلك البلدان من بركات الله وخيرات البشر

« لو افتكر ان الامم الاسلامية المحجبة ، امست محكومةً ماديًا ومعنويًا ، لذلك العالم السافر

« لو تحرّى الداء الذي اورثنا ما اورث من الضعف والانحطاط والتأخر وافقد المسلمين

في معالجة مثل السفور والحجاب من الامور الاجتماعية وفي بلاد السفور واهله .
ومشاهد من ضغط الحرية . — وفيه متابعة خطابي الى السادة المعارضين
لاتباع الصواب وطريق الخير والحق المبين

ميرانهم الثمين

« لو تامل اقلّ تأمل ، في قوانين العالم السافر ومؤلفاته الخلقيّة والادبية ، وهي مظهر من مظاهر رقيه في الاخلاق والآداب

« لو كان له كل ما ذكرت ، وهو عالم فاضل احترمه واجله ، ولم اجادله الاّ في سبيل الدفاع عن الحق

« لو كان له كل ما ذكرت ، لتغير قلبه ولسانه ، ولغيّر كثيرًا من ابيات قصيدته ، ولربما عاد ينشدنا من الثناء على السفور وعالمه قصائد خالدة »

* * * * *

وقلت : مالكم واضغط الحرية في بيع كتابي وشرائه وقراءته ؟

ان لم يكن في كتابي حياة ، فلا تمنعوا ظهوره ، يُرَ ميتًا فينتهي امره . واذا كان فيه حياة ، ففاعليّةُ الحياة فيه تشقق كل حجاب يُلقى عليه ولو كان صخرًا . فلا تؤخروا استفادة الامة مما فيه من حياة . ان الامة تستفيد من الحي المتجدّد ، لا من الميت المتجمد

ان كتابي في نوعه ، اول كتاب ظهر يوقظ الافكار . فلا تحرموا الامة دعوة الى اليقظة . فقد طال عليها الليل ، فليطلع النهار

تأملوا فيه ، وتأملوا في مجموع ما نَشَر معارضوه رفاقكم من كتب ورسائل ونشرات ومقالات ، وقصائد واراجيز وفراديات ، واذكروا الله في تأملاتكم كما اذكره في تأملاتي ، انهُ علينا شهيد : تأملوا في اقوال الفريقين واعقلوها ، وردوها الى الكتاب ، يظهر في ايها الخير والحياة للامة ، ويظهر على الباطل الحقُّ والصواب . وسترون المقابلة في ما سأعرض لديكم من المباحث والفصول والابواب . واذكروا قوله تعالى « فبَشِّر عباديَ الذين يستمِعون القولَ ويتَّبعونَ أحسنهُ ، اولئك الذينَ هَدَاهمُ الله ، واولئك همُ اولو الالبابَ »

وقلت : يا سادتي ، يشهد الله انهُ لم يدفعني الى ما كتبتُ لا مسلمون سنيون ، ولا مسلمون شيعيون ، ولا مسلمون درزيون ولا نصارى . بل ليس لي دافع الاّ حبي الخير لامتي ، وبنات جنسي ووطني وقومي وديني . ذلك ما فعلته بحسن نية ، وقد اكون على خطإٍ وقد اكون

وتفهم المرأة معنى الشرف ، وطرق حفظه ، وتحيي فيها عاطفة الثقة بنفسها ، وتحمل الرجال على احترامها

« يجب ان نعلم كما يعلم سائر الناس ان استقلال النساء كاستقلال الرجال يحلّق بالنفوس الى ما فوق ، ويبعدها عن مواطن الزلل

« يجب ان نعلم ان استقلال الارادة اهم عامل في نهوض الرجل ، فلا يكون له في نفوس النساء الاّ مثل ذلك الاثر الطيب

« يجب اطلاق المرأة وتحريرها ، وايقاظ ضميرها ، الذي خدّره الخدرُ ، وانامه ذل النقاب والحجاب ، وأن يُجعَل ذلك الضمير المستيقظ الحي متوليًا بنفسه محاسبة صاحبته على جميع اعمالها ومراقبة حركاتها وسكناتها ، فهو اعظم سلطانًا واقوى يدًا من سيدي الرجل

« يجب ان يعرف سيدي الرجل ان ابعد الناس عن الزلات والسقطات انما هو من يحترم نفسه ، فعليه اذن ان يحترم المرأة لتتعود احترام نفسها

« يجب ان يعرف سيدي الرجل ان عفة النفس والضمير اشرف من عفة الخدر والخباء واوثق سلطانًا

« يجب ان يعرف سيدي الرجل ان العبودية وهي مصدر الذل والخمول والجمود ، لن تكون ابدًا ، كما قال بعض الحكماء ، مصدرًا للفضيلة ، ومدرسة لتربية النفوس على الكبر ، الا اذا صحّ ان يكون الظلام مصدرًا للنور ، والموت علة الحياة ، والعدم سلمًا للوجود »

وما لبثت ان قلت بعد ذلك ص ٢٨٣ في ردي عليك تحت عنوان (لا محل للخوف من حرية المرأة واستقلالها . انهما حقان حقيقان بها) قلت :

« وكما انه لا محل للوعيد والتهديد ، كذلك لا محل للخوف من حرية المرأة واستقلالها . فان المرأة لا تفهم من الحرية والاستقلال ما يفهمه سيدي الرجل . انه ما زال يفهم من الحرية والاستقلال ان يهضم الانسان حق اخيه الانسان ، و يستبد به . اما المرأة التي اثبتتْ نفسها المرضية ، وعقلها الصالح للهيئة الاجتماعية ، فتفهم من الحرية والاستقلال غير ما يفهم سيدي الرجل . هي تفهم ان حرية الانسان واستقلاله محدودان بحرية غيره واستقلاله . فلا هذا يتعدى حد ذاك ، ولا ذاك يتعدى حد هذا . ولكل حقوق معروفة مقيدة بشرع الله و بقانون البشر . فللأب حقوق ، وللام حقوق ، وللابن حقوق ، وللاخ حقوق ، وللاخت حقوق ، وللزوج حقوق ،

وللزوجة حقوق ، ولكل واحد في الدنيا حقوق ، ولكلٍ دائرةٌ من الحق له الحرية والاستقلال فيها ، ولا يجوز له ان يتعداها فيدخل دائرة حقوق غيره بغير اذنه . فاذا قلنا ان الولد حرٌ مستقلٌ في دائرته ، فلا يعني هذا بطلان حق ابيه ، وقد خوّله اياه الشرع والقانون . ان دائرة حرية الولد تضيق بقدر ما تسع دائرة حرية الاب . وهكذا يقاس حال الزوج والزوجة ، وحال الآمر والمأمور ، والرئيس والمرؤوس ، وحال الوالي والرعية ، وحال كل انسان وانسان . فالحرية والاستقلال يسودان متى قُيدا بالقانون فكان هو الآمر ، ويبطلان متى أُطلقَ فيهما الانسان بلا رادع ولا زاجر . والمدنية الحاضرة والاحترام المتبادل بين الناس ، مستندان الى هذه الاساس . وهل يتمكن اليوم الرجل الحر المستقل ، من غصب حق الرجل الحر المستقل ، ومن السيطرة عليه ، ومن استرقاقه ، والاستبداد به ، متجاوزاً الى دائرة حريته وحقه ، كما كان يفعل القويّ بالضعيف من قبل ، لا رادع له ولا زاجر ؟ »

انصف يا سيدي الشيخ ، أفمن قالت ذلك تعد متوسعة في معنى الحرية توسعًا يجعلها فوضى ؟

يا سيدي الشيخ ، أنى تقول ما تقول وانا من قالت ص ٤١٠ فيما قالت :

« اذن المرأة حرة ضمن دائرة من شرع الله والقوانين الموضوعة ، كما ان الرجل حرٌ ضمن دائرة من شرع الله والقوانين الموضوعة ، وليس لاحد ان يظلم غيره ، او يستبد به مضيقًا تلك الدائرة ، ومحدثًا قيودًا من عنده جديدة . »

وانا من قالت ايضًا ص ٤٠٨ في ردّها عليك :

« ان المرأة لا تعارض احكام شرع الله ، بل تطاطىء راسها طاعةً واحترامًا له ؛ وانما تعارض ما يعاملها به الرجل خلافًا للدين ، ولشرع الله ، ولقانون البشر ، ولناموس الطبيعة ، وللمروءة والمصلحة . »

فاتقِ الله ، اتقِ الله ايها الشيخ في ما تقول ، ان قولك يضلل الضعفاء ، ولا يضلل الاقوياء في العقول

***

(٣)

يا سيدي الشيخ

وكيف تقول اني ارمي في كتابي الى ان تكون المرأة المسلمة كاسرة كل قيد راكبة رأسها غير ملتفتة الى اب او زوج ؟

وانا من قالت ما قالت ص ٢٨ في بيان موقفها وخطتها :

« وعلى كل حال ارجو من سادتي الرجال ، ان لا يتهموني بخرق النظام ، والفرار من سجن الحجاب . فاني لم افعل ذلك يا سادتي . انما اخوكم ابي الذي خلقه الله حرًّا مطلقًا ، وهو لا يخشى في سبيل الحق لومة اللائمين ، هو الذي عد سجني منافيًا عدل الله ، وعدل الانسان ، ومصلحة العيلة والمجتمع ، ووثق بشرف نفسي وادبها ، فارسلني سافرة ، الى الحياة والنور . ولدى تحكيمي العقل رجحت ذلك ففعلت

« كيف يستطاع ايها السادة ان اتهم بالفرار من سجني ? ان الفارّ يختبىء او يتقنّع لئلا يعرَف ، اما انا فظهوري بوجهي السافر المعروف ، اين كنت وايان سرت ، لدليل صريح على قصدي السويّ وصراطي المستقيم . »

أنّى تقول يا سيدي الشيخ ما تقول ? وانا ايضًا من قالت في الصفحة ٢٢ :

« ان كل عيلة منا ، وكل امرأة منا ، لها رئيس او قيم ، وليس الحكم الاجتماعي الاّ لذلك الرئيس او لذلك القيم . اذا رأى الخير في السفور اتبعه ، واذا رأى الخير في الحجاب اتبعه ، والاّ انقلب الامر فوضى . »

وانا من قالت ص٢٦٧ مستنكرةً : « ومن مِن المسلمات ترضى بالحرية المطلقة في مخالطة الرجال دون حق المراقبة ? »

فمن قالت ذلك يا سيدي ، أوَ تريد ان تكون المرأة المسلمة راكبة رأسها او هواها غير ملتفتة الى اب او زوج ?

اتق الله اتق الله ايها الشيخ في ما تقول . ان قولك يضلل الضعفاء ، ولا يضال الاقوياء في العقول

*

يا سيدي الشيخ

قد يكون ان صدك الهوى عن الالتفات الى كل ما جاء في كتابي مما يتعلق بهذا الموضوع، فاتهمتني باطلاً بما اتهمتني . ويلوح لي انك اردت للتضليل الاستفادة مما قلت صفحة ٢٢٣ في ردي على الشيخ محمد رحيم تحت عنوان (عتب على الشيخ وعلى امثالو ، لتركه السنن ولباب الامور ، وتعلقهم بالبدع والقشور ، وعتب على الامة) فها انا ذا انقل ذلك لقراء هذا الكتاب، ممن لم يقرأوا « السفور والحجاب » . قلت :

« أنَّا يا سادتي المشايخ نحتاج الآن في هذا العصر الراقي الذي تتنازع فيه الامم البقاء باشد قواها ، الى الحريات في حركات العقل وحركات الجسد اكثر من ذي قبل ، لتتمكن من مجاراة الامم ومباراتها، وقد تحررت فيها حركات العقول وحركات الاجسام . فاسمحوا لنا بكسر كل قيد لم يكن الا بدعة غريبة احدثها بعض الفقهاء، ولم تكن من كتاب الله او سنة رسوله . اني اخاطب العقول الحرَّة يا سادتي ، فارجو منكم ان تعلوها بل تشغلوها ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (العقل نورٌ في القلب يفرّق بين الحق والباطل) وليصدع كلٌ بما يأمره به عقله

« أنموتُ وفي رقابنا ارسانٌ من الجمود والتقليد والعادة يقودنا بها الجهلة المتعصبون ، وهل يجوز ان نطفىء ذلك النور الروحاني من قلوبنا (ويأبى اللهُ الاَّ ان يتمَّ نورَهُ)

« اذا كان لا بد من ارسانٍ في الامة ليقود بعضها البعض الآخر ، فخيرٌ ان تكون الارسان في ايدي المستنيرين الناهضين ، الناظرين الى اللباب والحقائق ، الماشين الى الامام والى النور ، من ان تكون في ايدي الغافلين الجامدين ، المتمسكين بالقشور والاباطيل ، الراجعين الى الوراء والى الظلام . والافضل الافضل ان يكون كل مسلم حرًّا بلا رسن لا يقوده احد ، ولا حجة بينهُ و بين احد ، انما الحجة بينهُ وبين الله وحده . واني ممن قطعوا رسن الجمود والتقليد والعادة قطعاً ، ونزعوه نزعاً، واعتصموا بحبل الله متفكرين في شرعه (وَمَن يَعتَصِم بالله فقد هُدِيَ الى صراطٍ مستقيم). اني ممن يأخذون اللباب ويتركون القشور ، اني خرجت بفضل ربي ، وعدل ابي ، من الظلام الى النور . ولن يعمى عن الحق من يعقل كتاب الله وسنة رسوله، ويعمل بهما . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أفلَحَ مَن رُزِقَ لُبًّا) . »

فيا سيدي الشيخ

أَوَ لا ترى اني استبدلت القيدَ الذي يُكسَر بالقيد الذي لا يكسر ? أَوَ لا ترى اني نزعت رسن التقليد والجمود والعادة ، وهو قيدٌ واهٍ مهين ، يُحِلُّ عنه الدين ، واعتصمت بحبل الله او شرعه وهو القيد المعزّ المتين ? أَوَ لا ترى اني في خروجي من الظلام الى النور ، قد جعلت عدل ابي ، بجانب فضل ربي ? فكيف تنهني بما تتهم من كسر للقيود الخلقية والدينية ، ومن رغبة في ان تكون المسلمة كاسرة كل قيد راكبة هواها غير ملتفتة الى اب اوزوج ?

اتق الله ، اتق الله ، ايها الشيخ فيما تقول ، ان قولك يضلل الضعفاء ، ولا يضلل الاقوياء في العقول

البحث الثامن

في القيام على المرأة ، واسناد الشيخ الى الفتاة خطأً في فهم معناه وظناً انهُ سيطرة ، وانها لم تعرف ان للمرأة شرعاً ولايةً على الرجل او ان بين الرجل والمرأة بمقتضى قواعد الاسلام حقوقاً متبادلة — (الشيخ يحاول ان يبيعني ما اخذه مما لي) . — والشيخ يخلط معنى القيام بمعنى الولاية الشرعية والولاية على نكاح القاصرة

يا سيدي الشيخ

قلت في كتابك ص ١٢١ و١٢٤ و١٢٧

« لقد اخطأتِ ايتها الآنسة معنى ولاية الرجل على المرأة لخطإك في فهم معنى القيام عليها شرعاً ولغةً وعقلاً فظننتِ انهُ سيطرة . ولم تعرفي ان لها شرعاً ولاية على الرجل ايضاً ، وأنّ بين الرجل والمرأة بمقتضى قواعد الاسلام حقوقاً متبادلة

« انك ترمين الى تكون المسلمة كاسرة كل قيد غير ملتفتة الى اب او اخ زوج او غيرهم من الاولياء الشرعيين . ألا يروقكِ ان يكون الرجل قيماً على ابنته واخته او على غيرهما من محارمه ؟ »

(ا)

فيا سيدي الشيخ

كيف تقول انى اخطأت في معنى القيام على المرأة شرعًا ولغةً وعقلاً فظننته سيطرة ؟ أنّى تقول ذلك وانت القائل في كتابك الاسلام روح المدنية ص ٢١٥ ما نصه :

« لما بعث الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، ورأى حالة المرأة وما هي فيه من الذل والهوان ، رقّ لما احساسه الشريف ، وعواطفه الرقيقة ، فسعى لتحريرها من قيود العبودية المطلقة ، واغلال الاضطهاد ، الى ان صارت المرأة ربة المنزل وسيدته بما منحها من الحقوق التي جعلتها مساوية الرجل في كل شيء الا السيطرة والسلطان المقيدين . »

انك قلت ذلك ويلوح لي انك قيدت العبودية بقيد (المطلقة) لئلا تظن المرأة انها تحرّرت تحررًا كاملاً . وقد ردّت عليك هذه الفتاة في كتابها ص٤٠٩ لخطإك في معنى القيام على المرأة وظنك انه سيطرة فقالت :

« اما السيطرة التي ذكرتَ يا سيدي الشيخ فهي صفةٌ ينبغي للرجل ان لا يتخذها لنفسه ، لان المرأة من عباد الله ، والله نهى نبيّه نفسه صلى الله عليه وسلم عن السيطرة بقوله (لستَ عليهم بمسيطر) . وإن اردتَ بالسلطان الذي ذكرتَ ، سلطانًا مستبدًّا جائرًا يعمل بكيفه وهواه ضمن دائرة من قيودٍ وضعها هو نفسه كما يشاء ، لا توافق شرع الله ، فهذا لا تسلم به المرأة . واذا اردت بالسلطان ولاية الرجل في حكومته الصغيرة اي عيلته ، ولاية مستمدة من انفاقه ، فالولاية ليست مطلقة ، بل مقيدة بمصلحة من عليه الولاية . وليس من مصلحة المرأة ان يحرمها رجلها في مقابل انفاقه حرية هي لها منحة من الله في شرعه ، مستبدًا بها كما يهوى . فقد جاء في الانجيل (ليس بالخبز وحدَه يحيا الانسان) . انه يحتاج الى الحرية لاحياء روحه ، كما يحتاج الى الخبز لحياة جسده

« قال الله تعالى (كونوا قوّامين بالقسط) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أحسنوا اذا وُليتم ، فايما والٍ وُلّيَ شيئًا من امر امتي فلم يجتهد لهم كجهده لنفسه ، كبّه الله على وجهه

يوم القيامة في النار) . اذن ينبغي للرجل ان يجتهد لحرية المرأة كما يجتهد لحرية نفسه، والاّ كبّه الله على وجهه يوم القيامة في النار

« كان الوالي في زمن الاستبداد ، يتصرّف بحقوق الناس كما اراد ، كأن حقوق الناس كلها حقه ! اما الآن وقد انار نور الحرية ، ونور العلم العالمين ، فليس على الوالي الاّ تأمين الحقوق ، وليس له ان يُخلّ بها قيد شعرة ، وانما بهذه الصورة ارتاح الوالي ، والمولى عليهم ، وساد الامن والعدل والنظام »

فيا سيدي الشيخ

تُرَى من اخطأ في معنى القيام لغةً وشرعًا وعقلاً فحسبه سيطرة ؟ الفتاة ام الشيخ ؟

اتق الله اتق الله أيها الشيخ في ما تقول : ان قولك يضلل الضعفاء ولا يضلل الاقوياء في العقول

(٣)

يا سيدي الشيخ

وكيف تقول اني لم اعرف ان للمرأة شرعًا ولايةً على الرجل او ان بين الرجل والمرأة بمقتضى قواعد الاسلام حقوقًا متبادلة ؟

أنى تقول ذلك ؟ وانا من قالت في كتابها ص ٢٦٨ :

« ومن من المسلمات ترضى بالحرية المطلقة في مخالطة الرجال بدون حق المراقبة ؟ بل إنا نعتبر ان مراقبة الجنسين ، كل منهما الآخر ، في المخالطة امر لا بدّ منه لصيانة الجنسين ، وتكميلهما ادابًا »

وانا من قالت فيما قالت ص ١٤٤ تحت عنوان (الاجتماعات العيلية مراقي العقل والاخلاق) قالت : « قال جل جلاله (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) . »

ثم قالت : « فلماذا يُحرِّم الاسلام بالتباعد الحاصل امرَ المؤمنات بالمعروف ونهيهنّ عن المنكر ، وقد قال تعالى كانوا لا يَتناهونَ عن مُنكَرٍ فَعلوه لبئسَ ما كانوا يَفعَلون) . » ؟ !

فيا سيدي الشيخ

بحياتك يا سيدي الشيخ ، قل لي : أما كشفتُ لك في كتابي النقاب ، عن وجوه حقائق

كثيرة كانت عنك في حجاب ؟

لا ارى عجبًا في اخذ الشيخ عني ما يأخذ، انما في محاولته ان يبيعني ما اخذه مأ لي َ العجب العجاب

* * *

(٣)

يا سيدي الشيخ

وقد قلت مستنكرًا انه لا يروقني ان يكون الرجل قوامًا على اخته وعلى غيرها من محارمه زاعماً ان له عليهنّ ولايةً شرعية

نعم يا سيدي انه لا يروقني ان يكون الاخ قوامًا على اخته ، وان يكون الابن قوّامًا على امه وجدته وعمته وخالته من محارمه، كما انه لا يروقني ان يخلط الشيخ القيام، بالولاية الشرعية . فان قوله تعالى « الرِّجال قوّامون على النساء ... واللاتي تخافون نشوزهنّ فعظوهنّ واهجروهنّ في المضاجع واضربوهنّ . فان أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلا . » انما معناه ان الازواج قوّامون على الزوجات ، ولا يعني ان الابناء قوّامون على الامهات والجدات والعمات والخالات ، ولا ان الاخوة قوّامون على الاخوات . فالبنون والاخوة هاجرون طبعًا امهاتهم وجداتهم وعماتهم وخالاتهم واخواتهم في المضاجع ، وما أذِنَ الله لهم ان يضربوهنّ ، واذا لم يطِعنهم فلسنَ ناشزات

ويدلنا على خصوص الآية للازواج والزوجات سبب تنزيلها . قال الخازن في الصفحة الـ ٤٥٦ من المجلد الاوّل : « ان هذه الآية نزلت في سعد بن الربيع، وكان من النقباء ، وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير ، ويقال امرأته بنت محمد بن مسلمة . وذلك انها نشزت عليه فلطمها . فانطلق ابوها معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال افرشته كريمتي فلطمها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، لتقتصّ من زوجها . فانصرفت مع ابيها لتقتصّ منه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل اتاني . فانزل الله تعالى هذه الآية . فقال النبي صلى الله عليه وسلم (اردنا امرًا واراد الله امرًا والذي اراد الله خير .) ورفع القصاص »

وهنا لا بد لي من القول ان الامر بضرب الزوجات ، كان من امور الدنيا المخولة ، فمنعته الدول الاسلامية والخلفاء مرتّبةً على فاعله عقابًا . ذلك لتبدل الزمان وحالة البيئات ،

ورفاقًا للقاعدة الشرعية لا ينكر تغير الاحكام بتغير الازمان ، وتبعًا للروح المكنونة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم فضلاً عن الآيات (١)

وكيف تقول يا سيدي الشيخ ان الولد قوّام على والدته بعد ان قلت ص ١١٥ «ان تربية المرأة التي كيّفتها في مُدَدٍ مُعرقة في القدم بما كيفتها به ، قد اهّلتها لتكون قوّامةً على اولادها ؟

*

وكيف تقول ان الابن والاخ والزوج وغيرهم من الرجال اولياء شرعيون على الامهات والاخوات والزوجات وغيرهنّ من محارمهم ؟

متى كان لهم ولايةٌ شرعية عليهنّ ؟ اي محكمة في العالم قالت بمثل تلك الولاية ؟

ان الولاية الشرعية لا تتحقق الا على الصغير ومن هم في حكمه مثل المجنون والمعتوه والسفيه . ولا تتحقق الاّ للاب ، واب الاب ، واب اب الاب ، واوصيائهم الذين يختارونهم في حال حياتهم اذا ماتوا ، وللقاضي ، او للولي او الوصي الذي ينصبه القاضي بموجب القواعد التي وضعها الشرع وفصّلها . وللولاية الشرعية احكام ، ليس مثلها في القيام . اما اولئك الاولياء الذين لهم ان يعقدوا نكاح القاصرة ، فليس لهم مثل ذلك الحقّ في رشدها ، وان لم تفقد الكفاءة فليس لهم ان يعترضوا على عقدها . هذه ولاية اولئك محدودة بحدها . فلا تخلط القيام بالولاية الشرعية ، لا تخلط ما جاء في هذه الآية بما جاء في غيرها مما بيّن حق الآباء وولايتهم الشرعية على البنات القاصرات . ان ذلك الحق لا يفرق عن حقهم وولايتهم الشرعية على البنين القاصرين ، وان البنين مكلفون شرعًا ان يطيعوا الآباء في كل شيء مما لا معصية فيه كما كلفت ذلك البنات

---

(١) تقدم البحث في باب "حقائق في خيال" عن امور الدنيا المتحوّلة وامور الدنيا الثابتة . وقد جاء في الصفحة الـ ٨١ من كتاب "الفصول المهمة في تأليف الامة" للسيد عبد الحسين شرف الدين ما يأتي :

افادتنا سيرة بعض الصحابة انهم انما كانوا يتقيّدون بالنصوص ، ويجمدون عليها ، اذا كانت مختصة بالشؤون الاخروية ، اما ما كان منها متعلقًا بالسياسة فانهم لم يكونوا يرون التقيد به ، والالتزام في جميع الاحوال بالعمل على مقتضاه ، بل جعلوا لافكارهم فيه مسرحًا للبحث ، ومجالاً للنظر والاجتهاد

البحث التاسع

في اتهام الشيخ الفتاة غفر الله له بإباحة كشف الاعضاد، والاكتاف ، والظهور ، والصدور و . . . . (ستر الله عليهِ)

يا سيدي الشيخ

قلت في كتابك ص ٥٤

« انت تعلمين ان العادة قد جرت بكشف الاعضاد والاكتاف والظهور والصدور و.... الا ساء ما تحكمين . انك تبيحين هذا كله »

*

فيا سيدي الشيخ

انى تقول ذلك وانا من قالت فيما قالت ص١٥٠ في كتابها تحت عنوان (الاجتماعات العيلية عندنا وردٌ بلا شوك) :

« يا سيدي الرجل هب ان ذلك المصلح مصطفى كمال قد جاوز الحد وغالى في الحرية ، وأدخلَ الرقص الى المجتمعات . افليس لنا حق الاختيار فننبذ الحريات الشاذة ، مثل هذا، ومثل كشف العورات من صدور واعضاد ، ونقصير اثواب بدرجة عائبة ، والتبرج المنافي الرصانة ، والخلوة بالرجال وما شاكل ، ونتخذ ما يوافق تربيتنا واخلاقنا ؟ »

الى أن قلت ص ٢٦٨ مستنكرةً :

« ولكن من المسلمات ترضى برفع الحجاب بالمرّة وبكشف العورات من مثل صدور واعضاد ؟ »

يا سيدي الشيخ

ان مرمى كتاب السفور والحجاب ، مبيّن في الصفحة الاولى من هذا الكتاب
فاتق الله اتق الله في ما تقول ان قولك او افتراءك يضلل الضعفاء ولا يضلل الاقوياء
في العقول

البحث العاشر

في الكسب الحلال ، واختلاط النساء والرجال ، ومغالطة الشيخ فيهما

يا سيدي الشيخ

قلت في كتابك ص ٨٤ و ٨٧ و ١٦٦
« يحسّن كتاب السفور والحجاب للمرأة ان تترك بيتها والعناية به وتدع اولادها وتربيهن[1]
لتكسب دريهمات تخسر بها حياتها البيتية وتضيع سعادة الدار واهلها . مع انه لا يجوز ان تتبذّل
في المعامل والاختلاط بالعمال ، وان تكون في المسارح والملاهي والاسواق متنقلةً من محل
الى آخر . »

*

فيا سيدي الشيخ

أنّى تعترض مثل هذا الاعتراض وتغالط مثل هذه المغالطة ؟ وانا من قالت فيما قالت ص ١٥٤ :
« افلا يجب عليكم يا سادتي ان تهيئوا النساء منذ الصغر لاحتمال كوارث الدهر او لمقاومتها ،
اذا نزلت بهن من بعدكم ، والدهر ذو غِيَرْ ؟ وهل تستطيع الاسرة المحجبة ، ان تجاري الحرة
السافرة ، في كسب عيشها المشروع ، وحفظ كونها ، والوقوف في وجه الفقر المروّع ؟ ومن

(1) يريد الشيخ ان يقول تربيتهم

منا يأمن الكوارث و يطمئن الى الدهر ؟ وهل نعتقد انه يتسنى لكل فتاة ان تقضي حياتها زوجة ينفق عليها ، او مستغنية لا تحتاج الى ذلك ؟ وان لم يتسن للفتاة ان تكون زوجة او مستغنية ، وهي غير معدّة ومستعدة للكسب الحلال ، افلا يُخشى عليها ان تقع في شرّ حال ، لا ترضى بها نفوس الرجال ؟

« وهل يرضى عدل الله جل جلاله ان تجعل نعمة الاسلام على المسلمات ويلاً ، فتحرمهن الهواء والنور والحرية والعلم ، وما اودع الله عقولهن ووجوههن وايديهن من القوى ، حتى نرى هذا القدر من التفاوت بينهن وبين اخواتهن في الانسانية ؟ »

أني تعترض مثل اعتراضك هذا وتغالط مثل مغالطتك هذه ؟ وانا من استشهدت فيما استشهدت ص ١٥٢ بقول رسول الله صلى الله عليهِ وسلم (أفضَلُ الاعمال ، الكسبُ الحلاَل) و (العِبادةُ عشرةُ أجزاء تسعةٌ منها في الكسب الحلال)

وانا من قالت ص ١٤١٠ :

« ومع كل ما ذكر يجب ان لا ننسى ان في النساء غير متزوجات ولا ينفق عليهنّ . فحرمانهنّ الحرية في الاعمال ، والتعسير عليهن في اسباب الكسب الحلال ، ولاسيما بغطاء الوجه الحائل بين الانوار والابصار ، و بأجنحة تلك الملاءة التي تعوق الحراك ، وتسبب الارتباك ، اعتداء شديد عليهن وعلى الدين ، وان الله لا يحب المعتدين . ما هذه الحالة التي بلانا رجالنا بها خلافًا لشرع الله وسنة رسولهِ وسنن الطبيعة ؟! ان الأنثى من كل حيوان لها ملء الحق وتمام الحرية في ان تسعى لكسب عيشها متمتعة بقواها و بالهواء والنور ، اسوةً بالذكور . اما المسلمة فتُغَلّ بالقيود منعًا لها من الحرية في كسب عيشها الحلال ، اسوة بالرجال » :

هذا ما قلته في كتابي . واني اعيد ما قلت واقول : ليس للشيوخ وغيرهم ان يضعوا قيدًا يمنع النساء جميعًا عن العمل للكسب الحلال ، فلكلٍ منهن حالة ومصلحة واماني هي ادرى منهم بها . ولا يجوز اجبار المرأة على مفسدة يريدها الشيطان هي البطالة . كما لا يجوز تعويدها الخمول بما يتفضل به من ينفق عليها ، اذا قدرت ان تمدّ الى العمل للكسب الحلال يديها . وكم من مرأةٍ فاضلة في العالم السافر الراقي أمّنت بكسبها الحلال تربية اولادها وتعليمهم وضمنت سعادة اهلها وكانت بافضل الاعمال ، معوانًا لعيلتها من اولادٍ ونساء ورجال .

فيا سيدي الشيخ ، أوَ مَن اخذت بقول رسول الله صلى الله عليهِ وسلم (العِبادَةُ عَشَرَةُ

اجزاء تسعة منها في الكسب الحلال) وقيدت الكسب تبعًا لقول رسول الله بالحلال ، أوَمن ارادت ان لا تحرم النساء تسعة اعشار العبادة وافضل الاعمال ، وان لا تُحرمَ الامة في السباق العالميّ الاقتصادي ، نتاج تلك الايادي ، أوَ يجوز ان ينسب اليها قصد اضاعة الاعراق ، وافساد الاخلاق ، في المعامل والمسارح والملاهي والاسواق ؟ ان ذلك في شرعة الطهر والاباء ، ما لا يجوز للنساء ، وفي سنة الشرف والكمال ، ما لا يجوز للرجال

فاتق الله اتق الله ايها الشيخ في ما تقول ، ان قولك يضلل الضعفاء ، ولا يضلل الاقوياء في العقول

*

اجل ، اني قلت في كتابي يا سيدي الشيخ باختلاط الرجال والنساء ولكن بلا خلوة وللتكمل العقلي والادبي في مدرسة العالم ، ولتأمين اسباب الحياة . وقد جعلت لذلك الاختلاط صفة تجعله مدعاة للفضيلة والإباء ، ومرقاة اخلاق للامهات والآباء ، والبنات والابناء . فاقرأ مجرّدًا عن الهوى كتاب السفور والحجاب ، وقرْ لدى العالم بما فيه من حق وصواب ، والاَّ فانت تحاول اطفاء نورٍ من السنة والكتاب ، يشعله الله في الالباب ، وتحاول غل يد المرأة عن العمل في الكسب الحلال وتطلقها في البطالة ، تهيّئه للشيطان اعماله ، أو ترميها بالخمول والسفالة

واذا كنت حقا معارضًا لي في اختلاط الجنسين فعلامَ تقول في نظراتك ص ١٤٥ : « ان الله تعالى قال (قُلنَ قولاً معروفًا) ليعلّمَ النساء ادب الحديث مع الرجال » ؟

وانك يا حضرة الشيخ قد قلت ص١١٦ ، « فكان من اختلاف اتجاه العقلين (عقل الرجل وعقل المرأة) ثم اجتماعها في عرفات المصلحة المشتركة عمران هذا الكون ، كما يكون من اختلاف سلكي الكهرباء سلبًا وايجابًا ثم اجتماعها عند نقطة المصلحة الداعية لاختلافهما نور للمستبصرين ، وهدى للمستهدين »

اجل ، يا سيدي الشيخ ، ان اجتماع العقلين سببٌ من اسباب الحياة المثلى والهدى والنور . ولكن اجتماع العقلين ، انما يتم باختلاط الجنسين ، فلا تمنع تلك الحياة ، عن الفتى والفتاة ، ولا تمنع النور ، من الظهور

البحث الحادي عشر

تفكهات بهفوات ثلاث ، تبرزها لشيخ بين الذكور فتاةٌ بين الاناث

يا سيدي الشيخ

اني ما رأيتُ منك ، يا استاذ التفسير ، ما كنت اؤمل ان ارى في تفسيرك كتابي ، ما يدلُّ على بعد النظر والحذق ، وسلامة القصد والصدق . واني لاذكر لك الآن ، من هفواتك الكثيرة ثلاثَ هفوات ، توشك ان تخيب فيها بعلم الشيخ آمال الفتاة ؛ ولكن لا يحرم الشيخ كله شكرٍ عليها ، فإنّ بها للقارئين تفكهات .

*

١

هفوة الشيخ في التكاليف الشرعية — انه يعد النبوة والخلافة والزيادة على واحدة والطلاق من التكاليف

انك قلت يا سيدي الشيخ في نظراتك ص ١٠٢ رداً على البحث في كتابي عن عقل الرجل وعقل المرأة :

« اما زعمكِ ان الرجل لا يخصّه الله الا بالجهاد فقط ، وما عداه من التكاليف فقد ساوى الرجل والمرأة فيه ، فهذه مغالطة واضحة . فكما خصّ الرجل بالجهاد فقد خصّه بالنبوة ، والخلافة ، والزيادة ، على واحدة ، وجعل الطلاق بيده ، الخ »

فيا سيدي الشيخ اني اضنّ بعلم مثلك على ان يَعُدّ مثل هذه الامور من التكاليف الشرعية. ان التكليف الشرعي ، عند جمهور الاصوليين ، الزام فعل فيه مشقة وكلفة كالصلاة والصوم والحج . فلا تكوننّ في مثل ذلك من المغالطين . وليتك استشرفتَ ان قراءة كتابك لا تحصر

في فئة من القارئين ، فلا ترضَ لنفسك بمثل هذه الهفوة اذا شئت ان تُعَدّ من العارفين

أَوَ النبوة ، يا سيدي الشيخ من التكاليف الشرعية التي كُلِّفَها كل مسلم ؟ أَوَ باستطاعة احد ان يكون بعد النبيّ نبياً ؟ أَوَ الخلافة من التكاليف الشرعية ؟ أَوَ باستطاعة كل مسلم ان يكون خليفة ؟

أَوَ الزيادة على واحدة ، من التكاليف الشرعية ؟ أَوَ الطلاق يا سيدي الشيخ ، مما كُلِّف كل مسلم ؟ أَوَ يجب على المسلم ان لا يكتفي بواحدة ؟ أَوَ يجب عليهِ ان يطلّق زوجته ؟

ان لكل تكليف شرعيٍ وقتاً يؤدّى فيهِ . فهل الطلاق يؤدّى كل حول ، او كل شهر او كل يوم ؟

ما هذا الشطط يا سيدي الشيخ ؟! ما هذا الشطط ؟!

*

٣

الشيخ مثل الطبيعيين ، ينكر خلق آدم وحواء ، ذاهباً مذهب دروين

انك قلتَ يا سيدي الشيخ في كتابك ص ١٠٤ :

« ان الرجل والمرأة في اصل الفطرة سواء . وقد كانا في اقدم الازمان شيئاً واحداً كما يقول المهرة الباحثون من العلماء[1] . وقد قضت حكمة الخالق ان يتدرج هذا المخلوق في سنن الترقي والتطور حتى تميّزَ الذكر والانثى . ثم ما زال يترقى حتى استبانت فيهِ الانسانية بعض الاستبانة . فاخذ الذكر والانثى يعملان متساويين في كثير من الاعمال حتى ارضاع الاولاد . ثم شاءت حكمة الله سبحانهُ ان يسير كل نوع منفرداً في طريق غير طريق الآخر ».

هذا ما قلت في نظراتك يا سيدي الشيخ ، وما أَصدق قول الامام الرازي على مثلكَ من المفسرين قال :

ولم نستفد من سعينا طول عمرنا   سوى أن جمعنا فيهِ قيل ، وقالوا

قلتَ ما قلتَ يا سيدي الشيخ ولكن لم تُعيِّن العصر الذي كان فيهِ الرجال يرضعون

(١) يعني الشيخ علماء الطبيعيين لا علماء الاسلام

الاولاد كما ترضع النساء . ولم تشر الى مصدر الخبَر . ان خبرك هذا ليس من الدين . ولو لم يكن خرافة لما سكت عن الاشارة والتعيين . ولعمري ان الاخذ بالخرافة يا استاذ التفسير من هفوات بعض المفسرين . لا بل يظهر انك يا سيدي الشيخ ، من الطبيعيين ، تذهب مذهب داروين ، معتقداً اصوله في النُشوء والارتقاء ، فكأنك تنكر ما جاء في الكتب المنزلة والقرآن عن خلق آدم وحواء . فكن لربك على ما اسديو لك هفوة من المستغفرين . والا فتعليمك في مدارس الاسلام ليس بنافعٍ للدين .

*

٣

الشيخ يحرم سفور النساء ، قياساً على منع الطبيب من في وجهها داء ، من البرد والشمس والهواء

انك قلتَ يا سيدي الشيخ ص ٤٦ :

« ها انت (يا هذه) قد حكمتِ ص ٢٤٢ : ان كشف الوجه مباح احياناً ومأثوراً [١] احياناً وواجب احياناً اخرى . لكنك زعمتِ انهُ ما حرم قط في حين من الاحيان ، فاخطأتِ الصواب في حكمكِ الاخير . فان ما يكون مباحاً ومندوباً وواجباً بحسب الضرورة والحاجة ، يكون محرَّماً بحسبها ايضاً . ألا ترين انهُ يجب على المرأة ان تغطي وجهها دفعاً لاذى البرد او الهواء او الشمس ، ان حكمَ الطبيب بان كشفهُ يضرها ؟ »

فيا سيدي الشيخ ، او نحسب المحجبات كلهن مريضات ؟ ان وجوه المسلمات نقيّة من كل علة . فمن اجل ذلك ما حرم الله قط ، وهو الطبيب الازلي الابدي ، وما حرَّم الاطباء من عباده على وجوههن الشمس والهواء ، بل يعدُّها الاطباء كما جعلها خالق الارض والسماء ، واقيين ابداً للناس من كل داء . وإنّ بحثنا يا سيدي الشيخ في امر الله العام في الاديان ، لا في وجه مريضةٍ يمنعها من سفوره انسان . فهفوتك هذه ليست لدى المنطق بقليلة الشان .

---

(١) يريد الشيخ ان يقول مأثورٌ . فنصب ما يجب رفعه

البحث الثاني عشر

في تفسير الشيخ الآية (وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب)، تفسيراً عقيماً فيه ما فيه من الغرابة والاضطراب

يا سيدي الشيخ . — تفكهنا بهفواتك الثلاث ، فلنرجع الى الابحاث :

قال الشيخ ص ١٨٦ في تفسير الآية : «يَا أَيُّها الذين آمَنوا لا تَدخُلُوا بيوتَ النَّبيِّ إِلاَّ أن يُؤذَنَ لكم الى طَعَامٍ غَيرَ ناظِرِينَ إناه . ولكن اذا دُعيتم فَادْخُلوا . فإذا طَعِمتُم فانتَشروا وَلاَ مُستأنِسِين لحديث. إنَّ ذلك كان يؤْذِي النبيَّ فَيَستَحيي منكم. والله لا يَستحيي من الحقِّ . وإذا سألتُموهنَّ مَتَاعًا فاسألوهنَّ من وراءِ حجاب . ذلِكُم أَطهَرُ لقلوبِكُم وقُلُوبِهنَّ . وما كانَ لكم أَنْ تُؤذُوا رسولَ الله ، ولا أَنْ تنكحوا أَزواجهُ منْ بعدهِ أَبدًا . إنَّ دلكم كانَ عند اللهِ عظيمًا»

قال الشيخ مُفَسِّرًا هذهِ الآية : «ان الخلوة بالاجماع لا تجوز الا ان يكون هناك ذو محرم، ولا يقول بها احدٌ ممن طبع على الدين والمروءة والاخلاق الصحيحة ، حتى ان الامم الاوروبية التي اباحت الاختلاط واعطت المرأة الحرية الواسعة لا يزال كثير من اهلها يحظرون ان تقبل نساؤهم الرجال وقت غيابهم عن منازلهم . ونساؤهم تأبى ان تأذن[1] لاحد من الرجال بزيارة اذا خلا البيت من القيّم عليه . ونعمَ ما يفعلون ويفعلن .»

قلتُ: اني اشارك الشيخ في مبدإ الاختلاط بلا خلوة . انهُ وردة من الورود التي اخذها من كتابي ، وتلك اصولها فيهِ شاهدة . ولا اشاركهُ في امكان استخراج هذا المبدأ من الآية : (فاسألوهن من وراء حجاب) . كما اني لا اشاركهُ في قولهِ (ان الخلوة بالاجماع لا تجوز الا ان يكون هناك ذو محرم) . ذلك لان الخلوة تتمُّ باثنين ليس بينهما ثالث ، الا الشيطان مصدر الخبائث . فاذا كان هناك ذو محرم او غير ذي محرم فليس خلوة . ولكن هناك لاستاذ اللغة وشيخ التفسير هفوة .

---

(١) يريد الشيخ ان يقول : (ونساؤهم يأبينَ ان يأذنَّ) وقد ذهل عن قواعد النحو لان فكرهُ غارق في لجة تفسيرهِ

وقلتُ: اذن خير لنا ان نفعل كما يفعل الاوروبيون ، وقد قال الشيخ نعم ما يفعلون .

وكأني ارى الاوروبيين متّبعين في خطتهم هذه المستقيمة احاديث نبينا صلى الله عليه وسلم . إنهُ قال : (لا يَدْخُلَنّ رجلٌ بعد يومي هذا على مغيبةٍ الا ومعهُ رجل او اثنان)

وعن ابي عبد الله جعفر الصادق رضي الله عنهُ قال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل الرجال على النساء الا باذن اوليائهن) وقال صلى الله عليه وسلم (كل شيء مطلق حتى يرد فيهِ نهي) . وبما ان المنهيَّ عنهُ هو دخول الرجل على المغيبة منفردًا ، ودخول الرجال على النساء بغير اذن الاولياء ، وبما ان دخول الرجال على النساء باذن الاولياء ، ودخول الرجل ومعهُ رجل او اثنان على مغيبةٍ مطلق لا نهيَ فيهِ ، فلا مانع من الاجتماعات المشتركة اى اجتماع الجنسين دون خلوة

اني قد فصّلت في « السفور والحجاب » الادلة على هذا الامر تفصيلاً . وقلتُ ص ١٤٩ :

« اناشدكم يا سادتي وسيداتي ان لا تغفلوا للغالطة بابًا ، وتخلطوا معنى الخلوة بمعنى الاجتماعات العيلية الحرة باذن الاولياء وفي حضورهم . بل اذا قيل لكم ان الشيطان ثالث بين المرأة والرجل اذا خلوا ، فقولوا بصوتٍ عالٍ ، ان الاجتماعات الشريفة الحرة حيث يتكمّل ادب الجنسين وعقلهما لمحضر الملائكة »

*

لنرجع الى تفسير الشيخ . قال بعد قولهِ ذاك :

« الحجاب بهذا المعنى ، معنى عدم الخلوة وعدم ظهور المرأة امام الاجنبي في البيت الا مع ذي محرم هو المراد بقولهِ تعالى (واذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب) »

فيا سيدي الشيخ ويا استاذ التفسير ، أنّى جئت في تفسير هذه الآية بهذا المعنى الغريب عنها وأنّى استخرجتهُ منها ؟

أتعتقد ان الناس لا يفهمون ، وانهم بما ترمي من الكلام جزافًا يُسلِّمون ؟ لو اراد الله هذا المعنى في هذه الآية من القرآن ، لبيّنهُ باجلى بيان

يا سيدي الشيخ : انك جئت بهذا المعنى الغريب وكأنك نسيتَهُ حالاً او تناسيتَهُ . فقلتَ في الصفحتين المذكورتين : « وليس المراد بالحجاب هنا البرقع او النقاب ، بل المراد به ما يحجب من ستار او جدار » . ولو وقفت عند هذا الحد ، وقلتَ بانّ الآية خاصة لنساء النبي صلى الله عليه

وسلم، كما هي الحقيقة لاصبتَ المحجة، ولكنك قلت: «ولا ريب ان الحجاب بهذا المعنى عام للنساء جميعًا وليس خاصًا بنسائهِ صلى الله عليهِ وسلم، وإن كن موردًا للنهي عن سواهن من وراء حجاب[1]».

يا سيدي الشيخ اذا كان الحجاب بهذا المعنى عامًا، وكان أن النساء يخرجن اذا كان من داعٍ لهن الى الخروج مما فيهِ مصلحة خاصة او عامة او تنزه او زيارة، على ما ذكرت في تفسيرك «قرن»، فإني اسأل الشيخ، هل ينبغي لهن اذا خرجن ان يستصحبن ستارًا غير النقاب، او جدارًا للحجاب؟

ولماذا قلتَ أن آية الله تعالى (في تحجيب نساء نبيهِ) وردت بصورة النهي مع انها وردت بصورة الامر. ولا يخفى على مثلك الفرق بين قوة الامر وقوة النهي. فقد قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم (اذا امرتكم الله بشيء فأتوا منهُ ما استطعتم، واذا نهاكم عن شيء فاجتنبوه)

*

غريب يا سيدي الشيخ انك لا تتحرّى فيما تقول، صوابا، وغريب ان حكمك يضطرب فيما تكتب اضطرابا، وغريب انك لا تحسب في الحالتين للقارئين حسابا!

انك لا تكتب صفحة او عبارةً الا نسيتَ في الثانية ما قلتَ في الاولى فتناقضهُ. واذا كتبتَ الثالثة نسيتَ ما قلت في الصفحتين او العبارتين السابقتين فتناقض ما جاء فيهما. وان قارىءَ نظراتك يرى فكره يوشك ان يغرق من عباراتك المكدّسة في امواج متلاطمة تلعب بها عاصفةٌ مختلفةُ الرياح، فلا يتمكن ان يتخذ له وجهةً للخلاص الى ساحل الحقيقة. مثلاً: انك تقول، ولكن خلافًا للحقيقة، «ان حكم آية الحجاب هذه عامٌ لنساء النبي وغيرهن من المسلمات». ثم تقول في الصفحة ١٨٢ و١٨٥ و١٨٦ «ان الحجاب هو لغير نساء النبي صلى الله عليهِ وسلم ستر جميع البدن الا الوجه والكفين، وان العلماء قد اباحوا للمرأة السفور عن وجهها وكفيها وقدميها[2] وانهُ لم يقل احد ممن يعتد بقولهِ ان ستر الوجهِ والكفين واجب، اما نساء النبي صلى الله عليهِ وسلم فالحجاب لهن هو ستر جميع البدن حتى الوجهِ والكفين». وتقول «ان النقاب كان موجودًا لكنهُ لم يكن واجبًا الا على نساء النبي». وقد قلت ص ٤٤: «نحن لا ننكر ولا

---

(١) يريد الشيخ ان يقول (إلا من وراء حجاب) ولكن مثل هذا الغلط من الشيخ لا ادخلهُ في الحساب

(٢) العلماء لا يقولون كما اسند اليهم الشيخ (السفور عن الكفين والقدمين) بل يقولون (ظهور الكفين والقدمين) لان السفور في اللغة مختص بالوجهِ، فلا يجوزون نقله الى القدمين. ولكن الشيخ يحاول الافتعال. فيبدلُ الكلام بلا ميزان.

يستطيع احد ان ينكر ان الاسلام اباح كشف الوجه والكفين » . وقد قلتَ ايضًا في كتابك الاسلام روح المدنية ص ٢٥٩ « واما ما نشاء بعد الصدر الاول من ستر الوجه والبدن فليس مما تأمر به الشريعة . »

اذن كيف تزعم مع كل ما قلت ان حكم آية الحجاب عام لنساء النبي وغيرهن من المسلمات ؟ ولماذا تعارض كتابي في ظهور وجوه المسلمات واكفهن ؟

وان يحسب حكم الآية عامًا فأنّى يجوز لك ان تفرّق بين نساء النبي والمسلمات ؟ ان حكم العام في اصول الفقه، الشمول والاستغراق لمن يتناول من الافراد بصورة القطع واليقين، ومن يتناول من الافراد هم فيه سواء

ثم أراك تقول في الصفحة ١٨١ ، وقد نسيت قولك بأنّ المسلمات لسن مكلفات ستر الوجه والكفين : « ان الحجاب حجابان . حجاب يراد به ستر البدن، بحيث لا يرى من بدن المرأة شيء ، وحجاب يراد به ستر شخصها وراء ساتر من جدار او ستار او نحوها . والمراد بالحجاب في الآية (واذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب) هو المعنى الثاني . امـا الحجاب بالمعنى الاول فهو مذكور في قوله تعالى (يا ايُّها النبيُّ قُل لأزوَاجِكَ وَبنَاتِكَ ونساء المؤمنينَ يدنِينَ عليهنّ مِن جلابيبهن) وقوله تعالى (وليضربن بخمرهن على جيوبهن). »

فيا سيدي الشيخ : ان من يقرأ قولك هذا يظن انك ندمتَ على قولك بظهور الوجه والكفين ، وانك قائل بان في هاتين الآيتين ، أمرًا بستر الوجه والكفين حتى لا يُرى من المرأة شيء . غير انه حينما يقرأ تفسيرك الآية التي استندت اليها و(يُدنِينَ عليهنّ من جلابيبهنّ) يراك في الصفحة ١٧٨ا متسائلاً « وهل الوجه ما يدنى عليه الجلباب ؟ » ويراك مجيبًا نفسك قائلاً « ليس في الآية ما يدل على ذلك » ، ويراك في تفسير الآية « وَليضربنَ بخُمُرهِنّ على جيوبهنّ » تقول ص ١٣٣ : « كن في الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتنكشف نحورهن وقلائدهن من جيوبهن فامرن ان يضربنهن[1] على الجيوب ليسترن اعناقهن ونحورهن ، وصفة ذلك ان تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الايمن على العاتق الايسر . »

يرى القارئ ذلك فيخيب ظنه ذاك ، بل يرى انك قائل مثل ما قلتَ من قبلُ ومثل

---

(١) يريد الشيخ استاذ الاداب العربية ان يقول يضربن بها . ولولا استغراقه في خلق المعاني لما ذهل عن قواعد اللغة وعن التمييز بين الدقل وغيره ـ

تفسيرًا عقيمًا فيه ما فيه من الغرابة والاضطراب.—

وفيه: زعيم الحجابيين سفوريٌّ خفيٌّ، ولو بدا لدى الجمهور يُقاوم السفور

ما قالت الفتــاة، بأن الآيات مجمعة على ظهور الوجه والكفين من المسلمات. والقارئ ينتظر ايضًا منك ان يعرف مَن من النساء يجب عليهن ان يسترن اشخاصهن وراء ساتر من جدار او ستار. غير انهُ يرى في الصفحة ١٨٥ انك حكمت بانهُ ليس في النساء من يجب عليهن ستر اشخاصهن بمثل ذلك، اذ قلت في الصفحة المذكورة «ان نساء النبيّ كنّ يطفن ويخرجن الى المساجد في عهد النبي صلى الله عليهِ وسلم وبعده، وقد كان الصحابة ومَن بعدهم يسمعون منهنّ الحديث وهن مستترات الابدان لا الاشخاص»، وقلت: «ان هذا دليل واضح على انهُ يجوز رؤية اشخاصهن، كما هو دليل واضح على جواز خروجهن لحوائجهن». وقلت: «اذا جاز لنساء النبي صلى الله عليهِ وسلم ذلك، جاز لغيرهن من النساء بالأولى»

يرى القارئ ذلك فلا يرى ما انتظر، بل يرى انك قائل بان الحجاب في المعنى الثاني لم يكن واجبًا على نساء النبي ولا على المسلمات، وأن ذكرك اياه كان عبثًا او من الفضلات

ثم يراك القارئ تقول، مع قولك ان حكم الآية عام: «ان المراد بستر نساء الرسول صلى الله عليهِ وسلم او غيرهن من المسلمات اشخاصهن وراء ستارٍ او جدار هو عدم الخلوة، وعدم ظهورهن امام الاجنبي في البيت الا مع ذي محرم». فيخيّل للقارئ انك جعلتَ ذا المحرم ستارًا او جدارًا يَستُر اشخاصهن. ولكنّ ذا المحرم يا سيدي الشيخ ليس بستار او جدار، ولا يستر عن الاجنبي اشخاصهن

ولماذا يا سيدي الشيخ قيدت عدم الخلوة وعدم ظهورهن امام الاجنبي بقيد «البيت»؟ أوَ تجوز الخلوة خارج البيت؟ أوَ كان جائزًا ظهور نساء النبي، خارج البيت امام الاجنبي؟

*

يا سيدي الشيخ يا مَن أزعم الحجابيين

اني تأملتُ في اقوالك وتفاسيرك العقيمة المضطربة وتأملتُ حتى مللت، واذ كنت اضيع فيها نبذتها كلها ظهريًا، وبقيت موجهةً وجهي الى كتاب الله لأعقلهُ بنفسي بعيدة عن الهوى، انّ في كتاب الله نورًا جليًا. وقلتُ لو فعل الشيخ وفعل المعارضون الذين قلّدوه الزعامة، وقلّدوا كلامه، كما فعلتُ، لمَا اضطربوا ولمَا أمسى ذلك النور عليهم خفيًا

تفسيراً عقيماً فيه ما فيه من الغرابة والاضطراب. —

وفيه: زعيم الحجابيين سفوريٌ خفيٌ، ولو بدا لدى الجمهور يُقاوم السفور

يا سيدي الشيخ

انت قائل بان هذه الآية لا توجب على النساء ستر الوجه والكفين، مثلما انا قائلة؛ وانت قائل بان الآية: (يدنين عليهن من جلابيبهن) لا تستوجب ستر الوجه والكفين، مثلما انا قائلة؛ وانت قائل بان الآية: (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) لا تقتضي ستر الوجه والكفين، مثلما انا قائلة؛ وانت قائل بان الآية (ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها) لا تكلف ستر الوجه والكفين، مثلما انا قائلة؛ وانت قائل بان الخلوة لا تجوز، مثلما انا قائلة؛ وانت قائل بدخول الرجال على النساء باذن الاولياء، وباجتماع الرجال والنساء بحضور المحارم، مثلما انا قائلة؛ وانت قائل بان الحجاب ليس من الدين بل من العادات، مثلما انا قائلة

فعلام ألَّفتَ كتابك «نظرات»، وحشوته بما حشوت من المغالطات والمكابرات، والماشاة لبعض الناس والمسايرات؟ وعلامَ قمتَ بتلك التظاهرات، وكدتَ تختنق بالاشواك ورودًا من العلم والادب نضرات؟

ان نفس القارئ الحرّ او القارئة الحرة من المفكرين والمفكرات، اذا سبرت غور كتابك تكادُ تطير شعاعًا او تذهب حسرات. انك دائمًا بين النقيضين، لترضي الفريقين، ومن يضحي بالحق في سبيل المسايرة ليس حريًا بتفسير الايات. ولا بدع أنْ اقسم السيد طفيل الغنوي في العهد الجديد عدد ٧٨٠ انك مجمع متناقضات

يا سيدي الشيخ: سايرتَ من اردتَ ان تسايرهم كثيرا، واشعلتَ من الانتقام سعيرا، ولكن تلك الحجب لا تُخفي منك عن البصير ضميرا، فانك سفوريٌ ولو بدَوتَ لدى الجمهور تقاومُ سفورا.

ومهما يكن عند امرءٍ من خليقة   وان خالها تخفى على الناس تُعلمِ

واني اطلّ من نوافذ الحاضر، على المستقبل الزاهر، فارى صغيرتيك الجميلتين، باذنك وإرادتك، سائرتين في طريق النور سافرتين مع العالم السائر السافر، ولها من الاداب ومكارم الاخلاق وطهر الضمائر، اسباب صونٍ وكرامةٍ ليست في الحجب، ولا في النقب، ولا في الستائر.

البحث الثالث عشر

في مزاعم الشيخ في الامر (قرن)، وفي الكف والكوع، وفي الجيب .
وفيها مشهد عجب ، من دروس الشيخ في اصول المناظرة وعلم الادب

(١)

في الامر (قرن)

— تمهيد —

آية الله الدالة بما فيها على خصوصها لنساء النبي . — مغالطات الشيخ في تفسيرها ، ومثاله المستهجنة ، وتمثيله اللعبة (انا اعمى ما بشوف ، انا ضراب السيوف) . — ايضاحٌ لتفسيري (قرنَ) في «السفور والحجاب » من(قار) . — سبب اهتمامي بتفسير هذه الكلمة التي اهتم بتفسيرها الشيخ دون سبب له يذكر ، بعد ما قد ابتدع وابتكر . — ادلةٌ على خصوص الآية وعدم عمومها .

قال الله تعالى : « يا ايُّها النبيُّ قُل لأزواجِكَ ان كُنتُنَّ تُرِدنَ الحيوةَ الدُّنيا وزينتَها فتعالينَ أُمتِّعكُنَّ وأُسرِّحكُنَّ سَراحًا جميلاً . وان كُنتُنَّ تُردنَ اللهَ ورسولهُ والدّارَ الآخرةَ فإنَّ اللهَ أعدَّ للمحسناتِ منكُنَّ أجرًا عظيمًا . يانساءَ النبيِّ من يأتِ منكنَّ بفاحشةٍ مبيَّنةٍ يُضاعفْ لها العذابُ ضعفينِ وكانَ ذلك على اللهِ يسيرًا . ومَن يقنُتْ منكنَّ للهِ ورسولهِ وتَعملْ صالحًا نُؤتِها أجرَها مرّتينِ وأعتدنا لها رِزقًا كريمًا . يانساءَ النبي لستُنَّ كأحدٍ من النساءِ إنِ اتقيتُنَّ فلا تخضَعنَ بالقولِ فيطمعَ الذي في قلبِهِ مرضٌ وقُلنَ قولاً معروفًا . وقرنَ في بيوتكن ولا تبرّجنَ تبرُّجَ الجاهليةِ الاولى وأقِمنَ الصلوةَ وآتينَ الزَّكوةَ وأطعنَ اللهَ ورسولهُ إنَّما يُريدُ

اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أَهلَ البيتِ ويُطهِّرَكم تَطهيرًا . واذكُرن ما يُتلى في بيوتكنّ من آياتِ اللهِ والحكمةِ ان اللهَ كان لطيفًا خبيرا .»

هذا ما قاله الله تعالى ، وارادة الله تعالى جليّة في قولهِ الصريح . غير ان تفسير (قرن) تفسيرًا اراه غير منطبقٍ على ارادتهِ تعالى ومخالفًا مصلحة المرأة والامة ، وقد ارتأى المفسرون فيما ارتأوا ان تقرّ المسلمات في بيوتهن ، وبالغ بعض المفسرين في ذلك فقالوا لا يخرجن منها الا الى قبورهن* ؛ ان ذلك التفسير او ذلك التعسير ما قد دفعني الى الدفاع عن حقي وحق بنات جنسي ، وعن مصلحة امةٍ اريد لها من الخير ما أُريد لنفسي . فنسّرت في « السفور والحجاب » الامرَ (قرن) من (قار) بمعناها اللغوي لا من (قرّ) قائلةً بخصوص الآية لنساء النبي

مغالطات الشيخ في تفسير الآية ، ومثالبه المستهجنة ، وتمثيله تلك اللعبة :
(انا أعمى ما بشوف ، انا ضرّاب السيوف)

انا فسرت الامر (قرن) بما فسرته في كتابي قائلة بخصوص الآية لنساء النبي . اما الشيخ الغلاييني فقد سوّد من اجل ذلك ثلاثًا وثلاثين صفحة بمغالطاتٍ واسنادات ومثالب مستهجنة ، زاعمًا فيها ان لكتابي مؤلفين دساسين ، خراصين ، جاهلين ، متبجحين ، مخزيين ، كذبوا بلا حياء ولا خجل على الله وعلى اللغة وعلى المفسرين

وانهم لما قرأوا في البيضاوي قوله : (ويحتمل ان يكون (الامر قرن) من قار يقار اذا اجتمع) ، ولم يوافق ذلك المعنى اغراضهم وأهواء نفوسهم بحثوا في تمهيدة الجهل والخبث والخداع عن معنى آخر لقار فرجعوا الى القاموس فرأوا انه قال (قار مشَى على اطراف قدميهِ لئلا يسمع صوتها) ففرحوا بهذا المعنى وما علموا لجهلهم اصطلاح صاحب القاموس انه اذا ذكر الماضي ولم يردفه بالمضارع فالباب فَعَلَ يفعُلُ . فرحوا بذلك وبتروا قول البيضاوي ، وحرفوه ، وشوهوه ، ومسخوه ، وما ازدادوا بتفسيرهم الا خزيًا وضلالا ، ودعا مرارًا على اولئك المزعومين قائلاً : خزاهم الله واخزاهم الله . ذلك لان البيضاوي قال (ويحتمل ان يكون الامر قرن من قار يقار اذا اجتمع) ، اما هم فقالوا دسًّا ، وخبثًا ، وضلالاً ، وكذبًا على الله ، وعلى اللغة ، وجهلاً ، بدلاً من (اجتمع) ، (مشى على اطراف قدميهِ لئلا يسمع صوتها) . لانه لا يعجبهم ان تجتمع النساء في بيوتهن بل يروقهم ان يجتمعن في المسارح والملاهي ودور الصور المتحركة ونحوها !

في مزاعم الشيخ في الامر (قرن) وفي الكف والكوع ، وفي الجبب .
وفيها مشهد عجب من دروس الشيخ في اصول المناظرة وعلم الادب . –
في الامر قرن — تمهيد للبحث

رمى الشيخ بمثل هذه المثالب ، وجال فيها وفي تفسيره المضطرب ، مثل تلك الجولة التي اشرت اليها في « السفور والحجاب » ص ٣٠٠ عند ما رددتُ على الشيخ البغدادي صاحب رسالة « السيف البارق في عنق المارق » ، تلك الجولة التي يجولها احد الاولاد في لعبةٍ معروفة حين يأخذ بيده خشبةً ويضع على عينيهِ سترًا ليكتسب جرأةً ويجول في الساحة وهو يقول : (انا اعمى ما بشوف انا ضرّاب السيوف) ، فيفرُّ معارضوه خوفًا او رياءً وهم بين ضاحكٍ وباكٍ وتخلو له الساحة

آه من هذه اللعبة التي لعبها امثال الشيخ اجيالا ، فعقّدَت السنة الاحرار المتجدّدين وأجمدَت اقلامهم عن بيان الخير والحق وجعلتهم يفسحون للاعبين بسيف التكفير والتمويه والتزذيل مجالا ، حتى تملّك فينا الرياء او الشرك الاصغر وهو اخوف ما خاف علينا منه رسول الله فجاوزتنا الامم الحرة فراسخ فراسخ واميالا ، وخسر العرب والاسلام مجدًا اثيلاً ووحدةً واستقلالا !!

فيا سيدي الشيخ

اني لمؤلفة « السفور والحجاب » . واني راضيةٌ بان يخزيني الله ان كذبتُ على اللغة او على المفسرين او عليهِ تعالى ، او قبلتُ في كتابي دسًّا او اخترتُ ضلالا ، او بترت او شوّهت او مسختُ اقوالا . فليرضَ الشيخ بمثل ما رجا للفتاة ، اذا كان فاعلاً في كتابهِ ما عزا اليها من فعلٍ لم يقعْ في كتابها

وقد استشهدتَ يا سيدي الشيخ بالآيتين الكريمتين (انما يفتري الكذِبَ الذين لا يؤمنون بآيات الله ، وأولئك همُ الكاذبون) . – « وان الذين يفترون على الله الكذِبَ لا يُفلحون . » فاني لاستشهد بهما مرتِّلةً اياهما ترتيلا ، مؤمنةً بآيات الله ، معتقدةً أن الكاذبين لا يُفلحون

*

ايضاح لتفسيري (قرن) في (السفور والحجاب) من (قار)

يا سيدي الشيخ ، لا اظن انك غير عالم اني فتاة ما عرَفَتْ مسرحًا مفسدًا ولا ملهى ولا نحو ذلك . ان ذلك ليس من ميول نفسي . وقلما كان في بنات الاسلام وغيرهنّ ، وهنّ ادرى باخواتهن ، مَن قررن في مدارسهن او بيوتهن مثل قراري ، او لزمتها لزومي . ولا ارغب في اجتماع

في الامر (قرن) — تمهيد للبحث

بهن الاحيث يرتقي العقل والاخلاق من البيوت ، او في اندية العلم ودور الادب ، تلك التي دعوتُ النساء اليها في كتابي ، منفِّرةً اياهن من ارتياد كل محل فيهِ ظل او أثرٌ من الفساد .

وليس لي مأربٌ في اهالي معنى الاجماع لكلمة (قار) وفي تفسيري اياها كما فسرت نقلاً عن المعاجم . وجل ما اتفق لي اثناء بحثي في قرن ان راجعت البيضاوي فوجدت انهُ قال ان (قرن) من وقر يَقِرُ او من قرَّ يَقِرُّ ، وزاد على ذلك قوله (ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع) ففتحت قواميس اللغة فلم اجد واحدًا منها قال ان من معاني قار اجتمع بل وجدت انها متفقة على ان معنى قار ، مشى على اطراف قدميهِ لئلا يسمع صوتهما ، وختَلَ الصيدَ اي تخفى لهُ ، وليس لقار معنى غير ذلك . فاخذت بمعنى هذا المشي ، في اللغة وبدا لي حينئذٍ ان في قار لغتين : قار يقور بضم العين وقار يقار بفتحها ، كما ان في قر لغتين قر يقِرّ بكسر العين وقرّ يقَرّ بفتحها . وقد أبدَى لي ذلك قول القاموس قار يقور ، وقول البيضاوي قار يقار . وابدى لي ايضًا (قار يقار) فتحُ فاء الفعل من الامر لهن ، على ما أُثبِتَ في نسخ القرآن المطبوعة ، (قَرْنَ) . مع ان اللغة الفصحى لا تجيز ان يصاغ هذا الامر لهن من قرَّ يقَرُّ ، ولا بد لاهل اللغة الفصحى من صيغته على القاعدة من قار يقار

وبما ان معنى اجتمع الذي ذكره البيضاوي احتمالا ، ليس في معاجم اللغة ، وانت حضرتك قلتَ في الصفحة ١٦١ (اما قار يقار فلم نر من ذكرها الا المفسرون[1] ، وقد فسروها باجتمع يجتمع)

وبما انهُ لا يجوز للمفسرين ولا لغير المفسرين تفسير القرآن وهو لسان البيان بمعنًى ليس في اللسان

وبما اني رأيت المعنى المذكور في المعاجم : مشى على اطراف قدميهِ لئلا يسمع صوتهما ، موافقًا للآية الكريمة (ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن)

وبما انهُ بدا لي ان نساء النبي امرن بان يمشين في بيوتهن كما يمشين خارجها مشيًا لا تسمعُ معهُ من كان من الرجال الاجانب في مجلس من تلك البيوت ، فقعقعةَ الخلاخيل او رنابها

(١) يريد الشيخ استاذ اللغة والتفسير أن يقول المفسرين وقد رفع ما يجب نصبه . انهُ ما زال يخطئُ في النحو ويدعي الاصابة في تفسير القرآن

في ارجلهن وقد قال البيضاوي ص ٤٦٨ ان قعقعة الخلخال تورث ميلاً في الرجال والنهي عن الضرب بالارجل ليتقعقع الخلخال ابلغ من النهي عن اظهار الزينة وادلّ على المنع من رفع الصوت

وبما اني تذكرت حديث نسخ القرآن عن مصحف المرآة وما جرى بعد ذلك من احراق غيره من الصحف حرصاً على بقاء مصحفٍ واحد لا اختلاف فيهِ ، وقد سبق ذكر ذلك في كتابي هذا جزء ١ ص ١٠

وبما انهُ لاح لي بناء على الحديث المذكور انهُ لا يُعمَل الا بالقراءة التي أثبتَهَا القرآن عن مصحف حفصه وبدا لي ان النسخ المطبوعة تدلّ على تلك القراءة وهي (قَرنَ) بالفتح

وبما ان لسان العرب قد صرح ان فَعَلَ يفعِلُ في قرّ بمعنى سكن اكثر من فَعَلَ يفعَلُ واعلى

وبما اني معتقدة ان القرآن ما أُنزل الا بأعلى الكلام ، وبما هو اكثر استعمالاً عند القبائل والاقوام ، كي لا يخفى معنًى من معانيهِ على فهمٍ من الافهام

وبما ان الفرّاء صرّح في اللسان المذكور ان الامر لهن بصيغة (قَرنَ) من قرّ لم يستعملهُ العرب

ولاسباب ٍبينتها في كتابي الاول وازيدها ايضاحًا وبيانًا في كتابي الثاني هذا

وبناء على كل ما تقدم آثرتُ حينئذٍ ان (قَرن) من (قار يَقار) بالمعنى الذي نقلتهُ عن القاموس ، على ان تكون من (قرّ يقرّ) اي ثبتَ . آثرت ذلك المعنى عن معنى القرار كما آثرتهُ على معنى الاجتماع الذي اهملتهُ اذ لم تذكره معاجم اللغة ، ويستوجب كما سابين في كتابي هذا محاذير لا يقبلها العقل الصحيح ، فليجلّ عنها حكمته تعالى

ولم أرَ حينئذٍ جوازًا لنقرأ (قِرنَ) بكسر القاف من (وَقَر يقِرُ) اي كنّ اهل وقار ، مع ما في ذلك من معنًى لفضيلةٍ اريدها لبنات جنسي وتطيب بها نفسي

اجل لم أرَ حينئذٍ جوازًا لايثار هذا المعنى اذ انهُ يحملنا على قراءةٍ للامر (قرن) لا توافق ما في نسخ القرآن المطبوعة . ومع ذلك قد ذكرت هـذا المعنى السامي الشريف فاتحةً مجالاً لحرية اختيار المسلمات

فكيف استخرجت ، يا سيدي الشيخ ، سامحك الله ، من اخذي بمعنًى ذكره القاموس وقد

وفيها مشهد عجب من دروس الشيخ في اصول المناظرة وعلم الادب . — في الامر (قرن) — تمهيد للبحث

صرح الله تعالى بمثلهِ في آيتهِ : (ولا يضربنَ بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهنّ) ، كيف استخرجت من اخذي بذلك المعنى اني اريد ان تجتمع النساء في المسارح والملاهي ودور الصور المتحركة ونحوها ، واسندتَ اليَّ ، غفر الله لك ، الدسَّ والخبث والضلال والجهل والكذب؟

هب اني ما عرفتُ ، كما زعمتَ ، اصطلاح القاموس للفيروزابادي ، وانهُ ما خطر لي ان لهُ اصطلاحاً خاصاً في مثل ذلك ، او هب اني مخطئة في اهمال معنى الاجتماع وليس لهُ ذكر في معاجم اللغة ، أوَ يحق للشيخ ان يرمي بما رمى بهِ من خبثٍ وخزيٍ ، و ، و ، و ؟ ، وقد قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم : « رفع الله عن امتي الخطأ والنسيان ؟ »

وكيف قلت يا شيخ ، اني بترتُ قول البيضاوي وشوّهتهُ ومسختهُ ، مع اني ما ذكرتهُ حيث بحثت في معنى ' قَارَ ' ولا نقلتهُ . والمعنى الذي اخذت بهِ صرحت اني من معاجم اللغة اخذتهُ

غفر الله لك يا زعيم المعارضين واول المتحاملين ، على من تجتهد في تعقل الدين ، وجعلك آخر اللاعبين تلك اللعبة وسيفهُم الخشبيّ لسانٌ يشين ، او قلم يهين

* * * * *

سبب اهتمامي بتفسيري كلمة (قرن) التي اهتم بتفسيرها الشيخ دون سبب لم يذكر بعد ما قد ابتدع وابتكر

يا سيدي الشيخ

ان الله تعالى ما انزل الامر (قرن) وفيهِ تعسير يستوجب اقعاد نصف الامة في البيوت كأنهُ مصابٌ بالقُعاد ، او فيه معنى عسير ، يقتضي إضاعة الوقت الثمين في التفسير . انما بعض الرجال ارادوا ان يستخرجوا منهُ معنًى بهِ تبتلي النساء ، بمثل هذا الداء ، فاضاعوا ما اضاعوا من وقتهم بذلك التفسير الذي اضطرني ، نقضاً لهُ ودحضاً ، ان اهتم بهذا الامر واضحّي بما اضحي من وقت يقضي مثلهُ العالم الراقي باكتشافاتٍ واختراعاتٍ تُظهِرُ عظمةَ الخالق في عظيم عقل المخلوق

اجل ان اهتمامي بالامر (قرنَ) ما كان الا لان بعض الرجال ارادوا ان يستخرجوا منهُ انهُ يجب على المرأة ان تقرَّ في خدرها ، لا تخرج منهُ الا الى قبرهـا ، عادين الامر بهذا المعنى ، وفيهِ ما فيهِ من تعسيرٍ وتضييقٍ عامًّا . وقد نقلت في كتابي الاول ما قالهُ السيد جميل

بهم بخطابهِ في المجمع العلمي عن حالة المرأة في العراق ، ونقلت في كتابي الثاني هذا جزء ٣ ص ٤٥ ما ذكر الشيخ القاياتي الازهري وغيره اثباتاً لما ذكرتُ مما يويد فهم بعض الناس هذا المعنى معماً للنساء جميعاً

ولا يخفى ما جر هذا التفسير الغريب ، والفهم المقصود العجيب على الاسلام والنساء ، من الويل والتعسير والبلاء

اما انت فبعد ان قلت كما قالوا ان الامر (قرن) من القرار ، واستطردت الى القول ان القرار في البيوت ليس مطلقاً ، وان للمرأة ان تخرج بمقتضى هذه الآية اذا كان ما يدعو الى الخروج مما فيهِ مصلحة خاصة او عامة ص ١٧٤ او طلب علم او تنزه او زيارة ص ٤٠ و ١٦٧ ، بعد ان فتحت للمرأة ، بتفسيرك هذا الباب على مصراعيهِ ، وبعد ان قلت ان الامر بالقرار على هذه الصورة ليس خاصا بالاسلام مستشهداً ص ٤١ برسالة بولس الى تيطس ومخاطبتهِ تيموثاوس ، بعد ان استخرجت من الامر هذا المعنى ، لم يبقَ لك من داعٍ للاهتمام واضاعة ثلاث وثلاثين صفحة بامر هذه الكلمة، لو لم ترد ان تخلق بذلك مغالطات ظننتَ انهُ ينفسح لك مجال فيها للانتقام من الفتاة لردها عليكَ اذ غمطتَ النساء وبطرت حقهنّ

**

ادلة على خصوص الآية وعدم عمومها

يا سيدي الشيخ

ولئن قلت في الصفحة ١٤٣ من نظراتك انهُ لم يقل احد أن احكام هذه الآية خاصة لنساء النبي صلى الله عليهِ وسلم فاقرأ كتابي بتروٍّ ترَ عكس ذلك ، وترَ الادلة على خصوص الآية . وافتح ، فتح الله عليك ، كتاب تحرير المرأة للمصلح الكبير قاسم امين ، رحمة الله عليهِ ، واقرأ الصفحة ٨٠ ترَ انهُ قال : « لا يوجد اختلاف في جميع الكتب الفقهية من اي مذهب كانت ولا في كتب التفاسير في ان هذه النصوص الشرعية خاصة بنساء النبي صلى الله عليهِ وسلم » . اقرأ كتابي وتأمل في ما ذكرت من الادلة على خصوص احكام الآية ، وتأمل في قولهِ تعالى (يا نساء النبيّ من يأتِ منكنّ بفاحشةٍ مبيّنةٍ يُضاعَف لها العذاب ضعفين .. ومَن تعملْ صالحًا نؤتها أجرَها مرتين...) . فهل يضاعف الله العذاب او الاجرَ لكل مسلمة فنقول بعموم احكام

الآية للنساء جميعًا؟ اقرأ البيضاوي حيث قال في تفسير (يضاعف لها العذاب ضعفين). قال (اي ضعفي عذاب غيرهنّ، لان الذنب من نساء النبيّ اقبح. فان زيادة قبحه، تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه

اذن ان القول بعموم احكام الآية، وقد اخذ بعض الشيوخ في تفسيرها بمعنى الاجتماع او القرار، مع ما في ذلك من تعذُّرٍ وعسرٍ واضرار، ليس الاّ مكابرةً فادحة، امام الحقيقة الواضحة

(التنزيل واحد لان الحقيقة واحدة، وسهام الشيخ ترتدّ وهي من الشيخ عليه عائدة)

يا سيدي الشيخ

لندخل الآن بعد ما سبق من التمهيد في المناظرة والجدل

كتبتَ ثلاثًا وثلاثين صفحة ذكرت فيها انهُ كما يجوز العمل بقراءة عاصم ونافع وحفص وهي القراءة التي يقرأ بها الناس اليوم والتي تطبع بها المصاحف، يجوز العمل بقراءة غيرهم من القراء اي قِرن بكسر القاف. واني لاقبل ذلك بكل ارتياح وسرور. لاني ارى في كسر قاف الامر، كسرًا لقيدٍ من الذل صاغه للمرأة بعض المفسرين، فتجزم المسلمات حينئذٍ بمعنى الوقار، لان الوقار ما يصلح امرهنّ في القرن العشرين، ويرفع قدرهنّ بين نساء العالمين

غير اني يا سيدي الشيخ اقول لك: ان الحقيقة التي ارادها الله في امره تعالى، واحدة. إما قَرنَ بفتح القاف او قِرنَ بكسره. وان عدّ هذه الكلمة نزلت مفتوحة القاف ومكسورته في وقت واحد ليس من الجائز. لان ذلك غير ممكن وهو من قبيل جمع النقيضين. فينبغي لنا ان نُعملَ العقل ونجتهد في كشف الحقيقة للعمل بمقتضاها، او لتَعمَلَ كل عاقلة بما كشف لها عنهُ عقلها في اجتهادها. ان العقل هو الخاطَب، والمعاقب والمثاب

فمن تقرأْها بالفتح وفاقًا لقراءة عاصم ونافع وحفص مرجّحة نزولها كذلك، يلزمُها ان تفهمَ

في الامر (قرن) تمهيد للبحث

معناها بمقتضى قراءتها ، وتحكمَ حينئذٍ بخصوص الآية او بعمومها . على انه لا مندوحة لها حينئذ عن ان تؤثر صيغة الامر (قَرن) من قار يقارُ بالمعنى الذي ذكرتهُ في « السنور والحجاب » ، على صيغته من قَرَّ يَقَرُّ . ذلك بناء على الاسباب التي بيَّنتها في التمهيد لبحث هذه الكلمة ، وسازيدها ايضاحا فيما يلي . على انه لا يهمها حينئذٍ خصوص هذه الآية او عمومها بالمعنى الذي تؤثره ، بعد ان تركت الخلاخيل واضحت حرة في مشيتها ، لا قيد لها الاَّ الوقار والرصانة

ومن تقرأها بالكسر تبعًا لقراءة غير عاصم ونافع وحفص من القرّاء السبعة ، يلزمها ان تفهم معناها بمقتضى قراءتها . ولا بدَّ لها حينئذ من ان تصوغ الامر (قِرن) من ١ وقرَ يقِرُ) اي كنَّ اهل وقار . وكل فاضلة تصبو نفسها الى هذا المعنى وترغبُ في تعميمهِ خلافًا لمعنى القرار

اما حضرتك فقد ذكرت في نظراتك القراءتين والمعاني الثلاثة التي قال المفسرون باحتمال الامر (قرنَ) لها : الوقار والاجتماع ، والقرار . ولكن لم تبين ايّ قراءة رجحت ، واي معنى للنساء آثرت . بل اضطرب حكمك اي اضطراب ، لانك لم تكلف نفسك اجتهادًا صالحًا ، بل كلفتها ما شئت وسهلَ عليها من تضليلٍ وتجهيلٍ وترذيلٍ وسباب

ورأيتُ أنك لم تأخذ ولم يأخذ احد من رفاقك المعارضين بمعنى الوقار ، وهو المعنى السامي الذي يعزُّ الاسلام ، ويبوّىء المرأة ما اراده الله لها من مقام ; بل اخذت واخذوا اولاً بمعنى الاجتماع وهو لا يرمي الى تلك الحكمة العالية مع ما فيهِ من الاستحالة او عدم الامكان ، و بعد ان رشقتَ ورشقوا بما رشقتَ ورشقوا بهِ من سهام ، اخذتَ واخذوا بمعنى القرار ، مع ما فيهِ من تضييق على الام والامة ومن تعسيرٍ واضرار

فهل يخفى على الشيخ نظرًا الى وحدة الصواب والحقيقة ، انه لما اخذ بمعنى القرار نبذَ معنى الاجتماع ومعنى الوقار . ولما اخذ بمعنى الاجتماع نبذ المعنيين الوقار والقرار ; فان كان نبذ معنى الاجتماع او اهماله ونبذ معنى القرار ، دسًّا وخبثًا ، وضلالاً وكذبًا على الله وعلى اللغة وعلى المفسرين وجهلاً ، وما يستحق معاذ الله خزيًا ، كما قال الشيخ ، فقد شمل ذلك كلا الاثنين الشيخ والفتاة ، وكان حكمها في ما رمى بهِ الشيخ واحدا ، لا بل كل سهم رمى بهِ الشيخ كان اليهِ مرتدًّا وعليهِ عائدا!

*****

يا سيدي الشيخ

لأبين لك الآن عدم اصابتك في اخذك بمعنى الاجتماع

ان يكن امر (قرن) غير مختص بنساء النبي صلى الله عليه وسلم ، كما ذكرت ، وكان معناه من قار يقار كما ذكر البيضاوي (اذا اجتمع) فالاخذ بهذا المعنى يوقع في محذورين : الاول ، استعمال معنى ليس في اللغة ، والثاني منافاة حكم العقل

انك في ورودك بين اشواكك قلت ص٤٣ و ١٤٦ « انما يريد الله المسلمات ان يلازمن البيوت لترتيبها والعناية بها وتنظيمها ورعايتها وتربية الاولاد واسعاد الاسرة ، ومراقبة حركات الخوادم »

فان كان انّ المسلمات امرنَ ان يجتمعنَ في بيوتهنّ فالعمل بمقتضى الامر منه تعالى على هذا المعنى يقتضي تركهنّ البيوت . لان المجتمعات في بيت هنّ ما عدا صاحبة البيت المجتمع فيه خارجاتٌ من بيوتهنّ ، مهملاتٌ ترتيبها والعناية بها ، وتنظيمها ورعايتها ، وتربية الاولاد واسعاد الاسرة ، ومراقبة حركات الخوادم . — (كأن المسلمات جميعاً لهنّ خوادم ، وكأن الخوادم لا يكن مسلمات .) — وبما انه لا يمكن النساء ان يكنّ في بيوتهنّ وبيوت غيرهنّ في وقت واحد فالامر الجليل ان كان عامّاً النساء جميعاً ولم يكن خاصا لنساء النبي ، وحمِلَ على هذا المعنى يكلف المستحيل ، وذلك ما تجلّ عنه حكمة التنزيل

ان البيضاوي بشرٌ مثلنا يخطىء ويصيب . وقد يكون انه لم يفطن لهذه المحاذير ، كما انه لم يفطن الى ان (قار) ليس لها في اللغة معنى (اجتمع) ، وكما انه لم يفطن الى فساد تلك الخرافات التي ذكرها في تفسيره وأشرت اليها في « السفور والحجاب » ، اذا كان البيضاوي لم يفطن لهذه المحاذير ، أوَ تلام الفتاة اذا فطنت لها ؟ اوَ تحسبُ انها كذبت على الله فتستحق خزياً ؟ أوَ تعلم انتَ ، يا شيخ ، ارادة الله في امره (قرنَ) لتقول اني كذبت عليه تعالى ؟ أوَ لقارَ في اللغة معنى اجتمع حتى تقول اني كذبت على اللغة ؟ اوَ تجزمَ انت بمعنى الاجتماع ليجوز لك مثل هذا القول ؟ أوَ لم تترك انت معنى الاجتماع اخذاً بمعنى القرار ؟ أوَ ما رأيت المفسرين في استخراج المعنى الحق من (قرن) حائرين ؟

اتق الله اتق الله ايها الشيخ ، انك تلعب تلك اللعبة وتموّه وتغالط ، وانك لا تجهد .

فلا تحسبنّ من اجتهدت في تعقل كتاب الله وما خُصّ منه بالنساء اجتهادا ، وهي تريد ان تضيء للمسلمات بما في كتاب الله من نورٍ وتصلح بما فيه من صلاحٍ طريق الحياة وتعدهنّ للحياة المُثلى اعدادا ، مستمدة للعقل من حقائق الكتاب ما يملأ العيون الناظرة الى الاسلام هدًى ورشادا ، لا تحسبنها كاذبةً على الله وعلى اللغة اوجاهلةً اياها ، ولا ترمها بمثل ما رميت . واذا زعمت انك تجتهد ، فتذكر ما قالت في كتابها « السفور والحجاب » ص ١٠٧ قالت

« يا سيدي الرجل ان الله سبحانه وتعالى امر المرأة كما امرك بتعقل آياته والتفكر فيها . وقد حصرت ذلك بك عصورًا طوالاً ، حارمًا اياها ، سامحك الله ، التعقّل والتفكّر . اما اليوم فترى ان دورها قد جاء ، بعدما انبثق من علمها فجر حريةٍ وضاء . وستصدع بما أُمِرَت متعقلة آيات الله متفكرةً فيها ، وسيحكم اولو الالباب في ايِّها خير واحسن تأويلا »

* * * *

تفكهات بنماذج من اغلاط نحوية ولغوية وبيانية ، لشيخ التفسير واستاذ الاداب العربية

يا سيدي الشيخ

انك انت ومن سبقك من المفسرين المعسّرين قد جعلتم البحث في الامر (قرن) متعبًا مملولا ، فلتتفكّهْ باغلاطٍ نحوية ولغوية وبيانية ، لشيخ التفسير واستاذ الاداب العربية ، لتتفكّهْ او لتفكّه القارئين بذلك قليلاً

يا سيدي الشيخ واستاذ اللغة القدير ! قلتَ ان الفتاة تجهل اللغة ، ذلك لانها لم توافق الشيخ على ما شاء وساء من التفسير

فالفتاة التي تجهل على زعمك اللغة ، تعرض لدى اهل اللسان ، نماذج من اغلاطك الكثيرة في النحو واللغة والبيان

* *

فما أنّفت فيهِ المذكّر قولك ص٨٤ : (وتدع اولادها وتربيهن) . — والصواب (تربيهم) .

الاّ اذا اعتقد الشيخ ان الاولاد الذكور ، على قاعدة (الفرفور ذنبه مغفور) ، في غنى عن التربية

وقولك ص ٥٠ (ودعوتِ المسلمين والمسلمات الى تربية صغيراتهنّ) .— والصواب (صغيراتهم) . الا اذا سلم الشيخ ان الرجال والنساء ، في كل حق سواء ، فحينئذٍ يحق له ان يعيد الضمير الى من يشاء

. . .

ومما ذكرت فيهِ المؤنث قولك ص ٣٩ (ان طلاب السفور من المسلمات) .— والصواب (طالبات)

وقولك ص ١٨٠ (ان بين مَن تعنيهم المسلمة وغير المسلمة) والصواب (تعنيهن) .— لان الضمير يعود الى « السافلات »

وقولك في الصفحة ١١ ،١٨٠ عينها : (ان هؤلاء ينتسبنَ الى غير آبائهن مدعين انهن من الاسر المعروفة .— والصواب (مدعيات)

وقولك ص٣٢ : (ان وكلك احد منهنّ) .— والصواب (ان وكلتك واحدة منهن) . اما « احد » في قوله تعالى (لستنّ كأحدٍ من النساء) فانما جُعلَ مستويًا فيه المذكَّر والمؤنث والواحد والكثير في النفي العام ، كما قال البيضاوي والزمخشري

* *

ومما رفعتَ فيهِ ما يجب نصبهُ قولك ص ١٦١ : (اما فار يفارُ فلم نرَ من ذكرها الاّ المفسرون) .— والصواب المفسرين)

ومما نصبتَ فيه ما يجب رفعهُ قولك ص ٤٦ (ان كشف الوجه مأثورًا احيانًا) .— والصواب (مأثورٌ) . (١)

* *

(١) لو لم يجعل الشيخ في آخر نظراته صفحة خاصة للخطأ والصواب ، لما عددت غلطته هذه الكبيرة ، الا من غلطات الطبع المغفورة

ومما جعلت فيه الجمع مفرداً قولك ص٣٢ (نحن وكلك منهنّ وكم عدد من وكلك). — والاصح (وكم عدد من وكلنك)

وقولك ص ١٨٧ (ونساؤُهم تأْبى ان تأْذن لاحد من الرجال بزيارة اذا خلا البيت من القيم عليه) . والصواب . — (ونساؤُهم يأْبين ان يأْذنّ)

وقولك ص١٨٠ (ولكن لاتنسي ان بعض السافرات تفعل هذا وهي سافرة) والاولى يفعلن هذا وهنّ سافرات) . لان سياق الكلام يدل بصورة جازمة على الجمع

وقولك في الصفحة ١٨٠ عينها : (وليس كل الرجال يعرفون كل النساء . والغالب ان المعرفة قاصرة على اصدقاء اهلها واهل الحي الذي تقطنهُ ، فلا يحول [1] دون ما تريد ان تقصد الى غير هؤُلاء الرجال . أفيجوز بعلة هؤُلاء الفاسقات القليلات جداً بالنسبة الى الطاهرات العفيفات ان تسعى لكشف نقاب المرأة المسلمة ؟) والاولى . — باستاذ اللغة ان يقول (اهلهنّ ، ويقطنّه ، ويردن ، ويقصدنَ) لان اول الكلام وآخره لا يفسحان مجالاً لاستعمال المفرد

وقولك ص ١٨٤ : (وقدكان منهن من لم تشأْ ان تنتقب فعلمت وتعلمت سافرة الوجه سفوراً شرعياً ادبياً غير محسنة وجهها ولا مبدية زينتها بل في حال تحوطها فيه الحشمة وتخيم عليها فيها السكينة والوقار، بعيدة عن مثال السوء نائية عن محال الشبهة . ومع هذا فهنّ قليلات العدد). — والاولى (يشأْنَ ، وينتقبن ، وعلّمنَ، وتعلمنَ، وسافرات، ومحسنات، ووجوههن ، ومبديات ، وزينتهن ، وتحوطهن ، وعليهنّ ، وبعيدات ، ونائيات .) فالمعنى الصحيح الموافق للواقع يدل على الجمع ، كما يدل عليه جزماً قول الشيخ في آخر العبارة ، ومع هذا فهن قليلات العدد

وارى ان ما سوف يأْتيه الشيخ هنا من التأْويل ، لا يكون الاّ مثل تأْويله (قرن) وغيرها من الآيات ، الصواب فيه قليل

* *

---

[1] يريد الشيخ ان يقول فلا تحول اي المعرفة او فلا يحول ذلك

وما لم تميز فيه بين العاقل وغير العاقل قولك ص١٢٣ في تفسير الآية « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » : (كنّ في الجاهلية يسدلنَ خمرهن من خلفهن فامرنَ ان يضربنهنّ على الجيوب) . والصواب : (يضربن بها) . الا اذا رأى الشيخ القدير الفاضل ، وجهاً يُرى لتنزيل الخُمر منزلة العاقل

* *

وما خالفتَ فيه قواعد اللغة بحذف الحرف قولك ص ٧٣ : وإذا رغبت الى اكثر من لم يتزوج منهم ان يتزوّج نَفر من كلامك)

أفي ان يتزوّج ، او عن ان يتزوج ، رغب الشيخ الى من رغب ؟

كان ينبغي للاستاذ ان لا تخفى عليه القاعدة النحوية : (حيث لا يتعين مع أنْ وأنّ الحرف لا يجوز الحذف) وبما ان رغب من الاضداد ، فرغب في الشيء يعني اراده ، ورغب عنه يعني لم يرده ، ترَى الفتاة وكل فتى يرى أن خرق الشيخ القاعدة النحوية بحذفه مثل هذا الجار ، ليس بدليل على سعة علم في اللغة او اقتدار

.·.

وما حذفتَ ايضاً فيه الحرف وهو يتعدى بحرف قولك ص ١٢٨ (وأما غيرهنّ من لم يهبهنّ الخالق سبحانه نعمة الجمال) والصواب . — (يهب لمن) . وقد قال تعالى في سورة مريم (فهَبْ لي من لدُنكَ وليًا) و (انما انا رسولُ ربّكِ لأهبَ لكِ غلامًا زكيًا)

.·.

وما خالفتَ فيه قواعد اللغة بزيادة الحرف قولك ص ٦٩ : (لانه محروم من ان تلطفه شواعر المرأة) وقولك في الصفحة عينها (انهم محرومون من نعمة الاختلاط) و(من كان محرومًا من هذه النعمة) . والصواب (محروم ان تلطفه ، ومحرومون نعمة الاختلاط ، ومحرومًا هذه النعمة) . لان هذا الفعل ما يتعدى دون حرف

* *

ومما بترتَ معناه في اللغة قولك ص١٥٦ (وَقرَ بِئرُ ، بمعنى جلس) مع ان معنى (وَقرَ بِئرُ) جلس بوقار

* *

ومما استعملته لغير ما وضع له قولك ص ١٨٢ : (اباح العلماء للمرأة السفور عن وجهها وكفيها وقدميها) . — والصواب ان السفور لغةً مختص بالوجه . ويجدر باستاذ الادب ان لا يتجوز في استعمال ما هو مختص بالوجه للقدمين

وقولك في الصفحة ٢٦٨ من كتابك « الاسلام روح المدنية » : (ان الحجاب اعظم كفيل لضمانة المرأة وادابها) والصواب بحسب المعنى الذي قصد له الشيخ (لضمان المرأة) . لان « الضمانة » في اللغة « الزمانة » وهي العاهة وتعطيل القوى والشلل . ويرى الشيخ وغير الشيخ أنه تاه في مجاهل اللغة حتى وقع في ما تعده الفتاة حقًّا وصوابًا وما يعده هو من الخطل

* *

ومما لم تحسن فيه البيان قولك في نظراتك ص ١٧ : وانما الدين آلة يخرّبون بها بيوت الشرقيين واداة يهدمون بها كيانهم) . والصواب (انما يتخذون الدين)

وقولك ص١٨٦ : (وان كن موردًا للنهي عن سؤالهن من وراء حجاب) . — والصواب (الا من وراء حجاب)

وقولك ص ٨٧ : (ولا نكاد نرى امرأةً لا قوام عليها يرعاها) . — والصواب (نكاد لا نرى) لان كاد هنا ليست صلة للكلام كما في قولهِ تعالى (لم يكد يراها) اي لم يرَها . بل هي للمقاربة . وكاد للمقاربة تُنبئ مجرّدةً ، عن نفي الفعل ، وتنبئ مقرونةً بالنفي عن وجوده

* *

ايها السادة والسيدات

هذه من غلطات الشيخ الاستاذ في كتابهِ نظرات ، وانهُ ليندر اليوم ان يبدر مثلها من التلاميذ والتلميذات . فهل لمن تبدر منهُ مثل هذه الغلطات ، ان يعزوَ الجهل في اللغة الى هذه الفتاة ، ويدعي الاصابة في تفسير الآيات ؟

يا سيدي الشيخ ، وكيف تقول اني حرّفت كلام البيضاوي ؟ انا لا أُحرّف ، انما انت تحرّف . . ومن ذلك انك حرّفت في الصفحة الـ ١٢١ كلامي في الصفحة الـ ٣٢٣ ، لتستفيد من التحريف ، فكتبتَ (اللازم اظهاره) بدلاً من (اللازم ظهوره) . ومثل ذلك كثير ، من استاذ اللغة والادب والتفسير

***

عدم الاصابة في الاخذ بمعنى القرار، على ما وسع اجتهاد الشيخ بالابتداع والابتكار

بعد ان تفكهنا ببعض غلطات الشيخ من نحوية ولغوية وبيانية ، فلأُبيّن هنا غلطاته المنطقية في اخذه بمعنى القرار، على ما وسع اجتهاده بالابتداع والابتكار ، قائلاً : ان معنى القرار يتضمن الخروج الى ما فيه مصلحة خاصة ٌ او عامة ٌ او طلب علم او تنزّه او زيارة

يا سيدي الشيخ

ان يكن امر (قرنَ) غير مختص بنساء النبي ، وكان معناه من القرار ، كما فسرت وقلت على اوجه الذي سبق بيانه ، فنساء العيلات المحمدية ، والعيلات الموسوية ، متبعات فعلاً وعادةً هذا الامر ، مثلما نساء العيلات المسلمة عندنا اليوم متبعاتٌ اياه . فليس منهن من تقرّ الاّ في بيتها ، وليس منهنّ من تخرج منه الا اذا كان ما يدعو الى الخروج مما فيه مصلحة خاصة او عامة او طلب علم او تنزّه او زيارة . وهكذا الحال في الرجال ايضًا انهم يقرّون في بيوتهم ، الاّ اذا كان ما يدعو الى الخروج مما فيه مصلحة خاصة ، او عامة ، او تنزّه او زيارة . وهذا ليس من الفضائل التي ترغب فيها النساء ، بل انه من مقتضي مصلحتهن ونفعهن، يفعلنه بلا امر الهي كما يفعل ذلك الرجال انفسهم

ولا يخفى ان المعنى الذي استخرجته حضرتك بجعل الامر (قرن) ، ان كان من القرار، كأنه لم يكن . فان كانت المرأة مولعة بالتنزّه والزيارات، في النهار وفي السهرات ، وراغبة في السعي وراء ما تحسب ان لها بو مصلحة خاصة ، او للامة مصلحة عامة ، وما اوسع تلك المصالح ، فقلما تكون في بيتها الا في وقت النوم . ولا يسلم العقل السليم ، ان الامر بقرارها في بيتها

نزل لاجل القرار في ذلك الوقت . فهي تقرُّ فيه ، أَمرَها الله بذلك ام لم يأمر

اجل انك بتفسيرك هذا يا سيدي قد فتحت للمرأة باب البيت على مصراعيه دائمًا ، اللهم الا وقت النوم ، وقد يكون ذلك بعد نصف الليل

ولا يخفى ان مثل هذا المعنى الذي لا يمكن استخراجه من كتاب الله ، لم يسبقك اليه احد ، ولا يقول به غيرك . لان القرار ، لغةً ، الثبات . اما خروج المرأة من بيتها الى الزيارات والمتنزهات ، والى ما تحسب ان لها فيه مصلحة خاصة ، او للامة مصلحة عامّة ، فهو ينافي الثبات اي منافاة

ان الشيخ في نظراته قد اراد ، كما يبدو لي ، امرين : اولاً : ان يتقي من هذه الفتاة المعارضة له في حزن انه يرى ما جرَّ الاخذ بمعنى القرار من تضيق على النساء لا يتفق مع مصلحة الامة ، ثانيًا : ان يمسك بالحبل ، كما هو شأنه ، من طرفين ، ليرضي الفريقين : المستنيرين والحجابيين. فانتقامًا من الفتاة وارضاء للحجابيين ذهب الى معنى القرار ، ومثّل في طريقه دورًا من الطعن كان نصيبه مني الصفح والاستغفار . وارضاء للسفوريين المستنيرين وتوسيعًا للنطاق الضيق على الام والامة فسر القرار بمثل ما فسر . اراد الشيخ ما اراد ولكن لم يتم له ذلك ، لانه لم يحسن تدبُّر الامر بمثل ما تدبّر

ان المعنى الموسّع الذي ابتكره الشيخ دون استناد الى منطق او دليل ، ما قال به غيره ولا يقول به احد

فالاخذ بمعنى القرار يجعل النساء عرضة لاحد ضررين . إما ان يقررن في بيوتهنَّ قرارًا ثابتًا او دائمًا ، آخذات بالاصل من معنى القرار ، نابذات الزيادة المبتكرة ، فيحصل من ذلك لهن وللامة ما في ذلك من عسر وضيق وضرر ، أو انهن لا يقررنَ فيخالفنَ امر الله اذ لا بد لهن من الخروج الى ما لهن من مصالح خاصة او عامة او لتنزه او زيارة . وان هذا الضرر ، اي مخالفة امر الله ، لشرٌّ من ذلك القرار مع ما فيه من اضرار

**

بتر الشيخ حديث البخاري ، وتحريفه الحقيقة والتفسير في اجتهاده الابتكاري

يا سيدي الشيخ

اردت ان تثبت في الصفحة ١٧٥ ان النساء مأمورات بالقرار في بيوتهنّ الاّ لحاجة مشروعة ، وان كل ما يدعو الى خروجهن ، من مصلحة خاصة او عامة او تنزه او زيارة ، حاجة مشروعة . فذكرت عن عائشة رضي الله عنها انها قالت : « خرجت سودة بنت زمعةَ ام المؤمنين ليلاً فرآها عمر فعرفها فقال : والله يا سودة ما تخفين علينا . فرجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له وهو في حجرتي يتعشى ، وان في يده لعرقًا فأُنزل عليه الوحي ، فرُفعَ عنه وهو يقول : قد أذنَ الله لكن ان تخرجنَ لحوائجكن »

ذكرتَ ذلك يا سيدي الشيخ وقلتَ : ان البخاري روى هذا الحديث ايضًا في التفسير ببعض زيادة ، ولك بالطبع مأرب في اهمال تلك الزيادة باترًا حديث البخاري ، لان تتمته توضح الحاجة وتمنع امكان الاخذ بتفسيرك الابتكاري [1]

وزعمت ان خروج سودة ليلاً ومشاهدة عمر اياها كانا بعد ما ضرب الحجاب. فلتحقيق صدق قولك او عدم صدقه اني اذكر لك حديث عائشة كاملاً وقد نقلته عن الخازن ص ٦١٧ الى

---

(١) ان الشيخ لم يبتر حديث البخاري فحسب . انه بتر كثيرًا من الكلام الذي نقله قصدًا للتضليل . فلما نقل مثلاً كلام الفراء في لسان العرب مما يتعلق بالامر (قرن) قال في الصفحة ١٥٨ : " وقال الفراء قِرنَ في بيوتكن هو من الوقار . وقرأ عاصم واهل المدينة : وقَرن في بيوتكن . قال : ولا يكون ذلك من الوقار . ولكن يُرى انهم انما ارادوا اقررنَ في بيوتكنّ فحذفت الراء الاولى وحولت فتحتها في القاف كما قالوا هل أحست صاحبك ؟ وكما يقال فظلتم يريد فظللتم . ومن العرب من يقول اقرِرنَ في بيوتكنّ ". — نقل الشيخ عن لسان العرب هذه العبارة وبتر تتمتها وهي هذه :

(فان قال قائل وقِرنَ يريد واقرِرنَ فتحول كسرة الراء اذا اسقطت الى القاف كان وجهًا ، قال ، ولم نجد ذلك في الوجهين مستعملاً في كلام العرب الاّ في فعلتم وفعلت وفعلنَ . فاما في الامر والنهي والمستقبل فلا)

« السفور والحجاب » ص ١٨٥ قال ما نصه : « عن عائشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كنّ يخرجن في الليل اذا تبرّزنَ الى المناصع ، وهو صعيد أفيح ، وكان عمر رضي الله عنه يقول للنبي صلى الله وسلم احجب نساءك . فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل . فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء ، وكانت امرأة طويلة . فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة ، حرصاً على ان ينزل الحجاب فانزل الله الحجاب »

وزاد الخازن : المناصع المواضع الخالية لقضاء الحاجة من . . . و . . .

أرأيت يا سيدي غفر الله لك انك لم تصدق بقولك : ان ذلك كان بعدما ضرب الحجاب؟ ان ذلك يا سيدي كان سبباً من الاسباب التي رواها المفسرون لضرب الحجاب على نساء النبيّ

انك لم تصدق ، يا من عزا الكذب الى الفتاة ، حيث قلت ان خروج سودة ليلاً ومشاهدة عمر اياها كانا بعدما ضرب الحجاب . واذا طلب الشيخ دليلاً ثانياً على صدق قولي ، فهذا حديث محمد بن سيرين المثبت في الجزء الثالث ص ٤٥ من كتابي هذا ، وقد اقسم فيه بالله ان سودة بعد نزول الامر (قرن) ما خرجت من باب حجرتها حتى أُخرجت بجنازتها

اقول ما اقول واقلل ما انقل جدلاً ، والله يعلم أن نفسي لا ترتاح الى صحة حديث من الاحاديث التي ترمي الى ترجيح معنى القرار في الامر قرنَ ، واكاد اعتقد انها من الاحاديث الموضوعة او المصنوعة لاضاعة حقوق المرأة ، اذ انها لا توافق كتاب الله والعدل الالهي والحكمة العليا والسنة الصحيحة وقضاء العقل ، وان رواية تلك الاحاديث او نقلها بصور مختلفة وفيها ما فيها ، لما يدل ايضاً على عدم صحتها او على تزويرها ، وعلى افتراض صحة الحديث الذي نقله الشيخ او صحة الحديث الذي نقلته جدلاً فلا يجوز ان ينسّر ما فيهما ما فسّر

أوَ الاضطرار او الضرورة او قضاء الحاجة المحدودة في الحديث ، يا سيدي الشيخ ، يتسع معناه اتساعاً يتناول ما ذكرتَ من تنزهات وزيارات ومن كل ما يدعو الى الخروج مما فيه مصلحة خاصة او عامة ؟

في مزاعم الشيخ في الامر (قرن) ، وفي الكذف والكوع ، وفي الجيب — وفيها مشهد عجب من دروس الشيخ في اصول المناظرة وعلم الادب — في الامر قرن . — وفيه ايثاري معنى الوقار ، الخليق بالمرأة الحقيق بالايثار ، على معنى القرار ، وهو معنى غير حقيقي لانه لا يوافق الحكمة العليا واللغة الفصحى ، وما صوّره للرجل الا حب الاستبداد والاستئثار

لا اظن ان احداً ممن يريدون الاخذ بمعنى القر ، يوافق الشيخ على قوله هذا . فكان الاولى بالشيخ ، لولم تكن له المعارضة مقصداً والمغالطة مطلباً ، ان يأخذ كما تأخذ الفتاة بمعنى الوقار ، فلا يؤخذ بما أتى به من قول غير صادق ومعنى غريب في تفسير الامر (قرن)من القرار

وهنا يرى كل قارئ وقارئة ، وقد اسند الشيخ اليّ عدم الصدق وبتر الكلام ومثل ذلك من المثالب ان الصدق وحسنَ القصد دأبي ، وأن الفرق ظاهرٌ بين ادبه وأدبي

* * * * *

ايثار معنى الوقار الخليق بالمرأة ، الحقيق بالايثار ، على معنى القرار وهو معنى غير حقيقي لانه لايوافق الحكمة العليا واللغة الفصحى ، وما صوره للرجل الا حب الاستبداد او الاستئثار

عليّ الان ان اكشف الحجاب كشفاً ، عن وجه اخذي بمعنى الوقار ، وايثاري هذا المعنى الخليق بالمرأة الحقيق بالايثار على معنى القرار ، وهو معنى غير حقيقي لانه لا يوافق الحكمة العليا ، واللغة الفصحى ، وما صوره للرجل الا حبُّ الاستبداد والاستئثار

فاذا اخذ المسلمون والمسلمات عامة بهذا المعنى الخليق بالمرأة ، وقد كُشِفَ الحجاب عن وجههِ الشريف ، خَلُقَ حينئذٍ بكل مسلمةٍ ان تقول بان الامر عام ، لنساء الاسلام ، او بالاولى ان نقول : انه وان يكن هذا الامر خاصاً في الاية لنساء النبي اهل بيته عليهنّ السلام ، فالوقار فضيلة تتحلى بها النفوس الشريفة ، فيجب تعميمه ، ويجب ان يكون له في كل نفسٍ صبوةٌ وهيام

يا سيدي الشيخ

انه ما دام في الامكان ان يُعلَ بقراءة القرّاء الاربعة غير نافع وعاصم وحفص ، اي ان يقرأ الامر (قِرنَ)بكسر القاف ، فاحرٍ بالشيوخ الذين يذهبون مذهبك او تذهب مذهبهم من جهة التعميم ، ان يرغبوا في الاخذ بمعني كنَ (من وقرَ يَقِرُ) اهل وقار . لان في الوقار فضيلة ليست في الاجتماع ولا في القرار

الجيب – وفيها مشهد عجب من دروس الشيخ في اصول المناظرة وعلم الادب . — في الامر قرن . — وفيهِ ايثاري معنى الوقار ، الخليق بالمرأة الحقيق بالايثار ، على معنى القرار ، وهو معنى غير حقيقي لانهُ لا يوافق الحكمة العليا واللغة الفصحى ، وما صوَّره للرجل الاحب الاستبداد والاستئثار

ولا يصح ان يقال ان الوقار في البيوت غير لازم ، انهُ ضروريٌّ جدًّا كي تكون الام قدوة صالحة لاولادها ، فيصبح الوقار فيها وفيهم ملكة . ومتى ثبت الوقار في العيلات ثبت في الامة المؤلفة منها . ولا شك ان من اعتادت الوقار في البيت هي خارج البيت اكثر منها وقارًا

ولأزد البحث بيانًا في ما يستوجب ان ينبذ لغةً وعقلاً معنى القرار ، ويؤْخذ بمعنى الوقار . لا يخفى ان قبول امر (قرن) سواءٌ أَكان من قرَّ يقِرُّ بالكسر او قرَّ يقَرُّ بالفتح . يحتاج الى سلوك طريق باللغة غير مطروقة او غير مألوفة من حذف الحرف من اصول الفعل ليس من احرف العلة [1] ، ونقلِ الحركة واستغناءه عن الهمزة لجعل (قِرنَ) من اقرِرنَ بالكسر او قَرنَ من اقرَرنَ بالفتح . ان ذلك يحمّلُ الاذهان عنتًا من العسر ، مع انهُ من مبادىء القرآن اليسر ، وان مخالفة المألوف والقياس كثيرًا ما تحمل على الريبة او تجعل المعاني في التباس

أَلا ترى اننا لو سلمنا بان الامر قِرنَ بالكسر من قرَّ يقِرُّ وصغنا الامر لهنَّ قِرنَ من وَقَرَ يقِرُ لالتبس المعنى ؛ ولو سلمنا بان الامر قرن بالفتح من قَرَّ يقرُّ وصغنا الامر لهنَّ من قار يقَارُ لالتبس المعنى وليس ثمة من مفرّق او مرجح ؟

أَلا ترى ان المفسرين الذين خاضوا في امر قرن وقالوا فيهِ بمعني الوقار ، كما قالوا بمعنى الاجتماع ومعنى القرار ، قد ظلوا في الريبة ولم يمكنهم ان يجزموا بالمعنى الذي اراده الله تعالى ؟

وأَنّى يجوز ان يسند الى القرآن وهو معجزة البيان قولاً ملتبسًا معنى ، فيهِ مجال للريب ، متعذرٌ فهمهُ على الاذهان ؟

أَلم يكن السبب للريبة افتراض المفسرين او بعض اللغويين ، معنى القرار ، وذلك ما

---

(١) قال المحققون : هذا الحذف انما يكون في الماضي واما في الامر والنهي والمضارع فلا . ولم يرد في كلام العرب مثل ذلك في الامر والنهي . واما في المضارع فلم يرد الا كلمة يخطن من الجبل لاعرابيّ من بني نُمير يريد بها يخططنَ والشاذ لا يقاس عليه

في الامر قرنَ . — وفيهِ ايثاري معنى الوقار ، الخلهق بالمرأة الحقيق بالايثار ، على معنى القرار ، وهو معنى غير حقيقي لانهُ لا يوافق الحكمة العليا والالههِ الفصحى وما صوّره للرجل الأحب الاستبداد والاستئثار

حملهم على ان يذهبوا الى ما ذهبوا اليهِ من حذف ٍ ونقل ٍ واستغناء لاستخراج ذاك المعنى ؟

اي ضرورة تحملنا على افتراض ذاك المعنى وسلوك ذاك الطريق الصعب للوصول اليهِ ، في حين ان امامنا طريقًا سهلاً على القاعدة والقياس يرينا ان (قِرن) بالكسر من وقَر يقِر قِرن او ان قَرن بالفتح من قار يقار قَرن ؟

فقبول معنى وقر وما اجلّه ، يقينا الوقوع في الريب ويغنينا عن تكلّفِنا ذلك كلّهُ

اذن فلنقرأْ (قِرن) بالكسر كما قرأ القراء الاربعة غير حفص وعاصم ونافع ، ولنسلك الطريق السهل الواضح جازمين بان القرآن امر نساء النبي بافصح بيان واوضحه ، ان يلزمنَ الوقار . فلتلزمهُ كل مسلمة ، انهُ اجمل حلية لمن حلاّها الرجال او تحلت لهم بالسوار ، ولنقل على قاعدة التصريف وقرَ يقِرُ قِرن ، مبتعدين بذلك عن تلك الطريق الوعرة التي تفضي بسالكها الى اسناد الالتباس الى امر الله تعالى والبقاء في الريبة

يا سيدي الشيخ

لو استطعتَ الى تفتيش كلام العرب واستقصائهِ سبيلاً ، لما رأيتَ امرًا لهنّ بلفظ قِرنَ او قَرنَ من القرار ، بل لرأيت الامر لهن بلفظ اقررنَ

اذن لمَ وعلامَ تتمسك بتفسير لكلمة في القرآن ، لا يشفُّ عن الحكمة السامية منهُ ولغة البيان ؟

ان الله تعالى ما أنزل آيةً الاّ لندرك حقيقتها ونعمل بها فنستحق ما اعد لنا من اجرٍ وثواب. لذلك جعل آياتهِ بينات ليس فيها ما يجعل النفس في ارتياب ، والاّ لما كان على الانسان من تبعةٍ يوم الحساب

لو اراد الله تعالى ان يأْمر نساء النبي او نساء المسلمين بالقرار لسلك بهن من البيان ابين طريق على القاعدة والقياس ، لا يؤدّي الى ريبة او التباس ، قائلاً لهن سبحانهُ وتعالى (اقررنَ في بيوتكنّ) مزيلاً من سبيلهنّ ما تعثر بهِ الاذهان ، من فهم معانٍ اخرى لم يأْمر بها في هذه الآية من القرآن

في مزاعم الشيخ في الامر (قرن) ، وفي الكف والكوع ، وفي الجيب . — وفيها مشهد عجب من دروس الشيخ في اصول المناظرة وعلم الادب . — في الامر قرن . — وفيه ايثاري معنى الوقار ، الخليق بالمرأة الحقيق بالايثار ، على معنى القرار ، وهو معنى غير حقيقي لانه لا يوافق الحكمة العليا واللغة الفصحى وما صوره للرجل حب الاستبداد والاستئثار

لو كان الامر (قرن) من القرار لما برحت مَن أُمرنا أن نأخذ شطر ديننا عنها ، رضي الله عنها ، بيتها متدخلة في امور الخلافة العظمى ، محاربةً مع الجيوش خاطبة في الناس تحملهم على الانضمام الى الحزب الذي كانت تؤيّده

لو كان الامر (قرن)من القرار لما غزت ام عطية رضي الله عنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات كانت فيها تداوي الجرحى ، وتقوم على المرضى . وان قبول النبي صلى الله عليهِ وسلم مثل ام عطية في غزواتهِ ، لدليل على ان معنى (قرن في بيوتكن) ليس من قرّ يقرّ اي اثبتنَ في بيوتكن ولا تبرحنها

ان الشيخ في الصفحات ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ من نظراتهِ انكر حديث النبي صلى الله عليهِ وسلم (خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء) وخطّأ سيدتنا عائشة رضي الله عنها في اجتهادها . ولو تأمل الشيخ بتعقل وخلوص نية كما تتأمل الفتاة ، ولو اراد ان يأخذ شطر الدين كما أُمر ، لما اتهم سيدتنا عائشة بالإخطاء في اجتهادها وادعى الاصابة في اجتهاده المضطرب المتقلّب ، ولحنى رأسه طاعةً امام سنة النبي الفعلية ، بقبولهِ صلى الله عليهِ وسلم في غزواتهِ ام عطية ، ولوافق الفتاة على الجزم بمعنى الوقار . عادلاً عما جرى اليهِ من غريب التفسير والابتكار

اجل لو تأمل بتعقل وخلوص نية لوافق الفتاة .لان الوقار يلد ما يقصد اليهِ الشيخ بابتكاره من القرار ، واما القرار بمعناه الاصلي فيلد عسرًا واضرارًا ، ولا يلدُ ما تحتاج اليهِ امهات الامة من الوقار !

فَمَن تعودنَ الوقار حتى صارت هذه الفضيلة من ملكات نفوسهن ، يقررن في بيوتهن ولا يخرجن منها الا لأمرٍ مشروع او قضاء واجب ، ذلك لان الوقار بقوّة معانيهِ السامية يثبّتُ المرأة في بيتها لقضاء ما يجب عليها فيهِ ، فتتعود قضاء الواجب ، ولا تبرح بيتها الاّ لقضاء ما عليها خارج البيت من الواجبات ، والنفس ادرى من غيرها بحاجتها وبما يجب عليها . واني لواثقة ان اخواتي المسلمات بنات القرن العشرين يفهمن من الامر قرن معنى الوقار ، وانهن لسنَ مخالفات أمر الله في خروجهن من بيوتهن لقضاء ما لهن من مصالح او لتنزّه او

زيارة ، لان الله لم يأمرهن بالقرار

انهنّ يرين ان الرجال في تفسيرهم الآيات التي خوطب النساء بها قد اجتازوا الى دائرة حقوقهن فاخطأوا تأويلا ، والنساء كما سبق البيان اولى من الرجال في تفسير الآيات القائم فيها واجبهن وحقهن لان صاحب الحق والواجب أهدى اليهما من غيره سبيلا

* * * *

ان التبرج تبرُّج الجاهلية الاولى غير جائز في البيوت خلافاً لرأي الشيخ وامثاله كما ان ذلك غير جائز في خارجها سواء أكان امر قرن عاماً او خاصاً ، وسواء اكان من الوقار او من القرار

بقي علي كلمة اقولها في التبرُّج تبرُّج الجاهلية الاولى المنهيّ عنه في الآية ، والذي يطلبه الشيخ وامثاله من النساء ان يفعلنَ مثله في بيوتهن[a]

لاشك ان التبرج ، تبرج الجاهلية الاولى ، بعكس التجمل والتزين الرصينين ، لا يجوز في البيت ولا في غيره ، خلافاً لما ذكر الشيخ في نظراته حيث قال ص١٧٤ : « وقوله تعالى بعد ذلك (ولا تبرجنَ تبرُّج الجاهلية الاولى) واضح في ان الخروج جائز على شرط عدم التبرج في الخروج . لان التبرج المنهي عنه لا يتحقق معناه الاّ خارج البيت لا داخله . فان تبرُّج المرأة في دارها امر جائز ، بل مطلوب ، لتقرّ بذلك عين زوجها »

اجل لا يجوز التبرُّج تبرج الجاهلية الاولى في البيت ولا في غيره خلافاً لما ذكر الشيخ . لان النهيَ الالهي عنه مطلق ، ولانه ينافي الرصانة والوقار ، وهما لشقيقة الرجل ، وشريكة الزوج ، ومربية الاولاد ، ومهذبة النوع ، الحليتان الجميلتان ، اللتان لا يغير جمالها الزمان

ولا شك ان قيد البيوت يتناول النهي (ولا تبرّجنَ) ، كما يتناول الامر (قرن) . وقد اكتُفِيَ بذكر البيوت في الامر عن ذكرها في النهي ، لان الفقرة واحدة . وما الامر (قرن) والنهي (لا تبرجن) الا فقرتان يؤيد معنى الواحدة منها معنى الثانية ، وكلتاهما تؤيدان ما جاء في صدر الآية من امتهان الله تعالى زينة الدنيا وزخارفها

واذا افترض ان الامر عام بكون ذكر البيوت ، كما لا يخفى على اولي الالباب ، معارضة صريحة لارادة الرجال الراغبين في جعل النساء في البيوت العوبة مبرجة لاهوائهم . وهذه

في مزاعم الشيخ في الامر (قرن) ، وفي الكف والكوع ، وفي الجيب . — وفيها مشهد عجب من دروس الشيخ في اصول المناظرة وعلم الادب . — في الامر (قرن) والنهي (لا تبرّجن) . — وفيه ان التبرُّج تبرُّج الجاهلية الاولى غير جائز في البيوت خلافاً لرأي الشيخ وامثاله كما ان ذلك غير جائز في خارجها

المعارضة تتضمن بالأولى النهي عن التبرج خارج البيوت ، لان الامر بالوقار والنهي عن التبرُّج في البيت يدلان بالأولى على وجوب الوقار وعدم التبرُّج خارج البيت. ذلك ما يدعو النساء الى الفضل والكمال . فليعقل تلك الحكمة سيدي الشيخ ومن له من النظراء والامثال

لو اراد الله تعالى ، كما يريد الشيخ ورفاقه ، ان تتبرّج النساء في البيوت تبرج الجاهلية الاولى ، وان لا يتبرجن اذا خرجن منها ، لسلك بهن من البيان أبين طريق قائلاً لهنّ : تبرجن في بيوتكن تبرج الجاهلية الاولى ولا تبرجن اذا خرجتنّ منها

وان كان امر قرنَ من القرار ، فلا يجوز الافتراض ان نساء النبي أُمرن مع القرار في البيوت ان لا يتبرجن في خارجها . لانهنَّ كُلِّفنَ في نظر من يفهم من الامر معنى القرار ، ان يقررنَ فيها ولا يخرجن منها . فقبول معنى الخروج مع معنى القرار جمع للنقيضين

واما قول الشيخ ان النهي عن التبرُّج ، يتضمن جواز الخروج والتبرُّج ، فهو قول غريب عجاب ، لا يستحق الجواب

اذن انهن كما امرنَ بالوقار ، وان شئت قل بالقرار ، في بيوتهنّ ، فقد امرن بعدم التبرُّج فيها

فسواء أكان امر (قرن) عامًا او خاصًا ، وسواء أكان من الوقار او من القرار ، ان التبرُّج في البيوت ، تبرج الجاهلية الاولى لما نهى عنه الله بوجه الاطلاق ، وينافي السمو في الاخلاق . فلا يجوز للشيخ وامثاله ان يجيزوه او ان يطلبوه من ربات الفضيلة والكمال ، كي تقرّ بذلك عين من يريد من الرجال

انسي الشيخ وامثاله ما جاء في صدر الآية من امتهانه تعالى زينة الدنيا او زخارفها ، وبتهديده ازواج النبي بالتسريح ان اردنها ، وقد قال : (يا ايها النبيُّ قل لازواجِكَ ان كُنتنّ تردنَ الحيوةَ الدنيا وزينتَها فتعالينَ أُمتّعكنّ واُسرحكنّ سراحًا جميلا) ؟

اجل لا يجوز يا سيدي الشيخ ان يُضحّى بسموِّ اخلاقِ المسلمات على هيكل شهواتكم ، وفي سبيل قرة عيونكم

لا يجوز ان تُجعَل البيوت مدارس مضرّة تتعلم فيها البنات من الامهات امثولاتٍ من التعرّي والتبختر ، والتبرّج والتغنج والتكسُّر ، والتخطط والتخمُّر ، كما يريد الشيوخ المعارضون، اولئك الذين يقاومون السفور وهو رصين، ويقولون، معاذ الله، ان الحجاب لنساء المسلمين يصون

قال الزمخشري في تفسيره جزء ٢ ص ٢١٢ والبيضاوي في تفسيره ص ٤٠٥ : « الجاهلية الاولى ، جاهلية الكفر قبل الاسلام، والجاهلية الاخرى جاهلية الفجور والفسوق في الاسلام . فكان معنى الآية : ولا تحدثنَ بالتبرج جاهليةً في الاسلام تتشبهنَ فيها باهل جاهلية الكفر »

أوَ يجوز يا سيدي الشيخ ان تتشبّه المسلماتُ ، معاذ الله ، باهل جاهلية الكفر، فيحدثنَ بالتبرج مثل جاهلية الفجور والفسوق ؟ أوَ يجوز لربات البيوت ان يتبرّجنَ فيها تبرجَ نساء السوء في السوق ؟ !

انكم يا سادتي الشيوخ المعارضين، تحاولون بمثل تفاسيركم حط شأن المرأة المسلمة وخُلقها، محاولين بذلك استمرار حبسها وحجبها ، قائلين ، غير صادقين ، انها فاسدةٌ في محيطٍ فاسد ، تسوقها الحرية حتماً الى التهتك والدعارة ؛ وقائلين غير منصفين قول الشيخ الغلاييني في كتابه الاسلام روح المدنية ص ٢٠٨ : (ما دامت المرأة تضيع ثلاثة ارباع الوقت في اللبس والزينة فهي لا يمكنها المطالبة بحق واحد من حقوق الرجل ، ولا يجوز لها ان تدعي حق المساواة)

غيّروا هذه العقلية يا سادتي الشيوخ المعارضين غيّروها . أشفقوا على الامة واحترموا المرأة. سلموا اليها كل ما كان لها حقًّا ، ودعوها تعلو ادبًا وخلقا . انما بحسن ادبها وشريف خلقها تعتزُّ الفضيلة ، وانما بذلك الامُّ تسمو ، وبذلك الامة ترقى

* * *

اختتام البحث بمناجاة الله وبكلمة الى الشيخ

الهي هذا ما اوحت الي النسمة التي نفخت فيّ من روحك ، فاذا كان فيه الصواب ، ارجو منك ان تهدي اليه الانسان ، وان كنت مخطئة في اجتهادي لما فيه الخير لامتي فاشملني بالعفو والغفران

وانت ياحضرة الشيخ اتق الله ، اتق الله . فليس من الانصاف ان تصم اجتهاد من اجتهدت في تفسيرها (قرنَ) بما اعتقدت ، ليس من الانصاف ان تصم اجتهادها بالدسّ ،

والخبث ، والضلال ، والجهل ، والكذب على الله ، وعلى اللغة ، وعلى المفسرين . ولا سيما ان كل معاً ملي يرى ان اجتهادها واعتقادها ، موافقان حكم العقل وقواعد اللغة ومقتضى الفضيلة التي هي الغاية المثلى ، في حكمة الله العليا ، وآياته الجلى : ويرى بالعكس ان اجتهادك وقولك واسنادك ما اسندت ، ما يخالف العقل ، واللغة ، والفضيلة . ولكن ليس في الامر من عجب ، ان ما في نفس الشيخ الاستاذ من الغضب ، دعاه فكتب ، سامحه الله ، ما قد كتب ، مما لا اراه لائقاً بشيخ التفسير واستاذ الادب

٣

في الكف والكوع

يا سيدي الشيخ

قلت في كتابك ص ٥٤ ما نصه :

« اجمع اللغويون ، والفقهاء والمفسرون ، والمسلمون ، والناس اجمعون ، على ان المراد بالكف ما يفهمه كل انسان حتى الاولاد الصغار ، وان حدها من رؤوس الاصابع الى مبداء الساعد . اما الآنسة نظيره زين الدين ومؤلفوا كتابها (؟؟ !!) فيفهمون ان الساعد هو الكف ، ولذلك اباحوا كشفه .

«لننظر من اين جاءهم هذا الفهم ، بارك الله فيهم ... ، جاءهم هذا الفهم العجيب ، الغريب ، من انهم ظنوا ان الكوع هو المرفق ، ولم يدروا انه موصل الذراع والكف . فان كنتَ لم تصدق ايها القارئ ما اقول فهذا كلامهم الفائق في معناه الرائق ص. ٢٣٧ : (ولا بد لي من الملاحظة ان الكف في اللغة هي اليد الى الكوع . يقال مدّ اليه كفه ليسأله . وقيل سميت بذلك لأنها تكف الاذى عن البدن . واما قولهم : كف مخضّب فعلى معنى ساعد مخضب . وفي مجمع البحرين حد الكف الكوع .)

« اصدّقت انها ظنت ان الكوع هو المرفق كما يفهم العوام ؟ فزعمَت ان الساعد داخل في حد الكف . ومع ذلك فهي تزعم انها اعلم الاولين والآخرين ، من العلماء ، والفقهاء ، والمفسرين ،

وفيها مشهد عجب، من دروس الشيخ في اصول المناظرة
وعلم الادب . — في الكف والكوع

وان هؤلاء جاهلون، جامدون، وما كانوا في تفسير آيات الله الا مخطئين . ولا ريب ان كلامنا هذا موجه الى مؤلفي الكتاب الجاهلين، الذين لا يفرّقون بين الكوع والمرفق، غفر الله لهم اجمعين . لانهم لا يعرفون كوعهم من بوعهم، كما يقول المثل العامي . »

*

هذا ما قاله الشيخ

سبحان الله يا شيخ، ما اجرأك في المغالطة ! اكتبتَ كتابك للعامة فقط حتى انك لم تجتنب مثل هذه المغالطات الفاضحة لك . ان ما قلتهُ انا ايضاحًا لحديث الشريف هو ما في القاموس وفي مجمع البحرين، عينه . واذا فحصت معاجم اللغة ومجمع البحرين رأيت ذلك

اني قلت يا شيخ، (حد الكف الكوع والكف هي اليد او الى الكوع) ولم اذكر لفظ المرفق، ولا معنى الكوع ولا معنى المرفق . فمن اين عرفت اني فهمت من لفظ الكوع معنى المرفق ؟

وهل استحق لومك يا شيخ، اذا نقلت فيما نقلت عن القاموس العبارة : (واما قولهم كف مخضّب، فعلى معنى ساعد مخضّب) ؟ اني نقلت عن القاموس عبارته بحروفها، ولم ابحث حينئذٍ عن جواز كشف الساعدين او عدم ذلك، ان ذلك البحث هو في تفسير الآية (ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها) . وهب يا شيخ اني رميت بنقل تلك العبارة من القاموس الى تأييد ما جاء في الكتب الفقهية عن جواز كشف الساعدين او الذراعين، فهل ذلك يستحق الملام ؟ أوَ ذلك منافٍ لما قاله الفقهاء الاعلام ؟ هذا زميلك الشيخ سعيد اياس قد قال في كتابهِ القول الصواب ص ٣٦ (وعن ابي يوسف يباح النظر الى ذراعها لانهُ يبدو منها عادةً) . فلِمَ تلوم الفتاة على اخذها بقول الامام ابي يوسف وغيره من الفقهاء ولا تلوم زميلك الشيخ سعيد اياس ؟

وقد حاولتَ يا شيخ ان تعزو اليَّ خطاء لغويًا انت فاعله . ذلك لانك خطأتني لقولي (واما قولهم كف مخضب فعلى معنى ساعد مخضب) قائلاً (تعني مخضبة لان الكف مؤنثه) . فأذن لي يا استاذ في ان اقول : ان الفتاة تعرف كما يعرف الشيخ ان الكف متى كانت على معنى اليد او اليد الى الكوع تؤنث خلافًا لما زعم من لا يوثق به، وان تأنيث الفتاة اياها

ظاهر من قولها في العبارة عينها ان الكف في اللغة هي ... وسميت ... ، فينبغي للشيخ ان يعرف كما تعرف الفتاة ان الكف متى كانت على معنى ساعد تُذَكّر فيقال حينئذٍ كما قالت الفتاة وكما هو ثابت في المعاجم كف مخضب ولا يقال كما زعم الشيخ كف مخضبه . وينبغي للقارئ ان يعرف بعد قراءة كتابيَ الفتاة ونظرات الشيخ ان الفتاة ليست ممن يذكرون المؤنث ، او يؤنثون المذكر كما يفعل حضرته . وقد بينتُ تأنيثهِ المذكر وتذكيره المؤنث في بحث (قرنَ)حيث عرضت لدى اهل اللسان، نماذج من اغلاطهِ في النحو واللغة والبيان. ولا بدع ان الشيخ يؤنث المذكر قولاً فقد أنثهُ بنظراته ص ١٠٥ فعلاً في رواية ارضاع الرجال في القِدَم اولادهم، وكان ذلك منهُ وسيلةً لتفكيهي القراء في كتابي هذا جزء ٢ ص ٩٥ تحت عنوان (الشيخ مثل الطبيعيين ينكر خلق آدم وحواء ذاهبًا مذهب داروين)

فوالحالة هذه اعتذر الى الشيخ عن عدم قبولي تصحيحه لانهُ خطأ منهُ يحتاج الى التصحيح يا سيدي الشيخ .

كان ينبغي لك ان تستشرف ان كتابك سيقع في ايدي من يتأملون ويفهمون ، فلا تحشوه بمثل ما حشوتهُ من العبارات والمغالطات . ان فيها لعبرًا ، وانهــا تُعدّ على مثلك من السَّقَطَات

٣

في الجيب

يا سيدي الشيخ ، وهكذا اراك تتهمني مضللاً ص ١٢٥ باني ظننت ان الجيب الوارد في الآية « وَلْيضربنَ بخُمُرهنَّ على جُيُوبِهِنَّ » هو الشق في بعض الثياب من امام او من وراء او من يمين او من يسار ، وبأني وقعتُ في الخلط ، وغيرتُ كلام الله ، ونسفتُ الحق

*

فيا سيدي الشيخ ، من اين عرفت أني ظننت ذلك ، وأني لم اعرف ان الجيب في اللغة طوق القميص ونحوه من الثياب ، اين رأيتَ في كتابي كلمة شق او معنى شق لتزعم ما زعمت ؟

ذكرتَ انك فهمت ذلك من قولي ص ٢١٨ : « لان الجيوب ومواضعهــا تغيرت بتغير الازياء . فقد كانت في الصدور واما الآن فليس لها موضع متعارف »

نعم يا سيدي اعيد كلامي ان اطواق الاثواب اليوم ليس لها موضع متعارف . فكم من سيدة فاضلة تجعل اليوم طوق ثوبها في اعلى عنقها مبكلاً بالازرار ، بخلاف غيرها من اللواتي يجعلنهُ في اواسط صدورهن ، او في ادناها او في اعلاها ، او في نحورهن

ولو قرأتَ كتابي بقلبٍ خال عن الهوى وعن قصدِ التضليل ، لَتَبينتَ وجهَ معارضتي للنَّسَفي ، ولَفطنتَ الى انها لا تتعلق مطلقًا بمعنى الجيب ، بل بما هو اهم جدًا من ذلك . ان كتابي يبحث عن الجواهر واللباب والسرائر ، لا عن الاعراض والقشور والظواهر

البحث الرابع عشر

في اتهام الشيخ بدس لتفريق الامة فتاةً تسعى لتوثيق عراها . — انهُ يجهل الحقائق المرئية ، او يتجاهلها وهو يراها

يا سيدي الشيخ

اني قلت فيما قلت ص ٢١ في خطابي الى اخواني المحجابيين :

« ان في الاسلام مذاهبَ عدةً مختلفةً في الامور الاساسية الدينية ايَّ اختلاف . وبعد ان كفَّر المسلمون بعضهم بعضًا ، وتحاربوا عصورًا ، سلَّم بعضهم الى بعضٍ بالحرية في امر الدين والمعتقد وصاروا كلهم ، كما يجب ان يكونوا ، اخوانًا . فالمسلمون اخوة . فاني تسلمون بذلك يا سادتي ولا تسلمون الآن بعضكم الى بعضٍ بالحرية في الملبس وباختيار كل منكم الطريق الذي يراه الاصلح في امر الدنيا ؟ »

فقلت حضرتك في كتابك ص ٣٤ ردًّا عليَّ : « ان قولي هذا مغاير للحقيقة ، ودسٌ يراد بهِ تفريق الامة ، وان المسلمين على اختلاف مذاهبهم لا يختلف احدهم عن الآخر في امر من امور الدين الاساسية التي يرتكز عليها الاسلام »

*

فيا سيدي الشيخ ان مؤلفة كتاب السفور والحجاب لم تقل قولاً مغايرًا للحقيقة ، وغير مرتكز على العلم الصحيح ، وهي اقدس من ان تدس دسا او تريد تفريقَ الامة . انما هي الساعية لجمع كلمة الاسلام ، بنبذ الاقوال التي تفرق بينهم ، وبالرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله لانهما مرجعهم جميعًا ، وكعبةُ تقديسهم وعروتُهم الوثقى . ولهذا قلتُ فيما قلت في كتابي ص٤٠٦ ردًا عليك :

« المرأة المسلمة ترمي الى توحيد الفرق الاسلامية ، ولا يضمنهُ الاالرجوع الى الكتاب والسنة مرجعي فرق الاسلام كلها . فعسى ان لا يرمي الرجل الى ابقاء التفريق ، ولا يُبقيهِ الا متابعة السير على اقوال بعض الفقهاء »

اجل كيف تريد يا سيدي الشيخ ان تُوحَّدَ الفرق الاسلامية توحيدًا صحيحًا لا رياء فيهِ ، اذا بقي غير السنيين معتقدين صحة الاقوال الداعية الى التفريق بين الاسلام ، وبقي السنيون معتقدين صحة مثل الاقوال والفتاوي في رد المحتار على الدر المختار ص ٢٩٧ وفي الفتاوي الحامدية ص ١٠٢ ، والفتاوي والاقوال التي اشار اليها السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابهِ (الفصول المهمة في تأليف الامة)ص ١٢٠ تلك الاقوال والفتاوي التي تكفر فرقًا عدةً من الاسلام ، وتتهمهم بالزندقة والالحاد ، وتأمر بما تأمر ان يفعلَ بهم من استئصال شأفه ، واسترقاق نساء وذرارى

أوَ ليس اولى بنا ان نرجع الى كتاب الله وسنة رسولهِ ، ونصبح كلنا اخوانا لا كافر فينا ، ولا زنديق بيننا ولا ملحد ؟

أوَ ليس الاولى بنا ان ننبذ مثل تلك الاقوال والفتاوي المفرقة ، فنكون كالبنيان المرصوص يشد بعضهُ بعضًا ، عالمين أنَّ الاسلام يتحقق باظهار الشهادتين كما قال جمهور العلماء الاعلام ، من الاسلام ؟

أوَ ليس الاولى بنا ان لانخفي امراضنا اذا نشدنا الصحة ؟

اما قولك اني قلت قولاً غير صحيح بذكري انَّ في الاسلام مذاهب عدة مختلفة في الامور الاساسية ، فاعلم ان مؤلفة كتاب السفور والحجاب لم تقل قولاً غير مرتكز على الحقائق الثابتة . فلأترك سرد الاختلافات في قسمي العبادات والمعاملات ، اني لاترك ذلك واقتصر من الامور الدينية على ما لا يمكنك الا التسليم بانها اساسية

أوَ لم يختلف السنيون والشيعيون مثلاً في ان صفاته تعالى غيرُه او عينُ ذاته ؟ وفي التجويز عليه تعالى عمل كل شيء او عدم التجويز عليه الاعمل ما تقتضيه الحكمة ، ويوجبه العدل ؛ وفي أنّ القرآن قديم غير مخلوق ، او انهُ مخلوق مُحدَث ؛ وفي أنّ الانبياء معصومون عن الكبائر والصغائر ، او غير معصومين ؟

فَلْأترك ايضًا كل هذا ، ولارجع الى اركان الايمان ، ولا يُنكِر احد انها من اساس الدين

فالسنيون يعتبرون ان اركان الايمان ستة : الايمان بالله ، وملائكتهِ ، وكتبهِ ، ورسلهِ ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره من الله تعالى . اما الشيعيون فلا يؤمنون بالقدر خيره وشره من الله تعالى بل يقولون ان الخير والشرّ من الانسان

والشيعيون يذهبون الى ان اصول الدين خمسة : التوحيد ، والنبوة ، والمعاد ، والامامة ، والعدل . اما السنيون فمذهبهم في اصول الدين انها التوحيد ، والنبوة ، والمعاد ، فحسب

والسنيون يعتبرون ان اصول الاحكام الدينية اربعة : الكتاب والسنة ، والاجماع ، والقياس . اما الشيعيون فلا يقبلون ان القياس من اصول الاحكام الدينية ، بل يَعدُّون الاصل الرابع العقل

اذن ان كلامي يا سيدي الشيخ مبنيٌّ على حقائق عليَّة ، ومقاصد عليَّة في سبيل توحيد الاسلام ، وبثّ روح الخير والسلام

ان تلك المقاصد لاتخفى على مثلك ، ولكن اردتَ ان تُخفي لغرضٍ في نفسك ، وياليتك لم تنسَ أنّ الله يحاسبك في غدك على عملك في أمسك

البحث الخامس عشر

في اسناد الشيخ الى الفتاة سفسطةً في قولها : عقل الانسان روحه ، كأنَّ عقل الانسان غيرُ روحه

وفي البحث حديث شريف فيهِ عِبرَ ، لاولي النظر

يا سيدي الشيخ

قالت هذه الفتاة في كتابها ص ٧١ في معرض الاحتجاج والجدل :

« يا سيدي الرجل ، رجحت عقلك من حيث الفطرةِ على عقل المرأة ، وذلك ليس من امرك، وليس في استطاعتك لانهُ اخفى الاشياء عليك، فخالفتَ بذلك امر ربك : (ويسألونك عن الرُّوح فقُلِ الروحُ من أمرِ ربي ، وما أُوتيتم من العلمِ إلاَّ قليلا)

« الم تعلم ان الله خلق العقل وهو اول خلقٍ من الارواح على يمين العرش كما علمنا صلى الله عليهِ وسلم ، وان روحك او عقلك ليس إلاَّ نفسكَ وحقيقتكَ؛ ذلك أخفى الاشياء عليك، كما قال حجة الاسلام الامام الغزالي ؟

« اما انا فاقرُّ واعترف بان ترجيح عقل الرجل من حيث الفطرة على عقل المرأة او ترجيح عقل هذه على عقل هذا ليس من امري ولا في استطاعتي ، لانهُ أخفى الاشياء عليَّ . ولكن بما أنَّك ادعيتَ ما ادعيت ، رأيت أنهُ لا بدَّ لي من الدفاع عن نفسي ، وعن بنات جنسي ، ورأيتُ أنهُ ينبغي للانسان ان لا يهمل البحثَ العلميَّ فيما يلوح له من اسرار الطبيعة ، آخذًا بالظواهر . ولا تظننَّ أن اثباتي كون المرأة اصلح من الرجل عقلاً يسوقني الى ان اطلب ترجيح عقل المرأة على عقل الرجل . إني لن افعلَ كما فعل الرجل . ولكني اطلب منهُ ان يعترف بان المرأة مثلهُ عقلاً ومنزلةً . بذلك ابتعدُ عن التفريط والافراط ، لازمةً حد الاعتدال والمساواة . »

*

هذا ما قلتهُ في كتابي . ومعلوم ان الصلاح اثر من آثار العقل او خاصة من خواصه .

وهذه الخاصة ، او هذا الاثر ، مما يُرى في عقل المرأة اكثر مما يرى في عقل الرجل . اذن المرأة اصلح من الرجل في الفطرة عقلاً . ولكن اذا كان أنّ المرأة اصلح من الرجل في الفطرة عقلاً ، فذلك لا يثبت انها اقوى منهُ عقلاً . لان القوّة اثر او خاصة في العقل غير الصلاح. وقد اوضحتُ ذلك في كتابي بالمثل والبرهان

اما الشيخ الزعيم فقد قال في نظراتهِ ص ٩٩ :

« قد اضطرب حكمك ايتها الآنسة ، في اي العقلين ارجح ، عقل الرجل ام عقل المرأة . فحكمتِ بان ترجح عقل الرجل من حيث الفطرة على عقل المرأة ، او ترجح عقل المرأة على عقلهِ ، ليس من شأنهِ ولا شأنك ، ولا في استطاعتهِ ولا استطاعتك ، لانهُ أخفى الاشياء عليهِ وعليكِ . ان سلمنا هذا المدعى ، وهو قريب من الصواب ، فهل استدلالك عليهِ بقولهِ تعالى (وَيسألونك عن الرُّوحِ قل الروحُ من أمر ربي) يُثبتُ هذا المدّعى ؟ وهل الروح والعقل شيٌ واحد كما زعمتِ ؟ مَن قال هذا قبلك ؟ لعلهُ من مبتكراتك التي لم يهتدِ اليها احد من العالمين قبلك . ولعلهُ لا يهتدي اليها احد من بعدك . انك استدللتِ بآيةٍ من الكتاب المبين على مُدعى ليس بينها وبينهُ مناسبة . ان البرهان غير السفسطة ، وان الحقائق العلمية لا تثبت بالتزاويق الشعرية والزخارف الخطابيه ، وان الحق لا يحول دون التمويه والتغرير والاباطيل »

*

فيا سيدي الشيخ

ان مؤلفة كتاب السفور والحجاب لم تموِّه ، ولم تغرِّر ، ولم تستدل بآيات الكتاب المبين على مدعاها الا كان بينها وبينهُ مناسبه وموافقه ، ولم تقل قولاً الا كان مرتكزًا على الحقائق . ويا ليت الشيخ نهج نهجها وحرص على الحقّ حرصها الفائق

يا سيدي الشيخ ارى ان لا اجولَ ومثلك في مجال الفلسفة الحديثة في العقل والروح ، مع انها تؤيد الحقيقة التي ذَكَرَتها هذه الفتاة ، وارى أن اقتصر على البحث الدينيّ وهو أولى بمثل الشيخ من البحث الفلسفيّ

فافتح يا شيخ كتب الحديث والصفحة الثامنة من كتاب الكافي تقرأْ الحديث المرفوع الى النبي صلى الله عليهِ وسلم في العقل . إنهُ يثبت ما ذكرت ويحتوي غير ذلك مما ينبغي للسلمين ان يجنوا منهُ فوائد روحيةً كثيرة :

عن ابي عبد الله جعفر الصادق عليهِ السلام : « إنَّ اللهَ خَلَقَ العقلَ ، وهو أول خلقٍ من الروحانيين عن يمين العرش من نُوره . فقال لهُ أقبِل فأقبَلَ ، ثم قال لهُ أدبِر فأدبَرَ . فقالَ اللهُ تباركَ وتعالى : خلقتُكَ خلقًا عظيمًا ، وكرَّمتُكَ على جميع خلقي . أما إني إيَّاكَ آمر ، وإيَّاكَ أُعاقب ، وإيَّاكَ أُثيب . ثم خلق الجهل من البحر الأُجاج ظلمانيًا ، فقال لهُ أدبِر فلم يدبر ، ثم قال لهُ أقبِلَ فلم يُقبل . فقَال لهُ استكبرتَ فلَعَنَهُ . ثمَّ جعلَ للعقلِ خمسةً وسبعين جندًا . فلما رأى الجهلُ ما أكرم اللهُ بهِ العقلَ وما أعطاه ، أضمرَ لهُ العداوة . فقال الجهلُ : يا ربِّ هذا خلقٌ مثلي ، خلقتَهُ وكرَّمتَهُ وقوَّيتَهُ ، وانا ضدُّه ، ولا قوَّةَ لي بهِ . فأعطني من الجند مثل ما أعطيتَهُ . فقال نعم . فان عصيتَ بعد ذلك اخرجتُك وجندَكَ من رحمتي . قال : قد رضيتُ . فاعطاه خمسةَ وسبعين جندًا . فكان مما أعطى العقلَ من الجند الخيرُ ، وهو وزيرُ العقل ، وجعلَ ضدَّه الشرَّ . وهو وزيرُ الجهل . والايمانُ وضدُّه الكفر ، والصدقُ وضدُّه الجحود ، والرجاء وضدُّه القنوط ، والعدلُ وضدُّه الجور ، والرِّضى وضدُّه السخط ، والشكرُ وضدُّه الكفر ، والرأفةُ وضدها القسوه ، والرحمةُ وضدها الغضب ، والفهمُ وضده الحمق ، والعفة وضدها التهتك ، والرفق وضده الخرق ، والتواضعُ وضده الكِبْرُ ، والتُّؤدَه وضدهـا التسرّع ، والحِلمُ وضده السفَه ، والصبرُ وضده الجزَع ، والصفحُ وضده الانتقام ، والمودَّةُ وضدها العداوة ، والوفاء وضده الغدر ، والطاعةُ وضدهـا المعصية ، والحبُّ وضده البغض ، والصدقُ وضده الكذب ، والحقُّ وضدة الباطل ، والامانة وضدهـا الخيانة ، والاخلاصُ وضده الشَّوب ، والشهامةُ وضدها البلادة ، وسلامةُ القلب وضدهـا الماكرة ، وبرُّ الوالدين وضده العقوق ، والحقيقةُ وضدُّها الرياء ، والمعروف وضده المنكر ، والحياء وضده الخلَع ، والحكمةُ وضدها الهوى ، والتوبةُ وضدها الاصرار ، والإلفةُ وضدهـا التفرقة ، الى آخر الحديث . »

أوَ يمكنك يا سيدي الشيخ بعد هذا الحديث ، ان تنكر أنَّ العقل من الارواح او من الخلق الروحاني ، وهل الخلق الروحاني الا ارواح؟ افتح القاموس ترَ أن الملائكةَ ، جمع ملاك ، خلقٌ روحاني ، وترَ أن الملاك روح . ولا يخفى عليك أن الثواب والعقاب للروح ، وقد خاطَبَ اللهُ تعالى العقلَ قائلاً : إيَّاك أُعاقب ، وإيَّاك أُثيب

اذن العقل روح . وبما ان الروح أخفى الاشياء على الانسان وهي من امر ربهِ ، و...

في اسناد الشيخ الى الفتاة سفسطةً في قولها: عقل الانسان روحه ، كأنّ عقل الانسان غير روحه .– وفيهِ جند عقل المرأة اكثر من جند عقل الرجل عددا ، فالخيزران يعترف الصنوان بالتساوي حقًّا وعقلاً وصلاحًا وهدى

ان الرجل خالف في اخفى الاشياء عليهِ امر ربهِ ، فرجّحَ عقله على عقلِ المرأة ، ذكرت له ، عسى ان تنفعَ الذكرى ، تلك الآية الكريمة : «وَيَسأَلونَكَ عن الرُّوحِ ، قُلِ الروحُ من أمرِ ربي ، وما أُتيتم من العلمِ إلاّ قليلا» .

واذا كان أنّ العقل في الانسان روح ، فهل في الانسان روح آخر ? أوَ في الانسان الواحد روحان ? ليس في الانسان الا روح واحدة ، مهما تعدّدت اسماؤها ، او صفاتها ، او قواها . وما عقل الانسان الا روحه ، وما روحه الا عقله ، فالعقل والروح العاقلة في الانسان شيء واحد . الشمس واحدة . ونقول رأيتُ الشمس حين تراهـا ، ونقول استنرتُ بالشمس اذا استنرتَ بسناها ، ونقول ادفأتني الشمس اذا استدفأتَ بلظاها . وما الشمسُ ، وما سناها ، وما لظاها ، الا الشمسُ الواحدةُ التي تراها

اجل ان عقل الانسان والروح العاقلة فيهِ شيء واحد . وشتان بين روح الانسان وروح الحيوان ، فهذه ما نفخت من روح الله ولا تعاقب ولا تثاب ، ولا يَضعُها الشرع في ميزان ، وليس لها حساب

فاعلم يا سيدي الشيخ ان قولي : عقل الانسان روحه ليس مبتكرًا ، انما هو من الحديث الشريف . وليس قولي من الأباطيل انما علم الشيخ الاستاذ او درسه قليل . بل ليس قولي ذاك سفسطة ، فهو لم يُبنَ على الوهميات . انما هو برهان ، لانهُ مبني على حقيقيات الحديث ، وما جاءت بهِ الفتاة الاصادقةً ، ذلك بمقتضى قولهِ تعالى (هَاتُوا برهانكُم إن كُنتُم صَادِقِين)

*

يا سادتي المعارضين .

ينبغي للسلمين ان يَسبِروا غور كل حديثٍ شريف ليدركوا ما فيهِ من لآلئ الحكمةِ والفضيلة ، ويُحلّوا بها ارواحهم

فما العقلُ في الانسان الا سلطان ، وما الخيرُ الا وزيره ، وما الفضائل من صدقٍ ، ورأفةٍ ، وعدلٍ ، وعفةٍ ، وحلمٍ ، وصبرٍ ، وصفحٍ ، ووفاء ، وامانةٍ ، واخلاصٍ ، وسلامة قلب ، وبرٍ بالوالدين ، ومعروفٍ ، وحكمةٍ ، ووفاء ، وغيرها الا جندٌ بهِ يعتزُّ ذلك السلطان

فان لم يكن لسلطان العقل ذلك الجند آزرَ الشرُّ سلطانَ الجهل ، وهو وزيره ، فحل

من الانسان محل ذلك السلطان ، بجند له من جحودٍ ، وقساوةٍ ، وجورٍ ، وسَفَهٍ ، وجزَعٍ ، وانتقامٍ ، وغَدرٍ ، وخيانةٍ ، وشَوبٍ ، ومماكرةٍ ، وعقوقٍ ، ومنكرٍ ، وهَوىً ، وغيرها مما يهون بهِ الانسان ، ويخسر امتيازه على الحيوان

فعسى سيدي الشيخ الاستاذ أن لا ينكرَ فيما بعد ان العقل والروح شيءٌ واحد ، وان يلتفتَ في التأليف والتدريس ، الى مثل ما في الحديث الشريف من خلقٍ كريمٍ ، ودرس نفيس . وعسى سيدي الرجل الذي أعني أن يستعرضَ جندَ العقل وجند الجهل فيهِ وفي المرأة ، فيرى ان جندَ العقل فيها اكثرُ من جند العقل فيهِ عددا ، فلا يستكبر عليها ، كما هي لا تستكبر عليهِ ، ويعترف الصنوان بالتساوي حقًّا ، وعدلاً ، وصلاحًا ، وهدى

البحث السادس عشر

في اسناد الشيخ الى الفتاة قبول التهمة والدس على الدين في قولها: الدين اباح الاسترقاق ، مع ان الشيخ والفتاة والدين في ذلك على اتفاق

يا سيدي الشيخ

ان مما قالتِ الفتاة في معرض الجدل والاحتجاج وتحت عنوان (ليس الرجل باكمل من المرأة دينًا وايمانًا ، فالرجل خرق احكام الدين ويرائي فيهِ) :

« والدين اباح الاسترقاق . اما الرجل فقد حرّمهُ في قوانينهِ ووضع العقاب على بائع الارقاء والإماء وشاريهم . »

فقلتَ في نظراتك ص ٣٦ ردًّا على ذلك : « حرام عليك ايتها الآنسة ان تقبلي دسّ هذه التهمة على الدين ممّن دسها في كتابك دسًّا . »

*

فيا سيدي الشيخ

أ أنت تتهمني بالدسّ ، واباحة الرق ثابتةٌ بكتاب الله وسنة رسولهِ والفصول الطوال في

الكتب الشرعية . اما ترى في آية الحجاب النازلة في نساء النبي عينها ذكر (ما ملكت أيمانهن) ؟ أوَ ليس ما ملكت أيمانهنّ الارقاء والاماء ؟

وانت نفسك يا حضرة الشيخ في كتابك الاسلام روح المدنية ص ١٧٨ و١٧٩ ذكرت العبارتين الآتيتين بحروفها « فالدين الاسلامي اجاز الرقّ كسائر الاديان ، ولم تكن السياسة تقضي في ذلك الوقت بمنعهِ بتاتًا . »

فايّ فرقٍ يا شيخ التفسير بين (اباح) و(اجاز) ؟ ولماذا عددتَ قولي دسًّا ، ولم تعدّ قولكَ دسًّا ؟

اما البحث في تشوُّف دين الاسلام الى ازالة الرق مع اباحتهِ ، فقد أحسنَتهُ الفتاة في كتابها اكثر مما أحسنهُ الشيخ في كتابهِ . فحرامٌ عليك ، يا سيدي الشيخ ، أن تسير من مغالطةٍ الى مغالطة تضليلاً لافكار من يُضلِّلون !

وقلت ص ١٠٩ اني عمدت الى نسبة الجور والظلم الى الله سبحانهُ من حيث لااشعر. ذلك لاني قلت ص ٩١ : «ان الجواز الالهي بالاسترقاق وامثالهِ لم يبن الا على قساوة قلب الرجل وصعوبة اذعانهِ للحق ، والا لمَا اجازهُ الحكيم العليم ما اجاز لهُ في ذلك الآن ، جوازًا يكرههُ ويزول مع الزمان . »

فيا سيدي الشيخ أنّى تنسب اليّ ذلك ، وانت من قال في كتابهِ الاسلام روح المدنية ص ١٧٨ ما حرفيتهُ : «فلما جاء الاسلام ورأى حال الارقاء وما هم فيهِ من الاضطهاد والهوان، رقّ لحالتهم ورثى لضعفهم ، ولم تكن السياسةُ في ذلك الوقت تقضي بمنعهِ بتاتًا . »

ويا سيدي الشيخ ، اي سياسة تجبر الله تعالى على ان لا يأمر بما فيهِ الرحمة والعدل ، فيبقى الرق ؟ ولماذا تتهمني بنسبة الجور والظلم الى الله سبحانهُ ، ولم تتّهم بذلك نفسَك ، مع ان قولي لايخالف في المعنى قولك . بيد اني أوضحت قولي في كتابي ايضاحًا جميلاً بالدليل والبرهان ، اما أنت فلم توضح تلك السياسة التي أبقَتِ الرق في بني الانسان . اذن ان ما اتهمتني بهِ ليس الا من البهتان ، وكثيرَ ما ألقيتَ مثلهُ لدى العامة بلا كيل ولا ميزان

البحث السابع عشر

في اسناد الشيخ الى الفتاة انها خلقت اباحة ضرب المتهم بالسرقة حتى يُقِرّ.—
ان الشيخ ممن يقال لهم : عَرَفتَ شيئًا وغابت عنكَ اشياء

لقد قلتُ في كتابي ص٥٩ في ذلك البحث ، بحث (إن الرجل ليس أكمل من المرأة دينًا وايمانًا ، فالرجل خرق احكام الدين ويُرائي فيه) :

« والدين اباح ضرب المتهم بالسرقة وتعذيبه ما لم يظهر العظم ، حتى يقرّ . اما الرجل فقد حرّم في قوانينهِ ذلك ، ووضع على ضارب المتهم ومعذّبهِ العقوبةَ الارهابية . »

فقلت في نظراتك ص ٢٧ : « ومنها زعمكِ أن الدين اباح ضربَ المتهم بالسرقة وتعذيبه ما لم يظهر العظم حتى يُقرّ . ففي أيةِ آيةٍ ام في ايّ حديث هذه الاباحة؟ وهل يليق بسماحة الاسلام الذي تزعمين الدفاع عنهُ ان يسنّ ضرب المتهم بالسرقة حتى يُقرّ ؟ »

* *

فيا سيدي الشيخ ان مؤلفة كتاب السفور والحجاب ما قالت ولا تقول قولاً ما لم يرتكز على ركن الحقيقة . اما الحكمة الخالصة في قولها ذلك في موقف الدفاع عن المرأة والاحتجاج على الرجل فهي موضحة في كتابها لقوم يعقلون

واليك يا سيدي الشيخ الركن الذي بنيتُ عليهِ قولي دفاعًا واحتجاجًا

جاء في حاشية رد المختار على الدر المختار ص ١٩٥ ما نصّهُ :

(وفي اكراه البزازية : من المشايخ من أفتى بصحة اقرار السارق بالسرقة ، مكرهًا . وعن الحسن يحلُّ ضربهُ حتى يُقرّ ما لم يظهر العظم . ونقل المصنف عن ابن المعز الحنفي : صحّ أنهُ عليهِ الصلاة والسلام امر الزبير بن العوام بتعذيب بعض المعاهدين حين كتم كنزحي بن اخطب ، فدلّهم على المال ، قال : وهو الذي يسعُ الناس ، وعليهِ العمل ، والا فالشهادة على السرقات اندر الامور .)

أرأيتَ يا سيدي الشيخ اني لم ادسّ في كتابي شيئاً ، وانكَ عرفتَ شيئاً وغابت عنك اشياء ؟

*

ومن الاشياء التي اريد ان لا تغيب عن الشيخ ، أنّي ما استندت الى اقوال الحسن والمصنف وابن المعز الا دفاعاً واحتجاجاً ، غير معتقدةٍ صحة الحديث لانهُ مثل كثير من الاحاديث التي يَرويها بعض الشيوخ في أمر المرأة ، لا يمكن ردُّه الى كتاب الله ولا يوافقهُ

البحث الثامن عشر

في عد الشيخ الامر النبوي للرجل بارخاء لحيَتهِ سفسافا ، واتهامه المرأة في تقصيرها شعرها بخرق الدين ، غير عالم ان المرأة قد اتبعت في تقصيرها شعرها سنة خاتم النبيين

قالت الفتاة المدافعة في موقف الاحتجاج والجدل مع مثل المعارضين فيما قالته ص ٦٢ تحت عنوان (المسلم ليس اكمل من المسلمة ديناً وايماناً . فالرجل خرق احكام الدين وبرائي فيهِ) :

« والدين حرّم الملاهي واستماعَ آلاتها . اما الرجل فقد حلل ذلك تحليلا ، ولو اردت ان اسردَ كلَّ ما حلل من الحرام وحرم من الحلال لاستغرق ذلك زمناً طويلا . ولكن لا ارى لي غنى عن ذكر مخالفتهِ الدين بما يفعل بوجههِ ، كما سأذكر في كل موضوع من موضوعي الادلة البالغة على مخالفتهِ الدين في ستر وجه المرأة

« فالدين يا سيداتي وسادتي ، امر الرجل بارخاء لحيتهِ وجز شاربيهِ جزّاً يلزق بالشفه . وذلك بقول رسول الله صلى الله عليهِ وسلم (أحفوا الشوارب وأرخوا اللحى) وعلى قول (اعفوا اللحى) . وقد ورد في الحديث (حلق الرأس مثلةٌ لاعدائكم وجمال لكم)

وابهامهِ المرأة في تقصيرها شعرها بخرق الدين، غير عالم ان المرأة قد اتبعت في تقصيرها شعرها سنة خاتم النبيين. — وفيهِ عتبي على الشيخ وكأنهُ ممن يعتقدون، ما يعتقد اولئك المغفلون : الفرفور ذنبه مغفور وكل الحق على النسوان

« اما الرجل عندنا فقد اطلق لنفسهِ حرية التصرُّف في رأسهِ ووجههِ المقيدين بالنص ، وفعل عكس النص ، فاحفى اللحية وابقى على شعر رأسهِ ، وارخى الشاربين ، اواحفى اللحية والشاربين او ابقاها معًا . اما وجه المرأة المطلق بموجب النص فقد قيده خلافًا للنص بالنقاب المظلم سادًّا دونها طرقَ عقلها ومنافذ حياتها . وبكلمة أبين ان الله ، جلت حكمتهُ ، غطى وجه الرجل بالشعر الطويل ، والدين امر بابقاء ذلك الغطاء . اما الرجل فقد ازالهُ . وكذلك ، جلت حكمتهُ ، خلقَ وجهَ المرأة مكشوفًا نقيًا ، والدين أمر ببقائهِ مكشوفًا جليًا ، اما الرجل فقد غطاه بالنقاب ليجعلهُ خفيًا »

الى ان قلتُ :

« ذكرت لك يا سيدي الرجل ما ذكرتُ من اعمالك المحسوسة التي خرقتَ فيها احكام الدين وخالفت اصوله ، فهل لك ان تذكر للمرأة مخالفةً لاصول الدين واحدة »

فاجبتني يا حضرة الشيخ ردًّا في كتابك ص ٣٨ — ٣٩ :

« اما انتِ فما لك ولحية الرجل وشاربيهِ ، دعي لحانا وشواربنا . الدين ارفع من ان يهتم لمثل هذا السفساف من الامور . ولم تكن اللحية من الواجبات التي يعاقب الانسان على تركها عند كثير من الائمة »

ثم ذكرتَ لي : ان المرأة خالفت اصول الدين في أنها قصت شعرها قصا لم يجعلها رجلاً ، ولا ابقاها امرأة . وان ذلك مناف للحديث الشريف : « لعنَ رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ، المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال »

***

فيا سيدي الشيخ

كيف تقول ان الدين أرفعُ من ان يهتم لمثل هذا من الامور وتعدهُ سفسافًا ، بعد ان ذكرتُ الامر الصريح من رسول الله صلى الله عليهِ وسلم للرجال بارخاء لحاهم واحفاء شواربهم وحلق رؤُسهم؟ وكيف تستنزل اللعنة على المرأة لتقصيرها شعرها ، ولم تقصر المرأة الا تبعًا لامر رسول الله صلى الله عليهِ وسلم المثبت في كتاب حسن الاسوة ، بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة

وابهامه المرأة في تقصيرها شعرها بخرق الدين ، غير عالم ان المرأة قد اتبعت في تقصيرها شعرها سنة خاتم النبيين . — وفيه عتبي على الشيخ وكأنه من يعتقدون ، ما يعتقد اولئك المغنون : الفرفور ذنبه مغفور ، وكل الحق على النسوان

ص ١٩١ : (عن علي كرّم الله وجهه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان تحلُقَ المرأة رأسها ، انما عليها التقصير »

يا سيدي الشيخ

أَنّى جوّزت لنفسك ان تقول ما قلت ؟ أَلأنك رجل بحسب انهُ لا لوم عليه ولا حرج ، مهما طعن وامن وخرج ، ولو عدّ ما في الدين من قيدٍ له سفسافا ، وما همّهُ ان يدعي قيودًا للمرأة ليست في الدين بل ادعاها ظلماً واعتسافا ؟

كيف تستنزل اللعنة على من قصرن شعورهنّ ، وابنتاك منهنّ ؟ ان اللعنة التي تستنزلها لن تنزل عليهنّ

كيف تعد مخالفة الرجل للدين امرًا مباحا ، وتحسب ان على المرأة في رعايتها للدين جناحا ؟ لا بدع في ذلك ، فاننا نرى الرجل الغاوي في كثير من الاحوال يحسب الفعل عينهُ اذا صدر من المرأة عيبًا وفسادًا ، واذا صدر منهُ ادبًا وصلاحا

يا سيدي الشيخ

بينا انا اكتب هذه العبارة ، والليل هادىء ، علا صوت من الطريق اشبه بصوت سكارى يتغنون بالأغنية العامية المشهورة

« الفرفور ذنبه مغفور وكل الحق على النسوان »

فقلت في نفسي : أَوَ ترى الشيخ ممن يعتقدون ما يعتقد هؤلاء المغنّون ؟

وتذكرت حينئذٍ ما قلت ما قلت في كتابي ص ٨٨ تحت عنوان (كيف تريد المسلمات ان يكون رجالهنّ). قلتُ :

« ان المسلمات يُردنَ ان يكون رجالهنّ رجال خير ، وخيرَ رجال ، يعرفون ان ارواحهم نفخة من روح الله . فيجب ان تكون منبع العدل ، والخير ، والحكمة ، والرحمة ، والصلاح . يجب ان يعرفوا انهم خلقوا والنساء من روح واحدة ، و يجب ان يخافوا من ان توصم نفوسهم بعيب ، كما تخاف النساء من ان توصم نفوسهنّ بعيب

« يجب ان يكون ما يعدُّ عيبًا للرجل عيبًا للمرأة ، وما يعدُّ عيبًا للمرأة عيبًا للرجل ،

وما يعد فضيلة للرجل فضيلة للمرأة ، وما يعدّ فضيلة للمرأة فضيلةً للرجل . انما بهذا وبمثله من العدل يتمّ الصلاح في العيلة وفي المجتمع الانساني »

ثم وقفت آسفة لكون مبادىء الرجال ومبادىء النساء غير متوافقة في مطلب العدل والمساواة والحرية والفضيلة ، واسترسلت نفسي في تأمّلها حتى كادت تقيس ما امامنا من الابعاد ، وتقدر ما تحتاج اليه من الصبر في الجهاد ، واستَرسلَت في تأملها الى ان عدتُ الى البحث مع الشيخ فقلت :

يا سيدي الشيخ ، أوَ تلام المرأة يا سيدي ، اذا اتبعت ما اوجب عليها نبيُّها ? فلا تكوننَّ لها على ذلك من اللائمين . انها اطاعت بتقصير الشعر امر نبيها ، اما انتَ فقد كنت لنبيك ، غفر الله لك ، بحلق اللحية من المخالفين

يا سيدي الشيخ ، ان الرجل باهماله حلقَ رأسه مكتفيًا بتقصير شعره ، وبحلق لحيته ، وبحلق شاربيه احيانًا ، يتشبه بالمرأة ، ولم تكن المرأة متشبهةً به في امر شعرها لتنزل عليها اللعنة التي يستنزلها الشيخ

*

يا سيدي الشيخ ويا سادتي الشيوخ المعارضين ، ترون ان حجتنا في امر الوجوه وشعر الرؤوس اقوى من حجتكم . بل ترون ان لنا عليكم في ذلك دليلاً وحجة ؛ اما انتم فلا دليل لكم علينا ولا حجة . ومع ذلك فنحن قائلات برد الاحاديث المروية منا ومنكم، تلك التي تستوجب اختلافنا ، الى كتاب الله فلا نقبل ما لا يوافقه مما ينافي الحرية الحقة والمساواة بيننا ، ونحن راضيات بالصلح على ان يكون كلُّ نفسٍ من الرجال والنساء حرًّا في امر وجهه وشعر رأسه

فاذا رضيتم بذلك واستمتع كل من الفريقين بحقه الصريح وحريته الشرعية ، انتهى الخلاف بيننا بصلح جديد بالمسلمات والمسلمين، يرضى عنه الله سيد المصلحين . وإلاَّ ، فانتم من المستبدين الظالمين

الخاتمة

آخر كلمة الى الشيوخ المعارضين ، للتسليم بالحق المبين ، او لنصب زعيم يجادل بالبراهين ،
او ليكتبوا مجتمعين ، حاسبين حسابًا لنقد العالمين

يا سادتي المعارضين

لقد رأيتموني في اقوالي ورأيتم الشيخ في اقواله ، كما يراني قضاة المجتمع الكوني ويرونه .
فهل قال الشيخ في نظراته قولا صحيحًا ؟ وهل أدلى بدليل صحيح ؟ وهل اعتمد على برهان ؟

انه عمد الى المغالطة والتضليل ، وبطر الحق ، وغمط الخلق . اهذا ما ترضون به ؟ اهذا ما يرضي الله ورسوله ، ويوافق مصلحة الامة ؟

اذن فليظهروا للعالمين في اجلى مظهر ، ما يقتضيه ذلك العلو الرفيع وتلك الحكمة السامية في الاسلام ، من قبول اهله الحقّ اذا حصحص

وان لم تتم قناعتكم بصحة ما في كتابي ذاك وكتابي هذا من مبادىء صالحة ومقاصد شريفة ، وبموافقتها الكتاب الكريم ، والسنة السمحاء ، فارجو منكم ان تتفاوضوا وتكتبوا ما تكتبون مجتمعين مجادلين بالبراهين ، او ان تفوضوا امر الزعامة الى من هو منكم راسخ في العلم ، راجحٌ في الرأي ، ثابت في قوله ، لا يقابل البرهان الا بمثله ، ولا يجادل الاّ بالتي هي احسن ، مهتديًا بهدي القرآن ، موثرًا هوى الله على هوى كل سلطان

كلمة الى الشيوخ الاعلام في الاسلام

وانتم ياسادتي الشيوخ الاعلام في الاسلام ، حتامَ تجتنبون ان تصدعوا بحقيقة علمكم وآرائكم في تحرير العقل ، وتحرير المرأة ، والتجدد الاجتماعي صدعًا لا جمجمة فيه ولا تقية ؟

كلمة الى شباب المسلمين المستنيرين واحرار الوطنيين . — وآخر كلمة مني الى الشيخ الزعيم

ان اجتنابكم هذا خوفاً من شيوخ العامة ، اضرّ بالامة ، وجعل الناس لا يقدرون صفة المشيخة العالية حق قدرها . ذلك لانهم رأوا ما قد ذكرتُ بعضهُ من الشيوخ المعارضين ، ولم يَرَوا ما بكم من فضلٍ وعلمٍ ونورٍ يفيض بهِ الدين

انكم لو اظهرتم ذلك اظهاراً حرّاً مبيناً ، لشهد الناس ان شيوخ المسلمين ، مثلما اناروا من قبل الاجيال ، سالكين بها تبعاً للزمان طريق الرقي والخير والكمال ، ينيرون الجيل العشرين. كيف لا والنور كل النور في الدين المبين ؟

كلمة الى شباب المسلمين المستنيرين ، واحرار الوطنيين

وانتم يا اخوتي يا قرة عين الامة ، يا شباب المسلمين المستنيرين ، واحرار الوطنيين ، ليست القضية التي وضعتها على بساط البحث قضيتي ، ولا قضية الغلاييني ، ولا اياس ، ولا الشبيطلي ، ولا الازهري ، ولا الجابي ، ولا الدلابلي ، ولا غيرهم من الشيوخ المعارضين لي . انما القضية قضية الام والامة والقوم العربي والوطن . انما القضية قضيتكم . فاعرض لديكم كتابي الاول وكتابي الثاني لتتأملوا فيها وتنصروا الحق لينصر امكم وامتكم وقومكم ووطنكم ، وتشيدوا من المجد اللاحق ما يعلو بهِ مجدنا السابق . ومثلكم لا يحتاج الى استنجاد ، لنصرة الحق والفضيلة والصواب والسداد

اخر كلمة مني الى الشيخ الزعيم

وانت يا سيدي الشيخ الغلاييني

لا انكر عليك وليس الانكار من مبدإي

« قمريّ كإعلاني وهذي حقيقتي وظلمةُ ليلي مثلُ ضوءِ نهاري

اني كنت منتظرةً من الشيخ الزعيم نظراتٍ أعلى وأسمى وأنزه مما كتب . على اني أُوثر ان اعتقد ان استعجالهُ تأليف كتابه وطبعه في زمن الغيظ والغضب لردي عليهِ ، وقبل ان يسكن جأشهُ ، هو الذي اتم عدم توفيقهِ وكسف نجم سعده ، لانهُ خرج عن دائرة المناظرة والنزاهة في نظراتهِ او رده

ان الشيخ يرى وكل من طالع كتابي رأى اني في ردي هناك على ما قال الشيخ ، ضد المرأة في كتابهِ « الاسلام روح المدنية » قد تابعت البحث العلمي بنزاهة متناهية ليس فيها الاّ ما يظهر

آخر كلمة مني الى الشيخ الزعيم

الحق وينفع الامة . فكان ينبغي له ان يتابع البحث العلميّ بحسب اصوله التي كان اتباعي اياها مثالاً لها مشهودًا "

يا سيدي الشيخ ، ان ما قالته هذه الفتاة في كتابها كله حقائق من نبعتي الخير الخالص ، والحقيقة الصرفة ، كتاب الله وسنة رسوله ، يعتقدها الشيخ وتعتقدها الفتاة

فعلامَ حاربها الشيخ ، وسلاحه المغالطة والخروج عن الصواب ، ناسبًا اليها ما لم تقله في كتاب او خطاب ؟

أتُرى ، لان الشيخ يعتقد تلك الحقائق سرا ، والفتاة تعتقدها سرًّا وجهرا ؟ انك ياسيدي الشيخ لم تنل في محاربة الفتاة نصرا

على اني اود ان يكون الشيخ الزعيم ، مصداقًا لما جاء في قول الرسول العظيم : (ان النساء يغلبنَ كريمًا ويغلبهن لئيم .)

يا سيدي الشيخ

قال كثيرون من اصحابك انك قلت لهم : (لو لم تعرض لي الآنسة زين الدين في كتابها « السفور والحجاب » ، لكنت اول من رفع العلم في نهضتها الشريفة وشاركها فيها .. ولكنها احرجتني فاخرجتني)

فيا سيدي اني لم اتعرض « في السفور والحجاب » لك . وانما نعرضت لكلمات قلتها في اول شبابك يوم وضع كتابك « الاسلام روح المدنية » . ذلك لاني آليت على نفسي ان ادافع عن كل ما يحط قدر المرأة ويبخس حقها . على اني بعد انتهاء الرد على ما في ذلك الكتاب ، لم اقصّر في بيان ذلك ، وفي كلمة طيبة في قدرك ، حيث قلت في كتابي ص ٤١٣ : « وارى انه لا بد لي من البيان ، ان كتاب الشيخ الغلاييني كان لغير هذا الزمان . انه وضعه في اول الشباب ، ولكل اجلٍ كتاب . لذلك ما خاطبت الشيخ في خطابي الا اياه في اول شبابه ، يوم وضعِ كتابه . اما اليوم فاعتقد ، وليعلم المسلمون والمسلمات ، ان الشيخ المحترم ، وهو من رجال العلم والنور والثقافات ، انه في كهولته الراقية الرشيدة ، وفي النهضة الجديدة ، سيظهر للمرأة نصيرا ، وللحق ظهيرا ، ويتحف العالم المتمدن بكتاب جديد في تحرير المرأة المسلمة ، يوافق روح العصر ، وروح الدين الاسلامي ، ويسعد العيلة ، وينفع الامة ، ويعلي شأنها بين الامم ،

كما كان الامر في القدَم . انهٔ خليق بان يكون من خيار المبتدئين ، لخيار المقتدين »

واني لاعجب كيف ان هذا الكلام ، لم ينزع من قلبك حس الانتقام ، ولم يدفعك الى اسير مع الفتاة في سبيل الخير للاسلام

*

يا سيدي الشيخ

لا تظنن اني استثقلت عبءَ الجدل . فان ذلك لا يسوءُني بل يسرني وهو عبءٌ خفيف تخفُّ اليه نفسي ، وقد دعوتُ اليهِ في كتابي اهلَ العلمِ والادب من الامة خاصةً ، ومن العالم عامةً ، تأييدًا للحق واظهارًا للحقيقة في تصادم الافكار

انما ساءني ان ما جئتَ بهِ وجاءَ بهِ رفاقك المعارضون ، قد كان باردًا لا يحرّك عاطفةً شريفة ، ولا يدعو الى سبيلٍ ترى فيهِ الامة من علماء القرن العشرين وشيوخهِ ما تنشدُ لها الفتاة المسلمة من واسع علمٍ ، ووافر خيرٍ ، وخالص صلاحٍ ، وساطع نور

ما هذا الكلام كلامك البارد في نظراتك ص ١٢٩ : « مسكينات انتن يا من لم ينعم الله عليكنَّ بنعمة الجمال ، انتنَّ صفرٌ على الشمال ، عند الرجال .فاشكرن الله على حَظَرِ النظر ، ووجوب الغضّ من البصر . فان ذلك منهُ سبحانهُ عنايةٌ بكنّ ، ولا تتمنَ على الآنسة نظيره زين الدين لاهمالها شأنكنّ ، فانها منكنّ »

ما اضعفَ روحَ الشيخ ! انها لم تستطع ان ترتفع لتجول مع روح الفتاة ، في سماء الهدى والنور من الآيات ، فجنح الشيخ بها ، او جنحت بالشيخ ، الى حضيضٍ خاطب منهُ من عدّهن من النساء مسكينات ، لانهن غير جميلات ، وقال لهنّ : ان نظيره منكن !!!

اعتقدَ الشيخ انهٔ بهذا الكلام ، قدَ راشَ السهم الاخير من جعبةِ الانتقام . ولكن لست من تخاطب يا سيدي الشيخ ممن قال فيهنّ امير الشعراء ، خدعوها بقولهم حسناء ، بل ممن يشكرن الله على ما وهب لهنّ من النعم ، فلا تعلو الى حيث هنّ سهام اهل النقَمَ

اذن ان سهم الشيخ لطائش ، واحرِ بهِ ان يعود على الرائش

*

آخر كلمة مني الى الشيخ الزعيم
وفيها كلمتان للاستاذ محمد باشا المخزومي والسيد بشيربوت

يا سيدي الشيخ

ان الفتاة نزهت نظراتها في كتابك «الاسلام روح المدنية» تنزيها . فلمَ لم تنزِّه انت ايضًا نظراتك في كتابها

ان الفتاة المسلمة خاطبتك دائمًا في كتابها قائلةً يا سيدي الشيخ ، فعلامَ خاطبتها قائلاً «يا هذه» ؟ ايُّ امتياز لك عليّ حتى ظهرتَ مخاطبًا اياي في رداء الكبر ؟ أنسيتَ قول رسول الله صلى عليهِ وسلم (الكبرُ رداء اللهِ . والمتكبرُ ينازعُ اللهَ رداءه . ومن نازع اللهَ رداءه ، لم يزده الا سفالاً ، وكبّه في النار يوم القيامة) ؟

ليتك يا سيدي الشيخ اقتديتَ بحضرة المفتي الجليل في رده العالي الشريف النزيه برسالتهِ «مشروعية الحجاب»

ليتك راعيتَ في ردك من النزاهة ما راعت اختيّ الآنستان اللطيفتان آمنة المحمصاني ومعززه الحسينيه في رديهما

ليتك يا حضرة الاستاذ ألقيتَ درسًا ، في ما ألقيت ، يعلم الناس احترام الناس وآراءهم ، كما علَّم الاستاذان محمد باشا المخزومي ، والسيد بشيربوت ، في نقديهما

واني لأنقل لك انموذجًا من ذلك ، لعلّك تسلك فيما بعد مثل هذه المسالك

قال حضرة الاستاذ محمد باشا المخزومي في الجزء الخامس من المجلد الثاني من مجلة الكشاف في نقدهِ المتوّج بقول الشيخ جمال الدين الافغاني ، رحم الله الافغاني : (لامانع من السفور ، اذا لم يتّخذ مطية للفجور). قال الاستاذ : «اما كتاب السفور والحجاب فهو في موضوعهِ ومجموعهِ كتاب جديد فريد ، أحسنَت مؤلفتهُ الاديبة البارعة السيدة نظيره كل الاحسان في تبويبهِ ، وأجادت في جمع الادلة والحجج ، وقطعَت معظم السبل على الكثيرين في زماننا باتخاذها السَّنَد من آيات الكتاب الكريم والاحاديث الشريفة النَّبوية ، بل اكثرَت منها لدرجة الاستشهاد بما لا يفيد القضية التي تدافع وتناضل عنها ببسالة ، كذكرها الآية : (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)

«نعم لا يضر السيدة نظيره ان لا تحيط كل الاحاطة باسباب التنزيل ، فقد كفاها فخرًا ما وعتهُ ودبجتهُ وجمعتهُ ادلةً وحججًا لتقنع قومًا بصدق دعواها ، وبطلان ما ألفوه من

آخر كلمة مني الى الشيخ الزعيم
وفيها كلمتان للاستاذ محمد باشا المخزومي والسيد بشير يموت

عادة الحجاب التي تمكَّنت من النفوس ورسخت حتى كادت تكون من العقائد ». الى آخر ما قال .

وقال السيد بشير في جريدة البرق عدد ٣٠٤٤

« واني لأتمنى ان تجد فتياتنا جميعًا هذه الشهامة في نفوسهن، فيقدِمنَ على العمل اقدام الشرفاء الذين يعرفون قيمة الكرامة . وارجو من اخواتي الناهضات ان يؤلِّفنَ منهن كتلةً مهذبة مشهودًا لها بالحشمة والادب ، ويعرضنها انموذجًا شريفًا يُبَرهن عمليًا على حسن هذا المشروع المطالبات بهِ . فان القائلات بهذا المشروع قليل من منهن في درجة حضرتكِ بالعلم والادب، او بالاحرى والاخلاق . واری الناس واسمعهم يدلِّلون عليهن ويقولون اهكذا تريدون ان تكون نساؤنا ؟ اهذه هي العلوم والاداب التي تدعونَ اليها ؟ اهذا هو الرُّقي الذي يُلوِّحون لنا بهِ ؟ ولا ازيد على هذا الآن

« نعم يا سيدتي الآنسة فانت ترين انكِ تعلمتِ وحزتِ درجةً تؤهلك ان تنالي هذا الحق، معتمدةً على شرف نفسك ، وثقة والدك ، ورقيّ مجتمعك العائلي . ولكن لا يجوز لك ان تدَّعي هذا الحق لكل بنات جنسك وامتكِ »

وقال في الجريدة عينها عدد ٣٠٤٥

« ومتى تحسَّنت الاخلاق هان علينا جميعًا تذليل ما نُعانيهِ الان من المصاعب . وحينئذاك لا تجدين الرجل الاَّ عادلاً منصفًا . لانك متى طلبتِ منهُ ان يكون شريفًا حافظًا لناموس الادب والعفاف ، ورأى منك هذه الغيرة عليهِ ، اقتنعَ بانكِ على حق بما تطلبين منهُ ، وسلَّم لك عن طيب خاطر . لانهُ يرى امامه امرأةً وافرةَ العقل ، قويَّةَ العزيمة ، شريفةَ النفس حكيمة . والدليل على ذلك ما قلتِهِ انت من أنَّ اباك قد وثق بشرف نفسك وادبها فارسلك الى الحياة والنور ، وحكَّمت عقلك فرأيتِ ما رأى . وها انت اليوم سافرة لا يعارضك احد ، ولا يمسك بسوء ، وقد قمتِ في الطليعة وجريتِ الى مدى بعيد . فعلينا ان ننتظر ونفكّر في هذا الذي تدعين اليهِ . فان رُأت الامة أنهُ حق اتَّبعتهُ ، والا فالى حينٍ وزمنٍ يكفيلان باقناعها. »

وقال في الجريدة الغراء عينها عدد ٣٠٤٢

« اما اذا كانت الآنسة المحترمة نظيره زين الدين تريد في استعبادهـا بالسلطات كمّ افواه معارضيها ، وتحسُّ بوخزات ألم من بعض عباراتهم ، فليس هذا من الحق في شيء . وكان عليها ان تقتدي بابطال امتها الخالدين والخالدات ، فتتحمّل في سبيل نصرة فكرها وحريتها ، كل اذى وكل شرّ يأتي عليها لتنال مقام المصلحين الحقيقيين . ذلك اولى واجدر بها من الفرار الى طلب النجدة من الغريب »

*

مسك الختام ، حديث شريف ومنيّة منشودة

يا سيدي الشيخ

هذا ما قاله الاستاذان مخزومي باشا ، والسيد بيوت ، في نقدبها . فتأمّل وتأمّل

إني ما ابديتُ لك مثالاً من حسن المناظره الا لسوء ما سلكتَ فيها ، هائمًا يا للأسف في مجاهلها تائهًا في معابها ، مرابطًا في ذلك الوادي مدفوعًا بروح الانتقام ، تكدّسُ الاشواك في طريق الاصلاح وترمي اهله بالسهام ، تستبدلُ الصلاح بالطلاح ، وتحجبُ النورَ بالظلام ، محاولاً ان تمنع الفتاة المسلمة وتُقعِدَ المسلمين عن السير الى الامام

انك اتبعتَ يا سيدي في ذلك هواك ، فشتّت الله عليك امرك ولبّس دنياك

يا ليت الشيخ آثر هوى الله ، فكان له وللامة خير من مسعاه

قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم : « يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : وعزّتي وجلالي ، وعظمتي وكبريائي ، ونُوري وعلوّي ، وارتفاعِ مكاني ، لا يُؤثِرُ عبدٌ هواه على هواي الا شتّتُّ عليهِ أمرَه ، ولَبّستُ عليهِ دنياه ، ولم أُوتِهِ منها الا ما قدّرتُ له

« وعزّتي وجلالي ، وعظمتي ونُوري وعلوّي ، وارتفاعِ مكاني ، لا يُؤثِرُ عبدٌ هوايَ على هواه ، إلاّ استحفظتُهُ ملائكتي ، وكفّلتُ السمواتِ والارضَ رزقهُ ، وكنتُ له من وراء تجارة كل تاجر ، وأتتهُ الدنيا وهي مُرغمه »

فاذا رأى الناس ان أمرَ الشيخ مشتّتٌ عليهِ ، فليعلموا ان الله شتّتَ أمره عليهِ ، لانهُ ممن آثروا هواهم على هواه

فلنتّقِ الله !

مسك الختام ، حديث شريف ومنية منشودة

يا سيدي الشيخ ويا سادتي الشيوخ المعارضين

كتبتُم وكتبتُ ، فلنكتفِ بما كتبنا نقدًا وردًا . وأحرِ بنا ان نصدع بالحق معًا ، موحدين المسعى ، محسنين قصدًا ، الى ما ينفع العرب والاسلام ويزيدهم خيرًا ومجدًا . حبذا ذلك اليوم . انهُ بدء تاريخٍ مجيد ، يعقد فيهِ الشيوخ والفتيات ، والمسلمون والمسلمات ، والاخوة في الوطنية والاخوات ، للحقِ ميثاقًا ، وللخير عهدًا .

نظيرة زين الدين

تم بحولهِ تعالى طبع اجزاء هذا الكتاب في اربعماية وثلاثين صفحة
بالمطبعة الاميركانية في بيروت

انارنا الله وأنار الامة ، ووفقنا ووفقها الى الطريق السويّ والصراط المستقيم

والحمد لله اوّلًا وآخرًا

الجزء الأول

الخطإ	الصواب	الصفحة	السطر
وانفت نحوي	والتفتَ نحوي	٦	٢١
بهدو بصبرِ	بهدو مبصرِ	١١	٢٣
سَمى	سما	١٤	١٠
لبابة	لبابو	١٩	٨
احاديثٍ	احاديثَ	٢١	١٥
المقاب	العقارب	٢٨	١٨
واذ بقيتم في ارتياب	واذا بقيتم في ارتياب	٤١	٢٣
وفي كل دولة	وفي نظر كل دولة	٤٧	١٥
تحريرهم نسائهم	تحرير نسائهم	٥١	٢٣
للجمد من شرقيهم	للمجد من شرقيّيهم	٥٢	٣
اشد من جمود من رجالنا	اشد من جمود بعض رجالنا	٥٣	١٧
تحرم منها ، الا اذا	تحرم مثلها ، اذا	٥٣	١٩
، ما عليها	، وما عليها	٥٤	٣
الكتبَ المنزّلةَ	الكتبِ المنزّلةِ	٥٤	٣
لي وضع كتابي	لي في وضع كتابي	٥٦	٥
وكأنهم لم يسمعوا شيئًا	وكأنهم لم يسمعوا شيئًا	٦٠	١
اهلة	اهلو	٦٤	٣
نصرانها في	نصرانها ونصيرانها في	٦٤	١٨
لا امالك من	لا امالك عن	٧٤	١٤

*

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
المجاب وما يجر وراءه	المجاب او ما يجر وراءه	٨٨	١
اوَ	او	٨٩	٢١
وشأنُ سفرُك	وشأنُ سُفرِكِ	٩٦	٢١
العقول	القول	١٠٣	١٥
المتراة	المفتراة	١٠٨	١٦
لا يوافق الله	لا يوافق كتاب الله	١١١	٢
لم أشعر	لم أشعر	١٢٤	١٦

الجزء الثاني

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
تنسيقه ووصفه	تنسيقه ورصفه	١٢	٢٥
ننشره	ننشرها	١٦	٦
وهو هذا	وهي هذه	١٦	٦
فراق لي ما جئتِ فيهِ	فراقني ما جئتِ بهِ	١٦	١١
المبدإ القويم	المبدأ القويم	١٨	١٣
الآنسة هدى شعراوي	السيدة هدى شعراوي	٢٩	١
الثقاة	الثقات	٤٩	٢٣
بنهضه الجنسين معًا	بنهضة الجنسين معًا	٥٠	٨
مباد	مبادئ	٥٢	٢٠
يدل	يدلان	٥٣	١٤
حجة الناس	حجة بين الناس	٦٤	٢١

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
الاخصام	الخصوم	٧٠	٥
وخلاقها	وامثالهم	٧٠	٢٦
ابنائه	انبيائه	٩٣	١
دن جمجمةٍ ونقيه	دون جمجمةٍ ونقيه	١٠٣	٢٥
فالترفع الآنسة رأسها نظيرة مشهالها	فلترفع الآنسة نظيرة مشهالها	١٠٥	١٧
كفى بذلك دليل	كفى بذلك دليلاً	١١٦	١١
ادعمت اقوالها	دعمت اقوالها	١٦	١٨

الجزء الثالث

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
ناخرٍ	تأخرٍ	١٣	٦
في معالي دبن الاسلام	في بيان الفتاة معالي دبن الاسلام	١٧	٧
ورأى كتاب الدفور والحجاب	ورأى ما في كتاب الدفور والحجاب	٢١	١٣
رضية	المرضية	٢٦	٢٥
السباقات	لسباقات	٢٩	١٨
تآليفكم	تأليفكم	٤٣	٢٠
فحضر عنده	فحضر عندئذٍ	٤٩	٣
آداء	اداء	٧٥	٧
الى تكون	الى ان تكون	٨٦	١
استشدت	استشهدت	٩٣	٨
يعيد	يعدّ	٩٤	١٠
غارق في لجة تفسيرة	غارق في لجّة تفسيره	٩٧	٢٣
نشاء	نشأ	١٠٠	٢

ولولا استغراقهِ	ولولا استغراقهُ	١٠٠	٢٤
أزعم المجابيين	ازعم على المجابيين	١٠١	١٨
فراخ فراخ	فراخ وفراخ	١٠٥	١٠
فليرضي	فليرضَ	١٠٥	١٥
المرآة	المرأة	١٠٧	٤
آثرتُ ذلك المعنى عن	آثرتُ ذلك المعنى على	١٠٧	١٦
مؤلفوا	مؤلفو	١٢٩	١٢
بينتُ تأنيثهِ المذكر	بينتُ تأنيثَهُ المذكّر	١٢١	٥
فايّ فريٍ ياشيخ	فايّ فرقٍ يا شيخ	١٤٠	٦
موضوع من موضوعي	موضع من موضوعي	١٤٣	١٤
فليظهروا للعالمين	فليظهر للعالمين	١٤٦	١١
يكفيلان باقناعها	يكفلان باقناعها	١٥١	٢٢

هذا ما وقع عليهِ نظري من الغلطات المطبعية ، واما ما فات نظري منها فاني اكل امر اصلاحه الى القارئ اللبيب

